

مَعَالِجُ الْقَبُولِ
بشرح مسلم الوصُول إلى علم الأصول
في التوحيد

جميع الحقوق محفوظة لدار ابن الجوزي

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية

الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٢٧٥٨٩ - ٨٤٢٧٥٩٣

ص: ٢٩٨٣ - الرمز البريدي: ٣١٤١١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠

الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٢٣١٢٢

جدة : ت : ٦٥١٦٥٤٩

الرياض : ت : ٤٢٦٦٢٣٩

مَعَالِجُ الْقَبُولِ

بشرح سُلَمِ الْوُصُولِ إِلَى سُلَمِ الْأُصُولِ
فِي التَّوْحِيدِ

تأليف
الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكيم
رحمته الله
(١٣٤٢ هـ - ١٣٧٧ هـ)

محققه وعلوه عليه وضبط نصه
وخرجه أماديه وآثاه
محمد صبحي بن حسن حلاق

المجلد الأول

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم فضيلة الدكتور عبد الوهاب بن لطف الديلمي .
عضو هيئة التدريس بجامعة صنعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمان على عبده ورسوله، وعلى
آله وصحبه .

أما بعد :

فإن توحيد الخالق سبحانه، من أهم ما يجب العناية به، تأليفاً، ونشراً،
وتعليماً، وبياناً، وهدايةً، فهو الأساس الذي دعت إليه جميع الرسل أممها، وهو
الغاية العظمى التي خلق الله العباد لها، وبدونه لا يقبل الله قرباً ولا عملاً؛ وقد
هياً الله سبحانه من اختارهم من خلقه لتدوين هذا العلم، وبيان حقيقته كما جاءت
في الكتاب والسنة، وعاش عليها سلف هذه الأمة أقرب الناس معاصرة لنزول
الوحي، وأصدقهم فهماً له وتطبيقاً لنصوصه .

وها هو كتاب «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي أحد هذه الكتب الذي
يخرج اليوم في ثوب جديد، بعد أن كان قد نال عناية من حيث الطبع والنشر، غير
أنه اليوم ينال عناية أخرى - جديرة بالتنويه بها - من الأخ الشيخ / محمد صبحي بن
حسن حلاق/ الذي أفنى كثيراً من عمره في خدمة كثير من كتب السلف الصالح
أمثال: الإمام الشوكاني، وابن الأمير الصنعاني، وغيرهما .

وكان لجهده المشكور أثر واضح في نشر كتب ظلت مغمورة، معرّضة
للتلف، وهو جهد يعتبر قربة إلى الله عز وجل، نرجو الله عز وجل له المثوبة
والأجر على ما صنع .

أمّا جهده الذي بذله في كتاب «معارج القبول» الذي بين أيدينا، فيُعرف من
خلال ما أوضحه في خطته التي ألزم نفسه السير على منوالها، وكذا من خلال

الموازنة بين الأصل المطبوع خالياً عن التحقيق، وبين الجهد الذي صرفه المحقق في خدمة الكتاب، وهذا أمر لا يحتاج القارئ إلى تعريف به، ولو لم يكن من جهده إلا أنه أراح القارئ من عناء البحث عن الأحاديث والآثار، وعرفه مواطنها، وبين حكم كثير منها من حيث الصحة والضعف، لكفاه جهداً يشكر عليه.

ولا نقف عند هذا الحد من الثناء على المحقق لما بذله من جهد في خدمة هذا الكتاب، بل من الواجب الإشارة إلى ما يجب على الدارسين والمثقفين من الإقبال على دراسة أمثال هذا الكتاب، والتزود منها، والحياة في ظلالها، والمشاركة في العناية بها حتى تأخذ مكانها اللائق بها، وحتى لا يندرس هذا العلم، وتضمحل معالمه.

فهو علم لا يستغني عنه المسلمون في كل عصر، وما وجد الانحراف عند بعض الطوائف في أمر العقيدة، إلا بسبب الجهل لهذا العلم، والتأصيل له بمنهج الفلاسفة، وعلم الكلام، الذي غُلب فيه جانب العقل على النص، وأتى للعقل البشري القاصر العاجز أن يهتدي إلى معرفة خالقه سبحانه، دون أن يسترشد بنصوص الكتاب والسنة، ويقف عند حدودهما.

نسأل الله عز وجل أن يهيء لهذه الأمة من يجدد لها معالم دينها، وأن يهدي الجميع إلى سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

د. عبد الوهاب بن لطفي الديلمي

صنعا في ٢٠ / ذي الحجة الحرام ١٤١٧ هـ

الموافق ٢٧ / ٤ / ١٩٩٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(١) [الأحزاب: ١].

«أما بعد:

(١) أخرجه أبو داود (٥٩١/٢) رقم (٢١١٨) والترمذي (١٣/٣) رقم (١١٠٥) والنسائي (٨٩/٦) وابن ماجه (٦٠٩/١) رقم (١٨٩٢) وابن الجارود رقم (٦٧٩) والحاكم في «المستدرک» (١٨٢/٢) - (١٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٨/٧) والبيهقي (١٤٦/٧) والدارمي (١٤٢/٢) وأحمد (١/٣٩٢ - ٣٩٣)، (٤٣٢/١) والطيالسي (ص ٤٥ رقم ٣٣٨) من حديث ابن مسعود، وزاد الطيالسي عن شعبة، قال، قلت: لأبي إسحاق: هذه خطبة النكاح وفي غيرها؟ قال: في كل حاجة.

قال الألباني في كتابه «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه» ص ١٢: «وردت هذه الخطبة المباركة عن ستة من الصحابة وهم: (عبد الله بن مسعود) و(أبو موسى الأشعري) و(عبد الله بن عباس) و(جابر بن عبد الله) و(نبيط بن شريط) و(عائشة) رضي الله عنهم. وعن تابعي واحد وهو الزهري، رحمه الله.

ثم تكلم عليها على هذا النسق. وقال في الخاتمة ص ٣١: «وقد تبين لنا من مجموعة الأحاديث المتقدمة، أن هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح أو خطبة جمعة أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما يظن، وفي بعض طرق حديث ابن مسعود التصريح بذلك كما تقدم، وقد أيد ذلك عمل السلف الصالح فكانوا يفتتحون بهذه الخطبة ثم ذكر بعضاً منهم... اهـ.

فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار^(١).

وبعد:

فإن المطلع على كتاب «معارج القبول» دون أن يسبق له معرفة بمؤلفه يتبادر إلى ذهنه أنه من مؤلفات أحد الأئمة الأعلام كابن قيم الجوزية أو من هو في طبقته، لما اشتمل الكتاب على موضوعات التوحيد كافة وسائر الغيبيات، واستوفى في الموضوع الواحد جميع نصوصه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما لا يدع زيادة لمستزيد.

كما أن الكتاب يمتاز بغزارة مادته وسهولة عبارته ووضوح فكرته، وسلامة منهجه، وأصالة مصادره، من كتاب وسنة وأقوال صحابة وتابعين خالياً من فلسفة المتكلمين وجدلهم. محاولاً فيه صاحبه تقريب مسائل العقيدة الصحيحة إلى أفهام أهل العلم على اختلاف منازلهم، وتباين طرقهم في فهم مباحث التوحيد، وقضاياه المتعددة.

ولم أكن مبالغاً إذا قلت: إن كتاب «معارج القبول» له قيمة علمية لم تتوفر لكثير من الكتب المعاصرة المؤلفة في التوحيد.



أما الأرجوزة (سُلم الوصول إلى علم الأصول) فإنها في منتهى السلاسة والسهولة والوضوح، خالية من الحشو والاستطرادات الخارجة عن موضوعها، بعيدة عن الغموض والتعقيد، أنشأها على وزن (بحر الرجز).



ولنستمع إلى المؤلف - رحمه الله تعالى - يشرح لنا قصة ذلك في تقديمه لهذا الشرح، حيث يقول:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢) رقم ٨٦٧/٤٣ وأحمد (٣/٣١٠ - ٣١١) والدارمي رقم (٢١٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٣٧) والنسائي (٣/١٨٨) من حديث جابر. وهو حديث صحيح.

«وقد سألتني من لا تسعني مخالفته من المحييين أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح ويُبين؛ فأجبتة إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله.

وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسر الله تعالى ذلك بمتنه وفضله، وأعاني وله الحمد والمئة على إكماله، وسميته «سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول».

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحاب، سئل مني أن أعلق عليه تعليقا، يحل مشكله، ويفصل مجمله، مقتصرأ على ذكر الدليل ومدلوله من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته، فعن لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول، مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السؤل، وسميته: «معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول»^(١).

وقد سار المؤلف - رحمه الله تعالى - في ترتيب مباحث كتاب (معارج القبول) على فصول وفق ترتيبها في أرجوزة (سلم الوصول)، ولتتضح الصورة كاملة لهذه المباحث بعناوينها وما تعالجه من موضوعات، نوردها مفصلة على النحو التالي:

* مقدمة: في تعريف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه، وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه.

١ - فصل: في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين، وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات.

٢ - فصل: في بيان النوع الثاني من التوحيد، وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله.

(١) معارج القبول: بحث «سبب نظم المتن وتأليف الشرح» ص ٥٥.

٣ - فصل: في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها، وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك.

٤ - فصل: في بيان ضد التوحيد وهو الشرك، وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغر وأكبر، وبيان كل منهما.

٥ - فصل: في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه، وبيان حكم الرقى والتمايم.

٦ - فصل: من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها، يتخذ ذلك المكان عيداً. وبيان أن الزيارة تنقسم إلى: سنية، وبدعية، وشركية.

٧ - فصل: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات.

٨ - فصل: في بيان السحر وحد الساحر، وأن منه علم التنجيم. وذكر عقوبة من صدق كاهناً.

٩ - فصل: يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين، وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب هي: الإسلام والإيمان والإحسان، وبيان أركان كل منها.

١٠ - فصل: في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وتفاضل أهله فيه، وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحلّه، وأنه تحت المشيئة، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر.

١١ - فصل: في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة، وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين. وأن من ادّعى النبوة بعده فهو كاذب يكفر من صدّقه وأتبعه.

١٢ - فصل: في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، وذكر الصحابة - رضي الله عنهم - بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم.

* خاتمة: في وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد.



واعلم أنَّ التوحيدَ من أشرف العلوم وأجلِّها، لأنَّه العلمُ باللَّهِ تعالى، وآياته وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، وكذلك العلمُ بالنبؤات، وكلُّ ما يتعلقُ بأمورِ الآخرة مِنْ بَعَثِ وَجَنَّةٍ وَنَارٍ... وهذه هي المقاصدُ الثلاثُ التي نزلت بها الكتبُ السماويةُ، وأجمعتِ الرسلُ على الدعوةِ إليها.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: - إشارةً إلى اتفاقِ الرسلِ والكتبِ السماويةِ على إثباتِ اليومِ الآخرِ -: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

ولزيادةِ بيانِ أهميةِ التوحيدِ فقد قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في «قاعدةِ جلييلةٍ» في «التوسُّلِ والوسيلةِ» ص ١٦، تحقيقُ: الشيخِ عبدِ القادرِ الأرناؤوطِ. «وهذا الأصلُ - وهو التوحيدُ - هو أصلُ الدينِ الذي لا يقبلُ اللُّهُ من الأولينِ والآخرينَ ديناً غيره، وبه أُرْسِلَ اللُّهُ الرُّسُلُ وأنزلَ الكتبُ، كما قال تعالى: ﴿وَرَسَّلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد ذكرَ اللُّهُ عَزَّ وَجَلَّ عن كلِّ من الرسلِ أَنَّهُ افتتَحَ دعوتهُ بأنَّ قالَ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] اهـ.

وقال الإمامُ الشوكاني في «إرشادِ الثقاتِ إلى اتفاقِ الشرائعِ على التوحيدِ والمعادِ والنبوتِ» بتحقيقنا (ص ٦ - ٧):

«وأما مقاصدُ القرآنِ الكريمِ التي يكرِّرها، ويوردُ الأدلةَ الحسيَّةَ والعقليَّةَ عليها ويشيرُ إليها في جميعِ سورهِ وفي غالبِ قِصصِهِ وأمثاليهِ فهي ثلاثةُ مقاصدٍ، يعرفُ ذلكَ مَنْ له كمالُ فِهمٍ وحُسنُ تدبُّرٍ وجَوْدَةُ تصوُّرٍ وفضلُ تفكُّرٍ:

(المقصدُ الأولُ): إثباتُ التوحيدِ.

(المقصدُ الثاني): إثباتُ المعادِ.

(المقصد الثالث): إثبات النبوات...

ولا ريب أن مَنْ آمَنَ باللَّهِ، وبما جاءت به رسلُهُ، ونطقَتْ به كتبه، فإنَّ إيمانه بهذه الثلاثة المقاصد هو أهمُّ ما يجبُ الإيمانُ به، وأقدمُ ما يتحتَّمُ عليه اعتقاده، لأنَّ الكُتُبَ قد نطقَتْ بها، والرسُلُ قد اتَّفَقَتْ عليها، يقطعُ كلُّ ريبٍ وينفي كلَّ شبهةٍ، ويذهبُ كلُّ شكٍّ اهـ.

ومن فضلِ اللّهِ عليَّ أني درستُ التوحيدَ على علماء أفاضلٍ في بلادِ الشامِ في مُقْتَبَلِ العَمْرِ، وَخَلُصْتُ إلى الاعتقادِ الجازمِ أنَّ المنهجَ الصحيحَ في فهمِ التوحيدِ هو منهجُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الذي سارَ عليه السلفُ الصالحُ، وأوصوا به مَنْ بعدهم، والذي تميَّزَ بالوضوح، والبعدِ عن صورِ التأويلِ والتشبيه، والتعطيلِ والتشويه، وهذا المنهجُ هو المنهجُ الصحيحُ لمن أرادَ النجاةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة.

فلذا كتبتُ «سلسلةَ أحكامِ القرآن» وهي:

- ١ - أحكامٌ متعلّقةٌ بالتوحيد. وأسميته: «إعلامُ الأنامِ بعقيدةِ الإسلام».
- ٢ - أحكامٌ متعلّقةٌ بتهذيبِ النفس. وأسميته: «إيضاحُ الأسسِ في تزكيةِ الأنفس».
- ٣ - أحكامٌ متعلّقةٌ بأقوالٍ وأفعالِ المكلفين. وهي المقصودةُ بـ «الفقه»، وأسميته: «إرشادُ الأمةِ إلى فقهِ الكتابِ والسُّنة».

والعَرَضُ من هذه السلسلةِ بناءُ المسلمِ صاحبِ العقيدةِ السليمة، والنفسِ المزكّاة، والعبادةِ الصحيحةِ المعتمدةِ على الكتابِ والسنةِ على فهمِ السلفِ الصالح. وعندما طلبَ منِّي الأخُ الكريمُ صاحبُ «دارِ ابنِ الجوزي»: سعدُ بنُ فوازٍ الصميليُّ حفظه الله ورعاه خدمةَ كتابِ «معارجُ القبول»: للعلامة: حافظِ الحكمي، وجد ذلك في نفسي قبولاً طيباً، ورغبةً مُلِحَّةً، لما اشتملَ عليه الكتابُ من موضوعاتِ التوحيدِ كافّةً، واستوفى في الموضوعِ الواحدِ جميعَ نصوصه من كتابِ اللّهِ وسنةِ رسوله، وأقوالِ الصحابةِ والتابعين، بما لا يدعُ زيادةً لمستزيد.

وفي الختامِ أسألُ اللّهُ العليَّ القديرَ أن يجعلَ أعمالنا كلّها صالحةً... ولوجهه خالصةً... وألاً يجعلَ فيها شركاً لأحد...

كتبه المعترز بالله

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نُبذة عن مؤلف الكتاب
الشيخ العلامة
حافظ بن أحمد الحكمي
(١٣٤٢ - ١٤٣٧هـ)

بقلم ابنه
الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - الرياض
(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، وهو عَلمٌ من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).
والحكمي: نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة) بطن من (مذحج) من (كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

مولده ونشأته:

ولد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضاي) - الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) حاضرة المنطقة على الساحل، قريبة منها - حيث تقيم قبيلته التي إليها يتنسب.

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (سامطة) في نفس المنطقة وهو ما يزال صغيراً؛ لأن أكثر مصالحي والده - من أراض زراعية ومواشي ونحوهما - كانت هناك، وإن بقيت أسرته الصغيرة تنتقل بين قريتي (السلام) و (الجاضع) لظروفها المعيشية.

ونشأ حافظاً في كنف والديه نشأةً صالحةً طيبةً، تربى فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق، وكان قبل بلوغه يقوم برعي غنم والديه التي كانت أهم ثروة لديهم آنذاك جرياً على عادة المجتمع في ذلك الوقت، إلا أن حافظاً لم يكن كغيره من فتيان مجتمعه؛ فقد كان آيةً في الذكاء وسُرعة الحفظ والفهم، فلقد ختم القرآن وحفظ الكثير منه وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة بعد، وكذلك تعلم الخط وأحسن الكتابة منذ الصغر.

طلبه العلم:

عندما بلغ حافظ من العمر سبع سنوات أدخله والده مع شقيقه الأكبر محمد^(١) مدرسة لتعليم القرآن الكريم بقرية (الجاضع)، فقرأ على مدرّسه بها جزأين (عم، وتبارك)، ثم واصل قراءته مع أخيه حتى أتم قراءة القرآن قراءةً مُجودةً خلال أشهر معدودة، ثم أكمل حفظه حفظاً تاماً بعيد ذلك.

اشتغل بعدئذ بتحسين الخط فأولاه أكبر جهوده حتى أتقنه، وكان ينسخ من مصحف مكتوب بخط ممتاز، إلى جانب اشتغاله مع أخيه بقراءة بعض كتب الفقه والفرائض والحديث والتفسير والتوحيد مطالعةً وحفظاً بمنزل والده، إذ لم يكن بالقرية عالمٌ يوثق بعلمه فيُتلمذ على يديه.

وفي مطلع سنة ١٣٥٨هـ قديم من (نجد) الشيخ الداعية المصلح عبد الله بن محمد بن حميد القرعاوي^(٢) إلى منطقة (تهامة) في جنوب المملكة، بعد أن سمع

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوي الفضل فيها، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة، تولى إدارة معهد سامطة العلمي أكثر من عشرين عاماً بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذي كان أول مدير لهذا المعهد. أسأل الله أن يطيل في عمره وأن ينفع به وأن يمتعه بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائماً.

(٢) ولد الشيخ عبد الله القرعاوي - وهو جدي لامي - في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥هـ وتوفي في مدينة الرياض سنة ١٣٨٩هـ - رحمه الله تعالى -، وقد كان له الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تهامة وعسير)، وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية - انظر بحثاً عنه وعن =

عما كان فيها من الجهل والبدع - شأن كل منطقة يقل فيها الدعاة والمصلحون أو ينعدمون - ونذر نفسه مخلصاً على أن يقوم بالدعوة إلى الدين القويم، وتصحيح العقيدة الإسلامية في النفوس، وإلى إصلاح المجتمع وإزاحة ما كان عالقاً في أذهان الجهال من اعتقادات فاسدة وخرافات مضلّة.

وفي سنة ١٣٥٩هـ قديم شقيق حافظ عمي (محمد بن أحمد) برسالة منه ومن أخيه حافظ يطلبان فيها من الشيخ القرعاوي كتباً في التوحيد، ويعتذران عن عدم القدرة على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعناية بشئونهما، كما يطلبان منه - إن كان في استطاعته - أن يتوجه إليهما بقرئتهما ليسمعا منه بعض ما يلقي من دروس، وفعلاً لبى الشيخ طلبهما وذهب إلى قريتهما، وهناك التقى بحافظ وعرفه عن كتب، وتوسّم فيه النجابة والذكاء، وقد صدقت فيه فراسته.

ومكث الشيخ عدة أيام في (الجاضع) ألقى فيها بعض دروسه العلمية التي حضرها مجموعة من شيوخ القرية وشبابها، ومن بينهم حافظ الذي كان أصغرهم سناً، لكنه كان أسرعهم فهماً وأكثرهم حفظاً واستيعاباً لما يلقي الشيخ من معلومات.

يقول عنه الشيخ عبد الله القرعاوي: «وهكذا جلسْتُ عدة أيام في الجاضع، وحافظ يأخذ الدروس، وإن فاته شيء نقله من زملائه، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطه، والطلبة الكبار كانوا يراجعونه في كل ما يشكل عليهم في المعنى والكتابة، لأنني كنت أُملي عليهم إملاءً ثم أشرحه لهم»^(١).

وعندما أراد الشيخ العودة إلى مدينة (سامطة) التي جعلها مقراً له ومركزاً لدعوته، طلب من والدني حافظ أن يُرسلاه معه ليطلب العلم على يديه في (سامطة) على أن يجعل لهما من يرعى غنمهما بدلاً عنه، ولكنهما رفضا طلب الشيخ أول الأمر وأصرّا على أن يبقى ابْنُهما الصغير في خدمتهما لحاجتهما الكبيرة إليه.

= دعوته وآثارها كُتِبَتْ في: مجلة (العرب) التي تصدر في الرياض: (مجلد ٨/ ج ٧ و ٨، ص ٥٢٣ - ٥٣٠).

(١) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبد الله القرعاوي بخطه وذكر فيها شيئاً موجزاً عن حياته، احتفظ بها لدي.

وتشاء إرادة الله أن لا تطول حياة والدته بعد ذلك، إذ توفيت في شهر رجب سنة ١٣٦٠هـ، فيسمع والدّه له ولأخيه محمد بأن يذهب إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه، فكان حافظ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة) فيملي عليه الدروس، ثم يعود إلى قريته، وكان مُلهمًا يفهم ويعي كل ما يقرأ أو يسمع من معلومات. ولم يعمر والدّه بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربّه وهو عائدٌ من حجّ سنة ١٣٦٠هـ - رحمه الله - فتفرغ حافظٌ للدراسة والتحصيل، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمةً دائمةً يقرأ عليه ويستفيد منه.

وكان حافظٌ في كل دراساته على شيخه مبرّزاً ونابعاً، فأثمر في العلم بسرعة فائقة، وأجاد قول الشعر والنثر معاً، وألف مؤلفات عديدة في كثير من العلوم والفنون الإسلامية - سنقف على أسمائها -، ولقد كان كما قال عنه شيخه: «لم يكن له نظير في التحصيل والتأليف والتعليم والإدارة في وقت قصير»^(١).

علمه:

مكث حافظٌ يطلب العلم على يد شيخه الجليل عبد الله القرعاوي، ويعمل على تحصيله، ويقتني الكتب القيمة والنادرة من أمهات المصادر الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها ويستوعبها قراءةً وفهماً.

وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره - ومع صغر سنه - طلب منه شيخه أن يؤلف كتاباً في توحيد الله، يشتمل على عقيدة السلف الصالح، ويكون نظاماً ليسهل حفظه على الطلاب، يعد بمثابة اختبار له يدل على القدر الذي استفاده من قراءاته وتحصيله العلمي؛ فصنّف منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد)^(٢) التي انتهت من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ وقد أجاد فيها، ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له.

ثم تابع تصنيف الكتب بعد ذلك؛ فألف في التوحيد، وفي مصطلح الحديث، وفي الفقه وأصوله، وفي الفرائض، وفي السيرة النبوية، وفي الوصايا

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

والآداب العلمية، وغير ذلك نظماً ونثراً، وقد طُبعت جميعها طبعاتها الأولى على نفقة المغفور له جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

ويتضح لنا من آثاره العلمية أن أبرزَ مقروءاته ذات الأثر في منهجه العلمي ومؤلفاته هي تلك الكتب التي ألفها علماء السلف الصالح من أهل السنة في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصوله، أما في مجال العقيدة فقد بدا شديداً التأثير بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كثير الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذ عنها، هذا إلى جانب استيعابه لكثير من مصادر التاريخ والأدب واللغة والنحو والبيان المؤلفة في مختلف العصور الإسلامية.

ولقد كان - رحمه الله - عميق الفهم سريع الحفظ لما يقرأ، وقد مر بنا قول شيخه يُشيد فيه بتلميذه حافظ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطه - على حد تعبير الشيخ - وكان زملاؤه الكبار يراجعونه في كل ما يُشكل عليهم منذ مراحل تعليمه الأولى.

أدبه:

يُعدُّ الشيخ حافظ من أجل علماء منطقة تهامة وأقدرهم على قول الشعر، فقد كان يعشق الشعر منذ صغره ويحفظه ويقولُه سليقةً دون تكلف، فلا غرابة إذا رأيناه يُخرج أكثر مؤلفاته نظماً.

ولقد كان أكثر ما يقول الشعر - في غير ما كتبه من منظومات علمية - إما نصيحة أو مساجلة لصديق أو وصفاً أو خاطرة، إلا أنه لم يدون جُل ما قال إن لم يكن كله، وما بأيدينا منه الآن نزر يسير جداً حفظه عنه بعض تلاميذه.

ومن أهم قصائده شعره تلك القصيدة الميمية التي أنشأها في الوصايا والآداب العلمية، وهي طويلة جداً، نختار منها هذه الأبيات التي يصف فيها العلم ومنزلته:

العلمُ أغلى وأحلى ما له استمعت	أذن، وأعرب عنه ناطق بفهم
العلمُ غايته القصوى ورتبته الد	علياء فاسعوا إليه يا أولي الهمم
العلمُ أشرف مطلوب وطالبه	لله أكرم من يمشي على قدم
العلمُ نور مبين يستضيء به	أهل السعادة والجهال في الظلم

العلمُ أعلى حياةً للعباد، كما أهلُ الجهالةِ أمواتٌ بجهلِهِم
ثم يقول مرغباً في العلم، وحاضاً طالبه على الجِرحِ عليه، والسعي قدَر
المستطاع لنيل أكبرِ قسطٍ منه، وعدم الرضا بغيره عوضاً عنه، فمن حصل عليه فقد
ظفِر .

ويوصي طلبة العلم بمساعدة غيرهم في تحصيله وتقريب مباحثه، ويشير
عليهم قبل ذلك كله بأن يُخلصوا نياتهم - في طلبه - لوجه الله الكريم:

يا طالبَ العلم لا تَبْغِي به بدلاً	فقد ظَفِرْتَ وربُّ اللوحِ والقلمِ
وقدُسَ العلمَ واعْرِفْ قدرَ حُرْمَتِهِ	في القول والفعل، والآدابِ فالتزم
واجْهَدْ بعزمٍ قويٍّ لا انْشَاءَ له	لو يعلم المرءُ قدرَ العلمِ لم يَنِم
والنُصْحَ فابْذُلْهُ للطلابِ محتسباً	في السر والجهرِ، والأستاذَ فاحترم
ومرحباً قل لمن يَأْتِيكَ يَطْلُبُهُ	وفيهُمُ احْفَظْ وصايا المصطفى بهم
والنِيَّةَ اجْعَلْ لوجهِ اللَّهِ خالصةً	إن البناءَ بدون الأصلِ لم يَقم

وهناك أيضاً قصيدته الهمزية التي قالها في تشجيع الإسلام وأهله والدعوة إلى
التمسك بأساسه وأصله، وهي لا تزال مخطوطة لم تُنشر من قبل، وتقع في أكثر
من مائتي بيت، من بحر الكامل على رويِّ الهمزة.

استعرض فيها ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في
مستقبلهم، كل ذلك بأسلوب قويٍّ رصين وتعبيرٍ جزلٍ، بالإضافة إلى ما تفجَّر في
جوانب أبياتها من شعورٍ فياضٍ ومعانٍ سامية وأهداف نبيلة وروح عالية؛ تحدَّث في
أولها عن الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وقيامه
بالدعوة إلى الله، فقال:

وَيُعِزُّ رَبِّي رُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِيَّ	من جميعهم بالنصر والإنجاءِ
حتى استنمَّ بناءهم بمحمد	أكرم به للرسول خُشَمَ بناءِ
فهو الرسولُ إلى الخلائق كلهم	ممن نُقِلَ بسيطة الغبراءِ
ما لامرئ أبداً خروجٌ عن شريف	عنه ونهج طريقه البيضاءِ
لم يَفْضِضِ المولى تعالى روحه	حتى أشاد الدينَ بالإعلاءِ

وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ وَأَكْمَلَ دِينَهُ وَلَخَلَقَهُ أَذَاهُ أَيُّ أَدَاءٍ
وَمَضَى وَأَمَّتْهُ بِأَقْوَمٍ مِنْهُجٍ وَعَلَى مَحَبَّةٍ هَذِيهِ الْبَيْضَاءِ

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهجهم في الحكم، وانتقل بعدهم يصف واقع المسلمين في العصور التي تلت عصر الخلفاء الراشدين، وعندما وصل إلى القرن السابع الهجري عصر شيخ الإسلام (ابن تيمية) وجدناه يقول:

وَأَتَى بِقُرْنٍ سَابِعٍ مِنْ هَجْرَةٍ عَلَّمَ بِهِ يُؤْتَمُّ فِي الظُّلُمَاءِ
أَعْنِي بِذَلِكَ الْخَبَرَ أَحْمَدَ مَنْ إِلَى عَبْدَ الْحَلِيمِ نُمِّي بِأَلَا اسْتِثْنَاءِ
كَمْ هَاجَمَ الْبِدْعَ الضَّلَالِ وَأَهْلَهَا بِدَلَائِلِ الْوُخْيَيْنِ خَيْرِ ضِيَاءِ
وَقَوَاعِدَ التَّحْرِيفِ هَذَا أَصُولُهَا أَعْظَمَ بِهِ هَذَا لَشَرِّ بِنَاءِ
وَلَهُ جِهَادٌ لَيْسَ يُعْهَدُ مِثْلُهُ إِلَّا بَعْدَ السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ

وبعد أن ذكر ما قام به ابن تيمية من قمع للفتن وإبادة للطغيان، تابع المسيرة إلى العصور الإسلامية التالية، مصوراً طبيعة الحياة التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة، مشيراً إلى بعض المصلحين الذين سَعَوْا لتصحيح الأوضاع في بلادهم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري وغيره.

ثم ذهب يوجّه الخطاب إلى العلماء وطلاب العلم في عصره، مستنهِضاً هِمَمَهُمَ للدعوة إلى الله والإخلاص في العمل، والقيام بالواجب الملقى على عواتقهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان، قائلاً:

هَلْ تَسْمَعُونَ مَعَاشَرَ الْعُلَمَاءِ، أَلَا تُصَفُّونَ نَحْوَ مَقَالَتِي وَنِدَائِي؟
يَا طَالِبِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ فَانْهَضُوا وَادْعُوا عِبَادَ اللَّهِ بِاسْتِثْنَاءِ
أُنْحُوا بِهِمْ نَحْوَ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِمَّ وَرَفُضِ كُلِّ طَرِيقَةٍ عَوْجَاءِ
كَيْفَ انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ وَجُلُّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فِي غَفْلَةٍ عَمِيَاءِ؟

وقد أطلال في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفاية كنماذج حية من شعر الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - والتي تدل على تدفق شاعريته، وجودة شعره الإسلامي وسمو غاياته.

أعماله:

عندما لمس الشيخ عبد الله القرعاوي تفوق تلميذه حافظ ونبوغه العلمي أقامه مدرساً لزملائه والمستجدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروساً نافعة استفادوا منها فائدة كبرى.

ثم عينه شيخه في سنة ١٣٦٣ هـ مديراً لمدرسة (سامطة) السلفية - أول وأكبر مدرسة افتتحها الشيخ في المنطقة لطلاب العلم -، وأسند إليه أمر الإشراف على مدارس القرى المجاورة.

واتسعت بعد ذلك مدارس الشيخ في منطقتي (تهامة وعسير) فما من مدينة أو قرية إلا وأسس بها مدرسة أو أكثر تدرس العلوم الإسلامية^(١)، وجعل بها من تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شؤون إدارتها.

ولما كان الشيخ يقوم في فترات متعددة بجولات على مئات المدارس التي كان قد أسسها في المنطقة، جعل تلميذه الأول الشيخ حافظاً الحكمي مساعداً له، يتولى الإشراف على سير التعليم وأمور الإدارة أثناء تجوال الشيخ على مدارسه، فنهض حافظاً بالعبء الملقى على عاتقه وأدى الأمانة خير الأداء.

ثم تنقل الشيخ حافظ - للقيام بواجبه مع شيخه - في عدة أماكن، منها قرية (السلامة العليا) ومدينة (بيش: أم الخشب) في الجزء الشمالي من منطقة (جازان) وغيرهما، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسها ويساعد شيخه في تحمل المسئولية والإشراف على سير التعليم ومواصلة تدعيم مهام الدعوة والإصلاح. وهكذا مضى الشيخ حافظ يؤدي واجباته في سبيل النهوض بأبناء منطقته، وليرفع من مستواهم الثقافي، وليفيدهم من علمه قدر ما يستطيع، فقد كان يجتمع إليه طلبة العلم من كل مكان للتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدة عظيمة، ومن

(١) انظر شيئاً عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في: (مجلة المنهل التي تصدر في جدة: مجلد ٨، عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - في المقابلة التي أجريت مع الشيخ عبد الله القرعاوي -: ص ١٨٥ - ١٩٦).

وعداً لأوائل هذه المدارس وأهمها في مقالي الذي كتبه عن الشيخ عبد الله القرعاوي في: (مجلة العرب التي تصدر في الرياض: المجلد ٨/ ص ٥٢٦).

طلّبه الآن علماء أفاضل يتولّون مناصب القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد في جميع أنحاء المنطقة الجنوبيّة وغيرها.

وفي سنة ١٣٧٣هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بـ (جازان) عاصمة المنطقة، فعُين الشيخ حافظ أوّل مدير لها في ذلك العام.

ثم افتتح معهد علمي تابع للإدارة العامة للكلّيات والمعاهد العلميّة آنذاك (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة حالياً) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤هـ فعُين الشيخ حافظ مديراً له؛ فقام بعمله هذا خير قيام، وكان يُلقب فيه بعض المحاضرات ويُملي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعيّة واللغويّة المفيدة، ويضع لهم المذكرات الدراسيّة للفنون التي لم تُقرّر لها كتب علميّة وفق المناهج المحددة، وكان يُملّيها أحياناً بنفسه، وقد يملّيها عن طريق المدرّسين بالمعهد أحياناً أخرى.

صفاته:

كان الشيخ حافظ الحَكَمي - رحمه الله - مثلاً يُحتذى لكل طالب علم يريد التحصيل والعلم النافع، ومثلاً لكل عالم جليل متواضع يحب لتلاميذه وزملائه كلّ خير وصلاح.

ويكفي أن أورد هنا ما قاله عنه شقيقه الأكبر (عمّي) الشيخ محمد بن أحمد الحَكَمي - حفظه الله - في رسالة كتبها إليّ إجابةً لطليبي:

«كان رحمه الله على جانب كبير من الورع والكرم والعفة والتقوى، قويّ الإيمان، شديد التمسك، صدّاعاً بالحق، يأمر بالمعروف ويأثم، وينهى عن المنكر ويبتعد عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم.

كانت مجالسُه دائماً عامرة بالدرس والمذاكرة وتحصيل العلم، تُعَصّ بطلابه في البيت والمسجد والمدرسة، لا يُدبّل حديثه، ولا يسأم جليسه.

كان جلّ أوقاته ملازماً لتلاوة القرآن الكريم، ومطالعة الكتب العلميّة، بالإضافة إلى التدريس والتأليف والمذاكرة.

وكان خفيف النفس يحب الرياضة والدُعابة والمُزاح مع زملائه وطلابه

وزوّاره، مما يجذب قلوب الناس إليه، ويحبب إليهم مجالسته والاستفادة منه^(١).

وفاته:

لم يزل الشيخ حافظ مديراً لمعهد سامطة العلمي حتى حجّ في سنة ١٣٧٧هـ، وبعد انتهائه من أداء مناسك الحجّ لبّى نداء ربّه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) بمكة المكرمة على إثر مرض ألمّ به، وهو في ريعان شبابه، إذ كان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنةً ونحو ثلاثة أشهر، ودُفن بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديداً، والمصيبة به فادحة، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاء حاراً يعكس مدى الفاجعة التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي يقول في أولها:

لقد دوى على (المخلاف) صوت	نعى النحرير عالمها الهماما
تفجعت الجنوب وساكنوها	على بذر بها يمحو الظلاما
وذاعت في الدنيا صيحات خطب	فهزت من فجائعها الأناما
فكفكت الدموع على فقيد	على الإسلام شمّر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوت علم	وواسى مُقعداً ورعى يتاماً
أ(حافظ) كنت للمعلماء قطباً	وللإسلام طوداً لا يسامى
وبحراً في العلوم بعيد غور	كثير النفع قواماً إماماً
وما مُثّم فمنهجكم منار	يضيء دروبنا وبها أقاماً ^(٢)

(١) وأما عن صفاته الخلّقية، فقد وصفه الشيخ زيد المدخلي - حفظه الله - في كتابه: «الشيخ حافظ الحكمي...» ص ٣٩ قائلاً: «كان رحمه الله ربعة أسمر اللون مستدير الوجه مفلج الأسنان، خفيف اللحية والعارضين، أقرن الحاجبين يعجبه لباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات...» اهـ.

أبو ياسر خالد بن قاسم الزدادي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح» ص ٢٣ التعليقة (١).

(٢) القصيدة في ديوان (الألمعيات) للدكتور زاهر الألمعي: (ص ١٢٦ - ١٢٧).

وممن رثاه أيضاً تلميذه الأستاذ إبراهيم بن حسن الشعبي بقصيدة، نقتطف منها قوله:

توفّي (حافظ) ركنُ البلادِ	وخلفَ حسرةً لي في الفؤادِ
وقد ضاقت عليّ الأرضُ ذرعاً	بما رُحبت ولم تسعِ البوادي
وساء الحالُ مني حين وافى	بنا نعيّ الفتى البطلَ العمادِ
لقد كنتَ المقدمُ في المزايَا	من الخيراتِ يا قطبَ النوادي
وكنتَ القائدَ المدعوَ فينا	فمن نختارُ بعدك للقيادِ؟
صلاحُ للمشاكلِ كنتَ قدماً	ومصباحُ البحوثِ بكل وادي
وفي كلِّ العلومِ مدتْ باعاً	وهمُّك العلِيَّةُ في ازديادِ

وقد خلفَ الشيخُ - رحمه الله - بعد رحيله مكتبةً علميةً كبيرةً عامرةً بكل علم وفن، أوصى بأن تكون وفقاً على طلاب العلم ورؤاد المعرفة، فضُمَّت إلى معهد سامطة العلمي ليتفع بها المدرسون والطلاب، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خلف من تأليفه آثاراً علميةً نافعةً في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كلُّ طالب علم، وسنشير إليها.

وله من الأبناء أربعة هم: أحمد - كاتب هذه الأسطر -، وعبد الله، ومحمد، وعبد الرحمن، وفقهم الله جميعاً وسدّد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحتهم^(١).

مؤلفاته:

لوالدي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة في: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ والسير النبوية، والنصائح والوصايا والآداب العلمية.

(١) وانظر مزيداً من البيان عن حالته الاجتماعية في كتاب «الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده...» ص ٣٩ للشيخ زيد المدخلي - حفظه الله - .
أبو ياسر خالد بن قاسم الرّداوي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح» ص ٢٥ رقم التعليقة (١).

من هذه المؤلفات ما هو منظوم، ومنها ما هو منشور، وهي كما يلي:

أ - في التوحيد:

١ - (سُلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ) أرجوزة في أصول الدين، مطلعها:

أبدأ باسم الله مستمعين راضٍ به مدبِّراً مُعيناً
انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ، وهي أول ما ألف. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٦ ص).

٢ - (معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) وهو شرح مطوّل لأرجوزة (سلم الوصول) - المتقدم ذكرها -، انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦هـ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة^(١).

(١) (*) طبع كتاب «معارج القبول» طبعته الأولى بالمطبعة السلفية بالقاهرة نحو سنة ١٣٧٧هـ، في مجلدين ضخمين بلغت صفحاتهما/ ١١٨٣ صفحة، ج ١/ ٥٤٤ صفحة، ج ٢/ ٦٣٩ صفحة.

(*) ثم أصدرته مصوراً عن هذه الطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

(*) ثم طبع الطبعة الثالثة بعناية ولد المؤلف الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي حفظه الله.

(*) كما طبع الكتاب طبعات مسروقة فيها تحريف وأخطاء مطبعية.

(*) ثم طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر/ عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(*) قلت: وقد اطلعت على جميع طبعات الكتاب، فدفعني لخدمته عوامل أهمها:

١ - الرغبة الصادقة - في نفسي - لنشر كتب العقيدة السلفية بين صفوف المسلمين، لعلمي الأكيد أن العقيدة أولاً.

٢ - تلبية لرغبة الأخ: /سعد بن فواز الصميل/ في نشر هذا السفر الطيب.

٣ - وجود نقص لآيات كاملة في الموضوع الواحد في بعض الطبعات عما في طبعة نجل المؤلف التي اعتمد فيها على مخطوطة بخط والده رحمه الله.

٤ - وجود نقص لكلمات أو حروف وأحياناً جمل في بعض الآيات القرآنية.

٥ - وجود زيادة حروف على بعض الآيات ليست منها.

٦ - وجود خطأ في عزو الآيات إلى سور غير سورها في مواطن كثيرة.

=

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمناً طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة، لما فيه من فوائد جمة، وما يحويه من معلومات قيمة في موضوعه، ولحسن عرضه وتبويبه واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

٣ - (أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب، انتهى من تسويده في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥هـ، وطبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٦٧ ص)^(١).

٤ - (الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة) منظومة دالية، مطلعها:

الحمد لله لا يحصى له عدد ولا يحيط به الأقلام والمدد

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٩ ص).

ب - في المصطلح:

٥ - (دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح) كتاب جليل حافل في

= ٧ - وجود أخطاء كثيرة في ضبط الآيات القرآنية بالشكل.

٨ - إغفال تراجم الأعلام الذين يحتاج لمعرفةهم القارئ.

٩ - إهمال التعريف بالفرق والطوائف الضالة المنحرفة عن منهج السلف الصالح ليحذر منها.

١٠ - القصور في عزو الآثار، والأقوال إلى مصادرها.

وغير ذلك مما سوف يراه القارئ بنفسه في طبعتنا هذه.

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة... ولوجهك خالصة...

ولا تجعل فيها شركاً لأحد.

محمد صبيحي بن حسن حلاق أبو مصعب

(١) (*) ثم طبع الكتاب بتحقيق: مصطفى أبو النصر شلي، ط ١٤٠٨/٢هـ - ١٩٨٨م.

(*) ثم طبع الكتاب بتحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، ط ١٤١٥/٣هـ - ١٩٩٥م.

مصطلح الحديث، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٧٤ ص) (١).

٦ - (اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة، مطلعها:

الحمدُ كُلُّ الحمدِ للرحمن ذي الفضل والنعمة والإحسان

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٨ ص).

ج - في الفقه:

٧ - (السبل السوية، لفقه السنن المروية) منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه المعروفة، مطلعها:

أبدأ باسم خالق محمد لا مُحسباً مكتفياً مُحويلاً

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٣٤ ص) (٢).

د - في أصول الفقه:

٨ - (وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه، مطلعها:

الحمدُ للعدل الحكيم الباري المستعان الواحد القهار

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتاً. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٣٥ ص).

٩ - متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الرؤي في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، مطلعها:

الحمدُ لله في الدارين متصل هو السلام فلا نقص ولا علل

(١) ثم طبع مؤخراً بتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم الرزادي عام/١٤١٤هـ - ١٩٩٣م/ أبو مصعب: محمد صبحي بن حسن حلاق.

(٢) وقد تصدى لشرحها العلامة زيد المدخلي - حفظه الله - شرحاً وافياً وسماه بـ «الأفنان الندية بشرح السبل السوية»، وقد طبع - والله الحمد - في ستة مجلدات.

[أبو ياسر خالد بن قاسم الرزادي في تحقيقه لكتاب (دليل أرباب الفلاح) ص ٢٧ رقم التعليقة (١)].

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٠ ص).

هـ - في الفرائض:

١٠ - (النور الفاضل، من شمس الوحي، في علم الفرائض) رسالة منشورة في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٥ - ٨ - ١٣٦٥ هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ٤٦ ص).

و - في التاريخ والسيرة النبوية:

١١ - (نيل السؤل، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ) منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً)، مطلعها:
الحمد لله المهيمن الأحذ باري البرايا الواحد الفرد الصمد
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٥٢ ص).

ز - في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢ - نصيحة الإخوان المشهورة بـ (القائية)، وعنوانها: (هذا سؤال بشأن القات والدخان والشمة)، وهي قصيدة ثائية، مطلعها:
حمداً لمن أسبغ النعما وألهمنا حمداً عليها بالطواف خفيات
وقد طبع معها ردّ عليها لأحد أهل اليمن، ثم جواب الشيخ عليه، وفي الجواب الأخير فوائد جليّة. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٥ ص).

١٣ - (المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية) قصيدة ميمية رائعة في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مطلعها:

الحمد لله رب العالمين على آلائه وهو أهل الحمد والنعم
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٤ ص).

وقد طبعت جميع هذه الكتب من مؤلفات الوالد الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - طبعتها الأولى - ما أرخ منها وما لم يُؤرخ - في سنتي ١٣٧٣ - ١٣٧٤ هـ

على نفقة جلالة المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، عدا كتاب (معارج القبول) الذي طبع طبعته الأولى د. ت (نحو سنة ١٣٧٧هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخ - من بعد - بعض الرسائل والمنظومات المخطوطة التي لم تطبع بعد، سنعمل على طبعها ونشرها في وقت قريب إن شاء الله، حتى يُنتفع بها كما انتفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعة، أهمها:

١ - (مفتاح دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢ - (شرح الورقات، في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني).

٣ - همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهله، والتمسك كل التمسك بأساسه وأصله).

٤ - (مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية)^(١).

وكل مؤلفاته - رحمه الله - تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتب قيمة يكفي للدلالة على جودتها وقيمتها أن بعضها عُرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية آنذاك، رحمه الله - فاستحسنها واستجادها وأشار على الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، لما فيها من فوائد جمّة، ونصائح عامة نافعة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ، وعلى اتباع السلف الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

رحم الله الشيخ حافظاً الحكمي رحمه واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عما قدّم خير الجزاء، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين.

أحمد بن حافظ الحكمي

(١) وقد ذكر الشيخ زيد المدخلي - حفظه الله - جميع مصنفات المؤلف - رحمه الله - المخطوطة في كتابه «الشيخ حافظ الحكمي...» ص ٤٩ فانظره.
[أبو ياسر خالد بن قاسم الراددي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح» ص ٢٩ رقم التعليقة (١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِرَأْسِ اللَّهِ مُسْتَعِينًا
 وَلَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ كَمَا هَدَانَا
 صَدْرَهُ سَجَانَهُ وَأَشْكُرُهُ
 وَاسْتَعِينَهُ عَلَى نَهْلِ الرُّضَا
 رَبِّعْدًا فِي الْبَلْقَيْنِ أَشْهَدُ
 بِالْحَقِّ مَا لَوْ هَا سَوَى الرَّحْمَنِ
 وَأَنْ خَيْرُ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا
 رَسُولُهُ الْوَحِيدُ الْخَلْقِ
 عَلَى عَلَيْهِ رِبْنَا وَمُجْدَا
 وَبَعْدَ هَذَا النِّظَامِ فِي الْأَسْوَاقِ
 سَأَلَنِي أَبَاهُ مِنْ لَا يَدُ
 فَعَلْتُ مَعَ عَجْزِي وَمَعَ إِشْقَاقِي
 لَعَلَّ يَدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
 بِالْخَلْقِ لَخَلْقٍ لِيَعْبُدُوهُ
 أَخْرَجَ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ ظُهُورِهِ
 وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى عَهْدَانِهِ
 فَكَيْفَ يَكُونُ التَّوْحِيدُ يَنْتَسِمُ إِلَى يَوْمِهِ
 أَوْ لَا وَاجِبٌ عَلَى الْعَبِيدِ
 أَوْ لَا هُوَ مِنْ كُلِّ الْأُمُورِ أَكْثَمُ
 إِنَّمَا ذَاتُ الدِّينِ جَلَّ وَعَلَا
 وَأَنَّهُ الدِّينُ الْجَلِيلُ أَشْرَكَ كَرِ
 بَارِي الْبَرِّ يَا مَنْ شِئْتَ الْخَلْقَ لَتَقِ
 بِالْأَوَّلِ الْبَدِيحِ بِلَا ابْتِدَاءٍ
 الْإِحْدَ الْغَرْدُ الْقَدِيرُ الْأَرِيحُ
 مَوْلَاهُ وَغُلَامُ الْبَشَرِ
 كَذَلِكَ الْعَلَوُ وَالْفَوْقِيَّةُ
 وَمَعَ ذَا مَطْلَعِ الْبَهْمِ
 وَذَلِكَ الْقَرَبِ وَالْمَعْيِ
 وَأَنَّهُ الْعَلَوُ فِي رُتْقِهِ
 حَيٌّ وَفِيَوْمٍ فَلَا يَنَامُ
 لَا يَنْتَلِجُ إِلَّا وَهَامُ كُنْهٍ ذَلِيلُهُ
 يَا فُلَايْنُ وَلَا يَبِيدُ

راض به مدبر أمعينا
 لى سبيل الحق وا جشتانا
 ومن مساوى على سبغرة
 وأسفد لطفه فها قضى
 شهادة الاخلاص ان لا يعبد
 من جل عن عيب وعن نقص
 من جاء نا بالبينات والهدى
 بالنور والهدى ودين الحق
 والال والصحب دوا ما سوي
 لمن اراد منهج الرسول
 من امثال امرة المنشئ
 معتمد على القدير الباقى

لم يتر الخلق سدا وملا
 في الاطية يفر في
 آدم ذرئته كالذر
 لا رب معبود بحلى غير
 معرفت الرحمن بالتوحيد
 وهو نوعان ايام يهتد
 اسماءه الحسنى صفاته العلى
 الخالق البارئ المصور
 من دعاه بالمثال سابق
 وبلاخر لما فى بلا انتهاء
 الصمد الذى لم يمتد له الموت
 جل عن الاضداد والاعوان
 على عبادة بلا كفيت
 بعامة مهين على هوى
 لم ينف للعلو والفوقية
 وهو القريب حل في عاقبة
 وحل ان يشبهه الا ناس
 ولا تكفى لخاصة صفاته
 ولا يكون غير ما ير يد

صورة للصفحة الاولى من اصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم - رحمه الله -

بايع عنه سيد الكوان
 والدايم ابن عمه خير الرسل
 سبده كل خارجة ما في
 من صائر المختار في مكان
 فالسنة المكلون العشر
 واهل بيت المصطفى الاطهار
 نكلم في محكم القرآن
 في الفتح والحد يد القتال
 كذا في التوراة والانجيل
 وذكروا في سنة المختار
 ثم السكون واجتمعوا جري
 فكلهم مجتهد منساب

بكيفية في معاني الرضوان
 اعاني الخلق ذالقدر العلي
 وكل خبيث رافضوه فاسق
 هارون من موسى بلانكون
 وسائر الصريح الكرام البر
 وقابعه السادة الاخيار
 انهم عليهم خالق الكوان
 وغيره اياهم كمال الخصال
 صفا لهم معلومة التفصيل
 فدرسا سائر الشمس في الافلاك
 بينهم من فعل ما قد قد را
 وخطا هم يعرفه الوهاب

خاتمة

في الشكر بالثناء والثناء
 شروا في قول السعيان بجمع
 لله رب العرش لاسما
 وكل ما خالف للوحين
 وكل ما ليه اختلا في نصيب
 فالدين انما اتق بالنقل
 فتمسك لهنا قد انتهيت
 سمته لسلم الوصول
 ولحمد لله على انتهاج
 اسأله مغفرة الذنوب
 ثم الصلوة والسلام ابدأ
 ثم جميع صحبه والاول
 ثم وم سمره بلا انفسا
 ثم الدعاء وصية الفرائد
 ابياتها سر بعد الحمل

في الشكر بالثناء والثناء
 فيه اصابه واخلاصها
 موافق الشرع الذي انقضاء
 فانه رد بغير مسين
 فردة اليهم اذ وجبا
 ليس بالافهام وحديث العقل
 وتم ما بجمعه عنيت
 الى سما ما حث الاصول
 كما حمدت الله في ابتداء
 جميعهم والستر للعيوب
 تغشى الرسول المصطفى حمدا
 السادة الاممية الا بد الى
 ماجرت الافلام بالمداد
 جميعهم من غير ما استشاء
 نار يخفا الغفران فانهم راجي

وهو المراد هنا وما اذا تم في محله فانه الخبير على الرضا الذي يوجب من غير ان يكون
استدلاله وانما هو في اصول الفقه علم بحيث في كل دليل له دليل اخر والاستدلال وغيره في هذا هو
موجز الصبر والاعمال والبرهان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
اشارة الى ما على العلوي واهلها ووجهها والبرهان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
رسالة الرسول وانما في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
قدرة ان يكون هو وزايد به العبد واعظم ما بيننا فيه من هذه وينبغي في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
وناسب تسمية الشرح بما راجع القبول لان العروج هو الصعود وتعارف الصاعد كان القبول وهذا الشرح
يصعد في هذا التسمي وضممت العارضة الى قبول لتاسيس الوصول لان من لم يقبل لم يصل بل يرد و ينقطع
و الحمد لله اعوجج عن الحق منها ان قدرنا في اي اقسام هذا المنهك على معرفة الشرح وتبينه
وسو خطه عليه كما كما هو في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
ذكر خلقه في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
وقد بينهم بالحج وقيل الحمد لله رب العالمين وقال تعالى وآخرون هم الذين آمنوا من قبلهم في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
بمعرفه اي مغفرة بعد الذنوب في ذنوب جميع المسلمين والمغفرة من الذنوب والبرياء والاعفوان عنه
وعدم انما حذر به (جميعها) من مضاعفة لياثر الاستغفار من انواع الذنوب والستر من مضاعفة العيوب
منه ومن جميع المسلمين (و) عطف الحمد لله استغفار الصلوة والسلا في تقديم فعلها ان تغشى السوا الخطيئة
محذاه تغفره من مخرج كل ذنوب تغشى (جميع محله) والاك في تقديم تعريفه كالا السادة (جميع سبب) في محله
المقدم (لا) في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
للهم يصبره وبلانفا في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
العقيدة مشا ووضعت (منه) في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
عائنه معاصره ومن ياتي بعد عصره ومن غيرهما صلة اي من غيرهما استثنى (اي) من غيرهما شاهد
واياتها اي عذرها من خروج (ليس) ودلا ما شاء وسببه من (و) وما زدت ثم اكمل (اي) في القصود
التي في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
ذلك الذي لا مانع واتين وستين (اي) كما مثل نسلا العبد في قافله ما في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
الدموات في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
الهم يا محي يا حي يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الجلال والاكرام
تلك التي في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
الهم مغفرك او سعة نون او رحمة ارحم الراحمين واعلم انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
ما كان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
فانعمنا اللهم بشعره وارزقنا العمل بما علمنا جميع المسلمين (و) ما كان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
شكره واعذني من محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
بخطيئة احد من عباده واعفني في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
والحمد لله رب العالمين (و) ما كان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
الانبياء والمرسلين (و) ما كان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
وعنا معهم بعفرك رحمتك وادبرنا وادبرنا جميع المسلمين (و) ما كان في محله وتعرفه في قوله انما استدل بالاصول وصحة اليقين بالبرهان وهو
وان الله من شهودنا لا اثنين بعد صلاة العصر بتاريخ

خطتي في تحقيق «معارج القبول» وتخرجه

- ١ - وضعت مقدمة للكتاب .
- ٢ - أثبتُّ نبذة عن حياة المؤلف بقلم ابنه الدكتور / أحمد بن حافظ الحكمي .
- ٣ - نقلت صورة الصفحة الأولى والأخيرة من أصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم - رحمه الله - .
- وكذلك أثبتُّ صورة للصفحة الأولى والأخيرة من مسوِّدة كتاب «معارج القبول» بخط المؤلف رحمه الله .
- ٤ - عزوت الآيات إلى سورها .
- ٥ - قمت بعزو الأحاديث إلى مظانِّها المختلفة، وذكرت رقم الجزء والصفحة والحديث للكتب التي ذكرتها في الحاشية . فالرقمان اللذان يفصل بينهما خط مائل، الأول منهما للجزء، والثاني للصفحة من الطبعة التي اعتمدنا، والرقم الثالث للحديث . وفي حال عدم ذكر الرقم الثالث أذكر اسم الكتاب أو المؤلف على حسب الشهرة .
- ٦ - إذا عزوت الحديث إلى البيهقي مطلقاً، أعني أنه أخرجه في السنن الكبرى، وأما في غيرها فأبينه .
- وإذا عزوت الحديث إلى الترمذي أو النسائي أو أبي داود أو ابن ماجه أو الدارقطني أو الدارمي . أعني أنهم أخرجوه في سننهم، وأما في غيرها فأبينه .
- ٧ - وضعت الأحاديث النبوية بين علامتي تنصيص هكذا « » مع ضبطها بالشكل .
- ٨ - حكمت على الأحاديث - بحسب قواعد هذا الفن - صحة أو ضعفاً .
- ٩ - وضعت الآثار بين قوسين هكذا () مع ضبطها بالشكل .
- ١٠ - استخرجت الآثار من مظانِّها المختلفة وحكمت عليها صحة أو ضعفاً بقدر الإمكان .
- ١١ - عزو الأقوال إلى مصادرها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .
- ١٢ - إرجاع المعاني التفسيرية إلى التفاسير .

- ١٣ - شرحت الكلمات الغريبة، والعبارات الغامضة.
- ١٤ - جعلت عناوين الفصول الرئيسة في الكتاب بخط كبير واضح.
- ١٥ - أثبت نص المنظومة - في بداية الكتاب - كاملة مضبوطة بالشكل.
- وأبقيت تعليقات ابنه عليها كما هي وذلك لتمام الفائدة.
- ١٦ - ضبطت أبيات المنظومة - أثناء ورودها متخللة الشرح -.
- ١٧ - ضبطت الكلمات الضرورية التي تشكل على القارئ في كتاب «معارج القبول» كله، والله الحمد والمنة.

١٨ - ترجمة لبعض الأعلام في هذا الكتاب.

١٩ - عرّفت ببعض الفرق والطوائف في هذا الكتاب.

٢٠ - وضعت لكل جزء الفهارس التالية:

أ - فهرس الأعلام المترجم لهم.

ب - فهرس الفرق والطوائف المعرف بهم.

ج - فهرس الموضوعات.

٢١ - سوف أضع للكتاب فهرس علمية إن شاء الله.

وفي الختام أقول:

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». آمين.

وكتبه: أبو مصعب: محمد صبحي بن حسن حلاق.

اليمن / صنعاء / مساء الأحد:

٢٤/ ذي الحجة / ١٤١٦ هـ

١٢/ مايو (أيار) / ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن، وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة، ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبا: ٢]. كيف لا وهو الذي خلق وقدر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على العرش في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء، وبها يتراحم الخلائق بينهم كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: ﴿فَانْظُرْ إِلَى مَائِثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجَى الْمُتَّقِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين.

المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْخَبِيرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

القدوس السلام الذي اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومُحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

المؤمن الذي آمن أوليائه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في الدنيا حسنة وسيجّلهم دار المقامة في جنة عالية.

المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم، وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير.

العزیز الذي لا مُغالب له ولا مرّام لجنابه.

الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة، وهو الذي يجبر كل كسير مما به.

المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير^(١).

الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكَرَ كَأْفَرٌ وَيُنَكِّرُ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ [التغابن: ٢٨]. ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُمْ إِلَّا كَفْهٍ وَجَدُّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٠٢٣/٤) رقم (٢٦٢٠/١٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٥٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن تنازعني عدبته».

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤١٤/٢)، (٢٤٨/٢)، (٣٧٦، ٤٢٧، ٤٤٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منهما قلفته في النار».

(*) وأخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (٢٣٨٧).

وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٩/٩).

والحميدي في «المسند» رقم (١١٤٩).

وأبو داود (٣٥٠/٤) رقم (٤٠٩٠) وابن ماجه (١٣٩٧/٢) رقم (٤١٧٤)، والبيهقي في «شرح

السنة» (١٦٩/١٣) رقم (٣٥٩٢).

وهو حديث صحيح، والله أعلم.

الغَفَّارُ الَّذِي لَوْ أَتَاهُ الْعَبْدُ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيَهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً لِأَنَّهُ
بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةٌ. الْقَهَّارُ الَّذِي قَصَمَ بِسُلْطَانِ قَهْرِهِ كُلَّ مَخْلُوقٍ وَقَهَّرَهُ.

الْوَهَّابُ الَّذِي كُلُّ مَوْهَبٍ وَصَلَ إِلَى خَلْقِهِ فَمِنْ فَيْضِ بَحَارِ جُودِهِ وَفَضْلِهِ
وَنِعَمَائِهِ الزَّاحِرَةِ.

الرَّزَّاقُ الَّذِي لَا تَنْفَدُ خَزَائِنُهُ وَلَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَاذَا نَقَصَ مِنْ فَضْلِهِ الْغَزِيرِ، يَرْزُقُ كُلَّ ذِي قُوَّةٍ قُوَّتَهُ ثُمَّ يَدْبُرُ
ذَلِكَ الْقُوَّةَ فِي الْأَعْضَاءِ بِحِكْمَتِهِ تَدْبِيرًا مُتَقَنًا مُحْكَمًا، يَرْزُقُ مِنَ هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ يَشَاءُ
مِنْ كَافِرٍ وَمُسْلِمٍ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَأَهْلًا وَخِدْمًا، وَلَا يَرْزُقُ الْآخِرَةَ إِلَّا أَهْلَ تَوْحِيدِهِ
وِطَاعَتِهِ، قَضَى ذَلِكَ قَضَاءً حَتْمًا مُبْرَمًا، وَأَشْرَفَ الْأَرْزَاقِ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَا رَزَقَهُ
عَبْدَهُ عَلَى أَيْدِي رَسُولِهِ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاحِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحِكْمَةِ وَتَبْيِينِ
الْهُدَى الْمُسْتَنِيرِ.

الْفَتَّاحُ الَّذِي يَفْتَحُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ، يَفْتَحُ عَلَى هَذَا
مَالًا وَعَلَى هَذَا مُلْكًا وَعَلَى هَذَا عِلْمًا وَحِكْمَةً، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

الْعَلِيمُ الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ مِنْ مَاضٍ وَأَتٍ وَظَاهِرٍ وَكَامِنٍ
وَمُتَحَرِّكِ وَسَاكِنٍ وَجَلِيلٍ وَحَقِيرٍ، عِلْمٌ بِسَابِقِ عِلْمِهِ عِدَّةُ أَنْفَاسِ خَلْقِهِ وَحَرَكَاتِهِمْ
وَسَكَنَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ هُوَ
مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ
وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

مَا مِنْ جَبَلٍ إِلَّا وَيَعْلَمُ مَا فِي وَغْرِهِ، وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَيَدْرِي مَا فِي قَعْرِهِ: ﴿وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

الْقَابِضُ الْبَاسِطُ، فَيَقْبِضُ عَمَّنْ يَشَاءُ رِزْقَهُ فَيَقْدِرُهُ عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
فَيُوسِعُ عَلَيْهِ، وَكَذَا لَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ فِي أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَقُلُوبِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَيْهِ، إِذْ

هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير.

الخافضُ الرافعُ، الضارُّ النافعُ، المُعطي المانعُ، فلا رافعَ لمن خفضَ، ولا خافضَ لمن رفعه، ولا نافعَ لمن ضرَّ، ولا ضارَّ لمن نفعه، ولا مانعَ لما أعطى، ولا مُعطيَ لمن هو له مانع، فلو اجتمع أهلُ السمواتِ السبعِ والأرضينِ السبعِ وما فيهن وما بينهما على خفضٍ من هو رافعُه أو ضرٍّ من هو نافعُه أو إعطاءٍ من هو مانعُه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

المُعزُّ المُذلُّ الذي أعزَّ أوليائه المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأيدهم بنصره المُبينِ وبراهينه القويمة المتظاهرة، وأذلَّ أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغارَ وجعل عليهم الدائرة، فما لِمَن والاه وأعزه من مُذل، وما لِمَن عاداه وأذله من ولي ولا نصير.

السميعُ البصيرُ، لا كسمع ولا بصَر أحدٍ من الورى، القائلُ لموسى وهارونَ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]. فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذباً وقد خاب من افترى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الحَكَمُ العَدْلُ في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلًا: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فلا يحيفُ في حكمه ولا يجور: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً ووعد الظالمين الوعيدَ الأكيدَ، وفي الحديث: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»^(١)، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٤/٨ رقم ٤٦٨٦) ومسلم (١٩٩٧/٤) رقم ٦١/

٢٥٨٣، عن أبي بريدة عن أبي موسى الأشعري.

(*) لِيُملي للظالم: أي يؤخر عقوبته، ويتركه ويمهله.

وهو الذي يضع الموازين القسطَ ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً بل يُحصى عليهم الخردة والذرة والفتيل والقطير.

اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفواً ورحمةً وفضلاً وإحساناً، ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرةً وتفصيلاً وإجمالاً وسراً وإعلاناً.

الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم، ماذا عملوا، وكيف عملوا، وأين عملوا، ومتى عملوا، حقيقةً وكيفيةً ومكاناً وزماناً: ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيههم ويُمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم، الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم، وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب؟ خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء، وذلّ لعزته وكبريائه كل كبير.

الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافاً كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد، أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير.

العليّ الذي ثبت له كل معاني العلو، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائناً من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ في أصح الروايات^(١)، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير.

الكبير الذي كل شيء دونه، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصاً بيناً مُحكماً.

الحفيظ على كل شيء، فلا يعزّب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في

(١) ستأتي قريباً من حديث أبي سعيد الخدري، ومعاوية بن الحكم، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو، وعمران بن حصين، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، والنواس بن سمعان وغيرهم.

السماء، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، حفظ أوليائه في الدنيا والآخرة ونجّاهم من كل أمرٍ خطير.

المُعِيث لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوفٌ إلا نجّاه.

الحسبُ الوكيلُ الذي ما التجأ إليه مُخلصٌ إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمنٌ إلا حفظه ووقاه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، فنعن المولى ونعم النصير.

الجليلُ الذي جلَّ عن كل نقصٍ واتصفَ بكل كمالٍ وجلال.

الجميلُ الذي له مُطلقُ الجمالِ في الذات والصفات والأسماء والأفعال.

الكريمُ الذي لو أن أولَ الخلقِ وآخِزهم وإنسهم وجنّهم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوه فأعطى كلَّ واحدٍ منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده: «إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرُ»^(١) كما روى عنه نبيه المصطفى المفضلُ، ومن كرمه أن يُقابِلَ الإساءةَ بالإحسان والذنبَ بالعُفْوان، ويقبَلُ التوبةَ ويعفو عن التقصير.

الرقيبُ على عباده بأعمالهم، العليمُ بأقوالهم وأفعالهم.

الكفيلُ بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم، المعجيبُ لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير.

الواسعُ الذي وسع كلُّ شيءٍ علماً، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الحكيمُ في خلقه وتدبيره إحكاماً وإتقاناً، والحكيمُ في شرعه وقدره عدلاً وإحساناً، وله الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغة، ومن أكبر من الله شهادةً وأوضحُ دليلاً وأقومُ برهاناً؛ فهو العذلُ وحُكمه عدلٌ وشرُّعه عدلٌ وقضاؤه عدلٌ، فله الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ.

(١) وهو جزء من حديث أبي ذر الغفاري الصحيح. أخرجه مسلم (٤/١٩٩٤ - ١٩٩٥) رقم

الودودُ الذي يُحب أوليائه ويُحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات .
المجيبُ لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكانٍ كان وفي أي وقتٍ من
الأوقات، فلا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تختلف عليه المطالبُ ولا تشبه عليه
الأصواتُ، فيكشف الغمَّ ويذهب الهمَّ، ويُفرِّج الكربَ ويسرُّ العيبَ، وهو السَّيِّرُ .
المَجِيدُ الذي هو أهلُ الثناء كما مجد نفسه، وهو المُمَجِّدُ على اختلاف
الأسنَنِ وتباينِ اللغاتِ بأنواع التمجيد .

الباعثُ الذي بدأ الخلقَ ثم يعيده، وهو أهونُ عليه، إنه هو الفعالُ لما يريد .
الشهيدُ الذي هو أكبرُ كلِّ شيءٍ شهادةً وكفى بالله شهيداً: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] . هو الحقُّ و: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣] .
القويُّ المتينُ الذي لم يَقمَ لقوته شيءٌ وهو الشديدُ المحال .
الوليُّ للمؤمنين فلا غالبَ لمن تولاه، وإذا أراد بقومٍ سوءاً فلا مردَّ له وما
لهم من دونه من وال .

الحميدُ الذي ثبت له جميعُ أنواعِ المحامدِ، وهل يثبتُ الحمدُ إلا لذي العزةِ
والجلالِ؛ فله الحمدُ كما يقول وخيراً مما نقول، لا تُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى
على نفسه، وكيف يُحصي العبدُ الضعيفُ ثناءً على العليِّ الكبير .
المُحصي الذي أحصى كلَّ شيءٍ عدداً وهو القائل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي
إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] .

المُبدئُ المعيدُ، الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] .

وَأَنَّى يُعْجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئاً، كلُّ يعلم ذلك ويُقرُّ به
بلا تكبير .

المُحيي المُميتُ، الذي انفرد بالإحياء والإماتة، فلو اجتمع الخلقُ على إماتة
نفسٍ هو مُحييها أو إحياء نفسٍ هو مُميتها لم يك ذلك ممكناً، وهل يقدر المخلوقُ
الضعيفُ على دفع إرادة الخالقِ العلام؟ .

الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالى: ﴿كُلُّ

مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمن].

القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره فلا يحتاج إلى شيء وكل شيء إليه فقير.

الواحد الأحد الذي لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضد له ولا ند ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل.

الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، فإليه منتهى الطلبات، ومنه يُسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعثره الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فهو السيد الذي قد كُمل في سُؤده، والعظيم الذي قد كُمل في عظمته، والحليم الذي قد كُمل في حلمه، والعليم الذي قد كُمل في علمه.

والحكيم الذي قد كُمل في حكمته، وهو الذي قد كُمل في صفات الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل.

القادر المُقتدر الذي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشيتيه النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير.

الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسره البشير النذير.

الوالي فلا منازع له ولا مُضاد، المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظرَاء والأنداد.

البرّ وصفاً وفعلاً، ومن برّه المنّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على السنة رسليّه، إنه لا يُخلف الميعاد.

التواب الذي يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه، وينجيّه من عذاب السعير.

المتقِمُ الذي لم يَقَمْ لغضبه شيءٌ، وهو الشديدُ العقابِ والبطشِ والانتقامِ.
 العَفُوُّ بمَنِّه وكرمه عن الذنوب والآثام، الرُّؤُوفُ بالمؤمنين، ومن رأفته بهم أن
 نَزَلَ على عبده آياتٍ مبيناتٍ ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن
 رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنةَ مع كون الجميع مُلكه،
 ولم ينزع عنهم التوبةَ قبل الجِمام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ
 تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

مالكُ المُلْكِ، يؤتي الملكَ من يشاء وينزع الملكَ ممن يشاء، ويُعز من يشاء
 ويُذل من يشاء.

ذي الجلال والإكرام والعِزَّة والبقاء، والملوكوت والجبروت، والعظمة
 والكبرياء.

المُقسط الذي أرسلَ رسَلَه بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزانَ ليقوم الناسُ
 بالقسط وما للظالمين من نصير.

الجامعُ لِشَتَاتِ الأمور، وهو جامعُ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إن الله لا يُخلف
 الميعاد.

الغنيُّ المغني فلا يَحْتَاجُ إلى شيءٍ ولا تزيد في مُلكِه طاعةُ الطائعين، ولا
 تنقصه معصيةُ العاصين من العباد، وكلُّ خلقه مفتقرون إليه لا غنىَ بهم عن بابه
 طرفه عين، وهو الكفيلُ بهم رعايةً وكفايةً، وهو الكريمُ الجوادُ، وبجوده عمُّ جميعِ
 الأنام من طائعٍ وعاصٍ وقويٍّ وضعيفٍ وشكورٍ وكفورٍ ومأمورٍ وأميرٍ.

نورُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به
 محمدٌ عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه، وقال ﷺ مستعيذاً به: «أعوذُ بنور وجهك
 الذي أشرقت له الظلماتُ وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن يحلَّ بي غضبك أو
 ينزل بي سخطك، لك العُتْبَى حتى تَرْضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»^(١).

(١) وهو حديث ضعيف.

فبصفات ربنا تعالى نؤمن، ولكتابه وسنة رسوله نُحَكِّمُ، وبحكمهما نرضى ونُسَلِّمُ، وإن أبى الملحد إلا جُحودَ ذلك وتأويله على ما يوافق هواه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُؤَلِّقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

الهادي الذي بيده الهداية والإضلال، فلا هادي لمن أضل ولا مُضِلَّ لمن هدى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرِيدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

البديع الذي أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعِه وبديع حكمته بلا مُعين ولا مثال.

الباقى الذي كل شيء هالك إلا وجهه، فلا ابتداء لأوليئته، ولا لآخريته زوال.

الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خيرُ الوراثين. وإليه المرجع والمآل، فليجاده كلُّ موجودٍ وُجد، وإليه كلُّ الأمورِ تصير.

الرشيذ في كل أقواله وأفعاله، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم.

الصبور الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه، ينسبون له الولد ويَجَحِّدُونَ أن يُعيدهم ويُحييهم، وكلُّ ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم ويعافهم، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعونه ولا ضره فيضرُّونه، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم، ووبال عصيانهم عليهم، واستغنى الله والله غني حميد: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ [التغابن: ٧].

= أخرج ابن إسحاق بدون سند (٧١/٢ - سيرة ابن هشام).

وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٣٥/٦) وقال الهيثمي: «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».

وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف في تخريجه لفقه السيرة للغزالي ص ١٢٦.

أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى جَزِيلِ إِنْعَامِهِ وَإِفْضَالِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى جَلِيلِ إِحْسَانِهِ وَنَوَالِهِ،
 وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى
 عَدْلِهِ قَدْرًا وَشَرْعًا، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَلِكُ الْحَقُّ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ،
 تَعَالَى فِي إِلَهِيَّتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَزِيرِ، وَتَقَدَّسَ فِي أَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ عَنِ
 الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالْوَلِيِّ وَالنَّصِيرِ، وَتَنَزَّاهُ فِي صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ عَنِ
 الْكُفْرِ وَالنَّظِيرِ، وَعَزَّ فِي سُلْطَانِ قَهْرِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ عَنِ الْمُنَازَعِ وَالْمُغَالِبِ وَالْمُعِينِ
 وَالْمُشِيرِ، وَجَلَّ فِي بَقَائِهِ وَدِيمُومِيَّتِهِ وَغِنَاهُ وَقِيُومِيَّتِهِ عَنِ الْمُطْعَمِ وَالْمُجِيرِ.
 وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، الْمُرْسَلُ إِلَى النَّاسِ
 كَافَّةً بِالْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ وَالْهُدَى الْمَنِيرِ.

بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْمَهِيمْنَ وَالنُّورَ الْمُبِينِ،
 وَالْهُدَى الْمُسْتَبِينَ وَالْمَنْهَجَ الْمُسْتَنِيرَ، وَالشَّرْكَ مُضْطَرِمَّةً نَارَهُ، طَائِرٌ شَرَّاهُ، مَرْتَفَعٌ
 غَبَارُهُ، لَا مَغْيِرَ لَهُ وَلَا نَكِيرَ؛ فَقَامَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ حَقَّ الْقِيَامِ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ
 جِهَادِهِ إِعْلَاءً لِّكَلِمَةِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، وَأَدْبَرَ لَيْلُ
 الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ وَانْفَجَرَ فَجْرُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَنُشِرَتْ أَعْلَامُ التَّوْحِيدِ وَعَلَا بَنِيَانُهُ
 وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ، وَتُكِّسَتْ رَايَةُ الشَّرْكِ وَانْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُ وَخَمَدَتْ نَارُهُ وَزُمِيَ بِنَاؤُهُ
 بِالذَّمِّ وَالْتَّكْسِيرِ وَالتَّدْمِيرِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ شُمُوسِ الْهُدَايَةِ وَأَوْعِيَةِ الْعِلْمِ وَأَنْصَارِ
 الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَتَابَعِيَهُمْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
 وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
 رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَعَلَى مَنْ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُمْ وَسَلَكَ صِرَاطَهُمُ الْمُسْتَقِيمَ، وَجَعَلْنَا مِنْ
 الْمُقْتَدِينَ بِهِمُ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نَقْفَ مَعَهُمَا وَيَسِيرَهُمَا نَسِيرَ.

أَدْرَجَ فِي هَذِهِ الْحَقَائِدِ

[لَا نَجَاحَ لِلْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ]

أَمَّا بَعْدُ؛ فَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا صِلَاحَ لِلْعِبَادِ وَلَا فَلَاحَ وَلَا نَجَاحَ وَلَا
 حَيَاةَ طَيِّبَةً وَلَا سَعَادَةً فِي الدَّارَيْنِ وَلَا نَجَاةً مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ إِلَّا

بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسلاً إليهم وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تُنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تُقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

أدله

وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بالهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل والتشبيه والتشبيه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل على وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها؛ فإن الله تعالى أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وتفصيل كل شيء وقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغاً ومبيناً ليقراه على الناس على مكث وبيته لهم أنتم البيان ويحكم فيما هم فيه يختلفون، ويهديهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْإِثْمِ ۖ يُخْرِجُكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١١٠].

[المائدة]

ولا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، والاستجابة لله تعالى ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٢٤]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

ولم يُنَجِّ الله تعالى من عذابه ولم يَكُتِبْ رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال تعالى: ﴿عَذَابٌ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ وَرَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وقد كان الرسول يُبعث في قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨].

ولم يتوفه الله تعالى حتى أكمل له الدين وبلغ البلاغ المبين، وبين للناس ما نزل إليهم أوضح التبيين، وترك أمته على المَحَجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علماً.

وهدى الله به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ فِيهَا أَنْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة: ٢١٣﴾.

قال ابن عباس^(١) : (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)، وكذلك هي في قراءة عبد الله^(٢) وأبي بن كعب^(٣)، وهذا التفسير مروى عن قتادة^(٤) ومجاهد^(٥) أيضاً.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/٢٧٥ رقم ٤٠٤٨ - شاكراً).
والحاكم في «المستدرک» (٢/٤٤٢) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وهو كما قال، ولكنه موقوف على ابن عباس. ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة. وعلى هذا فله حكم الرفع، لأنه ليس للعقل فيه مجال.
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/٢٧٩ رقم ٤٠٥٧) و(٤/٢٨٥ رقم ٤٠٦٣) عن السدي.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ٤٠٥٣).
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/٢٧٦ رقم ٤٠٤٩) عنه.
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/٢٧٧ رقم ٤٠٥٢).
قال ابن جرير (٤/٢٧٩ - ٢٨٠): «يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام، كما روى عكرمة عن ابن عباس، وكما قال قتادة. وجائز أن يكون: كان ذلك حين عرض على آدم خلقه؛ وجائز أن يكون: كان ذلك في وقت غير ذلك - ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة، على أن هذه الأوقات كان ذلك. فغير جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل: من أن الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم لما اختلفوا، الأنبياء والرسل.

ولا يضرنا الجهل بوقت ذلك، كما لا يفتقنا العلم به، إذا لم يكن العلم به لله طاعة. غير أنه أي ذلك كان، فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك به. وذلك أن الله عز وجل قال في السورة التي يذكر فيها «يونس»: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

فتوعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة. ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر، ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان. ولو كان ذلك كذلك، لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعة، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك اهـ.

وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض.

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، فنحن أول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه وهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى». رواه عبد الرزاق^(١)، وهو في الصحيح^(٢) من طرق بالفاظ.

-
- (١) في تفسيره (١/٨٢ - ٨٣) من طرق:
الأولى: عن سليمان الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/٢٨٣ رقم ٤٠٦٠) وأحمد (١٣/١٣٢ رقم ٧٣٩٥ - شاكراً).
الثانية: عن همام بن منبه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد في «المسند» (١٦/٢٧ - ٢٨ رقم ٨١٠٠ - شاكراً) وحماد بن منبه في صحيفته (ص ٤ رقم ١).
الثالثة: عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (١٤/١٢٥ رقم ٧٦٩٣) عن ابن طاوس عن أبيه، عن همام بن منبه كلاهما عن أبي هريرة.
والخلاصة أن الحديث صحيح.
(٢) أخرج البخاري (٢/٣٥٤ رقم ٨٧٦) ومسلم (٢/٥٨٥ رقم ٨٥٥/١٩) من طريق أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.
وأخرج البخاري (٢/٣٨٢ رقم ٨٩٦) و(٦/٥١٥ رقم ٣٤٨٦) من طريق ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرج مسلم (٢/٥٨٥ رقم ٨٥٥/١٠٠٠) من طريق أبي الزناد عن الأعرج، وابن طاوس عن أبيه، كلاهما عن أبي هريرة.
وأخرج مسلم (٢/٥٨٥ - ٥٨٦ رقم ٨٥٥/٢٠) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرج البخاري (١١/٥١٧ رقم ٦٦٢٤) ومسلم (٢/٥٨٦ رقم ٨٥٥/٢١) من طريق همام بن منبه، عن أبي هريرة.
(*) وأخرج البخاري الجزء الأول من الحديث: (٦/١١٦ رقم ٢٩٥٦) و(١/٣٤٥ رقم ٢٣٨) و(١٢/٢١٥ رقم ٦٨٨٧) و(١٣/٤٦٤ رقم ٧٤٩٥) و(١١/٥١٧ رقم ٦٦٢٤) و(١٢/٤٢٣ رقم ٧٠٣٦) من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه^(١) في قوله تعالى: ﴿فَهْدَى اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فاختلَفُوا في يوم الجمعة
فاتخذوا اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد ليوم
الجمعة، واختلَفُوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس،
وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة.

واختلَفُوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا
يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله
تعالى أمة محمد للحق من ذلك.

واختلَفُوا في إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت
النصارى كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى الله أمة محمد إلى الحق
من ذلك.

واختلَفُوا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فكذبت اليهود وقالوا لأمه بهتاناً
عظيماً، وجعلته النصارى إلهاً ولداً، وجعله الله تعالى روحه وكلمته، فهدى الله
أمة محمد ﷺ إلى الحق من ذلك.

وقال الربيع بن أنس^(٢) في قوله عز وجل: ﴿فَهْدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]: أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما
جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته
لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل
الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود
وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون، وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا
رسلهم، وفي قراءة أبي بن كعب^(٣): وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة،
﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٨٤/٤) رقم ٤٠٦١ - شاعر.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٨٥/٤) رقم ٤٠٦٢ - شاعر.

(٣) انظر «جامع البيان» (٢٨٥/٤) وتفسير ابن كثير (٢٥٨/١).

وكان أبو العالية رحمه الله تعالى يقول^(١): في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن.

وفي الصحيحين^(٢) عن عائشة رضي الله عنها أنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل قال: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وفي الدعاء المأثور^(٣): «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماماً».

اختلاف الفرق الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الاختلاف والتفرق،

(١) انظر «جامع البيان» (٢٨٥/٤) وتفسير ابن كثير (٢٥٨/١).

(٢) لم يخرج البخاري بل أخرجه مسلم رقم (٧٧٠) وأبو داود رقم (٧٦٧) والترمذي رقم (٣٤٢٠) والنسائي (٢١٢/٣ - ٢١٣) وابن ماجه رقم (١٣٥٧) وأحمد (١٥٦/٦) وأبو عوانة (٣٠٤/٢ - ٣٠٥، ٣٠٥) والبخاري رقم (٩٥٢) من طرق...

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٥٨/١) بدون سند ولا راو ولا مخرج.

(*) وذكر الغزالي في الإحياء (٣٦٩/٢) الدعاء التالي:

«اللهم أرني الحق حقاً فاتبعه، وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشته عليّ فاتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي تبعاً لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

قال العراقي: لم أقف لأوله على أصل. وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا»، وفيه: ولهان بن خبير ضعفه الأزدي.

ولمسلم - رقم ٧٧٠ - من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل: «اهدني لما اختلف فيه» إلى آخر الحديث وقد تقدم.

قال ابن السبكي: (٣٢٥/٦) لم أجد له إسناداً.

[تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي وابن السبكي والزيدي. استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد (١٤١٨/٣) رقم (٢١٧١)].

ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجرنا عن الاختلاف زجراً شديداً، وتوعد على ذلك وعيداً أكيداً، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥٦) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴿أَلِالْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦]. قال ابن عباس (١): تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف.

ثم فصل تعالى مآل الفريقين، وأين توصل أهلها كل من الطريقتين، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٥٧) وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْضًا تَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥٧﴾ [آل عمران].

وحذرنا عن ذلك نبينا محمد ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال ﷺ: «إلا وإن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الجماعة» (٢).

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/٧٩ رقم ٧٤) موقوفاً. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٦٣) إلى ابن أبي حاتم، وأبو نصر في «الإبانة» والخطيب في «تاريخه» واللالكائي في «السنة».

وذكر السيوطي كذلك أن هذا الأثر الموقوف ورد مرفوعاً عن ابن عمر، وأبي سعيد الخدري.

وقد ذكر ابن كثير أثر ابن عباس في تفسيره (٢/١٠٥ - ١٠٦) بدون سند وكذلك البغوي (٢/٨٧).

(٢) وهو حديث حسن.

أخرجه أحمد (٤/١٠٢) وأبو داود رقم (٤٥٩٧) والدارمي (٢/٢٤١) والحاكم (١/١٢٨) والآجري في «الشرعة» (ص ١٨) وابن بطة في «الإبانة» (١/٣٧١ رقم ١٢٦٨) والمرزوي في «السنة» رقم (٥٠، ٥١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١) و(٢) و(٦٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (١٥٠).

قال الحاكم وقد ساقه عقب حديث أبي هريرة المتقدم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي.

وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص ٦٣): إسناده حسن.

وقال الألباني في «ظلال الجنة»: حديث صحيح بما قبله وما بعده.

وانظر شواهد هذا الحديث في «الصحيحة» رقم (٢٠٤).

وفي بعض الروايات: «هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١).

وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق، من الافتراق وتفاقم الأمر وعظم الشقاق، فاشتد الاختلاف ونجست البدع والنفاق؛ فافترقوا في أسماء الله تعالى وصفاته إلى ثفاة معطلة وغلاة ممثلة، وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مُرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة، وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية ثفاة، وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة، إلى غير ذلك من فِرَق الضلال وطوائف البدع والانتحال، وكل طائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فِرَقاً وتشعبت طُرُقاً، وكل فِرقة تكفر صاحبيتها وتزعم أنها هي الفِرقة الناجية المنصورة.

(١) هذا اللفظ رواه جماعة من الصحابة: منهم عبد الله بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك، وأبو هريرة، وعلي وغيرهم.

١ - عبد الله بن عمرو.

أخرجه الترمذي رقم (٢٦٤١) من طريق أبي داود الحضري عن سفيان به، وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

وأخرجه المروزي في «السنة» رقم (٥٩) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأفرقي به.

وأخرجه اللالكائي رقم (١٤٧) من طريق قبيصة قال: حدثنا سفيان به.

كما أخرجه ابن وضاح (ص ٨٥) من طريق إسماعيل بن عياش عن الأفرقي به.

وكذا أخرجه الآجري في «الشرعة» (ص ١٥).

والحديث ضعيف لسببين:

الأول: أن مداره على الأفرقي وهو ضعيف الحفظ.

والثاني: أن المحاربي مدلس ولم يصرح فيه بالتحديث بل عننه.

وقال الحاكم في «المستدرک» (١/١٢٨): وقد روى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن

العاص بإسنادين تفرد به عبد الرحمن بن زياد الأفرقي، والآخر: كثير بن عبد الله المزني

ولا تقوم بهما الحجة.

هذا وقد حَسَّن الألباني الحديث في «صحيح الجامع» رقم (٥٢١٩).

قلت: وللحديث طرق يتقوى بها.

وانظر تخريج أحاديث الصحابة الباقيين في كتابنا: «إعلام الأنام بعقيدة الإسلام».

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره.

الفرقة الناجية

وقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه، وليس أحد من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلُّوا من قبل وأضلُّوا كثيراً وضلُّوا عن سواء السبيل.

وذلك لأنه لا يُعرَف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه إلا من طريق سُنَنِه المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحنة البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها، وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحُفاظها ونقائدها المتقادين لها المتمسكين بها، الذابِّين عنها، يقفون عندها ويسیرون بسيرها، لا ينحرفون عنها يميناً ولا شمالاً، ولا يقدِّمون عليها لأحد مَقْلاً، ولا يباليون مَنْ خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضُرُّهم ذلك حتى يأتي أمرُ الله تبارك وتعالى.

أعني بذلك أئمة الحديث وجهاذة السنة وجيش دولتها، المرابطين على ثغورها، الحافظين حدودها، الحامين حوزتها، وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فأمنوا بما أخبر الله به في كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله في سنته، وتلقَّوه بالقبول والتسليم إثباتاً بلا تكليف ولا تمثيل وتزهيماً بلا تحريف ولا تعطيل، فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بين الرافضة والخوارج.

فهم والله (أهل السنة والجماعة)، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة.

فانتدبوا لنصرة الدين دعوة وجهاداً، وقاوموا أعداءه جماعات وفُرَادى، ولم

يخشوا في الله لومة لائم، ولم يبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة وشرّدوا بأهلها واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السنة من أصلها، فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة، وصنّفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة، فمنهم المتقضي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها.

ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين، إلا ويقض الله لها جيشاً من عباده المخلصين، فحفظ الله بهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداق وعيد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإعلاء لكلمته وتأييداً لحزبه إذ يقول: ﴿وَإِنَّا جُنْدًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣].

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألتني من لا تسعني مخالفته من المحبين^(١)، أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرّب مناله للراغبين، ويُفصّل عن عقيدة السلف الصالح ويبيّن؛ فأجبتّه إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله.

وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جُلّ العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والتذور، فيسر الله تعالى ذلك بمنه وإفضاله، وأعانني وله الحمد والمئة على إكماله، وسميته (سُلّم الوصول، إلى مباحث علم الأصول).

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحباب، سئل مني أن أعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يحل مُشكِله ويفصّل مُجملته، مقتصراً على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه، واستقدرته بقدرته، فعنّ لي أن أعزّم على ذلك الأمر المسؤول مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل

(١) وهو شيخه «القرعاوي».

السُّؤل، وسمَّيْتَه (معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول).
واللّهُ أسأل أن يُعيّنَ على إكماله بمنه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به
وبأصله، وأن يهدينا الصراط المستقيم، ويجعلنا من أنصار التوحيد وأهله، إنه
سميعٌ قريبٌ مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم.



نص منظومة

سَلَّمَ الْوُصُولُ، إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ
فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينًا	رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرًا مُعِينًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا	إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَاجْتَنَابَنَا
أَخْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ	وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهُ
وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا	وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيمَا قُضِيَ
وَبَعْدُ: إِنِّي بِالْيَقِينِ أَشْهَدُ	شَهَادَةَ الْإِخْلَاصِ أَنْ لَا يُفْبَدُ
بِالْحَقِّ مَالُوهُ ^(٢) سِوَى الرَّحْمَنِ	مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْنٍ وَعَنْ نُقْصَانٍ
وَأَنْ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا	مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
رَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ	بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا	وَالْآلِ ^(٣) وَالصَّخْبِ دَوَامًا سَرْمَدًا

(١) طبعت منظومة (سلم الوصول) عدة طبعات، لم تخل من التصحيف والأخطاء المطبعية، وعندى من هذه المنظومة نسخة (مبيضة) كتبها الوالد (الناظم) - رحمه الله تعالى - بخطه، كنت أريد الاعتماد عليها في سرد نص المنظومة هنا، ولكن عند المقارنة بين أبياتها في هذه النسخة وبين أبياتها الواردة في شرحها (معارج القبول) - الطبعة الأولى - وجدت اختلافات يسيرة في عدة كلمات استحسن الناظم - رحمه الله - تعديلها، وإن لم يكن لها أدنى تغيير في المعنى، وقد رأيت أن أجعل من الرواية الواردة في (المعارج) أساساً لنقل المنظومة في هذا الموضع مراعاة للشرح المترتب عليها غالباً، مع العناية بالإشارة في الهامش إلى ما يقابلها في النسخة الخطية المذكورة عند وجود الاختلاف.

(٢) في النسخة الخطية: مألوهاً.

(٣) والآل معطوفاً على الضمير في «عليه» والقاعدة النحوية تقول: «لا يُعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار» وعدّ بعضهم العطف بدونه خطأً. ولعل الناظم رحمه الله أخذ برأى من يجيز ذلك من أئمة النحو، أو أن ضرورة الشعر اقتضت ذلك. (أبو مصعب).

وَبَعْدُ: هَذَا النُّظْمُ فِي الْأُصُولِ لِمَنْ أَرَادَ مِنْهَاجَ الرُّسُولِ
سَأَلَنِي إِسَاءَةٌ مَنْ لَا بُدَّ لِي مِنْ امْتِنَالِ سُؤْلِهِ ^(١) الْمُمْتَلِ
فَقُلْتُ مَعَ عَجْزِي وَمَعَ إِشْفَاقِي مُغْتَمِدًا عَلَى الْقَدِيرِ الْبَاقِي:



مقدمة

تُعَرِّفُ الْعَبْدَ بِمَا خُلِقَ لَهُ،
وَبَأُولِ مَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَبِمَا
أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ الْمِيثَاقَ فِي ظَهْرِ أَبِيهِ آدَمَ،
وَبِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ

إِغْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَشْرِكِ الْخَلْقَ سُدى وَهَمَلَا
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَبِالْإِلَهِيَّةِ يُفَرِّدُوهُ
أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالنُّذُرِ
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا رَبَّ مَغْبُودٌ بِحَقِّ غَيْرِهِ
وَبَعْدَ هَذَا رُسُلُهُ قَدْ أَرْسَلَا لَهُمْ وَبِالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلَا
لِكُنِّي بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهُمْ ^(٢) وَيُنذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ
كُنِّي لَا يَكُونُ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَلْ لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّةٌ عَزَّ وَجَلَّ
فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلَا شِقَاقٍ فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
وَذَاكَ نَجَاجٍ مِنَ عَذَابِ النَّارِ وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
وَمَنْ بِهِمْ وَبِالْكِتَابِ كَذَّبَا وَلَا زَمَ الْإِغْرَاضَ عَنُّهُ وَالْإِبَا
فَذَلِكَ نَاقِضٌ كِلَا الْعَهْدَيْنِ مُسْتَوْجِبٌ لِلْعِزِّ فِي الدَّارَيْنِ

(١) في النسخة الخطية: أمره. وواضح أنه يقصد بذلك شيخه الداعية المصلح الشيخ عبد الله بن محمد القرهاوي - رحمه الله تعالى - الذي كان قد طلب منه في نحو سنة ١٣٦٢هـ أيام طلبه للعلم على يديه أن ينظم متنًا مختصرًا في العقيدة يسهل على الطلاب حفظه واستيعابه، ويكون أيضاً بمثابة اختبار لتحصيله العلمي في هذا الفن، فكانت هذه المنظومة المباركة: (انظر ما قدمته في ترجمته من هذه الطبعة).

(٢) في النسخة الخطية: وينذروهم ويحذروهم.

[ال] - فصل - [الأول]

في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين
وبيان النوع الأول
وهو توحيد المعرفة والإثبات

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ
إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الْأَوَامِرِ أَعْظَمُ
إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا
وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الْأَكْبَرُ
بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلَائِقِ
الْأَوَّلُ الْمُبْنِي بِلاَ ابْتِدَاءِ
الْأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الْأَزَلِيُّ
عُلُوُّ قَهْرٍ وَعُلُوُّ الشَّانِ
كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ
وَمَعَ ذَا مُطْلَعٍ إِلَيْهِمْ
وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ
فَأِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوهِ
حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلَا يَنَامُ
لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِهِ
بَاقٍ فَلَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ
مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالْإِزَادَةِ
فَمَنْ يَشَأْ وَقَفُّهُ بِمُضْلِهِ
فَمِنْهُمْ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ
لِحِكْمَةِ بَالِغَةِ قَضَائِهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرِّ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ

مَعْرِفَةُ الرَّخْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ
وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ
أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى
الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ
مُبْدِعُهُمْ بِلاَ مِثَالٍ سَابِقِ
وَالْآخِرُ الْبَاقِي بِلاَ انْتِهَاءِ
الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيِّمُ الْعَلِيُّ
جَلَّ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَعْوَانِ
عَلَى عِبَادِهِ بِلاَ كَيْفِيَّةٍ
بِعِلْمِهِ مَهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ
لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ
وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ
وَجَلَّ أَنْ يُشَبِّهَهُ الْأَنْثَامُ
وَلَا يَكَيْفُ الْحُجَا صِفَاتِهِ
وَلَا يَكُونُ غَيْرُ مَا يُرِيدُ
وَحَاكِمٌ - جَلَّ - بِمَا أَرَادَهُ
وَمَنْ يَشَأْ أَضْلَهُ بِعَذْلِهِ
وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ
يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَائِهَا
فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
بَسْمِعِهِ الْوَاسِعِ لِلْأَصْوَاتِ

وَعَلَّمَهُ بِمَا بَدَأَ وَمَا خَفِيَ
وَهُوَ الْعَنِيِّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ
كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمًا
كَلَامُهُ جَلَّ عَنِ الْإِخْصَاءِ
لَوْ صَارَ أَقْلَامًا جَمِيعُ الشُّجَرِ
وَالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ أَنْ
وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفْصَّلِ
عَلَى الرُّسُولِ الْمُضْطَقَّى خَيْرَ الْوَرَى
يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ
كَذَا بِالْأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ
وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٍ حَقِيقَةٍ
جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
فَالصَّوْتُ وَالْأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي
مَا قَالَهُ لَا يَقْبَلُ التَّنْذِيلَ^(١)
وَقَدْ رَوَى الثَّقَاتُ عَنْ خَيْرِ الْمَلَائِكَةِ
فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَنْزِلُ
هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طَالِبٍ لِلْمَغْفِرَةِ
يَمُنُّ بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ
وَأَنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقَضَائِ
وَأَنَّهُ يُرَى بِلاَ إِنْكَارٍ
كُلُّ يَرَاهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ
وَفِي حَدِيثِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ
رُؤْيَا حَقٍّ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَا

أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ^(١)
جَلَّ ثَنَائُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ
وَكَلَّمَنَا مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ
وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُقْ عَلِيمًا
وَالْحَاضِرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ
وَالْبَحْرِ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
فَنُتِ وَلَيْسَ الْقَوْلُ مِنْهُ فَإِنْ
بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ
لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُفْتَرٍ
يُثَلَّى كَمَا يُسْمَعُ بِالْأَذَانِ
وَبِالْأَيْدِي خُطُّهُ يُسَطَّرُ
دُونَ كَلَامِ بَارِي الْخَلِيقَةِ
عَنْ وَضْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْجِذَّانِ
لَكِنَّمَا الْمَثَلُ قَوْلُ الْبَارِي
كَأَنَّ وَلَا أَضَدُّ مِنْهُ قِيلًا
بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا
يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيُقْبَلُ
يَجِدُ كَرِيمًا قَابِلًا لِلْمَغْفِرَةِ
وَيَسْتُرُ الْعَيْبَ وَيُعْطِي السَّائِلَ
كَمَا يَشَاءُ لِلْقَضَاءِ الْعَدْلِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالْأَبْصَارِ
كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
مِنْ غَيْرِ مَا شَكَّ وَلَا إِنْهَامٍ
كَالشَّمْسِ صَخَوًا لَا سَحَابَ دُونَهَا

(١) ورد هذا البيت في النسخة الخطية متوسطاً بين البيتين السابقين قبله.

(٢) في النسخة الخطية: ما إن لما قد قاله تبديلاً.

وَحُصِّنَ بِالرُّؤْيَةِ أَوْلِيَاؤُهُ
وَكُلُّ مَالِهِ مِنَ الصُّفَاتِ
أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ
نَمِرُهَا صَرِيحَةً كَمَا أَثَثَ
مِنْ غَيْرِ تَخْرِيفٍ وَلَا تَغْطِيلٍ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أئِمَّةِ الْهُدَى
وَسَمَّ ذَا النُّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ
قَدْ أَفْصَحَ الْوَحْيِ الْمُبِينُ عَنْهُ
لَا تَنْتَبِغُ أَقْوَالُ كُلِّ مَارِدٍ
فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التَّنْبِيَانِ

فَضِيلَةٌ وَحُجُبُوا أَعْدَاؤُهُ
أَثَبَتْهَا فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ
فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ
مَعَ اخْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
وَعَبِيرِ تَكْثِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ
طَوَى لِمَنْ بِهِدْيِهِمْ قَدْ اهْتَدَى
تَوْحِيدَ إِبْنَاتِ بِلَا تَزْدِيدِ
فَالْتَمِسَ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ
عَاوِ مُضِلُّ مَارِقِ مُعَايِدِ
مِنْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ



[ال] فصل [الثاني]

في بيان النوع الثاني من التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد،
وأنه هو معنى لا إله إلا الله

هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدًا
وَهُوَ الَّذِي بِهِ الْإِلَهِ أَرْسَلَا
وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالتَّنْبِيَانَا
وَكَلَّفَ اللَّهَ الرَّسُولَ الْمُجْتَنِبِي
حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ
وَهَكَذَا أُمُّهُ قَدْ كُتِّفُوا
وَقَدْ حَوَّنَهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةِ

إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ
مُفْتَرِقًا بِحَقِّهِ لَا جَاحِدَا
رُسُلُهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلَا
مِنْ أَجْلِهِ وَفَرَّقَ الْفُرْقَانَا
قِتَالِ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى
سِرًّا وَجَهْرًا دَقُّهُ وَجِلُّهُ
بَذَا^(١) وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ وَصِفُوا
فَهِيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ

(١) في النسخة الخطية: به.

مَنْ قَالَهَا مُغْتَقِدًا مَعْنَاهَا
 فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا
 فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ
 أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهٌ^(١) يُغْبَدُ
 بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبِالتَّذْيِيرِ
 وَبِشُرُوطِ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ
 فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا
 الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ
 وَالصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ
 وَكَأَنَّ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا
 يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنًا
 ذَلِكَ يَقِينًا وَهَدًى إِلَيْهِ
 إِلَّا إِلَهَ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
 جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنُّظِيرِ
 وَفِي تَصْوَصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَّتْ
 بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
 وَالْإِنْقِيَادَ قَادِرٌ مَا أَقُولُ
 وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهُ



[ال] فصل [الثالث]

في تعريف العبادة،

وذكر بعض أنواعها

وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ
 وَفِي الْحَدِيثِ مُحْتَمِلُهَا الدُّعَاءُ
 وَرَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ خُشُوعٌ
 وَالْإِسْتِعَاذَةُ وَالْإِسْتِعْمَانَةُ
 وَالذَّبْحُ وَالنُّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ
 وَصَرَفَ بَغْضِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ
 لِكُلِّ مَا يَرْضَى إِلَهُ السَّامِعِ
 خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذًا الرَّجَاءُ
 وَخَشْيَةٌ إِنَابَةٌ خُضُوعٌ
 كَذًا اسْتِعَاذَةٌ بِهِ سُبْحَانَهُ
 فَافْتَهُم هُدًى أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ
 شِرْكَ وَذَلِكَ أَفْبَحُ الْمَنَاهِي



(١) في النسخة الخطية: إلهاً.

[ال] - فصل - [الرابع]

في بيانِ ضدِّ التوحيدِ وهو الشركُ
وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغر وأكبر،
وبيانِ كلِّ منهما

وَالشُّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكُ أَكْبَرُ	بِهِ خُلُوذُ النَّارِ إِذْ لَا يُنْفَرُ
وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرِ اللَّهِ	نِدَاءً بِهِ مُسَوِّباً مَضَاهِي
يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضَّرِّ	لَجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لَا يَقْدِرُ	عَلَيْهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَنْ جَنَلِهِ لِذَلِكَ الْمَذْعُورُ	أَوِ الْمُعْظَمُ أَوِ الْمَرْجُورُ
فِي الْغَيْبِ سُلْطَاناً بِهِ يَطْلُعُ	عَلَى ضَمِيرٍ مَنْ إِلَيْهِ يَفْرَغُ
وَالثَّانِ شِرْكُ أَصْغَرُ وَهُوَ الرِّيَا	فَسْرُهُ بِهِ خِتَامُ الْأَنْبِيَا
وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ الْبَارِي	كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ



[ال] - فصل - [الخامس]

في بيانِ أمورٍ يفعلها العامة
منها ما هو شركٌ
ومنها ما هو قريبٌ منه.
وبيانِ حكمِ الرُّقى والتَّماثِمِ

وَمَنْ يَشِيقْ بِوَذْعَةٍ أَوْ نَابٍ	أَوْ خَلْقَةٍ أَوْ أَغْيَنِ الذُّنَابِ
أَوْ خَيْطٍ أَوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ	أَوْ وَتَرٍ ^(١) أَوْ نُزْبَةِ الْقُبُورِ
لَأَيِّ أَمْرِ كَائِنْ تَعَلَّقَهُ	وَكَلَّهُ اللَّئِي إِلَى مَا عَلَّقَهُ
ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ	فَإِنْ تَكُنْ مِنْ خَالِصِ الْوَحْيَيْنِ
فَذَاكَ مِنْ هَذِي النَّبِيِّ وَشِرْعَتِهِ	وَذَاكَ لَا اخْتِلَافَ فِي سُنَّتِهِ

(١) في النسخة الخطية: أو خيطاً أو عضواً... أو وترأ...

فَذَٰكَ وَسَوَاسٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
شِرْكَ بِلَا مَزِيَّةٍ فَاخْذَرْنَهُ
لَعَلَّهُ يَكُونُ^(٢) مَخْضَ الْكُفْرِ
عَلَى الْعَوَامِ لِبُسُوهِ فَالتَّبَسُّ
لَا تَغْرِفِ الْحَقُّ وَتُنْأَى عَنْهُ^(٣)
إِنْ تَكُ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ
فَبَغْضَهُمْ أَجَارَهَا وَالبَّغْضُ كَفٌ
فَإِنَّهَا شِرْكَ بَغْيِرٍ مَّيِّنٍ
فِي الْبُعْدِ عَنِ سَيِّمَةِ أُولَى الْإِسْلَامِ

أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي
وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ
إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ^(١) لَا يَذِرِي
أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسٍ
فَحَذَرًا ثُمَّ خَذَرٍ مِنْهُ
وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ
فَالَاخْتِلَافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفِ
وَلَا تَكُنْ مِمَّا سَوَى الْوَحْيَيْنِ
بَلْ إِنَّهَا قَسِيْمَةُ الْأَزْلَامِ



[ال] - فصل - [السادس]

من الشرك فعلٌ مَنْ يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة
أو قبرٍ أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيداً.
وبيانُ أن الزيارة تنقسم إلى
سنية وبذعية وشركية

مَنْ غَيْرَ مَا تَرَدَّدَ أَوْ شَكَّ
لَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ بِأَنْ يُعَظِّمَ
أَوْ قَبْرٍ مَيِّتٍ أَوْ بِبَغْضِ الشَّجَرِ
عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
ثَلَاثَةٌ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ
فِي نَفْسِهِ تَذْكِرَةٌ بِالْآخِرَةِ

هَذَا وَمِنْ أَغْمَالِ أَهْلِ الشُّرْكِ
مَا يَقْصِدُ الْجُهَالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا
كَانَ يَلْذُ بِبَقْعَةٍ أَوْ حَجَرٍ
مُتَّخِذاً لِذَلِكَ الْمَكَانِ
ثُمَّ الزَّيَارَةَ عَلَى أَقْسَامٍ
فَلِإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهُ

(١) في النسخة الخطية: إذ كل ناطق به.

(٢) في النسخة الخطية: لعله أن يك.

(٣) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، وهو موجود في النسخة الخطية المكتوبة بخط الناظم في هذا الموضع.

ثُمَّ الدُّعَاءُ^(١) وَلِلْأَمْوَاتِ
وَلَمْ يَكُنْ شِدَّ الرِّحَالِ نَحْوَهَا
فَنِلَكَ سُنَّةَ أَتَتْ صَرِيحَهُ
أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالثَّوْسُ لَا
فِي دَعَا الْمُقْبُورِ نَفْسَهُ فَقَدْ
لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ
إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْمُفْرَانِ

بِالْمَعْفُو وَالصَّفْحِ عَنِ الزُّلَّاتِ
وَلَمْ يَقُلْ مُجَرَّأً كَقَوْلِ السُّفْهَاءِ^(٢)
فِي السُّنَنِ الْمُثَبَّتَةِ الصَّحِيحَةِ
بِهِمْ إِلَى الرُّخْمَنِ جَلُّ وَعَلَا
بِعِيدَةِ عَنْ هَذِي ذِي الرُّسَالَةِ^(٣)
أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَذَ
صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَيَغْفُو عَنْهُ
إِلَّا اتَّخَذَ الثُّدُ لِلرُّخْمَنِ



[ال] - فصل - [السابع]

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلون عند القبور

وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في

الأموات

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجًا أَوْ قَدْ
فَأِنَّهُ مُجَدَّدٌ جِهَارًا
كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنَ
بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ
وَكُلُّ قَبْرِ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرَ
وَحَذَّرَ الْأُمَّةَ عَنِ إِطْرَائِهِ
فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَازْتَكَبُوا

أَوْ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِدًا
لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
فَاعِلُهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ
وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشُّبْرِ
بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْحَبَزُ
فَقَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ
مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا

(١) في النسخة الخطية: ثم دعا له.

(٢) في النسخة الخطية: كبعض السفهاء. وهذا البيت معلق بخط الناظم في النسخة التي كتبها بخطه بين البيتين السابقين قبله بعد أن سقط سهواً.

(٣) هذا البيت والذي قبله سقطا من الطبعة الأولى ل (معارج القبول)، مع أنهما قد شرحا فيه، وموضع نصهما يجب أن يكون في (ج ١، ص ٤٧٩) قبل الشروع في شرحهما.

فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا
بِالشَّيْءِ^(١) وَالْأَجْرُ وَالْأَخْجَارُ
وَلِلْقَنَّادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا
وَتَصَبُّوا^(٢) الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ
بَلْ نَحَرُوا فِي سَوْجِهَا التُّحَايِزِ
وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ
قَدْ صَادَقَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكَ
فَيَا شَدِيدَ الطُّوْلِ وَالْإِنْعَامِ

وَرَقَمُوا بِنِئَاءِهَا وَشَادُوا
لَا سِيَمَا فِي هَذِهِ الْأَغْصَارِ
وَكَمْ لَوَاءَ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَأَفْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ
فَعَمَلْ أُولِي التُّشْيِيبِ وَالْبَحَائِزِ
وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ
بَلْ بَغَضَهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاجِهِ
بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ
وَأَوْرَطَ الْأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكِ
إِلَيْكَ تَشْكُو مَخَنَةَ الْإِسْلَامِ^(٣)



[ال] - فصل - [الثامن]

في بيان حقيقة السحر وحد الساحر
وأن منه علم التنجيم.
وذكر عقوبة من صدق كاهناً

وَالسَّحَرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ
أَعْيَنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ
وَاحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ
كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَةِ
عَنْ جُنْدِبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرِ^(٥)
لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ
فِي الْكَوْنِ لَا فِي الشَّرْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
وَحَذُّ الْقَتْلِ بِلَا تَكْبِيرِ
مِمَّا رَوَاهُ^(٤) التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ
أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ

(١) في النسخة الخطية: بالجص.

(٢) في النسخة الخطية: ونشروا.

(٣) هذا البيت والذي قبله لم يردا في (معارج القبول)، ولم يدخلوا في الشرح، وهما في النسخة الخطية بقلم الناظم، ولعلهما مما أضافه بعد كتابة الشرح.

(٤) في النسخة الخطية: فيما رواه.

(٥) في النسخة الخطية: عن جندب الخير، كذا في أثر.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكٍ مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِّلسَالِكِ
هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِهِ عِلْمُ النُّجُومِ فَأَذِرْ هَذَا وَانْتَبِهْ
وَحَلِّهِ بِالْوَحْيِ نَصّاً يُشْرَعُ أَمَا بِسُخْرٍِ مِّثْلِهِ فَيُمنَعُ^(١)
وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ^(٢) الْمُغْتَبَزُ



[ال] - فصل - [التاسع]

يجمع معنى حديث جبريل المشهور
في تعليمنا الدين أنه ينقسم إلى ثلاث مراتب:
الإسلام والإيمان والإحسان
وبيان أركان كل منها

اعْلَمْ بَأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ
كَفَّاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ
عَلَى مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ فَضَّلَنِي
الإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ
فَقَدْ أَتَى: الإِسْلَامَ مَبْنِيَّ^(٤) عَلَى
أَوَّلِهَا الرُّكْنُ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ
رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ
وَتَانِيَا^(٥) إِمَامَةُ الصَّلَاةِ
فَاخْفِظْهُ وَأَفْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلَ^(٣)
إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمَلَةٌ:
وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانٍ
خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَأَذِرْ مَا قَدْ نُقِلَا
وَهُوَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَثْوَمُ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ
وَتَالِيَا^(٦) تَأْدِيَةُ الرُّكَاةِ

(١) هذا البيت غير وارد في النسخة الخطية، وهو في (معارج القبول) في هذا الموضع.

(٢) في النسخة الخطية: النبي.

(٣) كذا في معارج القبول (ط: ١٧/٢) ونصه في النسخة الخطية هكذا:

والدين نية وقول وعمل فاحفظ ودع عنك المراء والجدل

(٤) في معارج القبول (ط: ٤٠/٢): مبنياً، وما أثبتناه عن النسخة الخطية.

(٥) في النسخة الخطية: وبعدها.

(٦) في النسخة الخطية: وثالث.

وَالرَّابِعُ الصَّبِيَامُ فَاسْمَعِ وَاتَّبِعِ
فَتِلْكَ خَمْسَةٌ. وَلِلإِيمَانِ
إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ
وَبِالْمَلَائِكَةِ^(١) الْكَرَامِ الْبَرَّةِ
وَرُسُلِهِ الْهَدَاةِ لِلْأَتَامِ
أُولَهُمْ نُوحٌ بِلَا شَكٍّ كَمَا
وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُوا الْعِزِّ الْأَلَى
وَبِالْمَعَادِ أَيْقَنُ^(٢) بِلَا تَرَدُّدٍ
لَكُنَّا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا
مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا
وَيَدْخُلُ الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا
وَأَنْ كُلًّا^(٣) مُقَعَّدَ مَسْئُولٍ
وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُتَّيَمِّنُ
وَيُوقِنُ الْمُزْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ
وِبِاللِّقَا وَالْبَغْثِ وَالنُّشُورِ
غَزْلًا حَقًّا كَجَرَادٍ مُنْتَشِرٍ
وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَضْلِ
فِي مَوْقِفٍ يَجْلُ فِيهِ الْخَطْبُ
وَأَخْضِرُوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ^(٤)
وَارْتَكَمَتْ سَحَابُ الْأَهْوَالِ
وَعَسَتْ الْوُجُوهُ لِلْقِيَوْمِ
وَسَاوَتْ الْمُلُوكُ لِلْأَجْنَادِ

وَالْخَامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ
سِنَّةً أَرْكَانَ بِلَا تُكْرَانِ
وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
وَكُتِبَهِ الْمُنْزِلَةُ الْمُطَهَّرَةُ
مِنْ غَيْرِ تَفْصِيرٍ وَلَا إِيْهَامِ
أَنْ مُحَمَّداً لَهُمْ قَدْ خَتَمَا
فِي سُورَةِ الْأَخْرَابِ وَالشُّورَى تِلَا
وَلَا ادْعَا عِلْمَ بَيِّنَاتٍ الْمَوْعِدِ
بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى
وَهِيَ عَلَامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا
مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتَمَا
مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرُّسُولُ؟
بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
بِأَنْ^(٥) مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكُ
وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ
يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٍ عَسِرَ
جَمِيعُهُمْ عَلَوِيَّتُهُمْ وَالسُّفْلَى
وَيَغْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ وَالْكَرْبُ
وَانْقَطَعَتْ عِلَاقُ الْأَنْسَابِ
وَانْمَجَمَ الْبَلِيغُ فِي الْمَقَالِ
وَأَقْصَصَ مِنْ ذِي الظُّلَمِ لِلْمَظْلُومِ
وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالْأَشْهَادِ

(١) في النسخة الخطية: وبالملائكة. قلت: وهو الأولى. (أبو مصعب).

(٢) تقرأ «يقن» بحذف الهمزة تحاشياً من الزحف في البيت. (أبو مصعب).

(٣) في معارج القبول (ط ١: ١٣٢/٢): وأن كل، والصواب ما أثبتناه عن النسخة الخطية.

(٤) لعله: بأنه مورده. (أبو مصعب).

(٥) في النسخة الخطية: واحضروا إذا ذاك للحساب.

وَشَهِدَتْ الْأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرُ
وَتُشْرِتُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ
طُوبَى ^(١) لِمَنْ يَأْخُذُ ^(٢) بِالْيَمِينِ
وَالْوَيْلُ لِلْآخِذِ بِالشُّمَالِ
وَالْوِزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمَ وَلَا
فَبِينَ نَسَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ
وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلَا امْتِرَاءٍ
يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِ
فَبِينَ مُجْتَازٍ إِلَى الْجَنَانِ
وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَقٌّ وَهُمَا
وَحَوْضٌ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ
كَذًا لَهُ لَوَاءٌ حَمْدٍ يُنْشَرُ
كَذًا لَهُ الشُّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يَرَى
يَشْفَعُ أَوْلَى إِلَى الرَّحْمَنِ فِي
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى
وَنَائِبًا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاكِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشُّفَاعَتَانِ
وَنَائِبًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامٍ
وَأَوْبَقْنَهُمْ كَثْرَةَ الْأَلْسَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجَنَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلٍ

وَبَدَتْ السَّوْءَاتُ وَالْفَضَائِلُ
وَانْكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرِ
تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَالشُّمَالِ
كِتَابُهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِينِ
وَرَاءَ ظَهْرِ الْجَحِيمِ صَالِي
يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسَوَى مَا عَمِلَا
وَمُقَرَّرٌ أَوْبَقُهُ عُذْوَانُهُ
كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَنْبَاءِ
بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
وَمُسْرَفٍ يُكَبُّ فِي النَّيْرَانِ
مَوْجُودَتَانِ لَا فَنَاءَ لَهُمَا
يَشْرَبُ فِي الْأُخْرَى جَمِيعُ حَزْبِهِ
وَتَخْتَهُ الرُّسُلُ جَمِيعًا تُخْشَرُ
قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكْرُمًا
كُلُّ قُبُورِي عَلَى اللَّهِ افْتَرَى
فَضْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
كُلُّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفَضْلَا
دَارِ النُّعِيمِ لأُولِي الْفَلَاحِ
قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلَا تُكْرَانِ
مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الْإِسْلَامِ
فَأَدْخَلُوا النَّارَ بِذَا الْإِجْرَامِ
بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ
وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي

(١) في النسخة الخطية: بشرى.

(٢) في معارج القبول (ط ١: ٦٤/٢): يؤخذ - وهو خطأ، وصوابه (ياخذ) وقد صحح أثناء الشرح، كما هو في النسخة الخطية.

وَيُخْرِجُ اللَّهَ مِنَ الثُّبُرَانِ
 فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا
 كَأَنَّمَا يَنْبُثُ فِي هَيْئَاتِهِ
 وَالسَّادِسُ الْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ
 فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ
 لَا نَزْوٍ لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَ وَلَا
 لَا عَزْلَ لَا هَامَةَ لَا وَلَا صَفَرَ
 وَتَالِيتُ مَرْتَبَةَ الْإِحْسَانِ
 وَهُوَ^(٣) رُسُوحُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْقَانِ

جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ
 فَحَمًّا فَيَخَيَّوْنَ وَيَنْبُثُونَا
 حَبٌّ حَمِيلِ السَّبِيلِ فِي خَافَاتِهِ
 فَأَيُّقِنَنَّ بِهَا وَلَا تُمَارِ^(١)
 وَالْكُلُّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ مُسْتَظَرٌّ
 عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَوْلًا
 كَمَا بِذَا أَخْبَرَ^(٢) سَيِّدُ الْبَشَرِ
 وَتِلْكَ أَغْلَاقُهَا لَدَى الرَّحْمَنِ
 حَتَّى يَكُونَ^(٤) الْغَيْبُ كَالْعَيَانِ



[ال] - فصل - [العاشر]

في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
 وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك
 إلا إذا استحلّه وأنه تحت المشيئة،
 وأن التوبة مقبولة ما لم يُغرِغْز

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ
 وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ
 وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِضْيَانِ
 لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي
 وَلَا تُقُولُ إِنَّهُ فِي السَّارِ
 تَحْتَ مَشِيئَةِ الْإِلَهِ الْتَافِذَةِ

وَنَقُصُّهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ^(٥)
 هَلْ أَنْتَ كَالْأَمْلَاقِ أَوْ كَالرُّسُلِ
 لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مَطْلَقُ الْإِيمَانِ
 إِيْمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
 مَخْلُودٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَّارِي
 إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ

(١) في النسخة الأصلية: ولا تماري.

(٢) في معارج القبول (ط١ : ٣٨٢/٢): خبر.

(٣) في معارج القبول (ط١ : ٣٩٩/٢): وهي، أثبتنا ما في النسخة الخطية.

(٤) في النسخة الخطية: حتى يصير.

(٥) في النسخة الأصلية: وتارة ينقص بالزَّلَّاتِ.

بَقْدَرِ ذَنْبِهِ، وَإِلَى^(١) الْجَنَانِ
وَالْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ فِي الثُّبَانِ
وَلَا تُكْفَرُ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنًا
وَتُقْبَلُ الثُّبُوتُ قَبْلَ الْفَرَعَةِ
أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا؟
يُخْرِجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَنْ يُنَاقِشِ الْحِسَابَ عُذْبًا
إِلَّا مَعَ اسْتِخْلَالِهِ لَمَّا جَنَى
كَمَا أَتَى فِي الشَّرْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
فَيَطْلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا^(٢)



[ال] - فصل - [الحادي عشر]

في معرفة نبينا محمد ﷺ

وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا به الدين،
وأنه خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين،
وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب

نَبِينَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِمٍ
أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا مُرْشِدًا
مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَةِ
بَعْدَ أَرْبَعِينَ^(٤) بَدَأَ الْوَحْيُ بِهِ
عَشْرَ سِنِينَ أَتَاهَا النَّاسُ اغْبَدُوا
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَارٍ جَرَا
وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الْأَغْوَامِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلُمِ
وَبَعْدَ أَغْوَامٍ ثَلَاثَةِ مَضَتْ
أُودُنَ بِالْهَجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا
إِلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَاكٍ يَنْتَمِي
وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهَدَى^(٣)
هَجْرَتُهُ لَطِيبَةَ الْمُنَوَّرَةِ
ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحَدُوا
يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الْوَرَى
مَضَتْ لِعُمُرٍ سَيِّدِ الْأَنَامِ
وَفَرَضَ الْخَمَسَ عَلَيْهِ وَحَتَمَ
مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وَانْقَضَتْ
مَعَ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا

(١) في معارج القبول (ط: ١/٢: ٤٢١) الواو من (والى) ساقطة أثناء البيت، وهي مثبتة في الشرح وكذلك في النسخة الخطية.

(٢) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، أثبتته كما جاء في النسخة الأصلية.

(٣) هذا البيت أيضاً غير وارد في (معارج القبول)، وهو مثبت في النسخة الخطية.

(٤) بوصل همزة أربعين. (أبو مصعب).

وَبَعْدَهَا كُفِّ بِالْقِتَالِ
 حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مَنْقَادِينَا
 وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَغَ الرُّسَالَةَ
 وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ^(١) الْإِسْلَامَا
 قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى
 نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلَا اِزْتِيَابِ
 وَأَنَّهُ بَلَغَ مَا قَدْ أُرْسِلَا
 وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ ادَّعَى
 فَهُوَ خَتَامُ الرُّسُلِ بِاتِّفَاقٍ

لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ وَالضَّلَالِ
 وَدَخَلُوا فِي السَّلَامِ مُذْعِنِينَا
 وَاسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَةِ
 وَقَامَ دِينَ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا
 سُبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى
 بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
 بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أُتِرِلَا
 نُبُوءَةٌ فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
 وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ



[ال] - فصل - [الثاني عشر]

فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ

وذكر الصحابة بمحاسنهم،

والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم

وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشُّفِيقُ
 ذَاكَ رَفِيقُ الْمُضْطَفَى فِي الْغَارِ
 وَهُوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى
 ثَانِيهِ فِي الْفَضْلِ بِلَا اِزْتِيَابِ
 أَهْنِي بِهِ الشُّهْمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرَ
 الصَّارِمَ الْمُنْكَي عَلَى الْكُفَّارِ
 ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ
 بَخْرُ الْعُلُومِ جَامِعُ الْقُرْآنِ

نِعْمَ تَقِيبُ الْأُمَّةِ الصَّدِيقُ
 شَيْخُ الْمُتَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 جِهَادُ^(٢) مَنْ عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى
 الصَّادِعُ السَّاطِقُ بِالصُّوَابِ
 مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَنَصَرَ
 وَمُوسِعَ الْفُتُوحِ فِي الْأَمْصَارِ^(٣)
 ذُو الْحِلْمِ وَالْحَيَا بِغَيْرِ مَيِّنِ
 مِنْهُ اسْتَحَثَّ مَلَائِكَ الرَّحْمَنِ

(١) في معارج القبول (ط ١ : ٤٨٦/٢) : له، وما هنا عن النسخة الخطية.

(٢) في النسخة الخطية: قتال.

(٣) في النسخة الخطية: وفتح البلاد والأمصار.

بَايَعَ عَنْهُ سَيِّدُ الْأَكْوَانِ
وَالرَّابِعُ ابْنُ عَمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ
مُبِيدُ كُلِّ خَارِجِي مَارِقٍ
مَنْ كَانَ لِلرُّسُولِ^(١) فِي مَكَانٍ
لَا فِي^(٢) نُبُوءَةٍ، فَقَدْ قَدِمْتُ مَا
فَالسُّنَّةُ الْمُكْمِلُونَ الْعَشْرَةَ
وَأَهْلُ بَيْتِ الْمُضْطَفَى الْأَطْهَارِ
فَكُلُّهُمْ فِي مَحْكَمِ الْقُرْآنِ
فِي الْفَتْحِ وَالْحَدِيدِ وَالْقِتَالِ
كَذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَذِكْرُهُمْ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ
ثُمَّ السُّكُوتُ وَاجِبٌ عَمَّا جَرَى
فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُنَابٍ

يَكْفِيهِ فِي بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ
أَغْنِيهِ الْإِمَامَ الْحَقُّ ذَا الْقَدْرِ الْعَلِيِّ
وَكُلُّ حُبِّ رَافِضِيٍّ قَاسِقٍ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلا نُكْرَانِ
يَكْفِيهِ لِمَنْ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ سَلِمَا
وَسَائِرُ الصَّخْبِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ
وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الْأَخْيَارُ
أَتْنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
وَعَبِيرُهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ
صِفَاتُهُمْ مَغْلُومَةُ التَّفْصِيلِ
قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ
بَيْنَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مَا قَدْ قُدِّرَا
وَحِطُّوهُمْ^(٣) بِغَفْرَةِ الْوَهَّابِ



خاتمة

في وجوب التمسك بالكتاب والسنة
والرجوع عند الاختلاف إليهما،
فما خالفهما فهو ردٌّ

شَرَطُ قَبُولِ السُّنَنِ أَنْ يَجْتَمِعَا
لِلَّهِ^(٤) رَبِّ الْمَرْشِ لَا سِوَاهُ
فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَا
مُؤَافِقُ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ

(١) في النسخة الخطية: من صار للمختار.

(٢) في معارج القبول (ط: ١/٢ : ٥٦٦) - السطر الثاني -: ولا في، الواو في أول البيت هناك كتبت خطأ فتحذف.

(٣) بكسر الخاء وسكون الطاء. (أبو مصعب).

(٤) في معارج القبول (ط: ١/٢ : ٦٠٢) : الله، تحذف الألف، وهي مصححة في الشرح.

وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلوَخَيْنِ
وَكُلُّ مَا فِيهِ الْخِلَافُ^(١) نُصِبَا
فَالَّذِينَ إِنَّمَا أَتَى بِالنُّفْلِ



فَإِنَّهُ رَدُّ بِتَفْصِيلِ مَبْنِي
فَرَدُّهُ إِلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا
لَيْسَ بِالْأَوْهَامِ وَحْدُسِ الْعَقْلِ

ثُمَّ إِلَى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ
سَمِيتُهُ بِسُلَمِ الْوُضُوءِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَائِي
أَسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا
ثُمَّ جَمِيعُ صَخْبِهِ وَالْآلِ
تَذْوُمُ سَرْمَدًا بِلَا نَفَادِ
ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ الْقُرَاءِ
أَبْيَانُهَا (يُسْر) بَعْدَ الْجَمَلِ^(٢)

٢٧٠

وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ غُنِيَتْ
إِلَى سَمَا مَبَاحِثِ الْأُصُولِ
كَمَا حَمَدْتُ اللَّهَ فِي ابْتِدَائِي
جَمِيعَهَا وَالسُّنَنَ لِلْعُيُوبِ
تَغَشَّى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا
السَّادَةَ الْأَيْمَةَ الْأَبْدَالِ
مَا جَرَتْ الْأَقْلَامُ بِالْمِدَادِ
جَمِيعِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِثْنَاءِ
تَارِيخُهَا (الْغَفْرَانُ) فَافْهَمْ^(٣) وَادْعُ لِي

١٣٦٢هـ



(١) في النسخة الخطية: وكل ما فيه اختلاف.

(٢) أي عدة أبيات المنظومة تساوي مجموع رمز كلمة (يسر) وفق رموز الحروف الأبجدية المعروفة؛ فالياء بـ ١٠، والسين بـ ٦٠، والراء بـ ٢٠٠ = مجموعهما ٢٧٠ بيتاً، وواضح أن عدد الأبيات في مجموعهما ٢٩٠ بيتاً لا ٢٧٠ بيتاً.

والناظر في خاتمة الكتاب (معارج القبول - ط ١: ٦٣٢/٢) يجد أن المؤلف قد نظم الشطر الأول من هذا البيت بأسلوب آخر أكثر وضوحاً، حيث يجعله هكذا:

(أبياتها المقصود «يسر» فاعقل)، ويعني بالمقصود: الأبيات التي عرض فيها الأحكام والمسائل، فإذا نحن حذفنا أبيات المقدمة الأولى والأبيات الأخيرة من الخاتمة وهي ٢٠ بيتاً، سنجد أن عددها ٢٧٠ بيتاً.

(٣) أي مجموع رموز كلمة (الغفران)؛ فالألف بـ ١، واللام بـ ٣٠، والغين بـ ١٠٠٠، والفاء بـ ٨٠، والراء بـ ٢٠٠، والألف الثانية بـ ١، والنون بـ ٥٠ = مجموعها ١٣٦٢هـ، وهو تاريخ نظمها والانتها من تسويدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح مقدمة المنظومة

(أبدأ باسم الله مستمعيننا راضين به مُدبراً مُعيننا)
(أبدأ) في جميع حرَكاتي وسكَّناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كُلِّه، ومنه
هذا التصنيفُ.

(باسم الله) متبركاً و (مستمعيناً) به أو إياه يتعدى بالباء وبدونه أي طالباً منه
العونَ على فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال النبي ﷺ لابن عمِّه عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا
استعنت فاستعن بالله»^(١). وهو خطابٌ شاملٌ لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمرِ

(١) حديث ابن عباس له عدة طرق، وهذه الطرق في ألفاظها بعض الاختلاف.

(*) ١ - أخرجه أحمد (٢٩٣/١) والترمذي (٦٦٧/٤) رقم (٢٥١٦).

وأبو يعلى في «المسند» (٤٣٠/٤) رقم (٢٥٥٦/٢٢٩) وابن السني في «عمل اليوم والليلة»
رقم (٤٢٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٦/١) رقم (١٩٥). وإسناده حسن. من طريق
حنش الصنعاني عن ابن عباس.

(*) وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٠٤/٢) رقم (٤٢) من طريق عبد الله بن صالح وهو
صدوق يغلط كثيراً.

(*) وأخرجه أحمد (٣٠٧/١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٧٥-٧٦) واللالكائي في «شرح
أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦١٣/٤) رقم (١٠٩٤) و(٦١٤/٤) رقم (١٠٩٥). بإسناد حسن.

٢ - أخرج الطبراني في «الكبير» (٢٣/١١) رقم (١١٥٦٠) بإسناد ضعيف.

٣ - أخرج العقيلي (٣٩٧/٣ - ٣٩٨) والطبراني في «الكبير» (١٢٣/١١) رقم (١١٢٤٣) وفي
«الدعاء» (٨٠٣/٢) رقم (٤١) والحاكم (٥٤٢/٣) والبيهقي في «الآداب» رقم (٩٣٣)
والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٣٤/١) رقم (٧٤٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٣/٧)
رقم (١٠٠٠١). وفي إسناده عيسى بن محمد القرشي، قال عنه أبو حاتم: «ليس بالقوي».
وقال الذهبي: «عيسى ليس بمعتمد»، من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

٤ - أخرج عبد بن حميد (رقم: ٦٣٦ - المنتخب) وإسناده ضعيف.

الواقع في جواب الشرط نهى لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل لأنه لا خالق للعباد وأفعاليهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدره الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تُطلب الإعانة منه على فعل غيره، والعاقل يفهم ذلك باديء بده.

خلاصة القول في تفسير البسملة

والكلام على تفسير البسملة مُستوفى في كتب المفسرين^(١)، ولنذكر خلاصة

- = من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.
- (*) وله طريق أخرى أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٥٣/٣) والآجري في «الشرعية» (ص ١٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧٨/١١) رقم ١١٤١٦ مختصراً. بسند ضعيف.
- ٥ - أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٣١٤/١) وإسناده ضعيف.
- ٦ - أخرج الحاكم (٥٤١/٣) وإسناده ضعيف جداً.
- ٧ - أخرج أحمد (٣٠٧/١) بلفظ الطريق رقم (١). من طريقين:
- (الأول): من طريق الحجاج بن الفَرافِصَة عن ابن عباس. وهو منقطع.
- (الثاني): من طريق همام بن يحيى البصري عن ابن عباس. وهو منقطع.
- قلت: وفي الباب من حديث علي بن أبي طالب، وسهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن جعفر.
- (*) أما حديث علي بن أبي طالب، فقد أخرجه القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١١٢/١) وإسناده ضعيف جداً.
- (*) وأما حديث سهل بن سعد، فقد أخرجه القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/١١٥) وإسناده ضعيف.
- (*) وأما حديث أبي سعيد الخدري، فقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٣٥٠/٢) رقم ١٠٩٩/١٢٥ وفي معجم الشيوخ رقم (٩٦) وابن عدي في الكامل (٢٦٨٣/٧) والآجري في «الشرعية» ص ١٩٩ واللالكائي (٦١٤/٤) رقم ١٠٩٦ والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/١٢٥) وإسناده ضعيف جداً.
- (*) وأما حديث عبد الله بن جعفر، فقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (١٣٧/١) رقم ٣١٥ وقال الألباني: حديث صحيح، وإسناده واه جداً. علي بن أبي علي الهاشمي: متروك كما قال أبو حاتم والنسائي، وقال الحاكم: يروي عن ابن المنكدر أحاديث موضوعة يرويه عن الثقات وإنما حكمت على الحديث بالصحة للطرق الآتية... ثم ذكرها.
- وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٨٩/٧)، وقال الهيثمي: وفيه علي بن أبي علي القرشي وهو ضعيف اهـ.
- وخلاصة القول أن الحديث صحيح لطرقه وشواهده.
- (١) انظر «معاني القرآن الكريم» للإمام أبي جعفر النحاس (٥٠/١ - ٥٦). وتفسير البغوي =

ذلك فنقول: الباء أداة تخفيض ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانة، وتطويلها في القرآن تعظيماً لكتاب الله عز وجل، وإسقاط الألف من الاسم طلباً للخفة لكثرة استعمالها، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليذلل على السقوط، ولذلك لما كتبت الألف في: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ردت الباء إلى هيئتها.

والاسم هو المسمى وعينه وذاته فإنك تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. ولو كانت أسماء الله غيره لكان الداعي بها مشركاً إذ دعا مع الله غيره، ولكانت مخلوقة إذ كل ما سوى الله مخلوق، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء الله تعالى وصفاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وسيأتي بسط القول في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء.

(الله) علم على ذاته تبارك وتعالى، وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]. ألا ترى أنك تقول: الرحمن من أسماء الله تعالى والرحيم من أسماء الله ونحو ذلك، ولا تقول: الله من أسماء الرحمن^(١)، وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»^(٢).

واختلفوا في كونه مشتقاً أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة، فتقول: يا الله ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام.

وقال آخرون إنه مشتق، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتق من

= «معالم التنزيل» (٤٩/١ - ٥٢) و«جامع البيان» (٥٠/١ - ٥٩).

(١) انظر ما قاله صاحب شرح الطحاوية في ذلك (ص ١٣١). تخريج الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٤/١١) رقم ٦٤١٠ ومسلم (٢٠٦٣/٤) رقم ٢٦٧٧/٦ من حديث أبي هريرة.

أَلَهُ يَأْلَهُ إِلَٰهَةً، فَأَصْلُ الْاسْمِ الْإِلَٰه. فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ وَأُدْغِمَتِ اللَّامُ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ وَجُوبًا فَقِيلَ اللَّهُ، وَمِنْ أَقْوَى الْأَدْلَةِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، مع قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. وَمَعْنَاهُ ذُو الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، وَمَعْنَى أَلَهُ يَأْلَهُ إِلَٰهَةً: عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً، فَاللَّهُ الْمَالُوهُ أَيُّ الْمَعْبُودِ.

وَلِهَذَا الْاسْمِ خَصَائِصٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَقِيلَ إِنَّهُ هُوَ الْاسْمُ الْأَعْظَمُ^(١).

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]. اسْمَانِ مُشْتَقَانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، وَرَحْمَنٌ أَشَدُّ مِبَالَغَةً مِنْ رَحِيمٍ، فَالرَّحْمَنُ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ الْعَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وَالرَّحِيمُ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ الْخَاصَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٢) بِسَنَدِهِ عَنِ الْعَزْرَمِيِّ بِمَعْنَاهُ.

وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ^(٣): «رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا»، وَالظَّاهِرُ الْمَفْهُومُ

(١) لَقَدْ وَرَدَ الْاسْمُ الْأَعْظَمُ فِي أَحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ وَسَتَاتِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ.

(٢) فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (١/١٢٧ رَقْم ١٤٦ - شَاكِر).

حَدَّثَنِي السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ زُفَرٍ، قَالَ سَمِعْتُ الْعَزْرَمِيَّ يَقُولُ: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قَالَ: الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ، الرَّحِيمُ قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ. (* السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ الْكُوفِيُّ: شَيْخُ الطَّبْرِيِّ، لَمْ نَجِدْ لَهُ تَرْجُمَةً إِلَّا فِي الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (٢/١٢٨/٢٨٥) وَقَالَ: «لَمْ يَقْضِ لَنَا السَّمَاعُ مِنْهُ، وَكُتِبَ إِلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ حَدِيثِهِ، وَكَانَ صَدُوقًا».

(*) وَالْعَزْرَمِيُّ، الْمَرْوِيُّ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ هُنَا: ضَعِيفٌ جَدًّا، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» رَقْم (٦٩٣٨): «لَا يَسَاوِي حَدِيثُهُ شَيْئًا»، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْعَزْرَمِيُّ. وَأَمَّا عَمُّهُ: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ الْعَزْرَمِيُّ فَإِنَّهُ تَابِعِي ثِقَّةٌ، وَلَكِنَّهُ قَدِيمٌ مَاتَ سَنَةَ (١٤٥هـ). فَلَمْ يَدْرِكْهُ «عُثْمَانُ بْنُ زُفَرٍ» الْمُتَوَفَى سَنَةَ (٢١٨هـ).

(٣) وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْمَرْوُزِيُّ فِي «مُسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» رَقْم (٤٠) وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/٥١٥ - ٥١٦) وَابْنُ الْبَرِّ (٤/٥٢ رَقْم ٣١٧٧ - كَشَفُ) وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٦/١٧١ - ١٧٢) وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٢/٦٢١). كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَيْرُ أَنَّهُمَا لَمْ يَحْتِجَا بِالْحُكْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَيْلِيِّ.

وَرَدَهُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ: قُلْتُ: الْحُكْمُ لَيْسَ بِثِقَّةٍ.

من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الثانية الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل على الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم، فلهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

ولم يأت قط إنه بهم رحمن، ووصف نبيه محمداً ﷺ بأنه رؤوف رحيم فقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ولم يصِف قط أحداً من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك، والله أعلم.

(راض) خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راضٍ (به) أي بالله عز وجل (مدبراً) حالٌ من الضمير المجرور أي بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزمّة الأمور بيده

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٦): والبزار، وفيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك.

قلت: «الحكم بن عبد الله الأيلي» قال يحيى بن معين: «ليس بثقة» وضعفه العقيلي، وقال ابن حبان: «قال الإمام أحمد: أحاديث الحكم بن عبد الله كلها موضوعة». التاريخ الكبير (٢/٣٤٥) و«المجروحين» (١/٢٤٨) و«الميزان» (١/٥٧٢).

قلت: والخلاصة أن الحديث موضوع، والله أعلم.

(*) وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/٢٠٢) من حديث أنس.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٨٩) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير» ورجاله ثقات». قلت: دون لفظ «ورحيمهما».

وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٥٩٨ رقم ٢٧١٦) وقال: رواه الطبراني في «الصغير» بإسناد جيد.

قلت: والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/١٥٤ - ١٥٥ رقم ٣٢٣) من حديث معاذ.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٧ - ١٨٩) وقال: وفيه نصر بن مرزوق ولم أعرفه وبقيّة رجاله ثقات، إلا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ.

قلت: نصر بن مرزوق قال عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/٤٧٢) «كتبنا عنه وهو صدوق».

أما علة الحديث فهي الانقطاع بين سعيد بن المسيب ومعاذ.

وأخرجه الطبراني (٢٠/١٥٩ - ١٦٠) رقم (٣٣٢) من طريق آخر عن معاذ.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٩) وقال: وفيه من لم أعرفهم.

قلت: وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بطريقه والله أعلم.

وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر، وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَفِي الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

و (معيناً) لي على جميع أموري الدينية والدنيوية، فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه، ولا أعلم لي إلا ما أعلمني، فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا منجأ ولا ملجأ منه إلا إليه.

القول في حمد الله وشكره والاستعانة به

(والحمد لله كما هدانا إلى سبيل الحق واجتباناً)

أي (و) أثني بحمده فأقول (الحمد لله) كما أثني به على نفسه في كتابه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطباً لنبيه خطاباً يدخل فيه جميع أمته: ﴿قُلِ لِّحَمْدِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٥٩]. فله الحمد كالذي يقول وخيراً مما نقول، سبحانه لا تُحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد في الأولى والآخرة.

وعن الأسود بن سريع^(١) رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ألا أنشدك محامداً

(١) وهو حديث حسن.

أخرجه أحمد مختصراً ومطولاً (٤٣٥/٣) و(٢٤/٤) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١/٧٠ رقم ١٤٧) من طريق الحسن - البصري - عن الأسود بن سريع.

قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص ٣٩ - ٤٠): «الحسن لم يسمع من الأسود بن سريع لأن الأسود بن سريع خرج من البصرة أيام علي رضي الله عنه. وكان الحسن بالمدينة. قلت له: قال المبارك - يعني ابن فضالة - في حديث الحسن عن الأسود بن سريع قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني حمدت ربي بمحامد: «أخبرني» الأسود؟ فلم يعتمد على المبارك في ذلك» اهـ. وقال ابن المديني في «العلل» (ص ٦٧) كما قال ابن أبي حاتم.

قلت: ولكن الأشهر من هذا الحديث أنه من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود وقد قال ابن منده أيضاً: إنه لا يصح سماعه منه، وفيه قصة دخول عمر بن الخطاب عليه أثناء إنشاده وأن النبي صلى الله عليه وسلم استنصته وقال عن عمر رضي الله عنه: «هذا رجل لا يحب الباطل».

وللحديث طرق أخرى تقويه عند أحمد والطبراني فهو بها حسن إن شاء الله.

حمِدتُ بها ربي تبارك وتعالى؟ فقال ﷺ: «أما إن ربك يُحب الحمد» رواه أحمد والنسائي.

وعن الحكم بن عُمير رضي الله عنه وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قلت الحمد لله فقد شكرت الله فزادك» رواه ابن جرير^(١).

وعن جابر بن عبد الله^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»، رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى - يعني من هدايته للحمد - أفضل مما أخذ» رواه ابن ماجه^(٣)،

(١) في «جامع البيان» (١٣٦/١) رقم (١٥٢) - شاكِر. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١١/١) ونسبه للطبري، والحاكم في «تاريخ نيسابور»، والدليمي «بسنَد ضعيف». قال أحمد شاكِر: وإسناده ضعيف حقاً، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة. ثم ذكر أن/ عيسى بن إبراهيم القرشي الهاشمي/ هو بلاء هذا الحديث لأن البخاري قال عنه في «الضعفاء الصغير» رقم (٢٦٩): «منكر الحديث». وشيخه/ موسى بن أبي حبيب/ مثله: ضعيف تالف. وقال الذهبي في «الميزان» (٢٠٢/٤) رقم (٨٨٥٦) ضعفه أبو حاتم، وخبره ساقط. والخلاصة: فهو حديث ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٨٤٦) والترمذي رقم (٣٣٨٣) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٣١) والحاكم (٥٠٣/١). من طريق يحيى بن حبيب بن عربي، عن موسى بن إبراهيم الأنصاري، عن طلحة بن خراش عن جابر. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا يعرف إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وهو صدوق يخطئ كما في «التقريب» رقم (٦٩٤٢)، فمثله يكون حديثه حسناً. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٨٠٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٩٣). والبخاري في «شرح السنة» رقم (١٢٦٩) وابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم (١٠٢) والخرائطي في «فضيلة الشكر» رقم (٧) والحاكم (٤٩٨/١) من طرق عن موسى بن إبراهيم الأنصاري به. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٣) في «السنن» (١٢٥٠/٢) رقم (٣٨٠٥). وقال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (١٩٢/٣) =

وللقرطبي^(١) عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجلٍ ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك».

قال القرطبي^(٢) وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمةً عليه من نعم الدنيا. لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى. قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال علي^(٣) رضي الله عنه: الحمد لله كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن يقال.

وقال ابن عباس^(٤) رضي الله عنه: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي.

وقال رضي الله عنه^(٥): الحمد لله كلمة كل شاكِر. وقال رضي الله عنه^(٦): الحمد لله هو الشكر لله، هو الاستخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك.

-
- = رقم ٣٨٠٥/١٣٣١: «هذا إسناد حسن، شبيب بن بشر مختلف فيه» اهـ.
 وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٣٨) عن شبيب هذا: «صدوق يخطئ».
 فالحديث حسن إن شاء الله. وقد حسن الألباني الحديث في صحيح ابن ماجه.
 (١) أورده الحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» (ص ٢٨٠) بدون سند كعادته.
 وقد عزاه القرطبي في تفسيره (١٣١/١) للحكيم الترمذي - وما ذكر المؤلف رحمه الله إنما هو سبق قلم والله أعلم - وحكم المحدث الألباني عليه بالوضع في «الضعيفة» رقم (٨٧٥).
 (٢) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١٣١/١).
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥/١) رقم (١٣) و(١١٧/١) رقم (٣٤٧). بسند ضعيف، لضعف الحجاج بن أرطاة.
 (٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/١) رقم (٨) بسند ضعيف جداً، لأن في سنده علي بن زيد بن جدعان متفق على ضعفه.
 وذكره السيوطي في «الدر» (١١/١) ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر. ولم أقف عليه عند ابن جرير.
 (٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٨/١) عن ابن عباس بدون سند.
 (٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤/١) رقم (٩) وابن جرير في تفسيره (١٣٥/١) رقم (١٥١). بسند فيه ضعف وانقطاع.
 أما الضعف فهو ضعف بشر بن عمار الخثعمي الكوفي.

وقال الضحاك^(١): الحمد لله رداء الرحمن، وقال كعب الأحبار^(٢): الحمد لله ثناء الله.

وفي معنى الحمد لله وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى. ولما كان من أكبر نعم الله علينا، وأجل منه الواصلة إلينا، هدايته إيانا إلى صراطه المستقيم، الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره، ناسب الثناء عليه بها فقلت (كما هدانا) أي على ما هدانا إرشاداً ودلالة بكتبه ورسله، وتوفيقاً وتسديداً بمشيئته وقدره (إلى سبيل الحق) وهو دين الإسلام والإيمان (واجتباناً) له. وبذلك قال تعالى ممتناً علينا وله الحمد والمنة: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلَّةً أَيْكُمْ إِذْ رَأَيْتُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

ولما كان الحمد الخبري أبلغ من الإنشائي لدلالته على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولاً ثم عطفته عليه الإنشائي جمعاً بينهما فقلت:

= أما الانقطاع فهو عدم سماع الضحاك من ابن عباس.
(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤/١) رقم (١١) وهو ضعيف.
وفي سنده بزيغ بن عبد الله اللحام ومولاه يحيى بن عبد الرحمن كلاهما متكلم فيهما.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤/١) رقم (١٠) وابن جرير في تفسيره (١٣٧/١) رقم (١٥٣).
قال أحمد شاكر: «هذا إسناد صحيح. وسواء صح أم ضعف. فلا قيمة له، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار. وما كان كلام كعب حجة قط، في التفسير وغيره» اهـ.
قلت: رد كلام كعب الأحبار بالكلية بدون بيان أو توضيح تسرع، مع العلم أن له شواهد من الأحاديث المرفوعة.
وخبر كعب هذا أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(أحمد سبحانه وأشكره ومن مساوي عملي أستغفره)

(أحمد) أي أنشئ له حمداً آخر متجدداً على توالي نعمه وتواتر فضله، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه (سبحانه) أي تنزيهاً له عما لا يليق بنعوت جلاله وصفاته كماله، وهذه العبارة تتضمن معنى قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه^(١): «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

(وأشكره) على ما أنعم وألهم امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

واختلف العلماء في معنى الحمد والشكر هل هما مترادفتان أو لا، فذهب إلى ترادفهما ابن جرير الطبري^(٢) صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما، وذهب جماعة من المتأخرين إلى التفرقة بينهما.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر.

فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبا: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَّثَ وَرَبَّنَّ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

(١) البخاري في رقم (٦٤٠٦) و(٦٦٨٢) و(٧٥٦٣) ومسلم رقم (٢٦٩٤).

(٢) في «جامع البيان» (١٣٨/١ - ١٣٩).

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا ولهذا قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. والحمد يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

وفي الحديث: «الحمد لله رأس الشكر»^(١)، فمن لم يحمّد الله لم يشكّره. وفي الصحيح^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها». والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(ومن مساوي) جمع مساءة. (عملي) مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف. (استغفره) السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوي ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

(وأستعيثه على نيل الرضا وأستمدّ لطفه فيما قضى) (وأستعيثه) أطلب منه العون (على نيل الرضا) أي على فعل الأعمال الصالحة التي بسببها يُنال رضاه أن يرزقنيها ويُنيّلني رضاه بفضله ورحمته.

(١) وهو حديث ضعيف.

- روي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن حديث عبد الله بن عباس. (*) فأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٢٤/١٠) وفي تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢٥/١) رقم (٣). وذكره الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (ص ١٩٦)، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦/٤) رقم (٤٣٩٥) والثعلبي في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي رقم (٣). والخطابي في غريب الحديث (٣٤٥/١ - ٣٤٦). والديلمي - كما في الفردوس رقم (٢٧٨٤). ورجاله ثقات لكنه منقطع بين قتادة وابن عمرو. انظر: الضعيفة (١٣٧٢). (*) وأما حديث ابن عباس فقد أخرجه البخاري في «شرح السنة» (٤٩/٥) وفي التفسير (١٣٩/٥) والطبراني في «الكبير» (١٩/١٢) وفي «الصغير» (١٠٣/١) وصححه الحاكم (٥٠٢/١). وقد ضعف الألباني الحديث في «الضعيفة» (٩٣/٢ - ٩٤). (٢) في صحيح مسلم (٢٠٩٥/٤) رقم (٢٧٣٤) من حديث أنس.

(وأستمد) أي أطلب منه الإمداد بأن يرزقني (لطفه) بي (فيما قضى) وقدر من المصائب، وأن يجعلني راضياً بذلك مؤمناً به مستيقناً أنه من عند الله وأن وقوعه خيرٌ عندي من كونه لم يقع، وأن يهدي قلبي كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ سَبِيلَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وكما قال ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء»^(١) الحديث. فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة.

القول في كلمة الشهادة

(وبعد إني باليقين أشهد شهادة الإخلاص أن لا يُعبدُ بالحق مألوة سوى الرحمن من جلُّ عن عيب وعن نقصان (وبعد) هو ظرف زمني يؤتى به للتنبيه على ما بعده وقضيه عما قبله، ويبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويُغني عن إعادة المضاف إليه.

(إني باليقين) القاطع الجازم بدون شك ولا تردد (أشهد شهادة) مصدر مؤكد (الإخلاص) مضاف إلى شهادة من إضافة الصفة إلى الموصوف (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مُسْتَكْرَبٌ والتقدير أنه، والخبر (لا يُعبد) بضم الياء وفتح الباء بالبناء للمفعول (بالحق) يتعلق بـيُعبد (مألوة) نائب الفاعل ليعبد ومعناه معبود (سوى) أداة استثناء بمعنى إلا (الرحمن) أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل، والتقيد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عُبدت، والمنفي هو استحقاق العبادة عن غير الله عز وجل لا وقوعها، وهذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولما لم يُمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمها بمعناها، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في تفسيرها.

(من جلُّ) في صفات كماله ونعوت جلاله (عن عيب وعن نقصان) وهما لفظان مترادفان. فكلُّ عيبٍ يسمى نقصاناً وكلُّ نقصانٍ يسمى عيباً، والله سبحانه

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٩/١٨ رقم ٨٢٥) وفي «الأوسط» (١٦٥/٦ رقم ٦٠٩١) وفي «الدعاء» رقم (١٤٢٣)، من حديث فضالة بن عبيد.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٧/١٠) وقال: ورجالهما ثقات.

وتعالى منزلة عن ذلك كله، بل له الجلال المطلق والكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

(وأن خير خلقه محمداً من جاءنا بالبينات والهدى)
(رسوله إلى جميع الخلق بالنور والهدى ودين الحق)
(و) أشهد (أن خير) أفضل (خلق) هاء الضمير يعود على الرحمن (محمداً) بدل من خير أو عطف بيان، ومعناه الكثير المحامد فهو أبلغ من محمود.

(من جاءنا بالبينات والهدى) من عند الله عز وجل، هذه الجملة صلة من، وهو محله النصب نعت لمحمد ﷺ والخبر (رسوله) الرسول بمعنى المرسل وهو من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، فإن أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط، فكل رسول نبي ولا عكس.

(إلى جميع الخلق) كافة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلَّذِي ٱلْأَنۢبِيَ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ ۖ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۚ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي الصحيح^(١) من حديث الخصائص: «وكان الرسول يُبعث في قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة».

وفيه أيضاً^(٢): «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

(بالنور) المبين وهو القرآن الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ

(١) البخاري رقم (٣٣٥) و(٤٣٨) و(٣١٢٢) ومسلم رقم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) أي في الصحيح.

أخرجه مسلم (١٣٤/١) رقم (١٥٣/٢٤٠).

مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ صِرَاطِ اللَّهِ ﴿الشورى: ٥٢ - ٥٣﴾.
الآية. وقال تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وِرَاسًا وَآخِرُ الْوَيْلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التغابن: ٨]، وغير ذلك من الآيات.

(والهدى) الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم، (ودين الحق) الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد غيره، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. وكل من القرآن والرسول والإسلام يسمى نوراً وهدى وصراطاً مستقيماً، وكل الثلاثة متلازمة، تقول: أرسل الله عز وجل رسوله وأنزل عليه كتابه بدين الإسلام، وتقول دين الإسلام هو الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وكل منها نور مبين، وهدى مستبين، وصراط مستقيم.

القول في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب

(صلى عليه ربنا ومجداً والال^(١) والصحب دوماً سرمداً)
(صلى عليه ربنا) قال أبو العالية^(٢): الصلاة من الله عز وجل ثنؤه على عبده في الملأ الأعلى، ذكره عنه البخاري.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣].
وفي الصحيح^(٣) من الحديث القدسي: «إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».
(ومجداً) بالفتح الإطلاقي، أي شرفه وزاده تشريفاً وتمجيداً (والال) أي آله ﷺ وهم أتباعه وأنصاره إلى يوم القيامة^(٤) كما قيل:

-
- (١) انظر ما كتبناه في تعليقنا على هذا البيت رقم (٥٧/١) رقم التعليقة (٣).
(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (٥٣٢/٨) رقم الباب (١٠). ووصله القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٥) بإسناد حسن كما قال الشيخ الألباني.
(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٥) و(٧٥٠٥) و(٧٥٣٧) ومسلم (٢٠٦٨/٤) رقم (٢٦٨٦) من حديث أبي هريرة.
(٤) واعلم أن للعلماء في حقيقة أهل البيت خمسة أقوال:

= (القول الأول):

إنهم الذين حرمت عليهم الصدقة، وبذلك فسرهم زيد بن أرقم الصحابي في صحيح مسلم رقم (٢٤٠٨).

(القول الثاني):

إن آله ﷺ أزواجه وذريته خاصة، حكاه ابن عبد البر عن قوم، واستدلوا بالحديث الذي أخرجه البخاري (٤٠٧/٦) رقم (٣٣٦٩) ومسلم (١٢٧/٤ - نووي).
عن أبي حميد الساعدي ؓ.

(القول الثالث):

إن آله صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم.

قال الأمير الصنعاني: وهو مذهب نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ).

(القول الرابع):

إن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين، والراغب، وغيرهما. ويستدل له بحديث: (آل محمد كل نقي).

قلت: وهو حديث موضوع. أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢٨٦/٤ - ٢٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٢/٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٦٦/١ - ٢٦٧ رقم ٤٢٩) كلهم من طريق نافع أبو هرmez.

قال البيهقي: «وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله (نافع السلمي أبو هرmez) بصري كذبه يحيى ابن معين. وضعفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ. وبالله التوفيق» اهـ.
وقال ابن الجوزي: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ونافع يغلب على حديثه الوهم، قال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه، وضعفه هو وأحمد بن حنبل، وقال يحيى بن مرة: كذاب. وقال الدارقطني: متروك» اهـ.

(القول الخامس):

إن آله ﷺ هم الذين جللهم بالكساء، ومن تناسل منهم من أولادهم إلى يوم القيامة. واستدلوا بالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٣/٤) رقم (٢٤٢٤/٦١).
عن عائشة ؓ، قالت: خرج النبي ﷺ غداة، وعليه مِرْجَلٌ، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» [الأحزاب: ٣٣].

- مرط: المرط كساء، جمعه مروط.

- مِرْجَل: هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل.

والخلاصة: إن أقوى الأقوال وأقربها بالاستدلال القول الأول والخامس، والله أعلم.

أَلِ النَّبِيِّ هُمُو أَتْبَاعُ مِلَّتِهِ عَلَى الشَّرِيعَةِ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
لَوْ لَمْ يَكُنْ آلُهُ إِلَّا قَرَابَتُهُ صَلَّى الْمَصْلِيُّ عَلَى الطَّافِي أَبِي لَهَبٍ
وَيَدْخُلُ الصَّحَابَةُ مِنْ بَابٍ أَوَّلَى، وَيَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ قَرَابَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ
وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَابٍ أَوَّلَى وَأَوَّلَى.

(والصاحب) جمعُ صحابي وهو من رأى أو لقيَ النبي ﷺ مؤمناً به ولو لحظةً
ومات على ذلك ولو تخللت ردةٌ في الأصح^(١)، وهم أفضلُ القروين في هذه الأمة^(٢)،
وسياتي في آخر المتن الكلامُ على فضل بعضهم على بعض إن شاء الله تعالى.

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٧/١ - ٨): «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أنَّ
الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. فيدخل فيمن لقيه من طالَّت
مجالسته له أو قصُرت، ومن روى عنه أو لم يزُرْ، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه
رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.
ويدخل في التعريف:

- كل مكلف من الجن والإنس.
- وكل من لقيه مؤمناً ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، ومات مسلماً سواء اجتمع به ﷺ مرة
أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد كالأشعث بن قيس، فإنه ارتد ثم عاد إلى الإسلام في
خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ومات مسلماً. فقد اتفق أهل الحديث على عده من الصحابة.
ويخرج من التعريف:

- من لقيه كافراً، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى.
- من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.
- من لقيه مؤمناً به، ثم ارتد ومات على ردة والعياذ بالله.
ثم قال: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن
حنبل ومن تبعهما، اه بتصرف.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٥٩/٥ رقم ٢٦٥٢) ومسلم
(١٩٦٢/٤ رقم ٢٥٣٣) والترمذي (٦٩٥/٥ رقم ٣٨٥٩) وقال: حديث حسن صحيح.
من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين
يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ تسبقُ شهادةَ أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».
وفي الباب عن أبي هريرة، وعائشة، وعمران بن حصين ﷺ.
(*) أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه مسلم (١٩٦٣/٤ رقم ٢٥٣٤).
(*) وأما حديث عائشة فقد أخرجه مسلم (١٩٦٥/٤ رقم ٢٥٣٦).
(*) وأما حديث عمران بن حصين فقد أخرجه البخاري رقم (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨،
٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥/٢١٤).

التعريف بموضوع الكتاب

(وبعد: هذا النظم في الأصول لمن أراد منهج الرسول)
(سألني إياه من لا بُد لي من امتثال سُؤله المُمتثل)
(وبعد) تقدم الكلام عليه قريباً، أي وبعد الشهادتين والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه (هذا النظم) الألف واللام للعهد الحضورى، موضوعه (في الأصول) والمُراد بها هنا أصول الدين من الإيمان بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيرِه وشِرِه، وأركان الإسلام الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل منها، والكلام على رسالة نبينا محمد ﷺ وما يتعلق بها، والكلام في مسألة الخلافة والاعتصام بالكتاب والسنة وما تحتوي عليه كل مسألة من ذلك، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانها مفصلاً (لمن أراد) من المؤمنين.
(منهج الرسول) سبيله ومسلكه وهو ما عليه أهل السنة والجماعة. (سألني الخ) البيت بين واضح.

(فقلت مع عجزى ومع إشفاقى معتمداً على القدير الباقي)
(فقلت) جوابُ سألني (مع عجزى) عدم قُدرتي على ذلك (ومع إشفاقى) خوفاً من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها، وذلك لِقَصْرِ باعِي وقلة اطلاعي، والذي قُوَى عزمي على ذلك هو كونى (معتمداً) أي متوكلاً (على القدير) الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض (الباقي) الذي كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه تُرجعون: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



مُقَدِّمَة

تُعَرِّفُ الْعَبْدَ بِمَا خَلَقَ لَهُ،
وَبَأَوَّلَ مَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
وَبِمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ الْمِيثَاقَ فِي ظَهْرِ أَبِيهِ آدَمَ،
وَبِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ

(اعلم بأن اللّٰه جل وعلا لم يترك الخلق سدى وهملًا)
 (بل خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يُفردوه)
 (اعلم) كلمة يؤتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطابُ بها في هذا الموضع لكل المكلفين.

(بأن الله جل) شأنه وتنزهه عن كل نقص (وعلا) بكل معاني العلو (لم يترك الخلق سدى و) لا (هملاً)، أي لا يأمرهم ولا ينهاهم في الدنيا ولا يعيشهم فيجازيهم في الآخرة، لأنه تعالى ما خلقهم إلا بالحق لا عبثاً ولا باطلاً، بل لحكمة بالغية يستحق عليها الحمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ أي الخلق ﴿بَطُلًا﴾ لا بل بالحق ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزّهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أي عن أن تخلق شيئاً باطلاً تباركت وتعاليت. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَئَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ [النحل: ٣ - ٤].

يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات بما حوت، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وإن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث، ثم نزّه تعالى نفسه عن شرك من عبده معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له ثم نبه تعالى على خلق جنس الإنسان من نطفة أي مهينة ضعيفة، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبداً لا ضدّاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ

يَعْنِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيَّةٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منا ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. أي لا تعودون في الدار الآخرة، لا، ليس الأمر كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ثم نبعثكم ليوم لا ريب فيه فنجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا يقوله تعالى لأهل النار توبيخاً وتقريعاً وتبكيئاً بعد ما رأوا الحقائق عين اليقين.

ثم قال تعالى منزهاً نفسه عما حسيبوه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، أي تقدس أن يخلق شيئاً عبثاً فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه ويؤخدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، وليس الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقب هذا الفاجر.

قال ابن كثير^(١) رحمه الله تعالى: وهذا الإرشاد يدل على العقول السليمة

(١) في تفسيره (٣٦/٤).

والفِطْرَ المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكرمه، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا المظلوم من هذا الظالم، وإذ لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨].

يقول تعالى منبهاً على التفكير في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراجه بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم: ٨]، يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله عز وجل الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، أي للحق وإظهار الحق لا على وجه العبث واللعب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في خلقها: ﴿لَايَةً﴾ أي لدلالة ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ على أنه تعالى المتفرد بالقدر والخلق والتدبير والإلهية.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٤٤] أي بالعدل ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] أي لا على وجه العبث واللعب ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وإلى مدة معينة مضروبة، يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات وهو الإشارة إلى فنائهما.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. قال السدي^(١):

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٢).

يعني لا يُبعث. وقال مجاهد^(١) والشافعي^(٢) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٣):
يعني لا يؤمر ولا يُنهى.

قال ابن كثير^(٤) رحمه الله تعالى: والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يُترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سُدى لا يُبعث، بل هو مأمورٌ منهى في الدنيا محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة.

(بل خلق) الله تعالى (الخلق ليعبدوه) عز وجل بما شرعه على السنة رسوله وأنزل به كتبه، (و) مع عبادتهم إياه لا يُشركون بعبادته أحداً كائناً مَنْ كان، بل (بالإلهية يُفردوه) دون ما سواه، فمن عبد الله تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات ومات على ذلك حبطَ جميعُ عمله وصار هباءً منثوراً حيث أشرك مع الله في عبادته مَنْ هو مثله مخلوقٌ لعبادة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال علي بن أبي طالب^(٥) رضي الله عنه: أي إلا لأمّهم أن يعبدون وأدعّوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليعبدون: إلا ليُقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً^(٦) وهذا اختيار ابن جرير^(٧).

وقال ابن جريج^(٨) ومجاهد^(٩): إلا ليعرفون. وقال الربيع بن أنس^(١٠): أي إلا للعبادة طوعاً أو كرهاً.

وقال السدي^(١١): من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٩/٢٠٠ - ٢٠١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٢).

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٩/٢٠١).

(٤) في تفسيره (٤/٤٨٢).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٧/٣٨٠).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/١٢) وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

(٧) في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/١٢).

(٨)(٩)(١٠)(١١) ذكرهم ابن كثير في تفسيره (٤/٢٥٥).

فهذا منهم عبادةٌ ولا ينفعهم مع الشرك. وقال الضحاك^(١): المراد بذلك المؤمنون اهـ. من تفسير ابن كثير.

وقال الكلبي^(٢) والضحاك^(٣) وسفيان^(٤): هذا خاصٌّ لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس^(٥): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ - من المؤمنين - ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال بعضهم: وما خلقتُ السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي.

وهذا معنى قول زيد بن أسلم^(٦) قال: هم على ما جُبلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقيل معناه إلا ليخضعوا إليّ ويتذلّلوا، ومعنى العبادة في اللغة التذلّل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضعٌ لقضاء الله ومتذلّل لمشيئته، ولا يملك أحدٌ لنفسه خروجاً عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضرر.

وقيل: إلا ليعبدون: إلا ليوحدون. فأما المؤمنُ فيوحّده في الشدة والرخاء، وأما الكافرُ فيوحّده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيّانه قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعْوًا لِلَّهِ تَخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [المنكبوت: ٦٥]. الآية اهـ. من تفسير البغوي^(٧) رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الأقوال في هذه الآية وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها، أرجحها الأول وهو قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿إِلَّا لَأَمْرَهُمْ وَأَدْعُوهُمْ لِعِبَادَتِي، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٥٥/٤).

(٢)(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٩٢/٥) ثم أضاف: «واختيار الفراء وابن قتيبة».

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣٨٠/٧).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٣٨٠/٧).

(٦) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/١١).

(٧) (٣٨٠/٧ - ٣٨١)

لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴿٥﴾ [البينة: ٥] الآية وغيرها من الآيات.

ويؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من جميع عبادِه وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمره وأتى بما أَرَادَه وشاءه منه فله رضاه والجنة، ومن خالف في ذلك فله سَخَطُه والنارُ.

ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم بدٌّ من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية الله تعالى من سبيل، ولا يخرج عن قضائِه تعالى وقدره شيء من المخلوقات مثقالَ ذرة، فإنه لا رادُّ لقضائِه، ولا مُعَقِّبٌ لحكمه، ولا مُضَادٌّ لأمره، ولا ناقضٌ لما أبرمه، ولا دافعٌ لما قدره، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. فقال ابن عباس^(١) وقتادة^(٢) والحسن^(٣): وأمر ربك.

وقال الربيع بن أنس^(٤) وأوجب ربك. وقال مجاهد^(٥): وأوصى ربك.

وقرأ أبي بن كعب^(٦) وابن مسعود^(٧) والضحاك بن مزاحم^(٨): ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لا يُعبد إلا إياه لم يشرك به أحدٌ من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعاً ليلوكم أيكم أحسن عملاً، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

وهذه المشيئة منه للعبادة من عباده شرعاً عامة لمؤمنهم وكافرهم، وأما مشيئته للعبادة الكونية القدرية فخاصة للمؤمنين، فلهذا اتفقت فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئة الشرعية لما سبق لهم في المشيئة القدرية الكونية.

وأما الكافر فلم يوافق المشيئة الشرعية لما سبق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة. فتبين بهذا أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحدٍ منها، ولا محيدٌ له عنها، سواء سبقت له بالشقاوة أو السعادة.

وأما المشيئة الشرعية فمن كان سَبَقَ له في القدرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٥٠/٦٢).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٥/٨٥).

[تعريف العبادة]

وأما معنى العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) رحمه الله تعالى: (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة).

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة - يعني الظاهرة -.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشيته، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمة، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك من العبادة لله - يعني الباطنة -، وجماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل).

المعنى

وسياتي إن شاء الله تعالى زيادة بحثها في بابها من المتن.

(أخرج فيما قد مضى من ظهر آدم ذريته كالذر) (وأخذ العهد عليهم أنه لا رب معبود بحق غيره)

(أخرج) أي الله تبارك وتعالى (فيما) أي الزمن الذي (قد مضى) وذلك بعد خلقه آدم عليه الصلاة والسلام (من ظهر آدم) أبي البشر عليه السلام (ذريته) كل من يوجد منهم إلى يوم القيامة (كالذر) أي كهيئته، (وأخذ) عز وجل (العهد عليهم) وتفسير العهد (أنه) الضمير للشأن أو الحال، هو ربهم (لا رب معبود) مستحق للعبادة، ولذا قيد (بحق غيره) وإلا فكيف قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حق بل بالظلم العظيم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا

(١) في «مجموع الفتاوى» (١٤٩/١٠ - ١٥٠).

بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفندياً به؟ قال فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهونَ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي» أخرجاه في الصحيحين^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم حرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنترها بين يديه ثم كلمهم قبلاً، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ - إلى قوله - ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يُخرجاه^(٢)، وقد روي من طرق كثيرة موقوفاً.

(١) البخاري (٣٦٣/٦) رقم (٣٣٣٤) ومسلم (٢١٦١/٤) رقم (٢٨٠٥).

(٢) أحمد في «المسند» (١٧٢/١)، والنسائي في «التفسير» (٢١١)، والحاكم في «المستدرک» (٥٤٤/٢).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٩/١) رقم (٢٠٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢٢/١٣) رقم (١٥٣٣٨)، وابن منده في الرد على الجهمية رقم (٢٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٦ - ٣٢٧) كلهم من طريق الحسين بن محمد المروزي، ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. قلت: كلثوم بن جبر من رجال مسلم. وأما ابن كثير فتعقبه في «التفسير» (٢٧٢/٢) بقوله: «هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس فوقفه.

وكذا رواه إسماعيل بن عُليّة ووکیع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس.

وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس. فهذا أكثر وأثبت والله أعلم. وقال الألباني في «الصحيحة» (١٥٩/٤): «قلت: هو كما قال رحمه الله تعالى، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعاً، وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع، لسببين:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآية.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون». فقال رجل: يا رسول الله فقيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان في

= الأول: أنه في تفسير القرآن، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه «المستدرک» أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكر ذلك فيه (١/ ٥٥).

الآخر: أن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما. ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو الدرداء، وأبو موسى، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيداً من مقال، فإن بعضها يقوي بعضاً. بل قال الشيخ صالح المقبلي في «الأبحاث المسددة» (ص ١٠٢): «ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك».

ولا سيما وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم بالقبول؛ السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم، منهم: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وسلمان الفارسي، ومحمد بن كعب، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وقتادة، وفاطمة بنت الحسين، وأبو جعفر الباقر، وغيرهم.

وقد أخرج هذه الآثار الموقوفة، وتلك الأحاديث المرفوعة الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» (١٤١/٣ - ١٤٥)، وأخرج بعضها الشوكاني في «فتح القدير» (٢٥١/٢ - ٢٥٢) ومن قبله الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٢/٢ - ٢٧٥) اهـ. وخلاصة القول أن حديث ابن عباس صحيح، والله أعلم.

صحيحه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة.

فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها لابنك داود؟ قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم،

(١) رواه أحمد (٤٤/١ - ٤٥) وأبو داود (٤٧٠٣) والنسائي في «التفسير» رقم (٢١٠).
والترمذي (٢٢٦/٥) رقم (٣٠٧٥) وقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر.

وابن حاتم كما في «الدر المنثور» (١٤٢/٣). وابن جرير رقم (١٥٣٥٧).
وابن حبان (١٨٠٤ - موارد).

قلت: وأخرجه مالك (٨٩٨/٢ - ٨٩٩) والآجري في «الشریعة» (ص ١٧٠) واللالكائي رقم (٩٩٠) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٧٧) وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص ٥٦) رقم (٢٨/٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٣٢٤ - ٣٢٥، ٥٤٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٦، ٢٠١) والبخاري في تاريخه (٩٦/٢ - ٩٧) من طرق عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي عن مسلم بن يسار الجهني - به.

قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» (٣/٦): «هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد، لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة، وهو أيضاً مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة، ومسلم بن يسار هذا مجهول».

ثم قال: (٦/٥ - ٦): «وزيادة من زاد في هذا الحديث: «نعيم بن ربيعة» ليست حجة، لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن. وجملة القول في هذا الحديث، أنه حديث ليس إسناده بالقائم، لأن مسلم بن يسار، ونعيم بن ربيعة جميعاً، غير معروفين بحمل العلم، ولكن معنى هذا الحديث، قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها» اهـ.

والخلاصة فحديث عمر صحيح لغيره، والله أعلم.

فَنَسِيتُ ذَرِيَّتَهُ». رواه الترمذي^(١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه الحاكم^(٢) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره^(٣) نحو ما تقدم إلى أن قال: «ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب لم فعلت هذا بذريتي؟ قال: كي تشكر نعمتي. وقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً؟ قال: هؤلاء هم الأنبياء يا آدم من ذريتك». ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم.

وعن هشام بن حكيم^(٤) رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله،

(١) في «السنن» (٤٥٣/٥ - ٤٥٤) رقم (٣٣٦٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قلت: وأخرجه الحاكم (٦٤/١) و(٢٦٣/٤) وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٤ - ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنن» رقم (٢٠٦) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧ - ٢٨) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) في «المستدرک» (٣٢٥/٢) من حديث أبي هريرة وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وهو كما قال.

والخلاصة فحديث أبي هريرة صحيح لغيره.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢٧٤/٢) من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة. قلت: سنده ضعيف.

فعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي: ضعيف قاله ابن حجر في «التقريب» رقم (٣٨٦٥).

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤١/١٠١٥) وذكره ابن منده في «التوحيد» (١/ ٢١١) رقم (٧٩) تعليقاً قال: روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه... وساقه مختصراً. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٢) مطولاً. وعزاه لابن أبي حاتم، وابن منده، وأبي الشيخ في «العظمة» وابن عساكر.

والخلاصة إن سند الحديث ضعيف لكنه صحيح من طرق أخرى، والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦٩/٢٢) رقم (٤٣٥) وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٩١) رقم (١٨٥٤) والبزار (٣/ ٢٠) رقم ٢١٤٠ - كشف الاستار) وابن جرير الطبري في «جامع البيان» رقم (١٥٣٧٩).

قال البزار: لا نعلم روى هشام إلا هذا الحديث وآخر.

أَتَبْدَأُ الْأَعْمَالَ أَمْ قَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ ذُرِيَةَ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِيهِ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ؛ فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ». رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ^(١) وَابْنُ مَرْذُويه^(٢) مِنْ طَرَقٍ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَقَضَى الْقُضْيَاءَ أَخَذَ أَهْلَ الْيَمِينِ بِيَمِينِهِ وَأَهْلَ الشَّامِلِ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: يَا أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فَقَالُوا: لَبِيكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: يَا أَصْحَابَ الشَّامِلِ، قَالُوا: لَبِيكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى.

ثُمَّ خَلَطَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَبِّ لَمْ خَلَطْتَ بَيْنَهُمْ، قَالَ: لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ أَنْ يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ». رَوَاهُ ابْنُ مَرْذُويه^(٣)، وَفِيهِ جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ ضَعِيفٌ^(٤).

= مِنْ طَرِيقِ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هِشَامٍ، بِهِ. وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٦٨/٢٢) رَقْمَ (٤٣٤) وَفِي «مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ» (٩١/٣) رَقْمَ (١٨٥٥) وَابْنُ جُرَيْرٍ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» رَقْمَ (١٥٣٨٠) وَالْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (ص ١٧٢) وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (ص ٣٢٦).

مِنْ طَرِيقِ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ هِشَامٍ، بِهِ. وَأَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (١٨٦/٧) وَقَالَ: «رَوَاهُ الْبَزَارُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَفِيهِ بَقِيَّةُ ابْنِ الْوَلِيدِ وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَيَحْسَنُ حَدِيثَهُ بَكَّةُ الشَّوَاهِدِ، وَإِسْنَادُ الطَّبْرَانِيِّ حَسَنٌ». قُلْتُ: وَقَدْ فَصَّلَ الْمَرْحُومُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى تَفْسِيرِ ابْنِ جُرَيْرٍ (٢٤٤/١٣ - ٢٤٩) عَلَى أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ فَرَاجَعَهُ.

وَلِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ.

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْحَدِيثَ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) تَقْدِمُ تَخْرِيجِهِ فِي التَّعْلِيقَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

(٢) عَزَاهُ إِلَيْهِ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٧٤/٢).

(٣) عَزَاهُ إِلَيْهِ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٧٤/٢).

وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ الْمَنْثُورِ» (١٤٣/٣): وَعَزَاهُ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَالْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ فِي «نَوَادِرِ الْأَصُولِ»، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي «الْعِظْمَةِ»، وَابْنُ مَرْذُويه.

(٤) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٧٤/٢).

وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «التَّقْرِيبِ» رَقْمَ (٩٣٩): «مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، وَكَانَ صَالِحاً فِي نَفْسِهِ».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في آذني من الماء. رواه ابن جرير ^(١).

وله ^(٢) عنه رضي الله عنه قال: إن الله تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالرزق، ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ؛ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يُقر به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة.

وله ^(٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين». وصحح ابن كثير وقفه ^(٤).

(١) في «جامع البيان» (١٣/٢٢٩ رقم ١٥٣٥١).

قلت: وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٣١).

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٤١) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن

أبي حاتم، وابن منده في كتاب «الرد على الجهمية»، وأبو الشيخ.

(*) آذني الماء: الآذني: بالمد والتشديد، الموج الشديد، ويجمع أواذي.

[النهاية: (١/٣٤)].

(٢) في «جامع البيان» (١٣/٢٣٠ رقم ١٥٣٥٢). من رواية جوير وهو ضعيف جداً.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٤٣).

وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/٦٠٧).

(٣) في «جامع البيان» (١٣/٢٣٢ رقم ١٥٣٥٤). قال أحمد شاكر: رواه أبو جعفر من طرق

ثلاث، أولاهما مرفوعة، والأخريان موقوفتان على عبد الله بن عمرو. وهذا الخبر،

خرجه السيوطي مرفوعاً في «الدر المنثور» (١/١٤٢) وزاد نسبه لابن منده في كتاب

«الرد على الجهمية» (ص ٣٦ - ٦٤).

وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٣) وضعف رفعه، ويُن أن وقفه أصح.

وقال الطبري (١٣/٢٥٠): «... ولا أعلمه صحيحاً، لأن الثقات الذين يعتمد على

حفظهم وإتقانهم، حدثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، ولم

يرفعوه... اهـ.

(٤) في تفسيره (٢/٢٧٣) كما تقدم.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات، قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صُورهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا بلى. الآية.

قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلّموا أنه لا إله غيري ولا ربّ غيري ولا تُشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رُسلاً ليدذكروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كُتبي.

قالوا: نشهد أنك ربُّنا وإلهنا لا ربّ لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا ربّ لو سوّيت بين عبادك، قال: إني أحببت أن أشكر.

ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرج عليهم النور، وخُصُّوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧]. الآية. وهو الذي يقول: ﴿فَأَقْوَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية. ومن ذلك قال: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٦]. ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. الآية. رواه عبد الله بن أحمد في مُسند أبيه^(١) وابن أبي حاتم^(٢) وابن جرير^(٣) وابن مِرْدويه^(٤).

(١) (١٣٥/٥). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٥/٧) وقال: «رواه عبد الله بن أحمد، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، وهو مستور، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٢) (٤) عزاه إليهما ابن كثير في تفسيره (٢٧٤/٢).

(٣) في «جامع البيان» (٢٣٨/١٣) رقم ١٥٣٦٣ بإسناد صحيح.

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٢٣/٢ - ٣٢٤) والآجري في «الشریعة» (ص ٢٠٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص ٥٩ رقم ٣٠/٥) واللالكائي (٣/٦١٨ رقم ٩٩١) وابن بطة (١/٣١٤ رقم ١٣٣٧ - القدر).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا. والخلاصة أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وفي البخوي^(١) قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذرّ يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذرّ فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألسن بريككم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه.

فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وقال بعض أهل التفسير^(٢): إن أهل السعادة أقرؤا طوعاً وقالوا بلى، وأهل الشقاوة قالوا تقيّة وكُرْهاً. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَتَمُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاق، قال ابن عباس^(٣) عليه السلام: يبطن نَعْمَانْ وإِ إلى جنب عرفة.

وروي عنه^(٤) أيضاً أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم

(١) في «معالم التنزيل» (٢٩٨/٣).

(٢) في «معالم التنزيل» (٢٩٨/٣).

(٣) أخرجه النسائي في «التفسير» رقم (٢١١) بإسناد حسن.

قلت: وأخرجه أحمد (٢٧٢/١)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٢) والطبري رقم (١٥٣٤٠) والحاكم في «المستدرک» (٢٧/١) و(٥٤٤/٢) وصححه وأقره الذهبي.

كلهم من طريق جرير بن حازم عن كلثوم عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً. وأخرجه الطبري وغيره من طرق موقوفاً على ابن عباس - به، ولذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٢/٢): «وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوققه، وكذا رواه إسماعيل بن عليه ووكيع بن أبي ثابت وعلي بن بزيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت والله أعلم» اهـ.

وهو كما قال إلا أن المرفوع صحيح أيضاً لشواهده.

وانظر «الصحيحة» للمحدث الألباني رقم (١٦٢٣).

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢٢٤/١٣) رقم (١٥٣٤٢) وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر.

عليه السلام عليه، وقال الكلبي^(١): بين مكة والطائف، وقال السدي^(٢): أخرج آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته.

وروي^(٣) أن الله تعالى أخرجهم جميعاً وصورهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسناً ينطقون بها ثم كلمهم قُبلاً يعني عياناً وقال: ألسْتُ بربكم؟.

وقال الزجاج^(٤): وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذرّ فهماً تعقل به، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ يَكْتُمُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

قال البغوي^(٥): فإن قيل فإن معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي أشهد بعضهم على بعض.

قوله: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا﴾، قرأ أبو عمرو^(٦): أن يقولوا، أو يقولوا، بالياء

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٢٩٩/٣).

(٢) في كتابه: «معاني القرآن وإعرابه» (٣٩٠/٢).

(٣) في «معالم التنزيل» (٢٩٩/٣).

قال الحافظ ابن عبد البر في «المتهيد» (١٢/١٦)، بعد أن ساق روايات أخذ الذرية والإشهاد: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب وأكثر المتكلمون فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها. وبالله العصمة والتوفيق».

وانظر ما قاله الألباني في «الصحيحة» (١٥٨/٤ - ١٦٣) و«درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٨) وما بعدها. وتفسير القرطبي (٣١٣/٧) وما بعدها.

(٤) هو زبّان بن العلاء بن عمار بن المازني، التميمي، البصري وقيل: اسمه (يحيى) كان إمام البصرة ومقرها.

قال الإمام ابن الجزري:

(كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والأمانة والدين).

انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (١٠٠/١)، النشر (١٣٤/١)، غاية النهاية (٢٨٨/١).

(٢٨٩)، الأعلام (٤١/٣).

فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما^(١). واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾، قال السُّدي^(٢): هو خبرٌ من الله عز وجل عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم.

وقال بعضهم^(٣): هو خبرٌ عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا: بلى شهدنا.

وقال الكلبي^(٤): ذلك من قول الملائكة، وفيه حذفٌ تقديره: لما قالت الذرية بلى، قال الله عز وجل للملائكة: اشهدوا.

قوله: ﴿أَنْتَ تَقُولُ﴾. يعني وأشهدهم على أنفسهم أن تقولوا، أي لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا.

ومن قرأ بالتاء فتقديرُ الكلام أخطبُكم ألسْتُ بربكم لئلا تقولوا يومَ القيامةِ إنا كنا عن هذا غافلين، أي عن هذا الميثاقِ والإقرار؛ فإن قيل: كيف تلزم الحجةَ واحداً لا يذكر الميثاقَ؟ قيل: قد أوضح الله تعالى الدلائلَ على وحدانيةِ وصديهِ رسليهِ فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة، وبنيانهم وعدمِ حفظهم لا يسقط الاحتجاجُ بعد إخبارِ المُخبرِ صاحبِ المعجزة.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]. يقول: إنما أخذ الميثاقَ عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد، وكنا ذريةً من بعدهم أي كنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أَفَنُكَلِّمُكُمَا فَعَلَّ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أفُتَعَذِّبُنَا بجنابةِ آبائنا المُبْطِلين؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكيرِ الله تعالى بأخذِ الميثاقِ على التوحيد.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَاتِ﴾ [الأعراف: ١٧٤]. أي نبين الآيات ليتدبرها العباد: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤] من الكفر إلى التوحيد اه. البغوي^(٥).

(١) انظر «الموضح في وجوه القراءات وعللها» لابن أبي مريم (٢/ ٥٦٤ - ٥٦٥).

(٢) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٤٩ - شاكراً).

(٣) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٥٠ - شاكراً).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٠٠).

(٥) في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٠).

وقال ابنُ كثير^(١) رحمه الله تعالى: وذهب طائفةٌ من السلف والخلف أن المراد بهذا الإِشهاد إنما هو فطرُهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة».

وفي رواية: «على هذه الملة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تُحسن فيها من جدعاء». أخرجاه^(٢).

وفي صحيح مسلم^(٣) عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني خلقتُ عبادي حنفاءً فجاءتهم الشياطينُ فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم».

وعن الأسود بن سريغ من بني سعد^(٤) قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ أربع غزواتٍ، قال: فتناول القومُ الذريةَ بعدما قتلوا المقاتلةَ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: «ما بال أقوامٍ يتناولون الذريةَ؟» فقال رجل: يا رسول الله

(١) في تفسيره (٢/٢٧٥).

(٢) البخاري (٣/٢١٩ رقم ١٣٥٩) و(٣/٢٤٦ رقم ١٣٨٥).

ومسلم (٤/٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨).

أما رواية: «ما من مولود يولد إلا هو على الفطرة» عند مسلم دون البخاري.

(٣) (٤/٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).

قلت: وأخرجه أحمد (٤/١٢٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣/٤٣٥) و(٤/٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٧٧) وأبو يعلى في «المسند» (٢/٢٤٠ رقم ٩٤٢/١) والطبراني في «الكبير» (١/٢٨٣ - ٢٨٤ رقم ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩) والحاكم (٢/١٢٣) مختصراً.

قال البيهقي: وكذلك رواه هشيم عن يونس بن عبيد وذكر فيه سماع الحسن من الأسود بن سريغ.

قلت: وهو قول الجمهور.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١/٣٩٠): «وقال ابن المديني: لم يسمع من الأسود بن سريغ، لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي. وكذا قال ابن منده» اهـ.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٣١٦): «رواه أحمد بأسانيد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كذلك، وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح».

قلت: ويشهد لهذا الحديث حديث أبي هريرة المتقدم فهو به صحيح، والله أعلم.

أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «إن خياركم أبناء المشركين، ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها ويُنصرانها».

قال الحسن^(١): ولقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قالوا ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ولم يقل من آدم: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلُقًا مَخْتَلَفًا﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلُقًا أَلَدًّا﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي وجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً، قال: والشهادة تكون بالقول كقوله تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]. الآية. وتارة تكون حالاً كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفَرِ﴾ [التوبة: ١٧]، أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشِيرَةً﴾ [العاديات: ٧].

كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل واحد يذكره ليكون حجة عليه.

فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كافٍ في وجوده؛ فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فُطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْتَ تَقُولُوا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي لثلاثاً تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي عن التوحيد: ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ١٧٣]. الآية. اهـ.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٥).

قلت: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة؛ فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة:

الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات. وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. الآية.

وهو الثابت في حديث أبي هريرة، وعياض بن حماد، والأسود بن سريع^(١)، وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديداً للميثاق الأول وتذكيراً به: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

فمن أدرك هذا الميثاق وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف؛ لأنه جاء موافقاً لما في فطرته وما جبله الله عليه، فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلثم ولا يتردد.

ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول، بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهوده أبواه أو نصره أو مَجَساه، فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذباً بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بَلَىٰ﴾ جواباً لقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وقامت عليه حجة الله وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذاب: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

(١) تقدم قريباً وهو حديث صحيح.

ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيراً قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة، فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملاً لو أدركه، كما في الصحيحين^(١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ: «الله تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين».

وفيه^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

(وبعد هذا رُسِّلَه قد أرسلا	لهم وبالحق الكتاب أنزلا)
(لكي بذأ العهد يُذكروهم	ويُنذروهم ويبشروهم)
(كي لا يكون حجة للناس بل	له أعلى حجة عز وجل)
(فمن يُصدِّقهم بلا شقاق	فقد وفى بذلك الميثاق)
(وذاك نأج من عذاب النار	وذلك الوارث عُقبى الدار)
(ومن بهم وبالكتاب كذبا	ولا زَمَ الإعراض عنه والإيا)
(فذاك ناقض كلاً العهدين	مستوجب للخزي في الدارين)

(وبعد هذا) أي الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به (رُسِّلَه) بإسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم (قد أرسلا) بألف الإطلاق (لهم) أي إليهم (وبالحق) متعلق بأنزل أي بدين الحق (الكتاب) جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل (أنزلا) بألف الإطلاق.

والأمر الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتب هو (لكي بذأ العهد) الميثاق الأول (يذكروهم) تجديداً له وإقامة لحجة الله البالغة عليهم (وينذروهم) عقاب الله إن عصوه ونقضوا عهده و (يبشروهم) بمغفرته ورضوانه إن هم وفوا بعهده ولم ينقضوا ميثاقه وأطاعوه وصدقوا رسله.

(١) البخاري (٢٤٥/٣) رقم (١٣٨٣) و(٤٩٣/١١) رقم (٦٥٩٧)، ومسلم (٢٠٤٩/٤) رقم (٢٦٦٠).

(٢) البخاري (٢٤٥/٣) رقم (١٣٨٤) و(٤٩٣/١١) رقم (٦٥٩٨).
ومسلم (٢٠٤٩/٤) رقم (٢٦٥٩).

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالى له ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْنِ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ [الأحزاب].
لآيات. وقال تعالى له: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

وغير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا اداعياً إلى عبادة الله عز وجل لا شريك له والكفر بما سواه من الأنداد، ومبشراً لمن صدقه وأطاعه بالجنة ونذيراً لمن كذبه وعصاه بالنار.

وتقديرُ البحثِ في الرسالة واتفاقِ الرسلِ في دعوتهم يأتي في بابهِ إن شاء الله عز وجل.

(فمن يصدقهم) يعني الرسل (بلا شقاق) تكذيب ولا مخالفة؛ (فقد وفى) لربه عز وجل (بذلك الميثاق) العهد الأول، وهؤلاء هم القليل من الثقلين ولكن هم جند الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وجزية المفلحون الفائزون في الآخرة. وجواب الشرط (فذاك ناج من عذاب النار) إذ لم يرتكب أسباب دخولها من معصية الله وتكذيب رسوله كما ارتكب ذلك من خلق لها. (وذلك الوارث عقبى الدار) وهي الجنة لفعله أسبابها التي أمره الله عز وجل بها من الوفاء بعهد الله وميثاقه وتصديق رسوله وكتبه والعمل بجميع طاعته تبارك وتعالى.

(ومن بهم) أي بالرسول (وبالكتاب) أي الكتب التي أنزل الله عليهم ليبلغوها إلى عباده ويبينوها ليعملوا بما فيها (كذباً)، (ولازم الإعراض عنه) عما أرسل الله به رسله (والإبأ) أي الامتناع، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَبٍ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]. والآيات. وقال تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. الآيات وغيرها.

وهؤلاء أكثر الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خَافُوا أَنْ يُسَيِّدُوا عَلَيْكُمْ سَبِيلَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وغير ذلك من الآيات.

وجواب الشرط (فذاك) أي المكذب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله، الأبى منه المعرض عنه المصبر على ذلك حتى مات عليه هو (ناقض كلا العهدين) الميثاق الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول وإقامة الحجة.

(مستوجب) بفعله ذلك (للعزى في الدارين) أي في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [الفصل: ٤٢].

وقد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد والناقضين له وما لكل منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ١٨]، أي فيما دعاهم إليه على السنة رسوله وهم الفريق الأول ﴿الْحَسَنُ﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ

يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴿وَهُمَ الْفَرِيقَ الثَّانِي﴾ ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلَّذِينَ﴾ [الرعد: ١٨].

وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين^(١) من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكننت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي». وقد تقدم ذكره قريباً.

﴿أَفَنَنْبَعُ أَتَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩]، يعني الفريق الأول: ﴿كَذَّبُوا أَمْرَهُ﴾ [الرعد: ١٩]. يعني الفريق الثاني، لا والله ليسوا سواء ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ وَلَا يَتَّقُونَ النَّاسَ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٠]. يتناول كل العهود والمواثيق التي أمر الله عز وجل بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق، وتناولها للميثاق المذكور من باب أولى.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]. من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسوله وعدم التفريق بين أحد منهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الرعد: ٢١ - ٢٢] على قدر الله وعلى ملازمة طاعته وعن معصيته ﴿أَتَيْنَاهُ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]. فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [الرعد].

ثم ذكر الفريق الثاني بصفاتهم السيئة وبين جزاءهم عليها والعياذ بالله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥) [الرعد].

فسبحان الله وبحمده، ما أبلغ حكمته وأعدل حكمه، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



(١) تقدم تخريجه.

[ال] فصلُ [الأول]

في انقسام التَّوْحِيدِ إلى نوعين
وَبَيَانِ النَّوعِ الْأَوَّلِ، وهو تَوْحِيدُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِثْبَاتِ

(أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد)
 (إذ هو من كل الأوامر أعظم وهو نوعان إما من يفهم)
 (إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنی صفاته العلی)

(أول واجب) فرضه الله عز وجل (على العبيد) هو (معرفة الرحمن) أي معرفتهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فطهم شاهدين مُقَرَّنين به، ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم.

(إذ) حرفٌ تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمعُ أمرٍ، وهو خطابُ الله عز وجل المتعلقُ بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (أعظم) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به، ولا يخرج منه إلا بضده، ولم يُزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به، ولا يخلد في النار ويُحرَم الجنة إلا بضده، ولم تدعُ الرسلُ إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده.

(وهو) أي التوحيد (نوعان):

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبی القُصدي الإرادي، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته، والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه بالرضا به رباً وإلهاً وولياً، وأن لا يجعلَ له عدلاً في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية.

والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين؛ لأنه إما خبرٌ عن الله عز وجل وما يجب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الطلبي الإرادي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيد.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في العقبي من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم توحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

اقرأ في الجمع بين التوحيدين: ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ إِلَّا تَذِكْرًا لِمَن يَخْشَى ۚ ﴿٢﴾ تَزِيلًا مِّنْ حَلْقِ الْأَرْضِ ۖ وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى ۚ ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۚ ﴿٤﴾ لَّمْ يَمَأْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۚ ﴿٥﴾ وَإِن يُجَهَرُوا بِالتَّلْوِ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْبُتْرَ وَآخَى ۚ ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۚ ﴿٧﴾ [طه].
وآية الكرسي، وقل هو الله أحد، وغيرها من القرآن.

واقرأ في الأمر والنهي: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

واقرأ في إخزاء أهل الشرك في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَطَنُوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَتَيْنَاهُم فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْتُولِينَ ﴿١٩﴾ [القصص].

[الكلام على التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي]

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وهو (إثبات) بالرفع بدل بعض من قولنا «نوعان» أي الأول منهما

(إثبات ذات الرب جل وعلا) فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها. ومحال أن توجد بدون موجد، ومحال أن توجد أنفسها.

قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٢٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢٦﴾ [الطور].

قال ابن عباس^(١) رضي الله عنه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٣٥]، أي من غير رب، ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق.

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] لأنفسهم وذلك في البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٦]. وهذا في البطلان أشد وأشد، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون موجداً لغيره، وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له. ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، أي ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٢٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٢٧﴾ [الطور]. كاد قلبي أن يطير. أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وكثيراً ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٩٢/٧).

(٢) البخاري (٢٤٧/٢) رقم ٧٦٥ وأطرافه رقم (٣٠٥٠) و(٤٠٢٣) و(٤٨٥٤) ومسلم (١/

٣٣٨ رقم ٤٦٣).

من المخلوقات العلوية والسُفلية، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَفَكِّينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمِهَاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جُبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكَم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو مُحْتَاج إليه فيه، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنفُسُكُمْ أَفْلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

قال قتادة^(١): من تفكر في خلق نفسه عَلم أنه إنما لُيِّنَت مفاصله للعبادة، وكذا ما في ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً إلى أن نُفَخ فيه الروح.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٢٧) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ﴾ (٢٨) ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٩) [الذاريات].

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رقيقاً ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقاتدة والثوري وغير واحد^(٢). ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس^(٣) ﷺ: لقادرون.

وعنه^(٣) أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا.

وقيل^(٣): ذُوو سَعَةٍ. وقال ابن كثير^(٤): أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عَمَدٍ حتى استقلت كما هي.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ﴾ الباسطون نحن. قال ابن عباس^(٥): نِعَمَ ما وطأت لعبادي. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٥١/٤).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/٧٢٧).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٧٩/٧).

(٤) في تفسيره (٢٥٤/٤).

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٧٩/٧).

[الذاريات: ٤٩]: صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والخلو والمُر، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والجامد والنامي، والمتحرك والساكن، والحر والبرد وغير ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. أي لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك

له. اه ابن كثير^(١) والبيغوي^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْضَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال أبو الضحى^(٣): لما نزلت: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال المشركون: إن كان هكذا فليأتنا بآية، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثواب ودوران فلكها، وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهابها وعمرائها وما فيها من المنافع.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤] هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر، ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَلْبِغِي لَهَا أَنْ تَذُرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. وتارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي

(١) في تفسيره (٢٥٤/٤).

(٢) في تفسيره (٣٧٩/٧).

(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٠٨/١) من رواية وكيع بن الجراح، عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى به.

وأبو الضحى، هو: مسلم بن صبيح الهمداني. ثقة فاضل من الرابعة. كما في «التقريب» رقم (٦٦٣٢).

فالحديث معضل. وسنده إليه صحيح.

الْتَهْكَارِ وَيُؤْلِجُ الْتَهْكَارَ فِي الْبَلِّ ﴿[الحج: ٦١، الحديد: ٦، فاطر: ١٣]. أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا: ﴿وَالْفُلُوكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] كما قال تعالى: ﴿وَمَا آيَةُ لَهُمْ إِلَّا الْأَرْضُ الَّتِي بَنَيْنَا مِنْهَا حَبًا فَبَعَثْنَا فِيهَا نَارًا فَكُلُوا﴾ [البقرة: ١٦٤] ﴿وَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٦]، ﴿وَبَيْنَ يَمِينِهِ مِائَةُ أَلْفٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]. على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] فتارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح، وتارة تأتي مبشرات بين يدي السحاب، وتارة تسوقها، وتارة تجمعها، وتارة تفرقه، وتارة تُصْرِفُه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صَبًا وهي الشرقية، وتارة دَبُورًا وهي غربية. وغير ذلك والله أعلم.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى: ﴿لَا يَسْتَفْقِهُمُ الْغُيُوبُ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي في هذه الأشياء دلالات بيّنة على وحدانية الله تعالى ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] ^(١). فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً غنياً بذاته وكل ما سواه فقير إليه، قائم بذاته وكل ما سواه لا يقوم إلا به، قدير لذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره، متصف بجميع صفات الكمال، وكل ما سواه فلازمه النقص، وليس الكمال المطلق إلا له وهو الله تبارك وتعالى.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (١٥) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ

(١) تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة مأخوذ من تفسير ابن كثير (١/٢٠٧ - ٢٠٨).

وَالْأَرْضِ وَانْخَلَفَ السَّيِّئُكُمْ وَالزَّيْغُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ مَا مَأْكُرُ
بِالْبَلِّ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنَ
آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَقْعًا مَّوْبِقًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ
إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتَرْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٣﴾ [الروم].

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ [الروم: ٢٠]. الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه
خلق آدم من تراب ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتَرْتُمْ بَشَرٌ مِّنْكُمْ﴾ [الروم: ٢٠]. فأصلكم من تراب
ثم من ماء مهين، ثم تصوّر فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظاماً شكله شكل
إنسان، ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحماً ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع
بصير.

ثم أخرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره
تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون
ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويكتسب
ويجمع الأموال، وله فكرة وعور وذهاء ومكر ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا
والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون
المعاش والمكاسب، وفاتت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى
والفقر والسعادة والشقاوة.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ
قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ
وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَغَيْرُ ذَلِكَ». رواه
أحمد^(١) وأبو داود والترمذي، وقال حسن صحيح.

(١) أخرجه أحمد (٤٠٠/٤) وأبو داود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥).

وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٩) وابن بطّة في «الإبانة» (١/٣١٠) رقم
١٣٣٠ - القدر.

والخلاصة فهو حديث صحيح.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، أي خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. يعني بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما جاناً أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل الأزواج من جنسهم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾ [الروم: ٢١] وهي المحبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهي الرأفة، فإن الرجل يُمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. في عظمة الله وقدرته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الروم: ٢٢]. الدالة على قدرته العظيمة ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الروم: ٢٢]، أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وبقار وحيوان وأشجار.

﴿وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تنز لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء فرس، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل من اختلاف لغات بني آدم.

﴿وَالْوَنُكْرُ﴾ [الروم: ٢٢]. أي واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة، وغير ذلك من اختلاف الصفات والجلى، فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل.

كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في

صفة من جمالٍ أو قبح لا بد من فارق بين كل واحدٍ منهم وبين الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٢٣] أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصيل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣] سماع تدبر واعتبار.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ [الروم: ٢٤] الدالة على عظمته أنه: ﴿يُرِيكُمْ أَلْبَاقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤] أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزرعة وصواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُرِزُّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٢٤] أي بعد أن كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٤-٢٥] كقوله تعالى: ﴿وَنَسِيتُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَا إِذِ انمَسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [فاطر: ٤١].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال: والذي قامت السموات والأرض بأمره، أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها. ثم إذا كان يوم القيامة بذلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُم تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] أي من الأرض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا إِلَّا لَّيْلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرًا وَجِدَةً﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ ﴿٢٧﴾ [النازعات]. وقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿فَإِذَا هُم بِجَمْعٍ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣] ^(١).

(١) بلفظه من تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تُحصى وأجل من أن تُستقصى، وفيما ذكرنا كفاية وغنى يُغني عن خُزط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها.

والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يُحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات، فذاث المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يك من قبل شيئاً.

فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم، وشأن الله تعالى أكبر من ذلك، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَّظُلُومًا﴾ [النمل: ١٤]، فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى؟ ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ① قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٩ - ١٠]. وهذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده تعالى شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلهم تُرشدكم إلى طريق معرفته فقالوا: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلا بد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقيمة بالخالق ولكن تعبد غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقرّبهم، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين: لا، أي لا شك فيه.

ذكرُ مناظرةٍ أخرى بين رُسلِ الله وأعدائه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُنْعِمُ وَيُمْيْتُ قَالَ أَنَا أُخِي- وَأُيْمِتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال المفسرون^(١) وغيرهم من علماء النسب والأخبار: هذا المُحاج هو ملكُ بابل واسمُه نمرودُ بنُ كنعانَ، ذكروا أنه استمر في ملكه أربعمئة سنة، وكان قد طغى وبغى وتجبَّر وعتا وآثر الحياة الدنيا.

ولما دعاه الخليلُ إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حملهُ الجهلُ والضلالُ وطولُ الآمالِ على إنكار الخالقِ جل وعلا عناداً ومُكابرةً، فحاجَّ إبراهيمَ الخليلَ في ذلك وأدعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليلُ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُنْعِمُ وَيُمْيْتُ قَالَ أَنَا أُخِي- وَأُيْمِتُ﴾.

قال قتادة^(٢) والسُّدي^(٣) ومحمدُ ابنُ إسحاق^(٤): يعني أنه إذا أتى بالرجلين، قد تحتم قتلُهما فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخر، وهذا ليس بمعارضةٍ للخليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلامٌ خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيبٌ محضٌ وهو انقطاعٌ في الحقيقة، فإن الخليلَ عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالقِ جل وعلا بحدوث هذه المشاهداتِ من إحياء الحيوانات وإماتتها على وجود فاعلٍ ذلك الذي لا بد من استنادها إليه في وجودها ضرورةً لعدم قيامها بأنفسها، ولا بد من فاعلٍ لهذه الحوادثِ المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إماتتها، ولهذا قال إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُنْعِمُ وَيُمْيْتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) كابن كثير في تفسيره (٣٢٠/١)، والبغوي في تفسيره (٣١٥/١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤٣٣/٥) رقم (٥٨٧٣).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣٢١/١).

فَقُولْ هَذَا الْجَاهِلُ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ إِنْ عَنِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِهَذِهِ الْمَشَاهِدَاتِ فَقَدْ كَابِرَ وَعَانَدَ، وَإِنْ عَنِ مَا ذَكَرَهُ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً يَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ الْخَلِيلِ إِذْ لَمْ يَمْنَعِ مُسْتَلْزِماً وَلَا عَارِضَ الدَّلِيلِ.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا المُحَاجِّ قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الخالق وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة: ﴿قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها، وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت أنك تُحيي وتُميت فأتِ بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يُحيي وتُميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يُغَالَبُ، بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا، بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها.

فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى: ﴿قَبُضَتِ السَّيِّئَاتُ عَلَى الْكُفَّارِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ذكر مناظرة أخرى من ذلك أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٣١ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ١٣٢ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ آلَا سَتَعْمُونَ﴾ ١٣٣ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ مَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣٤ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ١٣٥ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ١٣٦ [الشعراء].

يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقابلة والمحااجة والمناظرة، وما أقامه الكلبي على فرعون اللثيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية.

وذلك أن فرعون قبَّحه الله أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى، وزعم أنه الإله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ١٣٧ ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ١٣٨ [النازعات]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا

عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرِي ﴿ [الفصل: ٣٨]. وهو في هذه المقالة معانيد يعلم أنه عبدٌ مريبٌ وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِمَا وَسَّيْقَنَآ أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤].

ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرساليته وإظهار أنه ما ثم رب أرسله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] لأنهما قالوا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦]، فكانه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلاً: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [الشعراء: ٢٤]، أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإله لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها:

العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوي عليه الجو، وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين.

الجميع مذللون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤]، أي إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة.

﴿قَالَ﴾ أي فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ ﴾ [الشعراء: ٢٥] من أمرائه ومرازبته^(١) وكبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله: ﴿أَلَا تَسْتَعِينُ ﴾ [الشعراء: ٢٥] أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري، فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦] أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباء، فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه، ولم يحدث من غير مُحدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَرَّيْنَهُمَا إِنَّا فِي آفَاقٍ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَقٌّ يَتَّبِعُ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

(١) أي جنوده وأتباعه.

ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رَفَدَتِهِ ولا نَزَعَ عن ضلالتِهِ بل استمر على طغيانه وعِنَادِهِ وكفرانه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۖ﴾ [الشعراء]، أي ليس له عقل في دعواه أن ثمَّ رباً غيري.

﴿قَالَ﴾ أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشُّبُهَة، فأجاب موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]، أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً وتطلَّع منه الكواكب والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقَدَّرها، وهو اللّهُ لا إله إلا هو خالقُ الظلام والضياء وربُّ الأرض والسماء، ربُّ الأولين والآخرين، خالقُ الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابتِ الحائرة، خالقُ الليل بظلامه والنهارِ بضياءه، والكلُّ تحت قهره وتسخيرِه وتسييرِه سائرون وكلُّ في فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء.

فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربُّكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً، والثابت سائراً والسائر ثابتاً كما قال تعالى عن الذي حاجَّ إبراهيم في ربه في الآية السابقة.

ولما قامت الحجج على فرعون وذهبت شُبُهَتُهُ وغُلِبَ وانقطعت حجته ولم يبقَ له قول سوى العناد، عدل إلى استعمال جأه وقوته، وسلطانه وسطوته، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه الصلاة والسلام، فقال وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال: ﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۖ﴾ [الشعراء] إلى آخر ما قصَّ الله عز وجل عنه حتى قصمه الله تعالى، قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ومناظرة الرسل لأعداء اللّهِ في هذا الباب يطول ذكرها، ومقاماتُ نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تُذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمتَه لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هم مقرُّون به وبربوبيته، غير أنهم لم يَقْدِرُوهُ حقَّ قدره، بل عبدوا معه غيره، ولهذا قال تعالى في شأنهم: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ ﴿[العنكبوت: ٦٣]. ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى.

ذَكَرُ مَا نُقِلَ عَنِ الْأُثْمَةِ وَعَنِ غَيْرِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ

عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن الرشيد سأل عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنعمات.

وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعوني فأني مُفَكِّرٌ في أمر قد أُخْبِرْتُ عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخرق الأمواج العظام حتى تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد؛ فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل.

فقال: وَيَحْكُمُ، هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل، فقال: هذا ورق التوت: طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منها الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الطباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهر، كالفضة البيضاء، ويأطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح اهـ.

يعني بذلك البيضة إذ خرج منها الديك.

وسئل أبو نواس^(١) عن ذلك فأنشد:

(١) هو أبو علي: الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمي.

تأمل في رياض الأرض وانظر إلى ما صنع المليك
 عيون من لجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبيك
 على قُضْب الرَبَزَجِدِ شاهدات بأن اللّه ليس له شريك
 وقال ابن المعتز^(١)، ويروى لأبي العتاهية^(٢) رحمهما الله تعالى:

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد؟
 ولله في كل تحريك وفي كل تسكينة شاهد
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى، فقال: يا
 سبحان الله، إن البعر يدل على البعير، وإن أثر الأقدام يدل على المسير، فسماء
 ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود
 اللطيف الخبير؟

ومن خطب قس بن ساعدة الأيادي^(٣) وكان على ملة إبراهيم رحمه الله

= ولد بالبصرة سنة (١٤٥هـ) وقيل: سنة (١٣٦هـ) ومات ببغداد سنة (١٩٥هـ) وقيل غير ذلك.

وقال البغدادي في «خزانة الأدب»: (٣٤٦/١): «وأبو نواس ليس ممن يستشهد بكلامه -
 في اللغة والصرف والنحو» اهـ.

[انظر: خزانة الأدب (٣٤٧/١ - ٣٤٨)].

* لم أجد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع في دار الكتب العلمية بشرح وضبط
 الأستاذ علي فاعور.

(١) هو عبد الله بن المعتز أشهر بني العباس، خليفة يوم وليلة، قُتل بعدهما خنقاً.

صنف بعض الكتب، وامتاز شعره بسهولة اللفظ، توفي سنة (٢٩٦هـ).

[شعراء ودواوين (ص ١٨٣ - ١٨٤) لعبد الوهاب الصابوني. والنجوم الزاهرة (٣/١٦٣)].

(٢) هو إسماعيل بن القاسم العنزي الكوفي الشاعر المشهور بأبي العتاهية، ولد بعين التمر -

بليدة بالحجاز، قرب المدينة - وأكثر الناس ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة، وكان

يقول بالوعيد وتحريم المكاسب، ويشيع على مذهب الزيدية. وتوفي سنة (٢١١هـ).

[شذرات الذهب (٢/٢٥ - ٢٦)].

* وأما الأبيات فهي في ديوانه المطبوع في دار الكتب العلمية (ص ٦٢).

(٣) قس بن ساعدة الإيادي بكسر الهمزة، وإياد: حي من معد بن عدنان.

قال الذهبي: قس بن ساعدة أورده ابن شاهين، وعبدان، في الصحابة.

=

تعالى: أيها الناس، اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فقعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأحياء وأموات. ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهـر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وأثام.

إن في السماء خبراً، وإن في الأرض عبراً، يحار فيهن البصر. مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور وبحار لا تغور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد الشطاس ووزن الشطاس.

أقسم قس قسماً، لا كاذباً فيه ولا آثماً. لئن كان في هذا الأمر رضى ليكون سخط. ثم قال: أيها الناس، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، وهذا زمانه وأوانه.

ثم قال: ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا.

وفي بعض ألفاظها قال: شرق وغرب، ويثم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإنات وذكر، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمّهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام.

لقد ضل الأنام، نشو مولود، ووأد مفقود، وتربية محصود، وفقير وغني، ومحسن ومسيء، تبا لأرباب الغفلة، ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الآمل أمله، كلا بل هو إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى.

أما بعد؛ فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، وأين العليل والعواد، كل له معاد.

= وكذلك قال ابن حجر في الإصابة: ذكره أبو علي ابن السكن، وابن شاهين، وعبدان المروزي وأبو موسى في الصحابة، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة. [انظر «خزانة الأدب» (٨٩/٢ - ٩١) والإصابة رقم (١٠٤٤). وأسد الغابة رقم (٦٥٧) والاستيعاب رقم (٣٥٣) والوافي بالوفيات (٣٥/١١) والطبقات الكبرى لابن سعد ٥٥٩/٥ - (٥٦١)].

يُقَسَّم قَسْ برب العباد، وساطح الجهاد، لتُحْشَرُنْ على الانفراد، في يوم التناد، وإذا نُفِخ في الصور، وتُقر في الناقور، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ، فويل لمن صدَف عن الحق الأشهر، والنور الأزهر، والعرض الأكبر، في يوم الفضل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبَعَدَ النصير، وظهر التقصير، فريق في الجنة وفريق في السعير.

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

وأسماءُ اللَّهِ الحسنى هي التي أثبتّها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣﴾ [الحشر: ١-٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، وهو وتر يحب الوتر^(١). أخرجاه في الصحيحين^(٢).

ورواه الترمذي^(٣) وزاد: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم،

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) في «السنن» رقم (٣٥٠٧).

قلت: وأخرجه ابن حبان (٨٨/٣ رقم ٨٠٨) والبيهقي (١١١) في «شعب الإيمان» (١١٤/١ - ١١٥).

رقم (١٠٢) وفي «السنن الكبرى» (٢٧/١٠) وفي «الأسماء والصفات» (ص ٥). وفي

«الاعتقاد» (ص ١٨ - ١٩).

الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق،
البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض،
الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العذل،
اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ،
المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم،
الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي،
الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المُميت، الحي، القيوم، الواجد،
الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر،
الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو،
الرزاق، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني،
المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد،
الصبور». ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر
الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ.

= كلهم من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم به.

وقال الحاكم: «هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي
فيه. والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم
يذكرها غيره. وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم
أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وأقرانهم
من أصحاب شعيب» اهـ.

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤٨٢/٢٢): «إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في
تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه
الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما
جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثانٍ أضعف من هذا،
رواه ابن ماجه. وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف» اهـ.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٢١٧/١١): «وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال
الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة.

وقال ابن العربي: يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من
جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي...» اهـ.

ورواه الدارمي^(١): وزاد: كلها في القرآن.
وأخرج ابن أبي الدنيا^(٢) والطبراني^(٣) كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ^(٤)
والحاكم^(٥) وابن مردويه^(٦) وأبو نعيم^(٧) والبيهقي^(٨) عن أبي هريرة: «إن لله تسعة

- (١) في الرد على بشر المريسي (ص ١٢ - ١٣).
- (٢) وخلاصة القول أن الحديث صحيح بدون سرد الأسماء. أما بها فهو ضعيف، والله أعلم.
- (٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٨/٣).
- (٤) في «الدعاء» رقم (١١٢).
- (٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٨/٣).
- (٦) في «المستدرک» (١٧/١) وقال الحاكم: هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مختصراً دون ذكر الأسماء الزائدة فيها وكلها في القرآن.
- (٧) عزاه إليه الشوكاني في «تحفة الذاكرين» (٨٧ - ٨٨) لابن مردويه في «تفسيره» من طريق خالد بن مخلد.
- (٨) في جزء فيه طرق حديث: «إن الله تسعة وتسعين اسماً» رقم (٥٢).
- (٩) في «الاعتقاد» (ص ١٩).
- وخلاصة القول أن علّة الحديث عبد العزيز بن الحصين وقد تفرد بهذه الرواية.
- فالحديث ضعيف، والله أعلم.
- * قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٧٩/٦ - ٣٨٠): «روى الأسماء الحسنی في «جامعه» - أي الترمذي - من حديث الوليد بن مسلم، عن شعيب عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.
- ورواها ابن ماجه في «سننه» من طريق مخلد بن زياد القطواني، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.
- وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروایتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف.
- فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه.
- ولهذا اختلفت أعيانها، فروى عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأخرى، لأن الذين جمعوها قد كانوا يذكرون هذا تارة وهذا تارة؛ واعتقدوا - هم وغيرهم - أن الأسماء الحسنی التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئاً معيناً، بل من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معنهما يقوم أحدهما مقام صاحبه، كالأحد والواحد، فإن في رواية هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عنه، رواهما عثمان بن سعيد «الأحد» بدل «الواحد» و «المعطي» بدل «المغني» وهما متقاربان.
- وعد الوليد هذه الأسماء بعد أن روى الحديث عن خلیل بن دعلج عن قتادة عن ابن سيرين عن أبي هريرة.

وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، أسأل الله الرحمن، الرحيم، الإله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، الحنان، المتان، البديع، الغفور، الودود، الشكور، المجيد، المبدئ، المعيد، النور، الباري - وفي لفظ القائم - الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العفو، الغفار، الوهاب، الفرد - وفي لفظ القادر - الأحد، الصمد، الوكيل، الكافي، الباقي، المغيث، الدائم، المتعال، ذا الجلال والإكرام، المولى، النصير، الحق، المتين، الوارث، المنير، الباعث، القدير - وفي لفظ المجيب - المحيي، المميت، الحميد - وفي لفظ الجميل - الصادق، الحفيظ، المحيط، الكبير، القريب، الرقيب، الفتاح، التواب، القديم، الوتر، الفاطر، الرزاق، العلام، العلي، العظيم، الغني، الملك، المقتدر، الأكرم الرؤوف، المدبر، المالك، القاهر، الهادي، الشاكر، الكريم، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذا الطول، ذا المعارج، ذا الفضل، الخلاق، الكفيل، الجليل.

وأخرج أبو نعيم^(١) عن محمد بن جعفر رحمه الله تعالى قال: سألت أبي جعفر محمد بن الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال: هي في القرآن؛ ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا ملك.

= ثم قال هشام: وحدثنا الوليد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك، وقال: كلها في القرآن: «هو الله الذي لا إله إلا هو»... مثل ما ساقها الترمذي، لكن الترمذي رواها عن طريق صفوان بن صالح، عن الوليد، عن شعيب، وقد رواها ابن أبي عاصم، وبين ما ذكره هو والترمذي خلاف في بعض المواضع، وهذا كله مما يبين لك أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق، وليست من كلامه اهـ.

* وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠): «والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن، كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم اهـ.

(١) في جزء في طرق حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً». رقم (٩١) والحافظ في جزئه رقم (٤٠). وعزاه لأبي نعيم في «الفتح» (٢١٧/١١). وهو حديث ضعيف.

وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا علي، يا عظيم، يا تواب، يا بصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي، يا رؤوف، يا بديع، يا شاکر، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط، يا حي، يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حلیم، يا إله، يا قريب، يا مجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خير.

وفي آل عمران: يا وهاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا منعم، يا متفضل.

وفي النساء: يا حسيب، يا رقيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير.

وفي الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا برهان. وفي الأعراف: يا محيي، يا مميت.

وفي الأنفال: يا نعم المولى، ويا نعم النصير. وفي هود: يا حفيظ، يا مجيد، يا ودود، يا فعال لما تريد.

وفي الرعد: يا كبير، يا متعالي. وفي إبراهيم: يا منان، يا وارث.

وفي الحجر: يا خلاق. وفي مريم: يا فرد. وفي طه: يا غفار. وفي قد أفلح: يا كريم. وفي النور: يا حق، يا مبین. وفي الفرقان: يا هاد. وفي سبأ: يا فتاح. وفي الزمر: يا عالم.

وفي غافر: يا قابل التوب، يا ذا الطول، يا رفيع. وفي الذاريات: يا رزاق، يا ذا القوة، يا متين. وفي الطور: يا بر. وفي اقتربت: يا مقتدر، يا ملك.

وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام، يا ربّ المشرقين، يا ربّ المغربين، يا باقي، يا معين. وفي الحديد: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. وفي الحشر: يا ملك، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا باري، يا مصور.

وفي البروج: يا مبدئ، يا معيد. وفي الفجر: يا وتر. وفي الإخلاص: يا أحد، يا صمد، انتهى.

وقد حرَّرها الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله في (تلخيص الحبير)^(١) تسعةً وتسعين اسماً من الكتاب العزيزِ منطبقةً على لفظ الحديث ورتبها هكذا: الله، الربُّ، الإله، الواحد، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الحي، القيوم، العلي، العظيم، التواب، الحليم، الواسع، الحكيم، الشاكر، العليم، الغني، الكريم، العفو، القدير، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، المولى، النصير، القريب، المجيب، الرقيب، الحسيب، القوي، الشهيد، الحميد، المجيد، المحيط، الحفيظ، الحق، المبين، الغفار، القهار، الخلاق، الفتاح، الودود، الغفور، الرؤوف، الشكور، الكبير، المتعال، المقيت، المستعان، الوهاب، الخفي، الوارث، الولي، القائم، القادر، الغالب، القاهر، البر، الحافظ، الأحد، الصمد، المليك، المقتدر، الوكيل، الهادي، الكفيل، الكافي، الأكرم، الأعلى، الرزاق، ذو القوة، المتين، غافر، الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذو الطول، رفيع الدرجات، سريع الحساب، فاطر السموات والأرض، بديع السموات والأرض، نور السموات والأرض، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام. اهـ.

وقد عدَّها جماعةٌ غيرُ مَنْ ذكرنا كسفيان بن عُيينة^(٢)

(١) (١٧٤/٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٢١٧/١١ - ٢١٨): وروينا في «فوائد تمام» من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة، الحديث.

يعني حديث: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً» فوجدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ، فأتيينا أبا زيد فأخرجها لنا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال: نعم هي هذه، وهذا سياق ما ذكره جعفر وأبو زيد، قالوا: ففي الفاتحة خمسة: «الله، رب، الرحمن، الرحيم، مالك».

وفي البقرة: «محيط، قدير، عليم، حكيم، علي، عظيم، تواب، بصير، ولي، واسع، كاف، رؤوف، بديع، شاكر، واحد، سميع، قابض، باسط، حي، قيوم، غني، حميد، غفور، حليم».

وزاد جعفر: «إله، قريب، مجيب، عزيز، نصير، قوي، شديد، سريع، خير». قالوا:

وفي آل عمران: «وهاب، قائم»، زاد جعفر الصادق: «باعث، منعم، متفضل».

= وفي النساء: «رقيب، حسيب، شهيد، مقيت، وكيل»، زاد جعفر: «علي، كبير»، وزاد سفيان: «عفو».

وفي الأنعام: «فاطر، قاهر»، زاد جعفر: «ميميت، غفور، برهان»، وزاد سفيان: «لطيف، خير، قادر».

وفي الأعراف: «محيي، مميم».

وفي الأنفال: «نعم المولى، ونعم النصير».

وفي هود: «حفيظ، مجيد، ودود، فعال لما يريد».

زاد سفيان: «قريب، مجيب».

وفي الرعد: «كبير، متعال».

وفي إبراهيم: «منان»، زاد جعفر: «صادق وارث».

وفي الحجر: «خلاق».

وفي مريم: «صادق، وارث»، زاد جعفر: «فرد».

وفي طه عند جعفر وحده: «غفار».

وفي المؤمنين: «كريم».

وفي التور: «حق مبین»، زاد سفيان: «نور».

وفي الفرقان: «هاد».

وفي سبأ: «فتاح».

وفي الزمر: «عالم» عند جعفر وحده.

وفي المؤمن: «غافر قابل ذو الطول»، زاد سفيان: «شديد»، زاد جعفر: «رفيع».

وفي الذاريات: «رزاق، ذو القوة المتين» بالثاء.

وفي الطور: «بر».

وفي اقتربت: «مقتدر»، زاد جعفر: «ملك».

وفي الرحمن: «ذو الجلال والإكرام».

زاد جعفر: «رب المشرقين ورب المغربين باقي معين».

وفي الحديد: «أول، آخر، ظاهر، باطن».

وفي الحشر: «قدوس، سلام، مؤمن، مهيمن، عزيز، جبار، متكبر، خالق، باري، مصور»، زاد جعفر: «ملك».

وفي البروج: «مبدئ، معيد».

وفي الفجر: «وتر» عند جعفر وحده.

وفي الإخلاص: «أحد، صمد».

هذا آخر ما روينا عن جعفر وأبي زيد، وتقرير سفيان في تتبع الأسماء من القرآن، وفيها اختلاف شديد، وتكرار، وعدة أسماء لم ترد بلفظ الاسم وهي:

=

وابن حزم^(١) والقرطبي^(٢) وغيرهم، وعدّها ابنُ العربيّ المالكيّ في (أحكام القرآن)^(٣) مرتباً لها على السور، لكنه أخطأ في بعض ما عدّه كما سنشير إليه قريباً إن شاء الله تعالى.

[أسماء الله ليست منحصرة بحديث أبي هريرة]

واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن، بل ولا فيما علمته

= «صادق، منعم، متفضل، منان، مبدئ، معيد، باعث، قابض، باسط، برهان، معين، مميت، باقي».

(١) في «المحلى» (٣١/٨). وقال: «... وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسماً مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً، فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر، وهي:

«الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، الحليم، القيوم، الأكرم، السلام، التواب، الرب، الوهاب، الإله، القريب، السميع، المجيب، الواسع، العزيز، الشاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، الشكور، الغفار، القهار، الجبار، المتكبر، المصور، البر، المقتدر، الباري، العلي، الغني، الولي، القوي، الحي، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأول، الأعلى، المتعال، الخالق، الخلاق، الرزاق، الحق، اللطيف، رؤوف، عفو، الفتاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعز، السيد، سبوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدم، المؤخر، الدهر» اهـ.

قلت: ذكر ابن حزم أربعة وثمانين اسماً، ولم يقتصر فيه على ما في القرآن بل ذكر ما اتفق له العثور عليه منه، وهو سبعة وستون اسماً متوالية، كما هي مذكورة في كتابه آخرها (الملك)، وما بعد ذلك التقطه من الأحاديث.

(٢) في شرح الأسماء الحسنی له كما في (تلخيص الحبير) (١٧٣/٤) وقال: «العجب من ابن حزم ذكر من الأسماء الحسنی نيفاً وثمانون فقط، والله يقول: ﴿مَا قُرْطَنَّا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ثم ساق ما ذكره ابن حزم، وقال القرطبي: وفاته: الصادق، المستعان، المحيط، الحافظ، الفعال، الكافي، النور، الفاطر، البديع، الفائق، الرافع، المخرج».

قلت: وقد عاودت تتبعها من الكتاب العزيز إلى أن حررتها منه تسعة وتسعين اسماً، ولا أعلم من سبقني إلى تحرير ذلك» اهـ.

(٣) (٨٠٨/٢ - ٨١٥).

الرسُل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود^(١) عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمّتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً».

(١) وهو حديث صحيح.

أخرجه أحمد (٣٩١/١، ٤٥٢) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٣٥٢) وأبو يعلى في «المسند» (١٩٨/٩ رقم ٥٢٩٧/٣٣١) والحاكم (٥٠٩/١) وابن حبان رقم ٩٧٢ - الإحسان).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه.

وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: وأبو سلمة لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة». قلت: * هو سالم من الإرسال، فقد ثبت سماعه بشهادة غير واحد من الأئمة مثل سفيان الثوري، وابن معين، والبخاري، وأبي حاتم.

انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٢٩٩/٥) و«العلل» لابن المديني.

* وأبو سلمة الجهني، ترجمه البخاري في «الكنى» ولم يورد فيه لا جرحاً ولا تعديلاً. وقال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص ٤٩٠): «وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في صحيحه...».

وقال في «لسان الميزان» (٥٦/٧): «... وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في صحيحه، وأحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه...».

والحق أنه مجهول الحال، وابن حبان يذكر أمثاله في «الثقات» ويحتج به في الصحيح إذا كان ما رواه ليس بمنكر اهـ.

والخلاصة أن هذا المذهب لم يبتدعه ابن حبان ولم ينفرد به ابن حبان. انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٥٤).

* ولحديث ابن مسعود شاهد من حديث أبي موسى عند ابن السني رقم (٣٤١) ورجاله ثقات ما عدا عبد الله بن زييد بن الحارث الياشي، رواه عن أبي موسى.

فقد ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٢/٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. فهو حسن في الشواهد.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

[مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَا لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ إِلَّا مُقْتَرِنًا بِمُقَابِلِهِ]

وَعَلِمَ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ مَا لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ إِلَّا مُقْتَرِنًا بِمُقَابِلِهِ، فَإِذَا أُطْلِقَ وَحْدَهُ أَوْ هُمُ نَقْصًا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَمِنْهَا الْمُعْطَى الْمَانِعُ، وَالضَّارُّ النَّافِعُ، وَالْقَابِضُ الْبَاسِطُ، وَالْمُعْزُ الْمُدِلُّ، وَالْخَافِضُ الرَّافِعُ، فَلَا يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ الْمَانِعُ الضَّارُّ الْقَابِضُ الْمُدِلُّ الْخَافِضُ كَلًّا عَلَى انْفِرَادِهِ، بَلْ لَا بَدَّ مِنْ اِزْدَوَاجِهَا بِمُقَابِلَاتِهَا، إِذْ لَمْ تُطْلَقْ فِي الْوَحْيِ إِلَّا كَذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمُنْتَقَمُ لَمْ يَأْتِ الْقُرْآنُ إِلَّا مُضَافًا إِلَى «ذُو» كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤٤]، أَوْ مُقَيَّدًا بِالْمَجْرَمِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ أَطْلَقَهَا اللَّهُ عِزٍّ وَجَلٍّ عَلَى نَفْسِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجِزَاءِ الْعَذْلِ وَالْمُقَابِلَةِ، وَهِيَ فِيمَا سَبَقَتْ فِيهِ مَدْحٌ وَكَمَالٌ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُشْتَقَّ لَهُ تَعَالَى مِنْهُمَا أَسْمَاءٌ، وَلَا تُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَا سَبَقَتْ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥] وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَخَادِعٌ مَأْكُرٌ نَاسٍ مُسْتَهْزِئٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ، وَلَا يُقَالُ: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ وَيَخَادِعُ وَيَمَكُرُ وَيَنسِي عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَوًّا كَبِيرًا.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ مُطْلَقًا، وَلَا ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَمِنْ ظَنِّ الْجَهَالِ الْمُصْتَفِينَ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْمَأْكُرَ الْمَخَادِعَ الْمُسْتَهْزِئَ الْكَائِدَ فَقَدْ فَاهَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ تَقْشَعْرُ مِنْهُ الْجُلُودُ وَتَكَادُ الْأَسْمَاعُ تُصَمُّ عِنْدَ

(١) انظر ما قاله ابن القيم أيضاً في «بدائع الفوائد» (١/١٥٩ - ١٧٠).

سماعه، وغرّ هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماءه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تُمدح في موضع وتُذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقاً، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يُسمى بها، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع، لأن مُسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزير والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمُخادع والمُستهزئ؟

ثم يلزم هذا الغلط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل.

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قلت: ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عدّه ابن العربي^(١)، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلّق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يُفيدان مدحاً، أما في سياقها من الآيات التي ذُكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿١٧﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ ﴿١٨﴾ [الواقعة] الآيات، بخلاف ما إذا عدّت مجردة عن متعلقاتها وما سيقّت فيه وله.

(١) (٢/٨٠٦ - ٨٠٧).

- سورة اقترَب، فيها: ثلاثة أسماء....، ... الفاعل.

- سورة الواقعة، فيها ثلاثة أسماء:، ... الزارع، ...

وأكبر مصيبة أن عد^(١) في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحاً قبل ذلك بقوله: وفي سورة المجادلة اسمان فذكرهما.

وهذا خطأ فاحش؛ فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطقاً ولا مفهوماً، فإن الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]. الآية.

وأين في هذا السياق رابع ثلاثة سادس خمسة؟ وكان حقّه اللائق بمراده أن يقول: رابع كل ثلاثة في نجواهم وسادس كل خمسة كذلك، فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية، والله تعالى أعلم.

واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة^(٢) وتضمن^(٣) والتزام^(٤)، فدلالة اسمه تعالى «الرحمن» على ذاته عز وجل مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمناً، وعلى الحياة وغيرها التزاماً، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى.

وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقوله الملحّدون في أسمائه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فإن الله عز وجل هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء، وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي فليس بعده شيء وما سواه فإن، فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية، إذ كل ما سواه كذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) أي ابن العربي في «أحكام القرآن» (٨٠٧/٢):

سورة المجادلة فيها اسمان: رابع ثلاثة، سادس خمسة.

(٢) المطابقة: دلالة اللفظ على تمام ما وُضع له من حيث هو تمامه.

(٣) التضمن: دلالة اللفظ على جزء ما وُضع له من حيث هو جزؤه.

(٤) الالتزام: دلالة اللفظ على لازم خارج عن المعنى الموضوع له اللفظ من حيث هو لازمه.

[انظر: التقرير والتحبير شرح التحرير: لابن الهمام (١٠٠/١)]. وانظر: القواعد المثلى

لفضيلة الشيخ محمد العثيمين، القاعدة الرابعة ص ١١.

[أسماء الله غير مخلوقة]

وقال عثمانُ بنُ سعيدِ الدارمي - نَقَمَةُ اللَّهِ على بِشْرِ المُرَيْسِيِّ وذويه -: بابُ الإيمانِ بأسماءِ اللَّهِ تعالى وأنها غيرُ مخلوقة^(١).

قال: «ثم اعترضَ المعترضُ - يعني ابنُ الثلجي^(٢) - على أسماءِ اللَّهِ تعالى المقدسة، فذهب في تأويلها مذهبَ إمامه المُرَيْسِيِّ فادعى أن أسماءَ اللَّهِ غيرُ اللَّهِ وأنها مستعارةٌ مخلوقةٌ، كما أنه قد يكون شخصٌ بلا اسمٍ فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تُنقص، يعني - الخبيثُ - أن الله تعالى كان مجهولاً كشخص مجهولٍ لا يُهتدى لاسمه ولا يُدرى ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماءً من مخلوق كلامهم فأعاروه إياها من غير أن يُعرف له اسمٌ قبل الخلق».

قال: «ومن ادعى التأويلَ في أسماءِ اللَّهِ فقد نسبَ اللَّهَ تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق؛ لأن المستعير محتاجٌ مضطرٌّ والمعيرُ أبدأً أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهاُل الخالقِ إذ كان بزعمه هملاً لا يُدرى ما اسمه، والله المتعالي عن هذا الوصفِ المنزَّه عنه؛ لأن أسماءَ الله تعالى هي تحقيقُ صفاته سواءً عليك قلت: عبدتُ اللَّهَ أو عبدتُ الرحمنَ أو الرحيمَ أو الملكَ العزيزَ الحكيمَ، وسواءً على الرجل قال كفرتُ بالله، أو قال: كفرتُ بالرحمن الرحيم، أو بالخالقِ العزيزِ الحكيم، وسواءً عليك قلت: عبدُ الله أو عبدُ الرحمن أو عبدُ العزيز أو عبدُ المجيد.

وسواءً عليك قلت: يا اللَّهَ أو يا رحمنُ أو يا رحيمُ أو يا مالكُ يا عزيزُ يا جبار، بأي اسمٍ دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه فإنما تدعو اللَّهَ نفسه، مَنْ شك فيه فقد كفر.

(١) في كتابه «الرد على بشر المُرَيْسِيِّ» (ص ٧ - ١١).

(٢) هو محمد بن شجاع بن الثلجي الفقيه البغدادي الحنفي، أبو عبد الله صاحب التصانيف. قال ابن عدي: كان يضع الحديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث يسابهم بذلك. وقال الذهبي: جاء من غير وجهٍ أنه كان ينال من أحمد وأصحابه، ويقول: إيش قام به أحمد! وهو من أصحاب بشر المُرَيْسِيِّ.

وقال زكريا الساجي: محمد بن شجاع كذاب احتال في إبطال الحديث نصرةً للرأي.

[«الميزان» ٥٧٧/٣ - ٥٧٩ رقم ٧٦٦٤ و «تهذيب التهذيب» ٥٨٨/٣ - ٥٨٩].

وسواء عليك قلت: ربي الله أو ربي الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الصف: ١]، وقال: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]. كذلك قال في الاسم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة: ١، التغابن: ١]. ولو كان الاسم مخلوقاً مستعاراً غير الله لم يأمر الله تعالى أن يسبح مخلوق غيره.

وقال تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ثم ذكر الآلهة التي تُعبد من دون الله عز وجل بأسمائها المخلوقة المستعارة فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ [النجم: ٢٣]. وكذلك قال هود لقومه حين قالوا: ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّمُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فقال لهم نبيهم: ﴿أَتَجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ [الأعراف: ٧١].

يعني أن أسماء الله تعالى لم تزل كما لم يزل عز وجل، وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه، فإن لم تكن أسماء الله بخلافها فأي توبيخ لأسماء هذه الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماءها وأسماء الله تعالى مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد، وكلها من تسمية العباد وتسمية آباؤهم بزعمهم؟

ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرّفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن الله عرّفهم بها نفسه، فأي تأويل أوحش في أسماء الله تعالى من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول، أو بيت أو شجرة أو بهيمة لم يسبق لشيء منها اسم، ولم يُعرف ما هو حتى عرّفه الخلق بعضهم بعضاً.

ولا تُقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماءهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله تعالى صفاته ليس شيء منها مخالفاً لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفاً لأسمائه.

فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر؛

لأنك إذا قلت «اللَّهُ» فهو «اللَّهُ»، وإذا قلت «الرحمنُ» فهو «الرحمنُ» وهو «اللَّهُ»، فإذا قلت «الرحيمُ» فهو كذلك، وإذا قلت حكيمٌ عليمٌ حميدٌ مجيدٌ جبارٌ متكبرٌ قاهرٌ قادرٌ فهو كذلك، وهو الله سواءً لا يخالف اسمٌ له صفته ولا صفته اسماً، وقد يسمى الرجلُ حكيماً وهو جاهلٌ، وحكماً وهو ظالمٌ، وعزيزاً وهو حقيرٌ، وكريماً وهو لئيمٌ، وصالحاً وهو طالحٌ، وسعيداً وهو شقيٌّ، ومحموداً وهو مذمومٌ، وحبيباً وهو بغيضٌ، وأسدأً وحماراً وكلباً وجذياً وكلبياً وهراً وحَنْظَلَةً وعلقمَةً وليس كذلك.

والله تعالى وتقدس اسمه كلُّ أسمائه سواءً لم يزل كذلك ولا يزال، لم تُحدث له صفةٌ ولا اسمٌ لم يكن كذلك، كان خالقاً قبل المخلوقين، ورازقاً قبل المرزوقين، وعالمأً قبل المعلومين، وسميعاً قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيراً قبل أن يرى أعيانهم مخلوقةً.

قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وقال في موضع: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. لأنهما بمعنى واحد، ولو كان كما ادعى المعارض - يعني ابنُ الثلجي وإمامهُ المُرَيْسي - لكان الخالق والمخلوق استويا جميعاً على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقةً عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف، لأن لحدوث الخلق حداً ووقتاً وليس لأزلية الله تعالى حدٌ ولا وقتٌ.

لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال.

ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس؛ فقال: أرأيت لو كتبت اسماً في رقعة ثم احترقت الرقعة أليس إنما تُحرق الرقعة ولا يُضَرَّ الاسم شيئاً؟

فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه: إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم، إذا احترقت الرقعة احترق الخطُ وبقي اسمُ الله له وعلى لسان الكاتب لم يزل قبل أن يكتب لم تنقص النار من الاسم ولا ممن له الاسم شيئاً، وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئاً، وكذلك لو كتبت «اللَّهُ» بهجائه في رقعة ثم أحرفت الرقعة لا احترقت الرقعة

وكان الله سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صُوِّر رجلٌ في رقعة ثم أُلقيت في النار لاحتُرقت الرقعة ولم يُضَرَّ المصوَّر شيئاً.

وكذلك القرآن لو احترقت المصاحف كلها لم ينقص من القرآن نفسه حرف واحد، وكذلك لو احترق القراء كلهم أو قُتلوا أو ماتوا لبقِيَ القرآن بكماله كما كان لم ينقص منه حرف واحد، لأنه منه بدأ وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص.

وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهبٌ كمذهبه في القرآن، كان القرآن عنده مخلوقاً من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماء الله تعالى عنده من ابتداع البشر من غير أن يقول تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] بزعمه قط. وزعم أنني متى اعترفت بأن الله تعالى تكلم به: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لزمني أن أقول تكلم بالقرآن.

ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا في القرآن، وقد كسره الله عليهم على رغم أنوفهم فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

ولا يستحق مخلوق أن يتكلم بهذا، فإن فعل ذلك كان كافراً كفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

فهذا الذي ادعوا في أسماء الله عز وجل أصلٌ كبيرٌ من أصول الجهمية التي بنوا عليها محتتهم وأسسوا بها ضلالتهم غلطوا بها الأغمار والسفهاء، وهم يزّون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعلّى يقين.

أرايتم قولكم إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها، وكيف خلقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانها أمكنةً دونه من الأرض والسماء أم موضعاً دونه في الهواء؟.

فإن قلتم لها أجسامٌ دونه فهذا ما تنقيمه عقول العقلاء، وإن قلتم خلقها في السنة العباد فدعوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن الله تعالى كان بزعمكم مجهولاً لا اسم له حتى أحدث الخلق فأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد في أسماء الله والتكذيب بها، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ [الفاتحة].
كما يُضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتُم لقليل الحمدُ لله رب العالمين،
المسمَّى الرحمنَ الرحيم، مالك يوم الدين.

وكما قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَّا أَتَى الْقَوْمُ﴾ ﴿١﴾ زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴿٢﴾ [آل عمران: ٢ - ٣]، كما قال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الزمر: ١، غافر: ٢، المجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. كذلك قال: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَلِلَّهِ تَلَفَّى الْقُرْآنُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. كُلُّهَا بمعنى واحدٍ وكُلُّهَا هي الله، واللَّهُ هو أحدُ أسمائه - إلى أن قال^(١) - وكما قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، كذلك قال على لسان نبيه ﷺ: «أنا الرحمن»، ثم روى بسنده حديث عبد الرحمن بن عوف^(٢) رضي الله عنه

(١) الدارمي في رده على بشر المريسي (ص ١٢ - ١٣).

(٢) وهو حديث صحيح.

* أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/١٧١ رقم ٢٠٢٣٤) من طريق معمر، عن الزُّهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن رَدَادِ اللَّيْثِيِّ عنه.

ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد (١/١٩٤) وأبو داود رقم (١٦٩٥) وابن حبان في «الثقات» (٤/٢٤١)، والحاكم (٤/١٥٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٢٦)، وفي «الأسماء والصفات» (ص ٣٧٠) والمزي في «تهذيب الكمال» (٩/١٧٤ - ١٧٥).

* وأخرجه أحمد (١/١٩٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٣) والحاكم (٤/١٥٨) من طرق عن الزُّهري، به.

* وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٥٣٥، ٥٣٦ رقم ٥٤٣٩) ومن طريقه أخرجه أبو داود رقم (١٦٩٤) والبخاري في «شرح السنة» (١٣/٢٢ رقم ٣٤٣٢) والحميدي (١/٣٥ - ٣٦ رقم ٦٥) ومن طريق الحميدي أخرجه الحاكم (٤/١٥٧ - ١٥٨) والترمذي رقم (١٩٠٧) وأبو يعلى (٢/١٥٣ - ١٥٤ رقم ٨٤٠) والبيهقي (٧/٢٦).

من طريق سفيان، عن الزُّهري، عن أبي سلمة: أن أبا الرداد الليثي اشتكى فعاده عبد الرحمن بن عوف، فقال: خيرهم وأوصلهم أبو محمد، فقال عبد الرحمن... ونسب ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والترمذي، والبيهقي (سفيان) فقالوا: «ابن عيينة».

* وأخرجه أحمد (١/١٩٤) والحاكم (٤/١٥٨) من طريق سفيان (نسبه الحاكم فقال: «سفيان بن حسين» عن الزُّهري، بالإسناد المتقدم).

قال أبو عيسى: حديث سفيان عن الزُّهري حديث صحيح، وروى معمرٌ هذا الحديث عن الزُّهري، عن أبي سلمة، عن رداد الليثي، عن عبد الرحمن بن عوف.

قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي الرَّحْمُ شَقِقتُ لها من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بَنَتْهُ». فيقول الله تعالى: «أنا شَقِقتُ لها من اسمي».

وَادَّعت الجهمية^(١) مكذِّبينَ لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسمَ الذي شَقِها منه،

- = قال محمد - يعني البخاري - وحديث معمر خطأ. كذا قال الترمذي.
- قلت: هذا إسناد رجاله ثقات، واتصاله متوقف على سماع أبي سلمة من أبيه. فقد قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص ٢٥٥) رقم (٩٤٧): «قال يحيى بن معين: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يسمع من أبيه شيئاً».
- وقال العلاني في «جامع التحصيل» (ص ٢٦٠) رقم (٣٧٨): «قال يحيى بن معين، والبخاري، لم يسمع - أبو سلمة - من أبيه شيئاً. زاد ابن معين: ولا من طلحة بن عبيد الله...».
- * وأخرجه أحمد (١/١٩١، ١٩٤) وأبو يعلى (٢/١٥٥ رقم ٨٤١) والحاكم (٤/١٥٧) من طريق يزيد بن هارون، أنبأنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ أن أباه أخبره: أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف وهو مريض فقال عبد الرحمن... وقال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٣/٢٣٤ رقم ٥١١): «رواه أبو يعلى بسند صحيح من طريق عبد الله بن قارظ، عن عبد الرحمن بن عوف، من غير ذكر أبي الرداد».
- وانظر ما علقه العلامة أحمد شاكر على هذا الإسناد في «المسند» رقم (١٦٥٩).
- * ولحديث عبد الرحمن بن عوف هذا شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/٤٩٨) والحاكم (٤/١٥٧) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
- * ويشهد له أيضاً حديث عائشة عند البخاري رقم (٥٩٨٩) ومسلم رقم (٢٥٥٥) وأحمد (٦٢/٦) وأبو يعلى في «المسند» (٧/٤٢٣ رقم ٤٤٤٦/٩٠).
- * وكذلك يشهد له حديث عامر بن ربيعة عند أبي يعلى (١٣/١٥٦ رقم ٧١٩٨/٦) والبخاري (٢/٣٧٥ رقم ١٨٨٢ - كشف) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٥٠) وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى بنحوه، والبخاري... وفيه عاصم بن عبيد الله ضعفه الجمهور، وقال العجلي: لا بأس به».
- (١) الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية، لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالى وأسمائه. وترجع في نسبتها إلى مؤسسها «الجهم بن صفوان» الترمذي.
- ومن أهم آراء الجهمية ما يلي:
- ١ - مذهبه في التوحيد، هو إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل، ويجعلون أسماء الله من باب المجاز.

ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم، فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين حتى علمهم الله تعالى من عنده، وكان بدء علمها منه فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة].

وقال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها وحفظها دخل الجنة»^(١) وساق الأسماء الحسنى كما قدمنا.

ثم قال: «فهذه كلها أسماء الله تعالى لم تزل له كما لم يزل، بأبيها دعوت فإنما تدعو الله نفسه. قال: ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله تعالى لم يزل إلهاً واحداً بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث له منها شيء كما لم تزل وحدانيته». انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

[تفصيل المراد بقوله ﷺ

«من أحصاها»]

واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «من أحصاها»^(٢). فقال البخاري وغيره

- ٢ - القول بالجبر والإرجاء.
- ٣ - نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله وإثبات أن القرآن مخلوق.
- ٤ - الإيمان هو المعرفة بالله.
- ٥ - نفي أن يكون الله تعالى في جهة العلو.
- ٦ - أن الله قريب بذاته، وأن الله مع كل واحد بذاته عز وجل، وهذا هو المذهب الذي بنى عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم.
- انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٢٧٩/١).
- وقد ذهب كثير من علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة.
- انظر: «فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» إعداد: غالب بن علي عواجي. (٢/٧٩٣ - ٨٢٠) الباب الحادي عشر: الجهمية.
- (١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً.
- (٢) أخرج هذه اللفظة البخاري (٢١٤/١١) رقم (٦٤١٠) ومسلم (٢٠٦٢/٤) رقم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

من المحققين: معناه حفظها، وأن إحدى الروایتين مفسرةٌ للأخرى.

وقال الخطابي: يحتمل وجوهاً: أحدها أن يعدّها حتى يستوفيّها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها، فيدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجهها، فإذا قال «الرزاق» وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل أحصاها عجل بها فإذا قال: «الحكيم»، سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: «القدوس»، استحضر كونه مقدساً منزهاً عن جميع النقائص، واختاره أبو الوفاء بن عقيل.

وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، يعني فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة اهـ^(١).

والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها، كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به، بل جاء في المزامن من الدين أنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

وقال ابن القيم^(٢) رحمه الله تعالى بعد كلام طويل على أولية الله تعالى وما في ذلك الشهود من الغنى التام قال: وليس هذا مختصاً بأوليته تعالى فقط، بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حفظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته

(١) بلفظه من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١١/٢٢٥ - ٢٢٦).

(٢) في «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ٤٣ - ٤٦).

لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرُفُ الخلق وأعلمهم به الصادقُ المصدوقُ وتعبّد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمَدٌ يعرج إليه مناجياً له مُطرقاً واقفاً بين يديه وقوفَ العبدِ الذليلِ بين يدي الملكِ العزيز، فيشعر بأن كَلِمَه وعَمَلَه صاعدٌ إليه معروضٌ عليه مع أوفى خاصيته وأوليائه فيستحي أن يصعدَ إليه من كَلِمَه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزولَ الأمرِ والمراسيمِ الإلهيةِ إلى أقطارِ العوالمِ كُلِّ وقتٍ بأنواعِ التدبيرِ والتصرفِ من الإمامةِ والإحياءِ والتوليةِ والعزلِ والخفضِ والرفعِ والعطاءِ والمنعِ وكشفِ البلاءِ وإرساله وتقلبِ الدولِ ومداولةِ الأيامِ بين الناسِ إلى غير ذلك من التصرفاتِ في المملكةِ التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمُه نافذةٌ فيها كما يشاء: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، فمن أعطى هذا المشهدَ حقَه معرفةً وعبوديةً استغنى به.

وكذلك من شهد مشهدَ العلمِ المحيطِ الذي لا يعزُب عنه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباقِ الجبال بل أحاط بذلك علمُه علماً تفصيلياً، ثم تعبّد بمقتضى هذا الشهودِ من حراسةِ خواطره وإراداته وجميعِ أحواله وعزماته وجوارحه، علمَ أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميعِ أحواله ظاهرةٌ مكشوفةٌ لديه علانيةً، باديةٌ لا يخفى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفةً سمعه سبحانه لأصوات عبادِه على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواءً عنده من أسرِّ القولِ ومن جهرَ به لا يشغله جهرٌ من جهرٍ عن سمعه صوتٌ من أسرِّ، ولا يشغله سمعٌ عن سمعٍ، ولا تغلظه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوتٍ واحدٍ، كما أن خلقَ الخلق جميعهم وبغيثهم عنده بمنزلة نفسٍ واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى دبيبَ النملةِ السوداء على الصخرة الصماء في جَنَدِسٍ^(١) الظلماء، ويرى تفاصيلَ خلْقِ الذرةِ

(١) الجَنَدِسُ: الظُّلْمَةُ. وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة.

«لسان العرب» (٣/٣٥٦).

الصغيرة ومُخَّها وعروَقها ولَحْمها وحركتها، ويرى مدَّ البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حَقَّه من العبودية بحرَّس حركاته وسكناته، وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهدَ القِيوميةِ الجامعِ لصفاتِ الأفعالِ وأنه قائمٌ على كل شيءٍ وقائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت، وأنه تعالى هو القائمُ بنفسه المُقيمُ لغيره، القائمُ عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصالِ جزاء المحسنِ وجزاء المسيءِ إليه، وأنه بكمال قِيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفِضُ القِسْطَ ويرفعه، يُرْفَعُ إليه عملُ الليل قبل عمل النهارِ وعملُ النهارِ قبل عملِ الليل، لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ ولا يَظِلُّ ولا ينسى.

وهذا المشهدُ من أرفعِ مشاهدِ العارفينَ وهو مشهدُ الرُّبوبيةِ، وأعلى منه مشهدُ الإلهيةِ الذي هو مشهدُ الرسلِ وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادةٌ أن لا إله إلا الله وأن إلهية ما سواه باطلٌ ومُحالٌ، كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحدٌ سواه يستحق أن يُؤَلَّه ويُعْبَدَ ويُصَلَّى له ويُسجَدَ ويستحقَّ نهايةَ الحبِّ مع نهايةِ الذلِّ لكمالِ أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاعُ وحده على الحقيقة والمألوهُ وحده وله الحكمُ، فكلُّ عبوديةٍ لغيره باطلةٌ وعناءٌ وضلالٌ، وكلُّ محبةٍ لغيره عذابٌ لصاحبها، وكلُّ غنىٍ بغيره فقرٌ وفاقةٌ، وكلُّ عزٍّ بغيره ذُلٌّ وصغارٌ، وكلُّ تكبُّرٍ بغيره قلةٌ وذلةٌ.

فكما استحال أن يكون للخلق ربٌّ غيره، فكذلك استحال أن يكون لهم إلهٌ غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغباتُ وتوجهت نحوه الطلباتُ، ويستحيل أن يكون معه إلهٌ آخرٌ، فإن الإلهَ على الحقيقة هو الغنيُّ الصمدُ الكاملُ في أسمائه وصفاته الذي حاجة كلِّ أحدٍ إليه ولا حاجة به إلى أحدٍ، وقيام كلِّ شيءٍ به وليس قيامه بغيره - إلى أن قال - فمشهدُ الألوهيةِ هو مشهدُ الحنفاء، وهو مشهدُ جامعٍ للأسماء والصفاتِ وحظُّ العبادِ منه بحسبِ حظِّهم من معرفةِ الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسمُ الدالُّ على هذا المعنى هو اسمُ الله جل جلاله، فإن هذا الاسمَ هو الجامعُ، ولهذا تُضافُ الأسماءُ الحسنى كلها إليه فيقال: الرحمنُ الرحيمُ الغفارُ القهارُ من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذا المشهدُ تجتمع فيه المشاهدُ كُلُّها، وكلُّ مشهدٍ سواءٍ فإنما هو مشهدٌ
لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبُد الذي هو
كمالُ الحبِّ مع كمالِ الذلِّ والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تمَّ له غناه بالإله
الحقَّ وصار من أغنى العباد، ولسانِ مثلِ هذا يقول:

غنيْتُ بلا مالٍ عن الناسِ كلِّهم وإن الغنى العالى عن الشيء لا به
اهـ.

[تفسير قوله تعالى:

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾]

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابنُ عباس^(١) وابنُ جريج ومجاهد^(٢): هم المشركون عدلوا بأسماء الله
تعالى عما هي عليه فسَمُّوا بها أولادهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله،
والعزى من العزيز، ومناة من المئان. وقيل: هي تسميتهم الأصنامَ أَلهةً.
وروي عن ابن عباس^(٣) عليه السلام: يُلْحِدُونَ في أسمائه أي يكذبون.
وقال قتادة^(٤): يُلْحِدُونَ يشركون في أسمائه.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٨٢/١٣) رقم (١٥٤٥٣).
عن ابن عباس: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: إلحاد المُلْحِدِينَ، أن دعوا
«اللات» في أسماء الله.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٨٣/١٣) رقم (١٥٤٥٤).
عن مجاهد: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه»، قال: اشتقوا «العزى» من «العزيز»،
واشتقوا «اللات» من «الله».

وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس وابن جريج ومجاهد في تفسيره (٢٨٠/٢).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٨٣/١٣) رقم (١٥٤٥٥).
عن ابن عباس قوله: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: «الإلحاد»، التكذيب.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٨٣/١٣) رقم (١٥٤٥٦).
عن قتادة: «يلحدون» قال: يشركون.

وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس وقاتادة في تفسيره (٢٨٠/٢).

وقال عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس^(١): الإلحادُ التكذيبُ.
وأصلُ الإلحادِ في كلام العربِ العدولُ عن القصد والميلُ والجورُ
والانحرافُ، ومنه اللحدُ في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سِمة الحفر اهـ.
وهذه الأقوالُ متقاربةٌ، والإلحادُ يُعمَّها، وهو ثلاثة أقسام:
الأول: إلحادُ المشركين وهو ما ذكره ابنُ عباسٍ وابنُ جريجٍ ومجاهدٌ من
عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاةً لله عز وجل
ومُشاقَّةً له وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحادُ المُشبهة الذين يَكيفون صفاتِ الله عز وجل ويشبهونها بصفات
خلقه مضادةً له تعالى ورداً لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]،
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وهو مقابلُ للإلحادِ المشركين، فأولئك جعلوا
المخلوقَ بمنزلة الخالقِ وسوَّوه به، وهؤلاء جعلوا الخالقَ بمنزلة الأجسامِ المخلوقةِ
وشبَّهوه بها، تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحادُ الثُفَّةِ وهم قسمان:
قسمٌ أثبتوا أَلْفاظَ أسمائه تعالى دون ما تَضَمَّنَتْه من صفات الكمالِ فقالوا:
رحمنٌ رحيمٌ بلا رحمة، عليمٌ بلا علم، حكيمٌ بلا حكمة، قديرٌ بلا قدرة، سميعٌ
بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر. وأطردوا بقية الأسماء الحسنَى هكذا وعطلوها عن
معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمالِ لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن
بعدهم، وإنما أثبتوا الألفاظَ دون المعاني تستراً وهو لا ينفعهم.
وقسمٌ لم يتستروا بما تستر به إخوانهم، بل صرَّحوا بنفي الأسماء وما تدل
عليه من المعاني واستراحوا من تكلف أولئك، وصفوا الله تعالى بالعدم المخضِ
الذي لا اسمَ له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون
بالكتاب وبما أرسل الله به رُسُلَه.

وكلُّ هذه الأربعة الأقسامِ كلُّ فريقٍ منهم يكفرُ مُقابَلَه، وهم كما قالوا كلُّهم
كفارٌ بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناسِ أجمعين من أهل الإيمانِ والإثباتِ
الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠). بسند منقطع.

(صفاته العلى) أي وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه تعالى ووصفه بها نبيه ﷺ من صفات الكمال وتُعوت الجلال، من صفات الذات وصفات الأفعال، مما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعزة والعلو وغيرها، ومما أخبر به عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺ، ولم يشتق منه اسماً كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين، ورضائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام ديناً، وكرهته انبعاث المنافقين وسخطه على الكافرين وغضبه عليهم، وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام ويديه المبسوطتين بالإنفاق، وغير ذلك مما هو ثابت في الكتاب والسنة والفطر السليمة.

وسياتي الكلام على ما ذكر من ذلك في المتن في محله، وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة الباب إن شاء الله تبارك وتعالى.

[إثبات ربوبية الله تعالى]

(وأنه الربُّ الجليلُ الأكبرُ الخالقُ البارئُ والمصورُ)
 (باري البرايا مُنشئُ الخلائقِ مُبدئُهم بلا مثالٍ سابقٍ)

(وأنه الربُّ) أي وإثبات ربوبيته بأنه ربُّ كل شيء ومليكه، ربُّ الأولين والآخرين، ربُّ المشرقين وربُّ المغربين، ربُّ السموات والأرضين وما بينهما ربُّ العالمين، ربُّ الآخرة والأولى، مالكُ الملك فلا شريك له في ملكه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويُعزِّز من يشاء ويُذل من يشاء ويهدي من يشاء ويُضِل من يشاء ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُخفف من يشاء ويرفع من يشاء، ويُعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء ويقطع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليمٌ قدير.

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويُحيي الأرض بعد موتها، وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجلٍ مسمى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون.

خلق فسوى وقدر فهدى، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وخلق الزوجين

الذكر والأنثى من نطفة إذا تُمْنى، وأغنى وأقنى وأوجد وأقنى، يُبدي ويُعيد ويفعل ما يريد، رفع سَمَك السماء فسَوَّاهَا وأَغْطَشَ ليلَهَا وأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وبَسَطَ الأرض ودحاها فِرَاشاً لعباده ومِهَاداً، ونَصَبَ الجبالَ عليها أوتاداً، سخر الفُلكَ تجري في البحر بأمره، ويُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

فَالِقُ الإصْبَاحِ وجعل الليلَ سكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً، لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدْرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلُّ في فلكٍ يسبحون، الذي أحسن كلَّ شيءٍ خلقه وبدأ خَلَقَ الإنسانَ من طين ثم جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مَهِين، ثم سَوَّاهُ ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ قليلاً لعلكم تشكرون.

خالقُ الكونِ وما فيه، وجامعُ الناسِ ليومٍ لا ريب فيه. مَرَجَ البحرينِ هذا عَذْبٌ فَرَاتٌ وهذا مَلْحٌ أَجَاجٌ وجعل بينهما بَرزخاً وَجْجراً محجوراً، وَأَسْبَغَ على عباده نِعَمَهُ الظاهرةَ والباطنةَ، وجعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أراد أن يَذْكُرَ أو أراد شُكُوراً، عَلَّمَ وَأَلْهَمَ، وَدَبَّرَ فَأَحْكَمَ، وقضى فأبرم.

لا رادُّ لِقَضَائِهِ ولا مُضَادُّ لأمره، ولا مُعَقِّبٌ لحكمه ولا شريكٌ له في ملكه، ولا إِلَهٌ غَيْرُهُ ولا رَبٌّ سِوَاهُ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العليُّ العظيم.

(الجليلُ) أي المتصفُ بجميع نعوتِ الجلالِ وصفاتِ الكمالِ، المنزَّه عن النقائص والمُحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العُلى والمثُلُ الأعلى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى.

(الأكبرُ) الذي السمواتُ والأرضُ وما فيهن وما بينهما في كَفِّه كخردلة في كف آحاد عباده، له العِظَمَةُ والكِبَرِيَاءُ وهو أَكْبَرُ كُلِّ شيءٍ شهادةً، لا مُنَازَعٌ له في عِظَمَتِهِ وكِبَرِيَّائِهِ، ولا تَنبَغِي العِظَمَةُ والكِبَرِيَاءُ إلا له، ومن نازعه في صفة منهما أذاقه عَذَابَهُ وأَحْلَ عليه غَضَبَهُ، ومن يحلِّل عليه غَضَبَهُ فَقَدْ هَوَى.

(الخالقُ) أي المَقْدَرُ والمُقَلِّبُ للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَوِىَ مُخَلَّقَةً لِنُسْبِنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴿[الحج: ٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَماً فَكُنُوسًا الْعِظَامَ فَكُنُوسًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿١﴾﴾ [مریم: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١﴾﴾ [الرعد: ١٦]، [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾﴾ [الصفات: ٩٦].

فالله تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق له، مربوب له، لا خالق غيره، فجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وأجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبيدته ومعيده، فمنه مبدؤها وإليه منتهاه: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿١﴾﴾ [الشورى: ٥٣].

(البارئ) أي المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبرزء هو الفرء، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل، كما قيل:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد، فالخلق التقدير، والفري التنفيذ.

(المصور) الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، يقال: هذه صورة الأمر أو مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم برزاً ثم تصويراً، وهذه الثلاثة الأسماء التي في سورة الحشر في خاتمتها: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

قال ابن كثير^(١) رحمه الله تعالى: أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار، كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفطار: ٨].

(باري البرايا) جميع الموجودات (منشئ الخلائق) أي جميع المخلوقات (مبدعهم) أي خالقهم ومنشئهم ومحدثهم، يفسر ذلك (بلا مثال سابق) أي بلا نظير سالف، ومنه سُميت البدعة بدعة لأنها على غير مثال سبق في الشرع، وقال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١]. أي مُحدثها وموجدُها على غير مثال سبق.

وهذا مفسرٌ للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلام عليه والله الحمدُ والمنة.

(الأول المبدئي بلا ابتداء) والآخر الباقي بلا انتهاء

(الأول) فليس قبله شيء (المبدئي) الذي يُبدئ الخلق ثم يعيده (بلا ابتداء) لأوليئته تعالى (والآخر) فليس بعده شيء (الباقي) وكل ما سواه فإن (بلا انتهاء) لآخريته تعالى، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْ تَوَفَّكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْكَرُّ وَالْإِلَهَ رُجْعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢١) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من

(١) في تفسيره (٤/٣٦٨).

شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر^(١). رواه مسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وفي الصحيحين^(٢) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «اقبلوا البشري يا بني تميم»، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين.

ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء»، وخلق السموات والأرض. الحديث.

وقال عمر رضي الله عنه: قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري^(٣).

وفي حديث ابن عمر^(٤) رضي الله عنه: «أنه تعالى يطوي السموات بيده ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، أنا الجبار المتكبر، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وفي حديث الصور: «أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له، حينئذ يقول: لمن الملك اليوم، ثلاث مرات». ثم يجيب نفسه

(١) في صحيحه (٢٠٨٤/٤) رقم (٢٧١٣).

(٢) البخاري (٢٨٦/٦) رقم (٣١٩٠) و (٢٨٦/٦) رقم (٣١٩١) و (٨٣/٨) رقم (٤٣٦٥) و (٨/٩٨) رقم (٤٣٨٦)، (٤٠٣/١٣) رقم (٧٤١٨).

ولم يخرج مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل».

(٣) في صحيحه معلقاً (٢٨٦/٦ - ٢٨٧) رقم (٣١٩٢).

ووصله الحافظ في «تغليق التعليق» (٤٨٨/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٣/١٣) رقم (٧٤١٢) ومسلم (٢١٤٨/٤) رقم (٢٧٨٨).

قائلاً: «الله الواحد القهار»^(١)، أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه.

ولابن أبي حاتم^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «ينادي مُنادٍ بين يدي الساعة: يا أيها الناس أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء والأموات. قال: وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار».

قال ابن القيم^(٣) رحمه الله تعالى في أثناء كلامه على هذه الأسماء الأربعة وهي الأول والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ: «هي أركانُ العلم والمعرفة، فحقيقٌ بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه.

واعلم أن لك أنت أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً بل كل شيءٍ فله أولٌ وآخِرٌ وظاهرٌ وباطنٌ، حتى الخطرةُ واللحظةُ والنفسُ وأدنى من ذلك وأكثرُ، فأوليةُ الله عز وجل سابقةٌ على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتةٌ بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاءه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قربٌ غيرُ قربِ المُحبِّ من حبيبه، هذا لونٌ وهذا لون، فمدارُ هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية.

فإحاطةُ أوليته وآخريته بالقبَلِ والبَعدِ، فكلُّ سابقٍ انتهى إلى أوليته، وكلُّ آخِرٍ انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخرِ، وأحاطت ظاهريته

(١) وهو جزء من حديث طويل من رواية أبي هريرة. وسيأتي بتمامه في أحاديث الصور.
(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٤/٨١): «وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن غالب الدقاق، حدثنا عبيد بن عبيدة، حدثنا معتمر، عن أبيه، حدثنا أبو النضر، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فذكره... رجاله ثقات سوى (عبيد بن عبيدة).

قال الحافظ في «اللسان» (٤/١٢٠ - ١٢١ رقم ٢٥٦): «عبيد بن عبيدة التمار بصري، يروي عن المعتمر بن سليمان... يغرب كذا قال ابن حبان في «الثقات» (٨/٤٣١). وقال الدارقطني في «العلل»: (١١/٢٩٦ س ٢٢٩٣)... عبيد بن عبيدة ثقة بصري.

وقال: عبيد يحدث عن معتمر بغرائب لم يأت بها غيره...».

قلت: وقد تصحف (أبو نضرة العبدي) إلى أبي النضر. فتنبه.

(٣) في كتابه: «طريق الهجرتين» (ص ٢٤).

وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا واللّه فوقه وما من باطن إلا واللّه
دونه، وما من أول إلا واللّه قبله وما من آخر إلا واللّه بعده.

فالأول قَدَمُهُ، والآخِرُ دَوَامُهُ وبقاؤه، والظاهرُ علوه وعظمته، والباطنُ قربُه
ودنؤه، فسَبَقَ كُلُّ شَيْءٍ بأوليته وبقي بعد كُلِّ شَيْءٍ بآخريته، وعلا على كل شيءٍ
بظهوره، ودنا من كل شيءٍ ببطونه، فلا تُوارِي منه سماءَ سماءٍ ولا أرضَ أرضاً،
ولا يحجُبُ عنه ظاهرٌ باطناً، بل الباطنُ له ظاهرٌ والغيبُ عنده شهادةٌ، والبعيدُ منه
قريبٌ والسرُّ عنده علانية، فهذه الأسماءُ الأربعةُ تشتمل على أركان التوحيد، فهو
الأولُ في آخريته والآخِرُ في أوليته، والظاهرُ في بطونه والباطنُ في ظهوره، لم يزل
أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً.

ثم ساق الكلامَ على التعبد بهذه الأسماءِ فشَفَى وكَفَى رحمه الله تعالى،
ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسيرُ رسولِ الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم
قريباً بأوجز عبارةٍ وأخصرِها، فسبحان مَنْ خَصَّهُ بجوامع الكلم ﷺ.

(الأحدُ الفردُ القديرُ الأزليُّ	الصمدُ البرُّ المهيمنُ العليُّ)
(علوّ قهرٍ وعلوّ الشانِ	جل عن الأضدادِ والأعوانِ)
(كذا له العلوّ والفوقيّة	على عباده بلا كifiّة)

[الأحد الفرد في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته]

(الأحدُ الفردُ) الذي لا ضِدَّ له، ولا نِدَّ له ولا شريكَ له في إلهيته وربوبيته،
ولا متصرفَ معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيهَ له ولا نظيرَ له في شيء من أسمائه
وصفاته.

فهو أحدٌ في إلهيته ولا معبودَ بحق سواه، ولا يستحق العبادَةَ إلا هو، ولذا
قضى ألا نعبدَ إلا إياه، وهو أحدٌ في ربوبيته فلا شريكَ له في ملكه ولا مُضادَّ ولا
مُنازِعَ ولا مُغالِبَ.

أحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيهَ له ولا مثيلَ، ليس كمثله شيءٌ وهو
السميع البصير. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون به علماً.

فكما أنه الأحدُ الفردُ في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهو المتفردُ

في ملكوته بأنواع التصرفات من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضّر والنفع.

فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إماتة مَنْ هو مُخَيِّيه أو إعزاز مَنْ هو مُذِلُّه أو هداية مَنْ هو مُضِلُّه أو إسعاد مَنْ هو مُشْقِيه، أو خفض مَنْ هو رافعه أو وصل مَنْ هو قاطعه، أو إعطاء مَنْ هو مانعه أو ضرر مَنْ هو نافعه، أو عكس ذلك، لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنى لهم ذلك والكل خلقه ومُلِكُه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرّفه وقهره، ماضٍ فيهم حكمه، عدلٌ فيهم قضاؤه نافذةٌ فيهم مشيئته لا امتناعٌ لهم عما قضاه ولا خروجٌ لهم من قبضته، ولا تحركٌ ذرةً في السموات والأرض ولا تسكنٌ إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فُسْحَقاً لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيته مَنْ هو مخلوقٌ مربوبٌ مثلهم لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، واتخذوهم من دونه أرباباً وأنداداً، سوّوهم به وعدّلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم من دونه، وهم يرون ويعلمون أنهم مُحدَثون بعد أن لم يكونوا، مَسْبُوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم، فقراء إلى مَنْ يقوم بهم.

والحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته على اختلافهم في صناعة الإلحاد، فبين مُشْبِيٍّ له تعالى بالعدم وهم نُفَاءُ أسمائه وصفاته بل هم نُفَاءُ وجود ذاته، وبين مُشْبِيٍّ له بالمخلوقات ممثّلٍ صفاته تعالى بصفات الحادثات المحدثات حاكمين عليه بعقولهم واصفين له بما لم يصف به نفسه.

وآخرون جحدوا إرادته ومشيئته النافذة وقدرته الشاملة وأفعاله وحكمته وحمده، وجعلوا أنفسهم هم الفاعلين لما شاءوا، الخالقين لما أرادوا من دون مشيئة الله ولا إرادة، وجحدوا أن يكون الله خلقهم وما يعملون.

وآخرون جعلوا قضاءه وقدره حجةً لهم على ترك أوامره ونواهيه، وأنهم لا قُدرة لهم ولا اختيار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعله وترك ما لا يُطاق تركه،

وجعلوا معاصيه طاعاتٍ إذ وافقت مشيئته الكونية وقدره الكوني فخاصموه بمشيئته وأقداره وعطلوا أوامره ونواهيه ونسبوه إلى الظلم تعالى، وأن تعذيبه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة ولم يصم ولم يحج ولم يعمل الطاعات ولم يترك المعاصي كتعذيب الذكر لم يصز أنثى والأنثى لم تصز ذكراً، وأن أمرهم بالصلاة وغيرها كأمر الآدمي بالطيران والأعمى بنقط المصاحف، أولئك خصماء الله يوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون، علواً كبيراً.

ورضي الله عن المؤمنين إذ عرفوه حق معرفته وقدروه حق قدره ووحدوه بالهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأثبتوا له ما أثبت له لنفسه، ونفوا عنه التمثيل، وآمنوا بقضائه وقدره وتلقوه بالرضا والتسليم، وأن ذلك موجب ربوبيته ومقتضى إلهيته واللائق بحكمته وحمده، وتلقوا أمره بالسمع والطاعة والامتثال والانقياد، ووقفوا عند نواهيه وحدوده فلم يعتدوها، ونزلوا كلاً من القدر والشرع منزلته ولم ينصبوا الخصام بينهما.

فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتاج به، والأمر والنهي يطاع ويُمتثل، فالإيمان بالقدر من كمال التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بالأمر والنهي موجب شهادة أن محمداً رسول الله، فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بالشهادتين ولو نطق بهما بلسانه.

وهذا البحث سيأتي تفصيله عن قريب إن شاء الله في موضعه، وإنما ساقنا إليه هاهنا الكلام على كمال أحدية الله عز وجل في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه، وأنه لا معارض لمشيئته ولا معقب لحكمه، وأن المخلوق لا تصرف له في نفسه فضلاً عن غيره ولا قدرة له على ما لم يُقدِره الله تعالى عليه، فكيف يسوي به ويعديل به ويُشرك معه في إلهيته أو ينسب إليه التصرف في شيء من ملكوته.

وكم يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهاً غيره بأحديته في الربوبية والأسماء والصفات وإقرار المشرك بها، وأن آلهته التي أشرك لا تتصف بشيء منها، ويلزمه إفراده بالألوهية الملازمة للربوبية كما قال تعالى: ﴿رَبُّ

الَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا [مريم: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْضُكُمْ ثُمَّ يُجِيْعُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُمْ فَآيَنَ تُؤْفَكُونَ ﴿٤١﴾﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ قُلْ لَكُمُ الْكِتَابُ فَتَحْكُمُوا بِهِ﴾ [يونس: ٤١]. إلى غير ذلك من الآيات.

(القدير) الذي له مُطلقُ القدرةِ وكمالُها وتامُّها، الذي ما كان ليُعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، ويُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، أي لا يُكرِثه ولا يُثقله، الفعال لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أي وقت شاء، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَتَيْتُمُ النَّاسَ وَبِآيَاتٍ مُتَاخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْفُرُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] الآية.

وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِيكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٌ مُجَوَّدٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا يَمْدُدُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]. وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُتُوفٍ ﴿٣٨﴾ [ق: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨١] إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ السَّعْدِ وَالْعَرْبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ [٥] عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦﴾ [المعارج: ٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ بِرِءٌ لَقَدِيرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُتَّى الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥] يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَاتِهِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧﴾ [العنكبوت: ٧].

والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها، بل كل آيات الله الظاهرة والمعنوية، وجميع مخلوقاته العلوية والسُّفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة، كما أنه لا يعزُب عن علمه مثقال ذرة، وعبارة العبد تقصّر عن ذلك المعنى العظيم، وكفى العبد دليلاً أن ينظر في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين وخلق في أحسن تقويم، وشق له السمع فسمع والبصر فأبصر واللسان فنطق والفؤاد فعقل إلى غير ذلك.

فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت، ونظر بعين بصيرته إلى مبدعات الحي الذي لا يموت، ورأى الآيات الباهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وفي حديث الاستخارة المتفق عليه^(١): «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم». الحديث.

(الأزلي) بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته، وليس شيء من أسمائه وصفاته متجذداً حادثاً لم يكن قبل ذلك، كذلك له كمال الربوبية ولا مربوب، واسم الخالق ولا مخلوق، هو العليم قبل إيجاده المعلومات والسميع قبل إيجاده المسموعات، والبصير قبل إيجاده المبصرات، وكذلك سائر أسمائه وصفاته أزلية بأزلية ذاته، باقية ببقاء ذاته، لم يزل متصفاً بها في أوليته، وكذلك لم يزل متصفاً بها في سزمديته.

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين، والرزاق قبل وجود المرزوقين، وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت والحياة، وكذلك وصف نفسه تبارك وتعالى فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦، ١٠٠، ١٥٢، الفتح: ١٤، الفرقان: ٧٠، الأحزاب: ٥، ٥٩، ٧٣]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨، ١٦٥، الفتح: ٧، ١٩]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٣٤]. إلى غير ذلك. قال ابن عباس: أي لم يزل كذلك. اهـ.

ولا يجوز أن يُعتقد أن الله تعالى وُصف بصفة لم يكن متصفاً بها لأن صفاته

(١) * أخرجه البخاري رقم (١١٦٢) ورقم (٦٣٨٢) ورقم (٧٣٩٠).

قلت: ولم يخرج مسلم.

* قال النووي في «الأذكار» (ص ٢١٣):

قال العلماء: تُستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب، وبتحية المسجد وغيرها من النوافل، ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة: «قل يا أيها الكافرون»، وفي الثانية: «قل هو الله أحد». ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء.

ويُستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد والصلاة والتسليم على رسوله صلى الله عليه وسلم. ثم إن الاستخارة مستحبة في جميع الأمور كما صرح به نص هذا الحديث الصحيح. وإذا استخار، مضى لما ينشرح له صدره. والله أعلم. اهـ.

سبحانه كلها صفات كمالٍ وفقدائها صفة نقصٍ، ولا يجوز كونه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، وتقدم في الألفية حديثُ عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ^(١) رضي الله عنه في بدء الخلق: «كان الله ولم يكن شيءٌ غيره وكان عرشه على الماء».

[الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم]

(الصمد) قال عِكْرِمَةُ عن ابنِ عباس^(٢): (يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم).

وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابنِ عباس^(٣): (هو السيدُ الذي قد كُمل في سُؤْدُده، والشريفُ الذي قد كُمل في شرفه، والعظيمُ الذي قد كُمل في عظمته، والحليمُ الذي قد كُمل في جلمه، والعليمُ الذي قد كُمل في علمه، والحكيمُ الذي قد كُمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسُؤدد وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له)، ليس له كفؤٌ وليس كمثلُه شيءٌ، سبحانه اللّٰه الواحد القهار.

وعن أبي وائل^(٤): («الصمد» الذي قد انتهى سُؤْدُده). ورواه ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن زيد بن أسلم^(٥): الصمدُ السيدُ. وقال الحسنُ وقتادة^(٤): هو الباقي بعد خلقه. وقال الحسن^(٤) أيضاً: الصمدُ الحيُّ القيومُ الذي لا زوالَ له. وقال عِكْرِمَةُ^(٦): الصمدُ الذي لم يخرج منه شيءٌ ولم يَطْعَم.

-
- (١) تقدم تخريجه قريباً وهو حديث صحيح.
 - (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦٠٩/٤).
 - (٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٦/٣٠) بسند منقطع، لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.
 - وذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره (٦٠٩/٤).
 - (٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٦/٣٠).
 - وذكره ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤). وذكره البخاري تعليقاً «الفتح» (٧٣٩/٨) باب رقم (٢). ووصله ابن حجر في «الفتح» فقال: وقد وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه. وجاء أيضاً من طريق عاصم عن أبي وائل فوصله بذكر ابن مسعود فيه.
 - (٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤).
 - (٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٥/٣٠).

وقال ابن مسعود^(١) وابن عباس^(٢) وسعيد بن المسيب^(٣) ومجاهد^(٤)
وعبد الله بن بريدة^(٥) وعكرمة^(٥) أيضاً وسعيد بن جبيرة^(٥) وعطاء بن أبي رباح^(٦)
وعطية العوفي^(٧) والضحاك^(٨) والسدي^(٩): الصمد الذي لا جوف له.

وقال الشعبي^(١٠): هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال
عبد الله بن بريدة^(١١) أيضاً: الصمد نور يتلألأ.

قال ابن كثير^(١٢) رحمه الله تعالى: «رُوي ذلك كله وحكاها ابن أبي حاتم
والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيد».

وقال الطبراني في كتاب السنة^(١٣) له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في
تفسير الصمد: «وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، وهو الذي يُصمد
إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سُؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا
يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك».

وقال الترمذي^(١٤) رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو سعيد هو

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٤/٣٠) وعطية ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٥/٣٠).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٤/٣٠) من طرق خمس.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٥/٣٠).

(٦)(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤).

(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٥/٣٠).

(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤).

(١٠) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٤٥/٣٠).

(١١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤).

(١٢) في تفسيره (٦١٠/٤).

(١٣) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٦١٠/٤).

(١٤) وهو حديث صحيح لغيره.

أخرجه الترمذي (٥١٠/٤ - ٤٥٢ رقم ٣٣٦٤) وأحمد في «المسند» (١٣٣/٥ - ١٣٤)
والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢٤٥/١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٩٧/١ - ٢٩٨ رقم
٦٦٣) وابن جرير في «جامع البيان» (٣٤٢/٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره كما في «مجموع
الفتاوى» (٢١٥/١٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٩ - ٥٠)، وأبو الشيخ في =

الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. والصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن

= «العظمة» (٣٧٢/١ - ٣٧٤ رقم ٨/٨٨) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١٠) وابن عدي في «الكامل» (٢٢٣١/٦) والعقيلي في «الضعفاء» (١٤١/٤) والخطيب في «تاريخ بغداد» كلهم من طريق أبي سعيد محمد بن ميسر الصاغاني، عن أبي جعفر الرازي به. قال الألباني في «ظلال الجنة» (٢٩٨/١): «إسناده ضعيف»، لسوء حفظ أبي جعفر الرازي. وأبو سعد الخراساني هو محمد بن ميسر الجعفي الصاغاني البلخي الضرير، ضعفه غير واحد ولكنه قد توبع.

ثم قال: تابعه محمد بن سابق ثنا أبو جعفر الرازي بتمامه. أخرجه الحاكم (٥٤٠/٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قلت: وأخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٥) وفي شعب الإيمان (١١٣/١ - ١١٤ رقم ١٠١). وقد عرفت أنه ليس كذلك، لضعف الرازي، على أن الترمذي قد أعله بعله أخرى، وهي الإرسال. فإنه رواه - (٤٥٢/٥ رقم ٣٣٦٥) - من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي... فذكره دون قوله: «عن أبي بن كعب» يعني أنه أرسله. وقال الترمذي: «وهذا أصح من حديث أبي سعد». قلت: وأعله البخاري أيضاً بالإرسال، وقال في أبي سعد: فيه اضطراب. (التاريخ الكبير: ٢٤٥/١).

(*) وللحديث شاهد من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: «قل هو الله أحد» في كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة من قبره قم فادخل الجنة». أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٩/٦ رقم ٣٤٢٢ - مجمع البحرين)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٨/٤ رقم ٢٠٤٤/٢٧٨) إلا أنه قال: إن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: انسب الله! فقال: «أنسب الله»، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٤٦/٧) وقال: وفيه مجالد بن سعيد. قال ابن عدي: له عن الشعبي، عن جابر، وبقي رجاله رجال الصحيح. والخلاصة باجتماع هذه الطرق يصح الحديث لغيره إن شاء الله.

الربيع عن أبي العالية^(١) أن النبي ﷺ ذكر ألهمتهم فقالوا: انسب لنا ربك، قال: فأتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. فذكر نحوه ولم يذكر فيه أبي بن كعب، وهذا أصح من حديث أبي سعيد. اهـ.

قلت: وهذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ: «إنها تعدل ثلث القرآن»^(٢)، مشتملة على توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات، جامعة بين الإثبات لصفات الكمال وبين التنزيه له تعالى عن الأشباه والأمثال، متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر من الدهرية والوثنية والملاحدة من المشبهة والمُعطلة وأهل الحلول والاتحاد، ومن نسب له الصاحبة والولد وغيرهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والله أعلم.

(البز) وصفاً وفعلاً، قال ابن عباس^(٣): اللطيف. وقال الضحاك^(٤): الصادق فيما وعد.

[المهيمن على عباده بأعمالهم]

(المهيمن) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل: هو الشهيد على عباده بأعمالهم^(٥)، يقال: هيمن يهيمن، فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]. وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]. وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ. وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب، والله أعلم بتأويله^(٤) اهـ.

[العلي علو قهر وعلو شأن]

(العلي) فكل معاني العلو ثابتة له، (علو قهر) فلا مغالب له ولا منازع، بل

(١) تقدم تخريجه ضمن النقطة المتقدمة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨/٩ رقم ٥٠١٣) و(٥٢٥/١١ رقم ٦٦٤٣) و(٣٤٧/١٣ رقم ٧٣٧٤)

من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٩١/٧).

(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٩١/٧).

(٥) ذكر ذلك عنهم البغوي في «معالم التنزيل» (٨٧/٨).

كل شيء تحت سلطان قهره: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء، وذل لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.

(وعلو الشأن) فتعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنی وصفاته العلی.

تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجبر، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفء والنظير، وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن غروب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء.

وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثاً، وعن ترك الخلق سُدًى بلا أمر ولا نهى ولا بغث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحداً مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئاً من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله وتُعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الأحقاف: ٤]. وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنشَاقِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبا: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُولَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿[الجن: ٣]﴾. وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيًّا ﴿[مريم: ٦٥]﴾. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴿[الأنبياء: ٢٨]﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴿[يونس: ٣]﴾.

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿[البقرة: ٢٥٥]﴾. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ بِحُجُرٍ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴿[المؤمنون: ٨٨]﴾. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴿[الفرقان: ٥٨]﴾. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿[البقرة: ٢٥٥]﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿[ق: ٣٨]﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿[ق: ١٥]﴾. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُمْ بَدِيلًا يَحْدِثُ عَنْهُمْ أَنْ يُخَيِّتَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[الأحاف: ٣٣]﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿[البقرة: ٧٤]، ٨٥، ١٤٠، ١٤٩، آل عمران: ٩٩]﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿[المؤمنون: ١٧]﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿[مريم: ٦٤]﴾. وقال تعالى عن موسى لما قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمُوا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴿[طه]﴾. وقال تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ ﴿[سبا: ٣]﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿[ص: ٢٧]﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿[الدخان]﴾. وقال تعالى: ﴿أَنصَبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ خَلْقَتُكُمْ عِبَادًا وَأَنْتُمْ لَا تُرْجَعُونَ ﴿[المؤمنون: ١١٥]﴾. وقال تعالى: ﴿أَنْحَسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُوءٍ ﴿[القيامة: ٣٦]﴾. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ لَمَدًا ﴿[الكهف: ٤٩]﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴿[النساء: ٤٠]﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ الْعَبِيدِ ﴿[فصلت: ٤٦]﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَمَلَّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾
 [طه: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَجْرَهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَشْتَرُ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
 [فاطر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾
 [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

وهذان المعنيان من العلو لم يخالف فيهما أحد ممن يدعي الإسلام ويتسبب إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه، وأحسن الظن بنفسه وعقله ومتبوعه، وأساءه بالكتاب والسنة، وكثير منهم اغتر بقول كان مقصود قائله الزيغ والفساد والكفران، فحسب - لإحسان الظن به - أن مقصوده التحقيق والإيمان والعرفان، واتبعوا السبل المضلة فتفرقت بهم عن صراط الرحمن.

فمنهم من نزّهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائناً من خلقه ووقع في أعظم من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان، ولم ينزّهه حتى عن الأماكن الخسيسة، ومنهم من نزّهه عن العلو والفوقية وجعله هو الوجود بأسره، ومنهم من نزّهه عن وجود ذاته ووصفه بالعدم المنحصر، ومنهم من نزّهه عن أفعاله ومشيتته فراراً من وصفه بالظلم، ووقع في تعطيله عن قدرته ونسبته إلى العجز وغلا بعضهم في ذلك حتى أنكز علمه السابق ووصفه بضده، ومنهم من غلا في مسألة القدر وإثباته وخاصم به الأمر والنهي فراراً مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم من ذلك: تعطيل الشريعة ونسبته تعالى إلى الظلم وإلى تكليف عباده ما لا يُطاق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ففرّوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الرشد إلى الغي، ومن الإسلام إلى الكفر، ومن السنة إلى البدعة، ومن النور إلى الظلمات، وضل سعيهم في الحياة

الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فجعلوا إمامهم وقُدوتهم الكتاب والسنة وساروا معها حيث سارا ووقفوا حيث وقفا، فأثبتوا لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العُلا، وآمنوا بالقدر خيرَه وشرَه وتلقَّوه بالرضا والتسليم، وانقادوا للشريعة فقابلوا أوامرَها ونواهيها بالامتثال والتعظيم، فما أثبت الله لنفسه أثبتوه وما نفاه عن نفسه نفوه.

فإذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها قالوا آمنا به كُلُّ من عند ربنا، وإن أحسنوا قالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وإن إساءوا قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وإذا أصابهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

(كذا) ثابتٌ (له العلوُّ والفوقية) بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة.

(على عباده) فوقهم مستوياً على عرشه عالياً على خلقه بائناً منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجلُّ من أن تُستقصى، والفطرُ السليمة والقلوب المستقيمة مجبولةٌ على الإقرار بذلك لا تُنكره.

ونُشيرُ إلى بعض ذلك إشارةً تدل على ما وراءها وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معاني العلوِّ له تبارك وتعالى كاسمه الأعلى واسمه العُلِّيَّ واسمه المتعالي واسمه الظاهر واسمه القاهر وغيرها.

قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

ولما نزلت قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»^(١). وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ

(١) وهو حديث ضعيف.

أخرجه أبو داود (٥٤٢/١ رقم ٨٦٩) وابن ماجه (٢٨٧/١ رقم ٨٨٧) والحاكم (٢٢٥/١) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٣٥/١) والبيهقي (٨٦/٢) والدارمي (٢٩٩/١) وأحمد (١٥٥/٤) والطيبالسي (ص ١٣٥ رقم ١٠٠٠) من طرق عن موسى بن أيوب =

كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال النبي ﷺ في دعائه: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. وهذه الأسماء تدل على ثبوت جميع معاني العلو له تبارك وتعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

[استواؤه على العرش]

ومن ذلك التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]. وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]. وقال تعالى في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

= الغافقي، قال: سمعت عمي، إياس بن عامر يقول: سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: فذكره...

قال الحاكم: «وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر وهو مستقيم الإسناد» اهـ.

ورده الذهبي بقوله: «قلت: إياس بالمعروف».

وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٨١/١/١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وقد ضعف الألباني الحديث في الإرواء (٤٠/٢ - ٤١ رقم ٣٣٤).

(١) تقدم تخريجه.

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي يَخْلُقُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الحديد: ١٧]. وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وفي حديث أنس في فضل الجمعة وتسميته في الآخرة يوم المزيّد الحديث بطوله وفي آخره قال: «وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش». وقد رواه الشافعي في مسنده^(١)، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة^(٢)، وابن خزيمة^(٣).

(١) في مسند الشافعي (١/١٢٦ - ١٢٧ رقم ٣٧٤) ترتيب المسند بسند ضعيف.

(٢) (١/٢٥٠ - ٢٥١ رقم ٤٦٠) وإسناده ضعيف.

(٣) لم أعثر عليه عند ابن خزيمة!.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/٣١٤ - ٣١٥ رقم ٢٠٨٤).

وأورده الهيثمي في «مجمع البحرين» (٢/١٩٧ - ١٩٨ رقم ٩٤٤) وقال: «لم يروه عن نافع إلا ابنه، تفرد به أبو بكر». وأورده أيضاً في «مجمع الزوائد» (٢/١٦٣ - ١٦٤) وقال: ورجاله ثقات.

وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (١٠٢٧) وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد».

وأخرجه الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله» رقم (٤٥) بسند ضعيف.

والنحاس في «رؤية الله» رقم (٨): بسند ضعيف.

وأخرجه الدارقطني في «رؤية الله» رقم (٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣) وابن أبي شيبه في «المصنف» (٢/١٥٠، ١٥١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٤٢٤، ٤٢٥) وابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٧٣) والعقيلي في «الضعفاء» (١/٢٩٢ - ٢٩٣) من طرق.

وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/٢٢٨ - ٢٢٩ رقم ١٤٧٣/٤٢٢٨).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٢١) وقال: «رواه البزار - رقم (٣٥١٩) والطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٨٤) بنحوه، وأبو يعلى باختصار رقم (٤٠٨٩/١٣٣٤)، ورجال أبي

يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف» اهـ.

وغيرهم، وقد جمع أبو بكر بن أبي داود طرقه في جزء، وسيأتي إن شاء الله تعالى بطوله وألفاظه في إثبات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله تعالى الخلائق حاسبهم فيميز أهل الجنة وأهل النار وهو تعالى في جنته على عرشه». قال محمد بن عثمان الحافظ^(١): هذا حديث صحيح^(٢).

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه». رواه الخلال في كتاب السنة^(٣) بإسناد صحيح على شرط البخاري.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض، فذكر حديثاً طويلاً، قالوا: ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثم استوى على العرش»، قالوا: أصبت يا محمد، لو أتممت، ثم استراح، فغضب غضباً شديداً، فأنزل الله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَاكِنُ لُؤُوبٍ» [ق: ٣٨]. رواه ابن منده^(٤) والحاكم^(٥) وصححه، وفي إسناده البقال ضعفه ابن معين.

= وأورده الحافظ في «المطالب العالية» رقم (٥٨٠) وعزاه إلى أبي يعلى وجوّد إسناده. كما صحح البوصيري إسناده أبي يعلى.

وصحح الألباني الحديث في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٩١ رقم ٦٩٤). انظر فتاوى شيخ الإسلام (٦/٤١٠ - ٤١٦).

والخلاصة أن للحديث طرقاً كثيرة، وألفاظاً مختلفة. رواه جمع من الأئمة وصححه جماعة من العلماء.

(١) هو محمد بن عثمان بن محمد أبي شيبة العبسي أبو جعفر الكوفي. مات ببغداد عن نيف وثمانين سنة. انظر: [الأعلام (٦/٢٦٠) والميزان (٣/٦٤٢ ترجمة ٧٩٣٤)].

(٢) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (ص ٥٥).

(٣) عزاه إلى الخلال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ٥٤) وقال: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

وعزاه إلى الخلال الذهبي في «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمتها» (ص ٥٢) وقال: «رواته ثقات».

(٤) لم أعثر عليه عند ابن منده في «الإيمان» ولا في «التوحيد» ولا في «الرد على الجهمية» والله أعلم.

(٥) في «المستدرک» (٢/٥٤٣) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورده الذهبي بقوله: «وأتى ذلك والبقال قد ضعفه ابن معين والناس».

وقال الحافظ في «التقريب» (١/٣٠٥ رقم ٢٥٢): «سعيد بن مرزبان العبسي مولاهم، أبو =

وعن أبي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ
الْعَرْشَ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ». رواه أبو داود^(١) وابنُ ماجه^(٢)، وقال الذهبي^(٣): إسناده
حسنٌ.

ورواه الترمذي^(٤) وحسنه، لكن لفظه: «وخلق عرشه على الماء». قال
يزيدُ بنُ هارون^(٥): العَمَاءُ: أي ليس معه شيءٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن مُرَّةَ عن ناس من أصحاب النبي ﷺ في
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال: «إن الله تعالى كان عرشه

= سعيد البقال، الكوفي، الأعور، ضعيف مدلس... اهـ.

قلت: ويشهد لحديث ابن عباس هذا ما أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/
ج ١٧٨/٢٦ - ١٧٩) عن أبي بكر ﷺ نحوه وإسناده ضعيف، بسبب ابن حُميد، قال
الحافظ في «التقريب» (١٥٦/٢ رقم ١٥٩): «محمد بن حُميد بن حَبَّان الرازي، حافظ
ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه» اهـ.
(١) أبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٠٩٣).
(٢) في سننه رقم: (١٨٢).
(٣) في «العلو» (ص ١٩).

قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٣١٠٩) وابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٣٩ - موارد)
وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ٤٥٠) وابن أبي عاصم في «السنة»
رقم (٦١٢) وأبو الشيخ في «العظمة» (١/٣٦٣ - ٣٦٤ رقم ٣/٨٣) وأحمد في «المسند»
(١٢، ١١/٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠١) و(٨٦٤) وابن زنين في
«أصول السنة» (ص ٣٨٢ رقم ٣١).

وأورده الذهبي في «العلو» وحسن إسناده، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٨٦):
«في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن (حُدُس)، ويقال (عُدُس) وهو مجهول لم يرو
عنه غير يعلى بن عطاء، ولذلك قال المؤلف - الذهبي - في «الميزان»: «لا يعرف» اهـ.
وقال في «ظلال الجنة» (١/٢٧١): «إسناده ضعيف، وكيع بن عُدُس ويقال: حُدُس وهو
مجهول لم يرد عنه غير يعلى بن عطاء ولم يوثقه غير ابن حبان».

والخلاصة فالحديث ضعيف، والله أعلم.
(٤) في «السنن» رقم (٣١٠٩). وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه والكلام عليه في «التعليقة»
المتقدمة.

(٥) ذكره الترمذي في «السنن» عقب الحديث رقم (٣١٠٩).
وانظر: «النهاية» (٣/٣٠٤) لابن الأثير، وتحفة الأحوذى للمباركفوري (٨/٥٢٩ - ٥٣١).

على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دُخاناً فارتفع فوق الماء فسمّا عليه فسّماه سماءً، ثم أيسس الماء فجعله أرضاً ثم فتقها فجعلها سبع أرضين». الحديث. إلى أن قال: «فلما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش». رواه السُدي^(١) وابن جرير الطبري في تفسيره^(٢) والبيهقي في الأسماء والصفات^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده فقال: «يا أبا هريرة، إن الله تعالى خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع». الحديث بطوله رواه النسائي في تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى^(٤). وفيه أخضر بن عجلان قال الذهبي^(٥): وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٣٠٧) والسدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد صدوق بهم. «التقريب» (٧٢/١).

(٢) في تفسيره (٤٣٥/١ - ٤٣٦ شاكراً).

(٣) في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠٧).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» رقم (٥٩٥/٣) والذهبي في «العلو» (ص ٦٧). والحديث إسناده ضعيف. لضعف أبي صالح - هو باذام - بالذال المعجمة، ويقال آخره نون، مولى أم هانئ، ضعيف مدلس روى له الأربعة. «التقريب» (٩٣/١).

(٤) رقم (٤١٢). وانظر «تحفة الأشراف» رقم (١٤١٩٣). ورجاله كلهم ثقات غير الأخضر بن عجلان.

(٥) في «العلو» (ص ٧٥).

قال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١١٢): «٥٧ - قلت: تليين الأزدي إياه؛ لا تأثير له، لأن الأزدي نفسه متكلم فيه كما هو معلوم، لا سيما وقد وثقه ابن معين كما ترى، وكذا الإمام البخاري والنسائي وابن حبان وابن شاهين كما في «التهذيب» - (١/١٦٩ رقم ٣٥٩) - فهو متفق على توثيقه لولا قول أبي حاتم: يكتب حديثه.

لكن هذا القول إن اعتبرناه صريحاً في التجريح فمثله لا يقبل لأنه جرح غير مفسر، لا سيما وقد خالف قول الأئمة الذين وثقوه، على أنه من الممكن التوفيق بينه وبين التوثيق بحمله على أنه وسط عند أبي حاتم، فمثله حسن الحديث قطعاً على أقل الدرجات، وكأنه أشار إلى ذلك الحافظ بقوله فيه في «التقريب» - (١/٥٠ رقم ٣٢٩) -: صدوق.

وبقية رجال الإسناد ثقات كلهم، فالحديث جيد الإسناد على أنه لم يتفرد بذكر خلق التربة يوم السبت، وغيرها في بقية الأيام السبعة. فقد أخرج مسلم - رقم (٢٧٨٩) - وغيره - كأحمد (٢/٣٢٧) وأبي يعلى (١٠/٥١٣، ٥١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٠٣ رقم =

يُكتب حديثه، ولينه الأزدي، وحديثه في السنن الأربعة، وهذا الحديث غريب من أفراده.

[تصريح القرآن بفوقية الله تعالى]

ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذرّيتهم وتُغنم أموالهم قال له النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة»^(١).

وفي لفظ: «من فوق سبع سموات»^(٢)،

= (٣٠٥) وابن منده في «التوحيد» رقم (٥٨) - من طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقد خرجته في «الصحيح» رقم (١٨٣٣) وقد توهم بعضهم أنه مخالف للآية المذكورة في أول الحديث، وهي في أول سورة «السجدة»، وليس كذلك كما كنت بيّنته فيما علّقته على «المشكاة» (٥٧٣٥)، وخلاصة ذلك أن الأيام السبعة في الحديث هي غير الأيام الستة في القرآن، وأن الحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي أجراه الله على الأرض، فهو يزيد على القرآن، ولا يخالفه، وكان هذا الجمع قبل أن أقف على حديث الأخضر، فإذا هو صريح فيما كنت ذهبت إليه من الجمع. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ. وخلاصة القول أن حديث أبي هريرة الذي أخرجه النسائي حسن، والله أعلم.

(١) (*) الأرقعة: قال الزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» (٧٧/٢): «وهي السماوات، لأن كل واحدة منها رقيع التي تحتها» اهـ.

وانظر «لسان العرب» مادة (رقع).

(٢) (*) أورده الذهبي في «العلو» (ص ٣٢)، وقال: هذا مرسل. قلت: وورد عنده (محمد بن مالك) بدل (معبد بن كعب) وهو خطأ. انظر: ترجمة معبد في «التهذيب» (٢٠٢/١٠) رقم (٤١٢).

(*) وأورده الذهبي من طريق آخر عن سعد بن أبي وقاص، وقال: هذا حديث صحيح. أخرجه النسائي - كما من تحفة الأشراف (٢٩٣/٣) - من طريق عامر عبد الملك بن عمر العقدي، عن محمد بن صالح التمار وهو صدوق. (*) وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٢٠) من حديث سعد بن أبي وقاص وفي سنده (محمد بن صالح التمار)، قال الحافظ في «التقريب» (١٧٠/٢): «صدوق يخطئ» =

وأصله في الصحيحين^(١) وهذا سياق ابن إسحاق.

وفي صحيح البخاري^(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زَوَّجَكُنْ أَهَالِيَكُنْ وزَوَّجَنِي اللَّهُ من فوق سبع سموات. وفي سنن أبي داود^(٣) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى

= وترجم له الذهبي في «الميزان» (٥٨١/٣) وذكر خلاف العلماء فيه، فقال: وثقه أحمد، وأبو داود، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. قلت: فسنده حسن.

(*) وورد الحديث عند ابن إسحاق في «السيرة» (٢٩٣/٣ - ن: مكتبة الجمهورية) مرسلًا عن علقمة بن وقاص.

(١) البخاري (٤١١/٧ رقم ٤١٢١) ومسلم (١٣٨٩/٣ رقم ١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) في صحيحه (٤٠٣/١٣ - ٤٠٤ رقم ٧٤٢٠).

(٣) في «السنن» (٩٤/٥ رقم ٤٧٢٦).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٩/١ - ٢٤٠ رقم ١٤٧/٤٠) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٤) وابن أبي عاصم في «السنن» رقم (٥٧٥) و(٥٧٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٢٢٤) واللالكائي رقم (٦٥٦) والبيهقي في «شرح السنن» (١/١٧٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٥٤/٢ - ٥٥٥) والذهبي في «العلو» (ص ٣٧ - ٣٩) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص ١٠٥) من طرق.

قال الألباني في «ظلال الجنة» (٢٥٢/١ - ٢٥٣): «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات، لكن ابن إسحاق مدلس ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث، وهذا لم يفعله في ما وقفت عليه من الطرق إليه، ولذلك استغربه الحافظ ابن كثير في تفسيره آية الكرسي من «تفسيره» (٣١٧/١) حيث قال: «وأغرب من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه «السنن» من سننه، والله أعلم» اهـ.

وقال الألباني في «الرد على الجهمية» (ص ٢٤): «ولا يصح في أطياف العرش حديث».

وقال الذهبي في «العلو» (ص ٣٩): «هذا حديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقوال النبي ﷺ هذا أم لا، وأما الله عز وجل فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره... وقولنا في هذه الأحاديث: إننا نؤمن بما صح منها، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال، واختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإننا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونبين حاله. وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه، مما يوافق آيات الكتاب» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

النبي ﷺ فقال: يا رسول الله جُهِدَتِ الأنفُسُ وضاعت العِيَالُ ونُهكت الأموالُ وهَلَكَتِ الأنعامُ، فاستسقى الله لنا فإننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟» وسبح رسول الله فما زال يُسَبِّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأنُ الله أعظمُ من ذلك. ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا». وقال بأضْبَعه مثل القُبّة عليه: «وإنه لَيُطِطُّ به أطيطُ الرخل بالراكب».

قال ابن بشار في حديثه: «إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته» وساق الحديث.

وله ^(١) عن العباس بن عبد المطلب ؓ قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرث بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تُسمّون هذه؟»،

(١) أي لأبي داود في سننه (٩٣/٥) رقم (٤٧٢٣).

قلت: وأخرجه الترمذي (٤٢٤/٥ - ٤٢٥) رقم (٣٣٢٠) وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه (٦٩/١) رقم (١٩٣) وأحمد (٢٠٧/١) والحاكم (٤١٢/٢) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص ٩٠ - ٩١) وفي «الرد على الجهمية» (ص ٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٥٣/١) والآجري في «الشریعة» (ص ٢٩٢) وابن منده في «التوحيد» رقم (٢١) واللالكائي في «شرح السنة» رقم (٦٥٠، ٦٥١) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٤/١) - ٢٣٥ رقم (١٤٤/١٠) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٦٦/٢ - ٥٦٩) و (١٠٥٠/٣) والبيهقي في: «الأسماء والصفات» رقم (٨٤٧) و (٨٨٢) والذهبي في «العلو» (ص ٥٠).

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

قلت: وفي هذا بعد شديد.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٢٥٤/١): «إسناده ضعيف، عبد الله بن عميرة قال الذهبي: فيه جهالة. قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس».

قلت: وقال الحافظ في «التقريب» (٤٣٨/١): مقبول.

وانظر: «لسان الميزان» (٤٦٩/٢).

وقال الذهبي في «العلو» (ص ٥٠): «تفرد به سماك عن عبد الله، وعبد الله فيه جهالة؛ ويحيى بن العلاء متروك الحديث».

وقد رواه إبراهيم بن طهمان عن سماك، وإبراهيم ثقة اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

قالوا: السحاب. قال: «والمزن». قالوا: والمزن، قال: «والعنان»، قالوا: والعنان.

قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيداً، قال: «هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟» قالوا: لا ندري، قال: «إن بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك - حتى عد سبع سموات - ثم فوق السماء السابعة بحرٌ بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعالٍ بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك».

زاد أحمد: «وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم».

وفي سنن ابن ماجه^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيتا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿سَلِّمُوا قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم». وفي إسناده الرقاشي ضعيف، ومعناه ثابت في الكتاب والسنة.

(١) (٦٥/١ رقم ١٨٤).

قال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٦٥/١ رقم ٦٩): «هذا إسناده ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي».

قلت: وأخرجه اللالكائي (٣/٥٣٤ رقم ٨٣٦) والدارقطني في «الرؤية» رقم (٦١) والآجري في «الشرعية» (ص ٢٦٧) وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٠٣٩) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/٢٧٤ - ٢٧٥) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢٦١ - ٢٦٢).

قلت: والفضل الرقاشي أنكر حديثه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه أحمد والنسائي والسايجي وغيرهم. (تهذيب التهذيب: ٨/٢٥٥).

وفي إسناده أيضاً: أبو عاصم العباداني واسمه «عبد الله بن عبيد الله» قال الذهبي: «واه».

(الميزان: ٢/٤٥٨).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً.

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك^(١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فأدخلُ على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه». وذكر الحديث.

وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه^(٢): «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه». قال عبدُ الحق في الجمع بين الصحيحين: هكذا قال: «في داره» في المواضع الثلاثة، يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه.

وعن عمر بن عبد الملك قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: إن رسولَ الله ﷺ حدثني عن ربه عز وجل فقال: «وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل بيادية كانوا على ما كرهت من معصيتي فتحوّلوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحوّلوا لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبّون من رحمتي». رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش^(٣) والعسل في المعرفة^(٤)، وضعفه الذهبي^(٥).

وعن جابر بن سليم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن رجلاً ممن كان قبلكم ليس بُردين فتبختر، فنظر الله إليه من فوق عرشه فَمَقَّتْهُ، فأمر الأرض فأخذته

(١) أخرجه المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٧) والذهبي في «العلو» (ص ٣٢). وقال الذهبي: «زائدة ضعيف، والمتن بنحوه في الصحيح للبخاري من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه». وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب «المعرفة» بإسناد قوي عن ثابت عن أنس، وفيه: «فأتي باب الجنة فيفتح لي، فأتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه، أو سريره فأخر له ساجدا» وذكر الحديث. اهـ.

قلت: حديث قتادة عن أنس أخرجه البخاري (٤٢٢/١٣) رقم (٧٤٤٠) و (٣٩٢/١٣) رقم (٧٤١٠).

(٢) (٤٢٢/١٣) رقم (٧٤٤٠).

قلت: وأخرجه أحمد (٢٤٤/٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٤٨).

(٣) رقم (١٩).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ٥٣). وفيه: الهيثم بن الأشعث. قال الذهبي: مجهول وإسناده ضعيف.

(٥) في «العلو» (ص ٥٣).

فهو يتجلجل فيها». رواه الدارمي^(١)، وله شاهد في البخاري^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث عمران بن حصين في بدء الخلق: «كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء»، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون». حديث صحيح أصله في البخاري^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى يُيسر له، نظر الله له من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإن يسرته له أدخلته النار». رواه البغوي^(٤) وسكت الذهبي عنه.

وعنه رضي الله عنه قال: «العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». قال الذهبي^(٥): رواه عبد الله بن أحمد في السنة وأبو بكر بن

(١) في «الرد على المريسي» (ص ٤٩) وصححه.

قلت: وأخرجه المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٢) وأبو داود (٣٤٤/٤) رقم (٤٠٨٤) وروى بعضه الترمذي (٧٢/٥) رقم (٢٧٢٢) وليس عندهم الشطر الذي فيه الشاهد. وللحديث طرق ذكرها أحمد بن حنبل في «المسند» (٦٣/٥ - ٦٤) وليس فيه الشاهد. وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٣٦) وقال: إسناد لين.

قلت فيه: عبد السلام بن عجلان قال عنه ابن حبان: يخطئ ويخالف. «لسان الميزان» (١٦/٤).

(٢) في صحيحه (٢٥٨/١٠) رقم (٥٧٨٩).

(٣) في صحيحه رقم (٦٩٨٢ - البغا).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ٤٨). وسكت عنه الذهبي.

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢١٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦) بنحوه.

وقال ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص ١٠٠): إسناد صحيح.

(٥) في «العلو» (ص ٦٣ - ٦٤).

أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٠١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٤٣٨ - ٤٣٩) رقم (٦٥٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/٢٤٢ - ٢٤٣) رقم (١٤٩/٦) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦ - ٢٧) وفي «الرد على المريسي» (ص ٧٣، ٩٠، ١٠٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/٦٨٨ - ٦٨٩) رقم (١٧/٢٧٩) والطبراني في «الكبير» (٩/٢٢٨) رقم (٨٩٨٧) وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٨٣).

وأورده ابن القيم في «الصواعق المرسل» (٤/١٤١٧) من طرق، وهو موقوف على ابن مسعود بسند حسن.

المنذر وأبو أحمد العسال وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ وأبو القاسم اللالكائي وأبو عمرو الطلمنكي وأبو بكر البيهقي وأبو عمر بن عبد البر في تواليهم، وإسناده صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة^(١) أن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنشد النبي ﷺ:

شهدت بإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى، كلاهما له عمل من ربه مُتَقَبَّل

[تصريح القرآن والسنة بأن الله تعالى في السماء]

ومن ذلك التصريح بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝﴾ [الملك].

وفي الصحيحين^(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروض لم تُحْصَلْ من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحقُّ بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً».

قال: فقام رجل غائر العينين مُشْرِفُ الوجنتين ناشرُ الجبهة كثر اللحية محلوق الرأس مشمرُ الإزار فقال: يا رسول الله اتقِ الله؛ فقال ﷺ: «ويلك، أو لستَ أحقُّ أهل الأرض أن يتقي الله؟»، قال: فلما ولَّى الرجل قال خالد بن

(١) في «المصنف» (٥٠٧/٨ - ٥٠٨).

قلت: وأخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٣) والذهبي في «العلو» (ص ٤٠) وقال: «وهذا مرسل».

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٢٤/١) وقال: «رواه أبو يعلى وهو مرسل» اهـ.

(٢) البخاري (٣٧٦/٦) رقم (٣٣٤٤) ومسلم (٧٤١/٢) رقم (١٠٦٤).

الوليد: يا رسول الله ألا أضربُ عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يُصلي»، فقال خالد: وكم من مُصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقَبَ قلوبَ الناس ولا أشقَّ بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٌ فقال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتابَ الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتلَ ثمود».

وعن معاوية بن الحكم في حديث طويل قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبلَ أحدٍ والجوانية^(١)، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم آسفٌ كما يأسفون، لكنني صككتها صكّةً، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ، قلتُ: يا رسول الله أفلا أعتيقها؟ قال: «أعتني بها»، فأتيتها بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». أخرجه مسلم^(٢) وأبو داود^(٣) والنسائي^(٤) وغير واحدٍ من الأئمة في تصانيفهم^(٥).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخٌ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حونا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ». رواه أبو داود^(٦).

(١) الجوانية: موضع بقرب أحد، في شمال المدينة النبوية.

(٢) في صحيحه (٣٨١/١ - ٣٨٢ رقم ٣٣/٥٣٧).

(٣) في «السنن» (٥٧٠/١ - ٥٧٣ رقم ٩٣٠).

(٤) في «السنن» (١٤/٣ - ١٨ رقم ١٢١٨).

(٥) كأحمد في «المسند» (٤٤٧/٥، ٤٤٨ - ٤٤٩) والطيلوسي في «المسند» (ص ١٥٠ رقم ١١٠٥).

واللالكائي (٣/٣٩١ - ٣٩٢ رقم ٦٥٢) وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١/٢١٥ رقم ٤٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٢١ - ٤٢٢) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (ص ١٢١ - ١٢٢).

(٦) في «السنن» (٤/٢١٨ رقم ٣٨٩٢).

قلت: وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٨) والحاكم (١/٣٤٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/٣٠٨) وابن عدي في «الكامل» (٣/١٠٥٤) والدارمي في «الرد» =

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرجم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله». رواه الترمذي ^(١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

- = على المريسي (ص ١٠٤)، والذهبي في «الميزان» (٩٨/٢).
- قال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواته غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث.
- وقال ابن حبان: وزيد بن محمد هذا منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير. فاستحق الترك.
- وقال الذهبي عقب الحديث: فهذه ألفاظ منكرا لم يأت بها غير زيادة.
- * وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٥) من رواية طلق بن حبيب العنزي عن أبيه مرفوعاً.
- قلت: وإسناده جيد إلى طلق، وحبيب العنزي والد الطلق مجهول الحال.
- * وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٦) من رواية طلق بن حبيب العنزي عن رجل من أهل الشام، عن أبيه مرفوعاً. وإسناده جيد إلى طلق ورجح الحافظ في «الإصابة» (٣١٠/١) هذه الطريق.
- وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.
- (١) في «السنن» (٣٢٣/٤) رقم (١٩٢٤) وقال: حسن صحيح.
- قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٩٤١) وأحمد (١٦٠/٢) والحميدي رقم (٥٩١) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص ١٠٤) والحاكم (١٥٩/٤) والبخاري في «الكنى» (ص ٦٤) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦٠/٣) وابن قدامة في «العلو» رقم (١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٢٣).
- كلهم من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو.
- وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
- وفي سننه أبو قابوس. قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٨٣٠٩) مقبول وللحديث شواهد.
- منها: حديث جرير بن عبد الله.
- أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٥٥/٢) رقم (٢٤٩٧). قال الذهبي في «العلو» (ص ٢٠): رواه ثقات.
- ومنها حديث عبد الله بن مسعود. أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨٣/١٠) رقم (١٠٢٧٧) وفي «الصغير» (١٠١/١) والحاكم (٢٤٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي.
- وانظر الصحيحة رقم (٩٢٥). والخلاصة: فالحديث صحيح.

وله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: «يا حصين كم تعب اليوم إلها؟»، قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء.

قال ﷺ: «فأيهم تعب لرغبتك ورهبتك؟»، قال: الذي في السماء. قال: «يا حصين أما أنك لو أسلمت علمت كلمتك كلمتين تنفعانك»، قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني؛ فقال ﷺ: «قل: اللهم ألهمني رُشدي، وأعذني من شر نفسي». قال الترمذي^(١): هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها». رواه مسلم في صحيحه^(٢).

(١) في «السنن» (٥/٥١٩ - ٥٢٠ رقم ٣٤٨٣).

قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص ٢٤) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٤ رقم ٣٩٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٢٤).
كلهم من طريق أبي معاوية عن شبيب بن شيبه عن الحسن البصري، عن عمران بن حصين.

قلت: شبيب بن شيبه ضعيف بل قال الدارقطني: متروك. والحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين كما قال ابن المديني. وكذلك الحسن مدلس وقد عنعن.
* وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ١٧٧/١٩) والذهبي في «العلو» (ص ٢٣ - ٢٤).

كليهما من طريق عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده وإسناده ضعيف.

قلت: عمران بن خالد بن طليق... قال أحمد: متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. [الميزان (٣/ ٢٣٦) واللسان (٤/ ٣٤٥)].
أما خالد بن طليق... قال الدارقطني: ليس بالقوي، وذكر ابن أبي حاتم، ولم يذكره بشيء، وقال الساجي: صدوق يهمل. وعده ابن حبان في الثقات.

[الميزان (١/ ٦٣٣) ولسان الميزان (٢/ ٣٧٩)].

وأما طليق بن محمد... قال الدارقطني: لا يحتج به. وقال الذهبي: طليق بن محمد عن عمران بن حصين منقطع.

وخلاصة القول أن حديث عمران بن حصين ضعيف، والله أعلم.

(٢) (٢/ ١٠٦٠ رقم ١٤٣٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزنبل. فسمعت فأبلغته رسول الله ﷺ، فخرج فصعد على منبره وقال: «ما بال أقوام تُبلغني عن أقوام، إن الله خلق سموات سبعاً فاختر العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، ثم اختار خلقه فاختر بني آدم فاختر العرب فاختر مُضَرَ فاختر قريشاً فاختر بني هاشم فاخترني، فلم أزل خياراً من خيار، فمن أحب قريشاً فبُحِبِّي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم». قال الذهبي^(١): هو حديث منكرٌ رواه جماعة في كتب السنة وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الميث تحضره الملائكة؛ فإذا

(١) في «العلو» (ص ٢٣).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/٤٥٥ رقم ١٣٦٥٠) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٣٨٨) وابن عدي (٢/٥٥٥) و(٦/٢٢٠٧) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/٦٧) والحاكم (٤/٧٣ - ٧٤) وابن قدامة في «العلو» (ص ١١٧ - ١١٨).

من طريقين عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً.

قلت: وهذا إسناده ضعيف جداً.

محمد بن ذكوان: قال النسائي: ليس بثقة. وضعفه الدارقطني، وغيره (الميزان: ٣/٥٤٢) و«الضعفاء والمتروكين» للدارقطني (ص ٣٤٨).

وأورد الحديث ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/٣٦٧ - ٣٦٨) وقال عن أبيه: «إنه حديث منكر».

كما أورده الهيثمي في «المجمع» (٨/٢١٥) وقال: فيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

قلت: لقد فات الهيثمي رحمه الله العلة الثانية وهي ضعف محمد بن ذكوان، لأن الطرق التي فيها حماد بن واقد كانت رواية حماد عن محمد بن ذكوان أيضاً.

وأخرجه الحاكم (٤/٨٦ - ٨٧) من طريق أخرى عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مرفوعاً مختصراً.

وقال الألباني في «الضعيفة» (١/٥١٣): وفي سنده أبو سفيان زياد بن سهيل الحارثي، ولم أجد له ترجمة.

والخلاصة: فالحديث منكر، والله أعلم.

كان الرجل الصالح قالوا: اخرجني أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب، اخرجني حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقولون ذلك حتى يُعْرَج بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل». وذكر باقي الحديث.

رواه أحمد^(١) والنسائي^(٢) وابن ماجه^(٣) وابن جرير واللفظ له^(٤)، وفي الباب أحاديث تأتي إن شاء الله تعالى في ذكر الموت وفتنة القبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لما أُسْرِي بي مررتُ برائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمسطنها فوق المشط من يدها، فقالت: بسم الله تعالى، فقالت ابنته: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. فقالت: أخبر بذلك أبي؟ قالت: نعم؛ فأخبرته فدعا بها فقال: من ربك، هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فالتقاهما فيها». وساق الحديث بطوله. رواه الدارمي^(٥) وأبو يعلى الموصلي^(٦)، وقال الذهبي^(٧): هذا حديث حسن الإسناد.

(١) في «المسند» (٤١٤/٨) رقم ٨٧٥٤ - شاكراً. وقال أحمد شاكراً: إسناده صحيح.

(٢) في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٧٨/١٠).

(٣) في «السنن» (١٤٢٦/٢) رقم ٤٢٦٨.

(٤) في «جامع البيان» (٤٢٤/١٢) - ٤٢٥ رقم ١٤٦١٥.

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٧٣/١) رقم ١٧٥/١١.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٢٢) وعزاه لأحمد والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم.

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ٨٥) بعدما ذكر قول الذهبي: وهو كما قال.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨٣/٣) وزاد نسبته إلى ابن حبان، والبيهقي في البعث.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) في «الرد على الجهمية» (ص ٢٥): وقال الألباني: رجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب كان اختلط، وقد روى عنه حماد في الاختلاط.

قلت: بل قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة.

(٦) لم أجده في مسند أبي يعلى الموصلي.

(٧) في «العلو» (ص ٤٥ - ٤٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء وأنا واحد في الأرض أعبدك». رواه الدارمي في التقصص^(١)، وقال الذهبي^(٢): حسن الإسناد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأجبه فيحبه جبريل، فينادي جبرائيل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأجبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». رواه البخاري^(٣).

وعن النّوّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحّي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات ضِعِقُوا وخرّوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العليّ الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣٠٩/١ - ٣١٠) ومن طريق أحمد هذه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٥١/١١) و (١٢٢٨٠) و (٤٥٠/١١) و (٤٥١ - ٤٥٠/١١) وابن حبان في «الإحسان» (٧/ رقم ٢٩٠٣، ٢٩٠٤) والبزار (٣٧/١ - ٣٨ رقم ٥٤ - كشف) والحاكم (٤٩٦/٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٨٥/٢). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قال. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٥٠/٤) وقال: «وأخرج أحمد، والنسائي والبزار، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس...» وذكر الحديث.

- (١) وفي «الرد على الجهمية» (ص ٢٥).
- وأخرجه البزار (١٠٣/٣ - ٢٣٤٩ - كشف) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٤٦/١٠) وأبو نعيم في «الحلية» (١٩/١).
- وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠١/٨) وقال: «رواه البزار، وفيه عاصم بن عمر بن حفص، وثقه ابن حبان. وقال: يخطئ ويخالف، وضعفه الجمهور» اهـ.
- قلت: وفيه أبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.
- (٢) في «العلو» (ص ٢١).
- (٣) في صحيحه (٤٦١/١٣ - ٧٤٨٥) رقم ٢٠٣٠/٤.
- قلت: وأخرجه مسلم (٢٠٣٠/٤) رقم ٢٦٣٧/١٥٧.

جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل^(١). رواه ابن جرير^(٢) وابن خزيمة^(٣) والطبراني^(٤) وابن حاتم واللفظ له^(٥).

ومن ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْصِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ [التحریم: ١١]. الآية.

وفي الصحيحين^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي».

- (١) في «جامع البيان» (١٢/٢٢/٩١).
- (٢) في «التوحيد» (١/٣٤٨ - ٣٤٩ رقم ٢٠٦/١).
- (٣) كما في «المجمع» (٧/٩٤ - ٩٥) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قاذح معين، وبقي رجاله ثقات».
- (٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦٩٨).
- قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢٧) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم الصلاة» (١/٢٣٦) والآجري في «الشرعة» (ص ٢٩٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/٥٠١) والبغوي في تفسيره (٦/٣٩٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/٥١١ رقم ٤٣٥).
- قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/٢٢٧): «إسناده ضعيف، نعيم بن حماد سيء الحفظ، خرج له البخاري مقروناً بغيره واتهمه الأزدي. وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطئ كثيراً» والوليد بن مسلم ثقة، لكنه كان يدلس تدليس التسوية. وسائر رجاله ثقات...»
- وقال أبو زرعة الدمشقي: عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم... قلت: فذكر هذا الحديث، فقال دحيم: لا أصل له! اهـ.
- وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.
- (٥) البخاري (١٣/٣٨٤ رقم ٧٤٠٤) ومسلم (٤/٢١٠٧ رقم ٢٧٥١).

ولمسلم^(١) عنه في حديث طويل: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وفيهما^(٢) عنه عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هزولة».

وفي صحيح مسلم^(٣) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، وذكر الحديث إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراضون في الصف».

ولهما^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى عند ربهما عز وجل، فحج آدم موسى». وذكر الحديث وسيأتي إن شاء الله بتمامه.
ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع:

منها: رفعه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَلَّلُوهُ يَقِينًا ۖ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]. وقال تبارك وتعالى: ﴿يُعِيسُوهُ إِلَىٰ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيْكَ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

وسيأتي إن شاء الله تعال ذكر الأحاديث الواردة في نزوله إلى الأرض حكماً عدلاً في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد ﷺ في أشراف الساعة.

ومنها: صعود الأعمال إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

(١) في صحيحه (٢٠٧٤/٤) رقم (٢٦٩٩).

(٢) البخاري (٣٨٤/١٣) رقم (٧٤٠٥) ومسلم (٢٠٦٧/٤) رقم (٢٦٧٥).

(٣) في صحيحه (٣٢٢/١) رقم (٤٣٠).

(٤) البخاري: (٥٠٥/١١) رقم (٦٦١٤) ومسلم (٢٠٤٢/٤) رقم (٢٦٥٢/١٣).

وفي صحيح البخاري^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدَّق بَعْدَ تمرَةٍ من كَسْبٍ طيبٍ - ولا يصعد إلى الله إلا الطيبُ - فإن الله تعالى يتقبَّلها بيمينه، ثم يريها لصاحبها كما يري أحذكم فُلُوهُ حتى تكون مثلَ الجبل».

ورواه مسلم^(٢) أيضاً والنسائي^(٣) والترمذي^(٤) وابن ماجه^(٥) وابن خزيمة في صحيحه^(٦).

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذين يذكرون من جلال الله عز وجل من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرشِ لهن دويٌّ كدوي النحلِ يذكرن بصاحبهن، ألا يحب أحذكم أن لا يزال له عند الله شيءٌ يذكر به». رواه أحمد^(٧) وابن ماجه^(٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله عز وجل كأنها شرارة». قال الذهبي^(٩): غريب وإسناده جيد.

(١) في صحيحه (٣/٢٧٨ رقم ١٤١٠).

(٢) في صحيحه (٢/٧٠٢ رقم ١٠١٤).

(٣) في «السنن» (٥/٥٧).

(٤) في «السنن» (٣/٤٩ - ٥٠ رقم ٦٦١).

(٥) في «السنن» (١/٥٩٠ رقم ١٨٤٢).

(٦) في صحيحه (٤/٩٢ - ٩٣ رقم ٤٠٢).

(٧) في «المسند» (٤/٢٦٨).

(٨) في «السنن» (٢/١٢٥٢ رقم ٣٨٠٩).

وقال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٣/١٩٣ رقم ٣٨٠٩/١٣٣٣): «هذا إسناده صحيح رجاله ثقات، وأخو عوف اسمه عبيد الله بن عتبة.

رواه ابن أبي الدنيا، والحاكم (١/٥٠٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم - ووافقه الذهبي -.

ورواه مسدد في مسنده عن يحيى بن سعيد القطان بإسناده ومثله.

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن أبي نمير موسى بإسناده ومثله.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٩) في «العلو» (ص ٢٧).

قلت: وأخرجه الحاكم (١/٢٩) وقال: «قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة

هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلت: والحديث على شرط مسلم.

وفي الصحيحين^(١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وعن أبي موسى الأشعري^(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسطن ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وفي ذلك أحاديث لا تحصى في الصحيحين وغيرهما.

ومنها: صعود الأرواح إلى الله عز وجل، أعني أرواح المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وروى الإمام أحمد^(٣) من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح، وفيه قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة، فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا

(١) البخاري في صحيحه (٦٤/٨ رقم ٤٣٤٧) ومسلم (٥٠/١ رقم ١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٦١/١ - ١٦٢ رقم ١٧٩).

(٣) في «المسند» (٢٨٧/٤ - ٢٨٨، ٢٨٨).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٧/١ - ٣٨) وصححه ووافقه الذهبي.

وأبو داود (١١٤/٥ - ١١٦ رقم ٤٧٥٣) والطيالسي في مسنده رقم (٧٥٣).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٤٩/٣ - ٥٠) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

فيستفتحون له فيشيعه مِنْ كل سماءٍ مُقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يتتها بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتابَ عبادي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى». وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بطوله.

وقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك، وفيه أحاديث جمّة سنذكر منها ما يسره الله تعالى في بابهِ إن شاء الله.

ومنها: عروج الملائكة والروح إليه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ - ٤].

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول تعالى: هل رأوني؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوك.

قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا لك أشدّ عبادةً وأشدّ لك تمجيذاً وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً وأشدّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة.

قال: فيمّ يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: يقول: كيف لو رأوها، قال: يقولون: لو

(١) البخاري (٣٣/٢ رقم ٥٥٥) ومسلم (٤٣٩/١ رقم ٦٣٢).

رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافةً، قال: فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم، قال: يقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم». متفق عليه^(١) وهذا لفظ البخاري.

وعنه عليه السلام قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كان ملكُ الموتِ يأتي الناسَ عياناً، فأتى موسى عليه الصلاة والسلام فلطمه فذهب بعينه، فخرج إلى ربه عز وجل فقال: يا ربِّ بعثني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني، ولولا كرامته عليك لشققتُ عليه. قال: ارجع إلى عبدي فقل له فليضغ يده على ثور فله بكل شعرة وارث كفه سنة يعيشها، فاتاه فبلغه ما أمره، فقال: ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: الآن، فشتمه شتماً قبض فيها روحه، ورد الله على ملك الموتِ بصره».

وفي لفظ: «فلطم عينه فقأها فرجع فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل له إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور».

وفيه: «قال: يا ربُّ فالآن، وقال: رب أذنني من الأرض المقدسة رميةً بحجر، قال رسولُ الله ﷺ: «لو كنتُ ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريقِ عند الكثيبِ الأحمر». متفق عليه^(٢).

ومن ذلك معراجُ نبينا محمدٍ ﷺ إلى سِدرة المنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل، كما ثبتت به الأحاديثُ الصحيحةُ المشهورةُ في الصحيحين^(٣) وغيرهما.

(١) البخاري (٢٠٨/١١ - ٢٠٩ رقم ٦٤٠٨) ومسلم (٢٠٦٩/٤ - ٢٠٧٠ رقم ٢٦٨٩).

(٢) البخاري (٢٠٦/٣ - ٢٠٧ رقم ١٣٣٩) و (٤٤٠/٦ - ٤٤١ رقم ٣٤٠٧) ومسلم (٤/١٨٤٢ رقم ٢٣٧٢).

(٣) منها: حديث مالك بن صعصعة. فقد أخرجه البخاري (٢٠١/٧ رقم ٣٨٨٧) ومسلم (١٤٩/١ رقم ١٦٤) والنسائي (١/٢١٧ - ٢٢١ رقم ٤٤٨).

ومنها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. فقد أخرجه البخاري (٤٧٨/١٣ رقم ٧٥١٧) ومسلم (١٤٥/١ رقم ١٦٢) والنسائي (١/٢٢١ رقم ٤٤٩).

قال البخاري^(١) رحمه الله تعالى: باب المعراج. حدثنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ مَالِكِ بْنِ صَغْصَعَةَ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَظِيمِ - وَرَبِّمَا قَالَ فِي الْجَجْرِ مضطجعاً - إِذْ أَتَانِي آتٌ فَقَدْ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقُّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ.

فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: قَالَ: مِنْ ثَغْرَةٍ نَخَرَهَا إِلَى شِعْرَتِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ قَصَّه إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا فَنَسَلْتُ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ. ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَةِ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضُ، فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟

فَقَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ.

فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنَعِمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنَعِمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

= ومنها: حديث أبي ذر رضي الله عنه.

فقد أخرجه البخاري (٤٥٨/١) رقم (٣٤٩) ومسلم (١٤٨/١) رقم (١٦٣).

ومنها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فقد أخرجه مسلم (١٥٧/١) رقم (١٧٣) والنسائي (٢٢٣/١ - ٢٢٤) رقم (٤٥١) والترمذي

(٣٩٣/٥ - ٣٩٤) رقم (٣٢٧٦). وقال: حديث حسن صحيح.

(١) في صحيحه (٢٠١/٧) رقم (٣٨٨٧) وقد تقدم تخريجه في التعليقة السابقة.

ثم صعدت إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح. قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا إدريس. قال: هذا إدريس فسلم عليه. فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون. فقال: هذا هارون فسلم عليه. فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى. قال: هذا موسى فسلم عليه. فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. فلما تجاوزت بكى. قيل له: ما يبكيك. قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم. قال: هذا أبوك فسلم عليه. قال: فسلمت عليه فرد السلام. قال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح.

ثم رُفعت إلى سِدرة المنتهى فإذا نبُّها مثل قِلال هَجَر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة. قال: هذه سِدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران ونهران باطنان. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

ثم رُفِعَ لي البيتُ المعمورُ، ثم أُتيتُ بإناءٍ من خمر وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل، فأخذتُ اللبنَ فقال: هي الفِطْرَةُ أنتَ عليها وأمتك.

ثم فُرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاةً كلَّ يوم، فرجعتُ فمررت على موسى فقال: بِمَ أُمِرْتُ؟ قال: أُمِرْتُ بخمسين صلاةً كلَّ يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاةً كلَّ يوم، وإني واللَّهِ قد جَرَّبْتُ النَّاسَ قبلك وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك، فرجعتُ فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمُرْتُ بعشر صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعتُ فقال مثله، فرجعتُ فأمُرْتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أُمِرْتُ؟ قلت: أُمِرْتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم، وإني قد جَرَّبْتُ النَّاسَ قبلك وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة فارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك.

قال: سألتُ ربي حتى استحييتُ ولكنني أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزتُ ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي.

ومن ذلك التصريحُ بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ».

وقد ثبت في ذلك أحاديثٌ كثيرةٌ عن نحو ثلاثين صحابياً^(٢)، وقد ثبت أيضاً

(١) البخاري رقم (١١٤٥) و (٦٣٢١) و (٧٤٩٤). ومسلم رقم (٧٥٨).

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري.

فقد أخرجه مسلم رقم (٧٥٨/١٧٢).

ومنها: حديث جبير بن مطعم.

فقد أخرجه الدارمي (٣٤٧/١) وأحمد (٨١/٤) والآنباري في «الشرعة» (ص ٣١٢) وابن

خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٥١) وسنده

صحيح.

نزوله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان^(١)

- = ومنها: حديث رفاعه بن عرابه الجهني .
فقد أخرجه أحمد (١٦/٤) والدارمي (٣٤٧/١) وابن ماجه رقم (١٣٦٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٢)، والآجري في «الشرعية» (ص ٣١٠) وسنده صحيح .
ومنها: حديث علي بن أبي طالب عليه السلام .
فقد أخرج الدارمي (٣٤٨/١) وأحمد (١٢٠/١) وسنده جيد .
ومنها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه .
فقد أخرجه أحمد (٣٨٨/١، ٤٠٣، ٤٤٦) والآجري في «الشرعية» (ص ٣١٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٤) وسنده صحيح .
ومنها: حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
فقد أخرجه اللالكائي (٤٨٦/٣) رقم (٧٥٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٩) .
قال الألباني: حديث صحيح، وإسناده ضعيف... وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة بلغ عددهم عندي الثمانية .
ومنها: حديث جابر رضي الله عنه .
فقد أخرجه اللالكائي (٤٨٦/٣ - ٤٨٧) رقم (٧٥١) بسند ضعيف .
ومنها: حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .
فقد أخرجه اللالكائي (٤٨٩/٣ - ٤٩٠) رقم (٧٥٦) بسند ضعيف .
ومنها: حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه .
فقد أخرجه اللالكائي (٤٩٣/٣) رقم (٧٦١) بسند ضعيف .
وأخرجه الترمذي رقم (٣٥٧٩) وابن ماجه رقم (١٣٦٤) وأحمد (٣٨٥/٤)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب .
ومنها: حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه .
فقد أخرجه اللالكائي (٤٩٤/٣) رقم (٧٦٢) ورجاله ثقات .
ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنه .
فقد أخرجه اللالكائي (٤٩٨/٣) رقم (٧٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٣) وقال الألباني: إسناده صحيح .
(١) ورد ذلك عن أبي ثعلبة الخشني، وأبي موسى الأشعري، وعائشة .
* أما حديث أبي ثعلبة الخشني :
فقد أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٩٣/٣) رقم (٧٦٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١١) . وقال الألباني: «حديث صحيح، ورجاله ثقات غير الأحوص بن حكيم فإنه ضعيف الحفظ كما في «التقريب»، فمثله يستشهد به فيقوى بالطريق التي بعده وبشواهد المتقدمة وغيرها مما سبقت الإشارة إليه» اهـ .
يعني في كتاب «السنة» المذكور آنفاً .

وعشية عَرَفة^(١)، وعند فَنَاءِ الخلق^(٢): «حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملك اليوم، الله الواحد القهار».

وكذا نزوله تعالى لفصل القضاء بين عباده كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمته، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن.

ومن ذلك تنزُّل الملائكة، ونزول الأمر من عنده، وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢].

وقال حكاية عنهم: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مریم: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْزَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. الآية. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْزَ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى

= خلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره.

* وأما حديث أبي موسى الأشعري:

فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٥ - ٤٩٦ رقم ٧٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٠). وقال الألباني في «ظلال الجنة»: (حديث صحيح وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن عزر، وضعف ابن لهيعة. والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) من طريقين آخرين عن ابن لهيعة به، إلا أن أحدهما لم يقل في إسناده: «عن أبيه» اهـ. * وأما حديث عائشة:

فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٦ - ٤٩٧ رقم ٧٦٤) وابن ماجه رقم (١٣٨٩) وأحمد (٦/ ٢٣٨) والترمذي رقم (٧٣٩) وقال: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذه الوجوه - من حديث الحجاج - وسمعت محمداً - أي البخاري - يضعف هذا الحديث. وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. وخلاصة القول أن حديث عائشة ضعيف.

(١) أخرج اللالكائي (٣/ ٤٩٩ رقم ٧٦٧) بسند ضعيف عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة ملائكته، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً، يا أهل عرفة قد غفرت لكم».

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

رُسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا ﴿[النساء: ١٣٦]﴾.

وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا
رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾
[الزمر: ١]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]،
﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [غافر: ٢]، ﴿نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
[فصلت: ٢]، ﴿نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ
عَلَى مَكْنٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَلَقَدْ لَنَزَّلُوا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ ﴿١٧٧﴾ عَلَى قَلَمِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٨]. وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح^(١) عن ابن عباس رضي الله عنه: «بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال
لأخيه: اعلّم لي علّم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء».
وقد تقدم في حديث الذهبية^(٢) قوله ﷺ: «يأتيني خبر السماء صباحاً
ومساءً».

وفي الصحيح^(٣) قال المغيرة رضي الله عنه: «أخبرنا نبينا محمد ﷺ عن رسالة ربنا
تبارك وتعالى أنه من قُتل منا صار إلى الجنة».
وفيه^(٤): قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا
تصدقّه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفيه^(٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال رجل: يا رسول الله أي الذنب
أعظم؟ - وذكر الحديث إلى أن قال - فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ

(١) في صحيح مسلم (٤/١٩٢٣ رقم ٢٤٧٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في صحيح البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣٠).

(٤) البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣١) ومسلم (١/١٩٥ - ١٩٦ رقم ١٧٧).

(٥) البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣٢) ومسلم (١/٩٠ - ٩١ رقم ٨٦).

اللَّهُ إِلَٰهًا آخَرَ» [الفرقان: ٦٨]. الآيات. وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة.
ومن ذلك رفع الأيدي إليه والأبصار كما في حديث القنوت^(١) وأحاديث الاستسقاء^(٢)، وحديث دعائه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا الجزور وهو ساجد^(٣) وحديث استغاثته ربّه ببدر ومناشدته إياه حتى سقط رداؤه^(٤)، وكذا في أحد^(٥).....

(١) أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٢١١) عن ثابت، عن أنس بن مالك، - في قصة القراء وقتلهم - قال: فقال لي أنس: لقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم، يعني على الذين قتلوه.

قال النووي في «المجموع» (٣/٤٧٩): إسناده صحيح أو حسن.
قال البيهقي (٢/٢١١ - ٢١٢) رحمه الله تعالى: «ولأن عدداً من الصحابة ﷺ رفعوا أيديهم في القنوت...»

ثم روي عن أبي رافع قال: صليت خلف عمر بن الخطاب ﷺ فقلت بعد الركوع ورفع يديه وجهر بالدعاء. قال البيهقي: هذا عن عمر صحيح.

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ بإسناد فيه ضعف.
وروي عن ابن مسعود وأبي هريرة ﷺ في قنوت الوتر.

* وأما مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، فقد قال البيهقي: «لست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة.

وقد روي فيه عن النبي ﷺ حديث فيه ضعف، وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة. وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبر صحيح ولا أثر ثابت ولا قياس، فالأولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما فعله السلف ﷺ من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه في الصلاة، وبالله التوفيق» اهـ.

(٢) منها حديث أنس الذي أخرجه البخاري (٢/٥٠١ رقم ١٠١٣) ومسلم (٢/٦١٢ - ٦١٣ رقم ٨٩٧) أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاء المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه... الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (١/٣٤٩ رقم ٢٤٠) ومسلم (٣/١٤١٩ رقم ١٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٣٨٣ - ١٣٨٤ رقم ١٧٦٣/٥٨).

(٥) أخرجه أحمد (٣/٤١٤). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٢١، ١٢٢) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم (١/٥٠٧)، وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: لم يخرجوا لعبيد وهو ثقة، والحديث مع نظافة إسناده منكر أخاف أن يكون موضوعاً رواه عن خلاد بن أبي مسرة.

=

والخندق^(١) وحنين^(٢)، واستغفاره لرفيق أبي موسى^(٣) يومئذ وغير ذلك.

فكتب السنة مملوءة بهذا النوع، وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة^(٤)، وذلك معلوم بالفطر، فكل من حزبه أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل.

= قلت: أما قول الذهبي لم يخرجوا لعبيد فهو كما قال، حيث لم يذكر أحد من أصحاب الكتب التالية أنهما رويَا له أو أحدهما: الخلاصة للخزرجي (ص ٢٥٤) و«الكاشف» للذهبي (٢٣٧/٢) «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر (٦٠/٧ رقم ١٣٣).

ولكن عبيد بن رفاع ثقة. وكذلك خلاد بن يحيى ثقة «تهذيب التهذيب» (١٥٠/٣ رقم ٣٣١). وأخيراً ابن أبي مسرة صدوق [الجرح والتعديل (٦/٥)].

والخلاصة أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦/٧ رقم ٤١١٥) ومسلم (١٣٦٣/٣ رقم ١٧٤٢/٢١) من حديث ابن أبي أوفى.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠١/٣ رقم ١٧٧٦/٧٩) من حديث البراء. وقد انفرد مسلم بلفظ الدعاء. وأما الحديث فقد أخرجه البخاري رقم (٤٣١٥، ٤٣١٦، ٤٣١٧) ومسلم رقم (١٧٧٦) والترمذي رقم (١٦٨٨).

(٣) هو عبيد بن عامر. والقصة في غزوة أوطاس.

أخرجه البخاري في صحيحه (٤١/٨ رقم ٤٣٢٣).

(٤) منها: ما أخرجه البخاري (١٩٦/١١ رقم ٦٣٩٧) ومسلم (١٩٥٧/٤ رقم ٢٥٢٤/١٩٧) من حديث أبي هريرة. قال: قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. فقال: «اللهم اهد دوساً واثب بهم». * وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦١١) عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليها. فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فظن الناس أنه يدعو عليهم. قال: «اللهم اهد دوساً واثب بهم»، وهو حديث صحيح.

* قال المحدث الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٢٢٩): «ليس عندهما قوله: «ورفع يديه»، وقد صرح بذلك الحافظ في المكان المشار إليه آنفاً من الفتح. وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقد عزاه البيهقي في «دلائل النبوة» للبخاري في صحيحه.

وهو من تساهله كما بينته في «الصحيحة» رقم (٢٩٤١).

وفي الحديث فائدة هامة وهي استقبال القبلة بالدعاء، ولذلك قال شيخ الإسلام في بعض كتبه: «لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة».

يشير بذلك إلى أنه لا يجوز استقبال القبور بالدعاء كما يفعل بعض الجهلة في المسجد النبوي، فإنهم يستقبلون قبره ﷺ بالدعاء ومن بعيد، ونحوه استقبال الهلال بالدعاء عند =

وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود^(١) وهو في الصحيح^(٢) بدون رفع البصر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مَذْ وَكُلُّ بِهِ مُسْتَعَدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ كَانَ عَيْنُهُ كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ». أخرجه الحاكم وصححه^(٣).

= إهلاله، فليتبّه لهذا اهـ.

ومنها: أخرج الترمذي (٣٢٦/٥ رقم ٣١٧٣) عن عمر بن الخطاب. قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي سَمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَذَوِيَّ النحل، فَأُتِرَ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَمَكْنَتْنَا سَاعَةً فَسُرِّيَ عَنْهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تُنْقِضْنَا، وَآكِرْمْنَا وَلَا تُهْمْنَا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآكِرْمْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا».

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٩٢/٢) وقال صحيح الإسناد، وقال الذهبي: سنن عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال: أظنه لا شيء.

قلت: يونس بن سليم الصنعاني شيخ عبد الرزاق قال عنه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٨٤/٢): مجهول. وقال عنه الذهبي في «الكاشف» (٣٠٤/٣): واه، ويونس هذا في سند الترمذي والحاكم.

فالحديث بهذا الإسناد ضعيف.

قلت: وارجع إلى «فتح الباري» (١٤١/١١) و«فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء»، للحافظ السيوطي. تحقيق وتخريج محمد شكور.

(١) في «السنن» (١١٩/١ رقم ١٧٠) من حديث عقبة بن عامر الجهني. وهو حديث ضعيف.

(٢) في صحيح مسلم (٢٠٩/١ - ٢١٠ رقم ٢٣٤).

(٣) في «المستدرک» (٥٥٨/٤ - ٥٥٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي على شرط مسلم.

قلت: إن في سنده مروان بن معاوية الفزاري، وهو ثقة حافظ من رجال الجماعة إلا أنه مدلس من الثالثة، ويدلس أيضاً تدليس الشيوخ، وقد عنعن هنا، وليس هو من شيوخ مسلم.

[الجرح والتعديل (٢٧٢/٨ - ٢٧٣ رقم ١٢٤٦) والتقريب (٢٣٩/٢ رقم ١٠٢٦)].

وتابع مروان عند ابن أبي الدنيا - كما في النهاية لابن كثير (٢١٣/١) - عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم وهو ثقة من رجال الجماعة.

[الجرح والتعديل (٢٠/٦ - ٢١ رقم ١٠٨) والتقريب (٥٢٦/١ رقم ١٣٨٣)].

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره بمجموع الطريقين.

وأخرج البغوي عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام: يُطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول: «إليك رفعت رأسي يا عامر السماء» نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء». قال الذهبي^(١): إسناده صالح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يُحشَرُ الناسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ مُشَاةً قِيَاماً أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرْقُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ، وَيَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكَرْسِيِّ. أَخْرَجَهُ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسَلُ فِي كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ، وَيَنْزِلُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكَرْسِيِّ». الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ قَالَ الذَّهَبِيُّ^(٣): إسناده حسنٌ. وفيه أحاديثٌ غير ما ذكرنا.

(١) في «العلو» (ص ٥٥).

قلت: وأخرجه اللالكائي (٤٤٣/٣) رقم (٦٦٩) وقال محققه: «إذا كان المراد به: داود النبي فهو من الأخبار الغيبية التي لا تعرف إلا بواسطة مأمونة وهي: «الوحي» أو «النقل الصحيح»، وهذا الأثر مجرد من ذلك فلا حجة فيه إذن.

وفي صحيح الآثار الإسلامية ما يكفي لمن أراد الحق اهـ.

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ٦٥).

(٣) في «العلو» (ص ٧٣).

قلت: أخرجه الحاكم (٥٨٩/٤ - ٥٩٢) والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٧٨) والطبراني في «الكبير» (٤١٧/٩ - ٤٢١) رقم (٩٧٦٣) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٢٠/٢ - ٥٢٤) رقم (١٢٠٣).

وقال الحاكم: الحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة.

وقال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده وأبو خالد شيعي منحرف.

قلت: أبو خالد الدالاني واسمه يزيد بن عبد الرحمن، وهو صدوق يخطئ كثيراً، ولم أجد من وصفه بالتشيع سوى الذهبي هنا. ولكن لم يتفرد أبو خالد بهذا الحديث بل تابعه زيد بن أبي أنيسة. وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً (١٧٣/١)، ١٧٤، ١٧٤ - ١٧٥ رقم ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠.

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن، والله أعلم.

ومن ذلك إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويل عند مسلم^(١) وفيه: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات. وذكر الحديث.

وللبخاري^(٢) من حديث ابن عباس في خطبته ﷺ يوم النحر - وفيه - ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» الحديث.

ومن ذلك النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته وإضافته غالباً تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ [البروج]، إلى غير ذلك.

وفي الصحيح^(٣) عن ابن عباس ؓ: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العليم الحليم. لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم».

وفيه^(٤) من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة».

وفيه^(٥) عن أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «فإن

(١) (٢/ ٨٩٠ رقم ١٢١٨).

(٢) في صحيحه (٣/ ٥٧٣ رقم ١٧٣٩).

(٣) البخاري (١١/ ١٤٥ رقم ٦٣٤٦) ومسلم (٤/ ٢٠٩٢ - ٢٠٩٣ رقم ٢٧٣٠).

(٤) البخاري (٦/ ١١ رقم ٢٧٩٠).

(٥) البخاري (٥/ ٧٠ رقم ٢٤١٢) ومسلم (٤/ ١٨٤٤ رقم ٢٣٧٣).

الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يُفبق، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش». الحديث.

وفيه^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُدُّ اللّهُ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نفقة، سَخَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، وقال: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْفُضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْفَيْضُ أَوْ الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»، وفي رواية: «وبيدِهِ الْآخَرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».

وفيه^(٢) عنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يَظْلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». قال الذهبي: إسناده صالح.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ أَنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ». رواه أبو داود^(٣) وابن أبي حاتم^(٤) ولفظه: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ بَعْدَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعُنُقِهِ مَخْفِقُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ». وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وفيه جملة أحاديث غير ما ذكرنا وقد تقدم منها جملة وافية.

[تكذيب فرعون لموسى في أن إلهه في السماء]

ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه

(١) البخاري (٣٥٢/٨) رقم (٤٦٨٤) ومسلم (٢/٦٩٠ - ٦٩١ رقم ٩٩٣).

(٢) البخاري (١٤٣/٢) رقم (٦٦٠) ومسلم (٢/٧١٥ رقم ١٠٣١).

(٣) في «السنن» (٩٦/٥) رقم (٤٧٢٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٤٦/٥).

قلت: وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/٩٤٨ - ٩٤٩ رقم ١/٤٧٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٩٨) والطبراني في «الأوسط» (٢/١٩٩ رقم ١٧٠٩).

وقال الطبراني: لم يَزُوْ هذا الحديث عن موسى إلا إبراهيم.

قلت: وهو ثقة كما في «التقريب» ولهذا قال الذهبي في «العلو» (ص ٧٨): إسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٨٠) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح اهـ.

وانظر: «الصحيحة» رقم (١٥١).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

السلام في أن إلهه الله عز وجل العلي الأعلى خالق كل شيء وإله.

قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَدُونَ عَلَى الطُّيُنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْتَدُونَ آتِينَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٩﴾ أَتَسْبَبُ أَتَسْمَرُ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر].

ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مبين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، فكل جهمي نافٍ لعلو الله عز وجل فهو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه، وكل سُني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على عرشه بائن من خلقه فهو موسوي محمدي متبع لرسل الله وكتبه.

[قصة تكليم الله موسى حين تجلّى للجبل فاندك الجبل]

ومن ذلك ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلّى للجبل فاندك الجبل، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. الآية.

قال الترميذي في جامعه في تفسير سورة الأعراف^(١): حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا سليمان بن حَزْبٍ أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال حماد: هكذا - وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه - قال

(١) في «السنن» (٢٦٥/٥) رقم (٣٠٧٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فساخ الجبل وخرّ موسى صعباً. هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

ورواه أيضاً^(١) من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن حماد نحوه، ومن طريق معاذ أيضاً رواه أحمد^(٢) حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُمُ الْجَبَلَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر - قال أحمد: أرانا معاذ، فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقول ما تريد إليه؟.

ورواه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية^(٣) من طريق هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُمُ الْجَبَلَ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: ووضع الإبهام قريباً، من طرف خنصره، قال: فساخ الجبل، قال حميد لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال: يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول أنس وأنا أكتمه؟.

ورواه الحاكم في مستدركه^(٤) من طرق عن حماد بن سلمة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ورواه الخلال^(٥) من طريق هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال: هذا إسناد صحيح لا علة فيه.

(١) في «السنن» (٢٦٦/٥) رقم (٣٠٧٤) وقال: هذا حديث حسن. وهو كما قال.

(٢) في «المسند» (١٢٥/٣).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٥٨/١ - ٢٥٩ رقم ١/١٦٢) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (٢٦٩/١) رقم (٥٠٠).

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨١) بإسناد ضعيف.

(٣) في «جامع البيان» (٦/٩ج/٥٣).

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨٠) وإسناده على شرط مسلم.

(٤) في «المستدرک» (٢/٣٢٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسير (٢/٢٥٤ - ٢٥٥). وقال: «هذا إسناد صحيح لا علة فيه».

وخلاصة القول إن الحديث صحيح، والله أعلم.

ورواه ابنُ خُزَيْمَةَ في كتاب التوحيد^(١) من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثنا أبي حدثنا حمادُ بنُ سلمة، ومن طريق عفان بن مسلم قال: حدثنا حمادُ بنُ سلمة، ومن طريق الهيثم بن جميل قال: حدثنا حمادُ بنُ سلمة، ومن طريق مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا حمادُ، ومن طريق حجاج يعني ابنَ منهال عن حماد بن سلمة، ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة، قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى على هذه الآية قبل سياق الحديث بهذه الطرق^(٢): «أفليس العلمُ محيطاً - يا ذوي الألباب - أن الله - عز وجل - لو كان في كل موضع ومع كل بشرٍ وخلقٍ كما زعمت المعطلة، لكان متجلياً لكل شيء، وكذلك جميعُ ما في الأرض، لو كان الله تعالى متجلياً لجميع أرضه سهلها ووعورها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومُدُنِها وقراها، وعِمَارَاتِها وخرابِها، وجميع ما فيها من نبات وبنائٍ لجعلها دكاً كما جعل الله الجبلَ الذي تجلّى له دكاً.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]^(٣).

انتهى.

وبالجملة فجميعُ رسلِ الله عليهم الصلاة والسلام وجميعُ كتبه المنزلِ وجميعُ أهلِ السموات ومؤمني أهلِ الأرض من الجن والإنس أتباعِ رسلِ الله وجميعُ الفطر

(١) (١/٢٦٠ - ٢٦١ رقم ١٦٤/٣) من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد.

و (١/٢٦١ رقم ١٦٥/٤) من طريق عفان بن مسلم.

و (١/٢٦٢ رقم ٥/...) من طريق الهيثم بن جميل.

و (١/٢٦٢ رقم ٦/١٦٦) من طريق مسلم بن إبراهيم.

و (١/٢٦٣ رقم ٧/...) من طريق حجاج يعني ابن منهال.

و (١/٢٦٣ رقم ٨/...) من طريق سليمان بن حرب.

(٢) في «التوحيد» (١/٢٥٨).

(٣) قال محقق: «كتاب التوحيد»: «كان قدماء الجهمية قبل أن يتفلسفوا يقولون: إن الله في كل مكان، فلزمهم أن يكون سبحانه في الحشوش والأخيلة، وحوانيت الخمر ودور البغاء، وأجواف الخنازير، وسائر الأمكنة القدرة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ولما ترجمت الفلسفة العربية: ووجدوا بعض الفلاسفة من العقلين يشبّون نوعاً من الموجودات يسمونه المجردات، وينفون عنها المكان والجهة، والصورة إلى غير ذلك من خصائص الأجسام، جعلوا الله عز وجل واحداً من هذه المجردات التي هي في الحقيقة: معدومات، فقالوا: ليس له مكان... ابن تيمية.

السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلبها الشياطين عن دينها جميعها شاهدة حالاً ومقالاً أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تأله وتفزع إليه وتدعوه رغباً ورهباً هو فوق كل شيء عالٍ على جميع خلقه استوى على عرشه بائناً من مخلوقاته، وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفى عليه منهم خافية.

ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم وخُرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو، إلى من يعلم سره ونجواه متوجهاً إليه بقلبه وقاله يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعى من أعلى، لا من أسفل كما يقوله الجهمية قبحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علواً كبيراً.

ذكر أقوال أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم

روى ابن أبي شيبه^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الناس، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمُت. ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. حتى ختم الآية.

وللبخاري في تاريخه^(٢) عنه رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبو بكر رضي الله عنه عليه فأكب عليه وقبّل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طُبت حياً وميتاً. وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت.

(١) في «المصنف» (١٤/٥٥٣).

قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦) والذهبي في «العلو» (ص ٦٢).

وهو حديث صحيح.

(٢) (١/٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٦٢٣) تعليقا.

قلت: وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٥٥). وأصل القصة في صحيح البخاري (٣/

١١٣ رقم ١٢٤١، ١٢٤٢) و (٨/١٤٥ رقم ٣٦٦٨).

ولابن أبي شيبَةَ^(١) عن قيس بن أبي حازم قال: لما قديم عمر عليه السلام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: لو ركبنا يزدونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر عليه السلام: ألا أراكم ههنا؛ إنما الأمر من ههنا - فأشار بيده إلى السماء - قال الذهبي^(٢): إسناده كالشمس.

وروى الزهري عن سالم أن كعباً قال لعمر^(٣): ويلٌ لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: إلا من حاسب نفسه. فكبر عمر ثم خر ساجداً.

وعن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: ويلٌ لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقاضى بالحق ولم يقض على هوى ولا قرابة ولا على رغبة ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه، قال ابن غنم: فحدثت بهذا عثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك. رواه أبو نعيم^(٤).

وعن أبي يزيد المدني قال: لقيت عمر امرأة يقال لها: خولة بنت ثعلبة، فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات.

قال الذهبي^(٥): هذا إسناده صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر عليه السلام.

وفي لفظ عمر عليه السلام أنه مرَّ بعجوز فاستوقفته فوقف يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك أتدري من هي، هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

(١) في «المصنف» (٢٦٣/١٣).

قلت: وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٦٢). وإسناده على شرط الشيخين.

(٢) في «العلو» (ص ٦٢). بسند صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص ١٠٤) وفي «الرد على الجهمية» (ص ٢٩).

وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وفيه غفلة (التقريب: ٣٣٨٨)، وقد تابعه عبد الله بن بكير عند الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٨) فهو به صحيح، والله أعلم.

(٤) في «الحلية» (٣٨٩/٥) مرسلًا.

وعزه الذهبي في «العلو» لسمويه في فوائده، (ص ٦٣) وإسناده صحيح.

(٥) في «العلو» (ص ٦٣).

وهذا الحديث رواه عثمان بن سعيد الدارمي^(١)، وقال ابن عبد البر^(٢): حَدَّثَنَا
من وجوه عن عمر رضي الله عنه: فذكره:

ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

(شهدت بأن وعد الله حق
وأن العرش فوق الماء طاف
وتحمله ملائكة كرام
ملائكة الإله مسؤمين)

قال ابن عبد البر في الاستيعاب^(٣): رويناه من وجوه صحاح.

وروى الدارمي^(٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها
خمسائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين
الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش
على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه».

وروى الأعمش عن خيثمة عنه: «إن العبد ليُهَمَّ بالأمر من التجارة أو الإمارة
حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: اصرفوه عنه،
فإنه إن يستره له أدخلته النار». أخرجه اللالكائي بإسناد قوي^(٥).

(١) في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦). ومن طريقه أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٦٣) بسند منقطع.

(٢) في «الاستيعاب» (٢٩١/٤) معلقاً.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٧)، بسند ضعيف منقطع.

فيه: قدامة بن إبراهيم: قال عنه الحافظ في (التقريب: ٥٥٢٥): مقبول.

ويحيى بن أيوب المصري: قال عنه الحافظ في (التقريب: ٧٥١١): صدوق ربما أخطأ.

قال الذهبي في «العلو» (ص ٤٢): «روي من وجوه مرسلة منها يحيى بن أيوب المصري،

حدثنا عمارة بن غزية عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الحاطبي فذكره، فهو منقطع اهـ.

وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/٢٩٦): «وقصته مع زوجته حين وقع على أمته

مشهورة رويناه من وجوه صحاح اهـ.

(٤) في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦ - ٢٧) موقوفاً بسند حسن وقد تقدم.

(٥) في «السنة» (ص ٦٥) بسند ضعيف. كما أشار الذهبي في «العلو» (ص ٦٤) ومن طريقه

ساقه الذهبي. وصحح ابن القيم في «الجوش الإسلامية» (ص ١٠٠) إسناده.

وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦) بنحوه.

انظر: «مختصر العلو» (ص ١٠٤) للمحدث الألباني.

وعنه عليه السلام قال: «إن الله تعالى يبرز لأهل جنته في كل جمعة في كثيف من كافور أبيض فيحدث لهم من الكرامة ما لم يروا مثله ويكونون في الدنوّ منه كمسارعتهم إلى الجمع»، أخرجه ابن بطّة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد^(١).

وعن علي بن أبي طالب^(٢) عليه السلام قال: البحر المسجور يجري تحت العرش. وتقدم حديث أبي هريرة^(٣) عليه السلام وفيه: «وينزل الله تعالى في ظليل من الغمام من العرش إلى الكرسي».

وعن أم سلمة^(٤) عليها السلام في قوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ [طه: ٥]، قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

قال الذهبي^(٥): «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا عرفه».

وعن عبد الله بن عمرو^(٦) عليه السلام قال: قالت الملائكة: يا ربنا منا الملائكة

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص ٦٥) وقال: أخرجه ابن بطّة في «الإبانة الكبرى» بإسناد جيد، وقد تقدم هذا ولكن بإسناد آخر.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/٢٠) بسند ضعيف. من طريق ابن حميد، وهو محمد بن حميد الرازي سيء الحفظ. وفيه مهران العطار: سيء الحفظ.

وليث بن أبي سليم قد اختلط فلم يتميز حديثه فترك. تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٦٦٣).

وأشار إلى هذه الرواية ابن حجر في «الفتح» (١٣/٤٠٦).

وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في الاستواء: «وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة عليها السلام موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» اهـ.

(٥) في «العلو» (ص ٦٥).

(٦) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص ٣٤).

في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة (التقريب: ٣٣٨٨). ومع ذلك قال الذهبي: إسناده صالح.

وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/٥٥) عن الطبراني من طريقين مختصراً عما هنا.

المقربون، ومنا حملة العرش، ومنا الكرام الكاتبون، وذكر الحديث. قال الذهبي^(١): إسناده صالح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «وأيُّ الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته - يعني عثمان رضي الله عنه - ولكن علم الله من فوق عرشه أنني لم أحب قتله». رواه الدارمي^(٢).

وعن أسماء بنت عميس أن جعفرأ رضي الله عنه جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت: قال: «رأيت فتى مُترفاً من الحبشة شاباً جسماً مر على امرأة فطرح دقيقاً كان معها فنسفته الريح فقالت: أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم». رواه ابن ماجه^(٣) وغيره.

وعن أبي أمامة الباهلي^(٤) قال: «لما لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك، فوعزتك

(١) في «العلو» (ص ٦٦).

(٢) في «الرد على الجهمية» (ص ٢٧) بإسناد صحيح.

(٣) في «السنن» (١٣٢٩/٢) رقم ٤٠١٠ من حديث جابر.

قال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٣/٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ١٤١٠/٤٠١٠): «هذا إسناد حسن، سويد مختلف فيه» اهـ.

قلت: وفيه عتنة أبي الزبير فإنه كان مدلساً.

وتابعه في «المرفوع منه» الفضل بن العلاء، حدثنا ابن خيثم به.

أخرجه ابن حبان (١١/٤٤٥ رقم ٥٠٥٩ - الإحسان -) والخطيب في «تاريخه» (٧/٣٩٦).

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٠) عن عطاء بن السائب عن محارب بن

دثار عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: لما قدم جعفر رضي الله عنه من الحبشة، قال له

رسول الله ﷺ: «ما أعجب شيء رأيته ثم قال...» فذكره.

وإسناده صحيح لولا أن عطاء بن السائب كان اختلط، ولكنه يستشهد به.

والخلاصة: فالحديث حسن، والله أعلم.

* تنبيه: واللفظ المذكور في الكتاب ذكره الذهبي في «العلو» (ص ٦٦) وفيه ضعف، لكنه

حسن بشواهد.

(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٦٦) بغير سند.

ولم أقف على هذا الأثر مستنداً.

وقد وقفت على أثر في معناه منسوب إلى أبي قلابة. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»

(١٨٧/١٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٨٤).

لأَغْوَيْنَ خَلْقَكَ ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السموات والأرض خطايا ثم لم يَتَقَ من عمره إلا نَفْسَ واحدٍ فنَدِمَ على ذنوبه لغفرتها وبذلت سيئاته كلها حسنات».

وقد رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لا أزال أغفر ما استغفروني».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع قدميه، وما يقدر قَدْرَ العرش إلا الذي خلقه، وإن السموات في خلق الرحمن عز وجل مثلُ قبةٍ في صحراء» رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٧٦/٣) وأبو يعلى (٥٣٠/٢) من طريق ابن لهيعة به دون قوله: «وارتفاع مكاني».

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٧٦/٥) من طريق ابن لهيعة به وفيه الزيادة «وارتفاع مكاني»، وهي زيادة منكرة.

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٦١/٤). وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي.

قلت: وأورد الذهبي هذا الحديث في كتاب «العلو» (ص ٧٢) من طريق ابن لهيعة التي فيها الزيادة وقال عقبه: «فيه دراج وهو واه» اهـ.

وللحديث طرق أخرى عن أبي سعيد أخرجه أحمد (٢٩/٣، ٤١) وأبو يعلى (٤٥٨/٢) كلاهما من طريق ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو عن أبي سعيد مرفوعاً.

وقال المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٤): «هذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، لكنه منقطع بين عمرو - وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب - وبين أبي سعيد الخدري، فإنهم لم يذكروا لعمرو رواية عن أحد من الصحابة غير أنس بن مالك وهو متأخر الوفاة جداً عن أبي سعيد، فإن هذا كانت وفاته سنة (٧٥) على أكثر ما قيل، وهو توفي سنة (٩٢) وقيل (٩٣)، انتهى».

وخلاصة القول أن الحديث حسن بطرقه، والله أعلم.

(٢) رقم (٥٩٠) وفي إسناده إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي، روى عن أبيه وجده أبي إسحاق، وعنه إسحاق بن منصور السلولي وغيره صدوق بهم [التقريب (٤٧/١)].

وإسحاق بن منصور السلولي روى عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق السبيعي وعنه =

وللدارمي^(١) عنه عليه السلام أنه استأذن على عائشة عليها السلام وهي تموت فقال: «كنت أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيباً، وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجداً من مساجد الله تعالى يذكر فيها إلا هو يُتلى فيها آناء الليل وآناء النهار».

وذكر الطبراني في شرح السنة^(٢) عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: إن ناساً يكذبون بالقدر، قال: «يكذبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحدهم لا يبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه».

ولإسحاق بن راهويه^(٣) عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]. قال ابن عباس عليهما السلام: لم يستطع أن يقول من فوقهم، علم أن الله تعالى من فوقهم.

وليحيى بن سعيد الأموي^(٤) عن عدي بن عميرة عليه السلام قال: خرجت مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر قصة طويلة وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته.

= عباس العنبري كان صدوقاً تكلم فيه للتشيع. [التقريب (١/٦١)].

يوسف ابن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي ثقة، روى عن عمار الدهني وعنه ابنه إبراهيم. [التقريب (٢/٣٧٩)].

وقد قال المحدث الألباني عن هذا الإسناد، في «مختصر العلو» (ص ١٠٢): إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

- (١) في «الرد على الجهمية» (ص ٢٧ - ٢٨) بإسناد حسن.
 - (٢) وأخرجه اللالكائي (٤/٧٤١ رقم ١٢٢٣) وقال محققه: وأخرجه ابن بطة بسند آخر عن أبي هاشم... به في «الإبانة» (٢/٨٧).
 - (٣) أخرجه اللالكائي (٣/٤٤٠ رقم ٦٦١).
 - (٤) في مغازيه من طريق ابن إسحاق كما في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٦٦) لابن القيم وفيه يزيد بن سنان وهو ضعيف.
- وأورد هذا الخبر ابن حجر في «الإصابة» (٤/٣٩٣ - ٣٩٤) عند ترجمة عدي بن عميرة. والذهبي في «العلو» (ص ٢٥) وقال: هذا حديث غريب. وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٧).

وأقوال الصحابة في هذا الباب وتفسيرهم أكثر من أن تُحصَرَ، وفيما ذكرنا كفاية.

ذَكَرُ أَقْوَالِ التَّابِعِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ

عن كعب الأحمري رضي الله عنه قال: قال الله عز وجل في التوراة: «أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي، ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض». قال الذهبي ^(١) رواه ثقاة.

وعنه رحمه الله قال: إن الله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه. وذكر الأثر.

رواه أبو الشيخ في كتابه العظمة ^(٢)، قال الذهبي ^(٣): إسناده نظيف، وأبو صالح لئنه وما هو بمتهم بل سيء الإتيان.

وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه كان إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة الله المبرأة من فوق سبع سموات، قال الذهبي ^(٤): إسناده صحيح.

ويروى عن عطاء بن يسار رحمه الله أن موسى عليه السلام قال: يا رب، من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النور إلى أوكارها ^(٥).

(١) في «العلو» (ص ٩٢).

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/٦) عنه بسند صحيح.

(٢) (رقم: ٢٣٦) بإسناد حسن.

(٣) في «العلو» (ص ٩٢).

قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٩).

(٤) في «العلو» (ص ٩٢).

وانظر: «مختصر العلو» (ص ١٢٨).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ٩٣) بصيغة التمریض.

وعن عبيد بن عمير قال: ينزل الربُّ عز وجل شطرَ الليلِ إلى سماء الدنيا فيقول: مَنْ يسألني فأعطيهِ؟ مَنْ يستغفِرني فأغفرُ له؟ حتى إذا كان الفجرُ صعد الربُّ عز وجل. أخرجه عبدُ الله بنُ الإمام أحمدَ في رده على الجهمية^(١).

وعن شريح بن عبيد الله^(٢) أنه كان يقول: ارتفع إليك نُغَاءُ التسييح، وصعد إليك وقارُ التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملكُ والمَلَكُوتُ والمفاتيحُ والمقاديرُ. إسناده صحيح.

وعن أبي قلابَةَ^(٣) رحمه الله تعالى قال: «أهبطَ اللهُ تعالى آدمَ؟ قال: يا آدمُ إني مُهبطٌ معك بيتاً يُطافُ حولَه كما يُطافُ حولَ عرشي ويصلَّى عنده كما يُصلَّى عند عرشي»، وذكر الأثر.

قال الذهبي^(٤): هو ثابتٌ عن أبي قلابَةَ.

وعن عمرو بن ميمون^(٥) قال: لما تعجَّل موسى إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً يغيظه، فسأل الله تعالى أن يُخبرَه باسمه فقال: لا ولكني أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناسَ على ما آتاهم اللهُ من فضله، ولا يعقُّ والديه، ولا يمشي بالنميمة. قال الذهبي^(٦): إسناده قوي.

(١) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ٩٣) ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٩) بإسناد حسن.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٣) وقال: إسناده صحيح.

* النُغَاء: صوت الغنم والظباء وغيرها عند الولادة.

وثغت الشاة: صاحت.

ونُغَاءُ التسييح: أصوات التسييح.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٣ - ٩٤).

(٤) في «العلو» (ص ٩٤): وأضاف قائلاً: «وأين مثل أبي قلابَةَ في الفضل والجلالة؟ هرب

من توليه القضاء في العراق إلى الشام» اهـ.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٤). ويسنده ضعيف.

لأن زهير بن معاوية بن خديج سمع من أبي إسحاق بعد ما اختلط. ومع ذلك قال

الذهبي: إسناده قوي.

(٦) في «العلو» (ص ٩٤).

وعن مجاهد^(١) رحمه الله تعالى قال: ما أخذت السموات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة.

وعنه رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجْلِسُهُ أو يُقْعِدُهُ على العرش.

قال الذهبي^(٢): «لهذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره^(٣)، وعمل المروزي مصنفًا».

وعن نوف البكالي: «أن موسى عليه السلام لما سمع الكلام قال: من أنت الذي يكلمني؟ قال: أنا ربك الأعلى»، قال الذهبي^(٤): إسناده صحيح.

وعنه قال: إني أجد في التوراة لو أن السموات والأرض كنَّ طبقاً من حديد فقال رجل: لا إله إلا الله، لخرقتهن حتى تنتهي إلى الله عز وجل، رواه حماد بن سلمة^(٥).

وعن أبي عيسى يحيى بن رافع^(٦) رحمه الله تعالى أن ملكاً لما استوى الرب على كرسيه سجد فلا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة فيقول: لم أعبدك حقَّ عبادتك.

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ٩٤) وفيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك. [التقريب: (٥٦٨٥)].

(٢) في «العلو» (ص ٩٤).

(٣) «جامع البيان» (٩/١٥٠/١٤٥) وفيه ليث بن أبي سليم تقدم الكلام عليه آنفاً. قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»، سُئل عنها، قال: «هي الشفاعة».

(٤) في «العلو» (ص ٩٤). وقال: «إسناده صحيح، ونوف من علماء التابعين ووعاظهم» اهـ.

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ٩٥). وفيه علي بن زيد بن جدعان. ضعيف.

[التقريب: (٤٧٣٤)].

(٦) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ٩٥). وقال: «أبو عيسى هو يحيى بن رافع أدرك عثمان بن عفان ؓ» اهـ.

قلت: وفيه نعيم بن حماد: صدوق يخطئ كثيراً، فقيه عارف بالفرائض.

[التقريب: (٧١٦٦)] وقال يحيى بن معين عنه: ليس في الحديث بشيء، ولكنه صاحب سنة [التهذيب: (٢٣٥/٤)].

وعن قتادة^(١) رحمه الله تعالى قال: قالت بنو إسرائيل: «يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيتم عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم». قال الذهبي^(٢): وهذا ثابت عن قتادة.

وعن عكرمة^(٣) رحمه الله تعالى قال: بينما رجل في الجنة اشتهى الزرع، فيقول للملائكة ابذروا فيخرج أمثال الجبال، فيقول الرب عز وجل من فوق عرشه: «كُلْ يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع». قال الذهبي^(٤): إسناده ليس بذلك.

وصح في السنة للالكائي^(٥) عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء.

وفي الحلية^(٦) بإسناد صحيح عن مالك بن دينار أنه كان يقول: خذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوقه عرشه.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّتْهُ رَيْحًا﴾ [مريم: ٥٢] قال: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٨).

(٢) في «العلو» (ص ٩٦) وقال: «هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار».

(٣) أخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤) وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٧٢) والذهبي في «العلو» (ص ٩٦) بسند ضعيف.

(٤) في «العلو» (ص ٩٦).

(٥) (٣/ ٤٤٣ - ٤٤٤ رقم ٦٦٩).

قلت: وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٤٤) وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٦) وقال: صح في السنة للالكائي.

وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٥٥) وقال: إسناده صالح.

وكذلك أورده الذهبي في «الأربعين» رقم (٣٧) وقال: صح عن ثابت البناني.

(٦) (٢/ ٣٥٨).

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٧) وقال: حديث في «الحلية» بإسناد صحيح.

قلت: في سند الحلية: سيار بن حاتم العنزي: قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢٧١٤): صدوق له أوهام.

وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير، أخرجه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات^(١).

وعن سفيان قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ [طه ٥]. كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق»^(٢).

وعن حسان بن عطية^(٣) قال: حملة العرش أقدامهم ثابتة في الأرض السابعة ورؤوسهم قد جاوزت السماء السابعة، وقروئهم مثل طولهم عليها العرش. وذكر أيوب السخيتاني المعتزلة وقال: إنما مدار القوم على أن يقولوا: ليس في السماء شيء. قال الذهبي^(٤): «هذا إسناد كالشمس وضوحاً وكالأسطوانة ثبوتاً عن سيد أهل البصرة وعالمهم رحمه الله تعالى». وقرأ ابن محيصن^(٥) رفيق ابن كثير بمكة: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

(١) (ص ٩٦). وإسناده صحيح.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٧ - ٩٨).

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤١ - ٤٤٢ رقم ٦٦٥) وابن قدامة في «العلو» رقم (٧٤). والبيهقي في «الأسماء والصفات» مع اختلاف يسير في اللفظ (ص ٤٠٨) والذهبي في «العلو» (ص ٩٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - بعد أن ذكر قولاً مماثلاً لمالك - ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك. [الفتاوى: (٣٦٥/٥)].

وقال في «الحموية» (ص ٧٨ - ٧٩) وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: «الرحمن على العرش استوى» وذكر بقية الخبر.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٨).

قلت: فيه يحيى بن عبد الله البابلي. قال عنه الحافظ في «التقريب» (٧٥٨٥) (ضعيف).

* تنبيه في «العلو» البابلي وهو خطأ مطبعي والصواب ما أثبتناه من «التقريب».

(٤) في «العلو» (ص ٩٨).

(٥) قال الذهبي في «العلو» (ص ٩٨): «وقرأ ابن محيصن رفيق ابن كثير بمكة ﴿وَفِي السَّمَاءِ =

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ وَلَا حَمِئَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِثُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا، وفي لفظ: هو فوق العرش وعلمه معهم أين ما كانوا. أخرجه العسال وابن بطة وابن عبد البر بإسناد جيد^(١).

وعن سليمان التيمي^(٢) رحمه الله تعالى قال: لو سُئِلْتُ أين الله لقلت في السماء. وعن حبيب بن أبي حبيب^(٣) قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري وخطبهم بواسط فقال: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضج بالجنح بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً». ثم نزل فذبحه.

قال الذهبي^(٤): والمعتزلة تقول هذا وتحرف نص التنزيل في ذلك، وزعموا أن الرب منزلة عن ذلك.

-
- = رزقكم وما توعدون» حرف ابن محيصن في كتاب المنهج لأبي محمد سبط الخياط، قال الأستاذ ابن مجاهد: كان عالماً بالأثر والعربية لكن أكثر العلماء على أن قراءة ابن محيصن في عداد الشاذة اهـ.
- (١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩٢) وابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٨ - ١٢ - ١٣) والآخر في «الشرعية» (ص ٢٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٣٠). بإسناد حسن.
- وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣٩/٧) معلقاً، وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٨ - ٩٩). وقال: أخرجه أبو أحمد العسال وأبو عبد الله بن بطة، وأبو عمر ابن عبد البر بإسناد جيد. ومقاتل ثقة إمام اهـ.
- (٢) أخرجه اللالكائي (٤٤٤/٣) رقم (٦٧١) وابن قدامة في «العلو» رقم (٧٥) وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٩).
- (٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣): وفي «التاريخ الكبير» (٦٤/٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٧ وص ١١٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢٠٥ - ٢٠٦) وفي «الأسماء والصفات» (ص ٢٥٤) والآخر في «الشرعية» (ص ٩٧) و (ص ٣٢٨) والذهبي في «العلو»، من طريق عبد الرحمن بن محمد به. وفي سننه محمد بن حبيب، وعبد الرحمن بن محمد وهما مجهولان.
- وذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٠٠) عن السري بن يحيى. وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب.
- (٤) في «العلو» (ص ١٠٠).

وقال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد^(١): وعلماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش وعلمه في كل مكان. وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به.

طبقة أخرى

عن نوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر جهنم، إذ جاءته امرأة من يرمذ كانت تُجالسُ جهنماً، فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتيه. فأنته فقال: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده؟.

فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً إن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرايت قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: هو كما تكتب إلى الرجل أنني معك، وأنت غائب عنه. رواه البيهقي^(٢).

ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض. وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء.

قلت: وإنما أراد بقوله هو كما تكتب إلى الرجل الخ نفى الحلول، وإلا فربنا تبارك وتعالى سواء عنده الغيب والشهادة والسر والعلانية.

وعن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: «إذا أنكر أنه في السماء أو في

(١) في «التمهيد» (١٣٨/٧ - ١٣٩).

(٢) في «الأسماء والصفات» (٣٣٧/٢ - ٣٣٨ رقم ٩٠٥) وإسناده ضعيف جداً.

وفيه: نوح بن أبي مريم: كذاب وضاع. [التقريب: (٧٢١٠)].

ونعيم بن حماد قد تكلم في حفظه. [التقريب: (٧١٦٦)].

ولذلك قال البيهقي: إن صحت الحكاية عنه.

الأرض فقال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وعرشه فوق سمواته.

فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال: لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر، رواه شيخ الإسلام الأنصاري في الفاروق^(١).

وروى المقدسي^(٢) عنه رحمه الله تعالى أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.

وعن ابن جريج^(٣) رحمه الله تعالى قال: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق.

وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: «كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات^(٤).

وللشعبي^(٥) عنه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْوَرْدِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]. قال: هو على عرشه كما وصف نفسه.

وسئل رحمه الله تعالى عن أحاديث الصفات فقال: أمرها كما جاءت^(٦).

(١) ذكر ذلك الذهبي في «العلو» (ص ١٠١).

(٢) ابن قدامة في «إثبات العلو».

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٢) وقد قال: روى أبو حاتم الرازي عن الأنصاري عنه ثم ذكره.

(٤) (رقم: ٨٦٥).

والأثر ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص ٧٥) وعزاه للبيهقي وصححه إسناده.

وكذلك ذكره الحافظ في «الفتح» (٤٠٦/١٣) وعزاه أيضاً للبيهقي وجود إسناده.

وأيضاً ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/١٧٩ - ١٨٠) وصححه إسناده.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٢) وعزاه للبيهقي.

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٠٢).

(٦) أخرجه الأجرى في «الشرعية» (ص ١٠٢) بإسناد صحيح.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٢).

وعن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِبُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: هو على عرشه وعلمه معهم. رواه عبد الله بن أحمد في السنة^(١).

ولليبيهي^(٢) عنه قال: بَلَّغْنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قرُّبه بعلمه وهو فوق عرشه.

وعن سفيان الثوري في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: علمه^(٣).

وقال في جميع أحاديث الصفات: أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ^(٤).

وعن الإمام مالك بن أنس^(٥) رحمه الله تعالى قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء. وسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرُّخَصَاءُ، ثم رفع رأسه

(١) في «السنة» رقم (٥٩٢) بإسناد لين.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٢) وعزاه لعبد الله بن أحمد في «السنة».

(٢) في «الأسماء والصفات» (ص ٤٣٠).

قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٨/١٢ - ١٣) والآجري في «الشرعية» (ص ٢٨٩) بإسناد حسن.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٨ - ٩٩) وقال: أخرجه أبو أحمد العسال، وأبو عبد الله ابن بطة، وأبو عمر ابن عبد البر بإسناد جيد، ومقاتل ثقة إمام اهـ.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٦٧٢). وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩٧) والآجري في «الشرعية» (ص ٢٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٩٠٨).

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣). وذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣٩/٧).

قال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٣٩): «ومعدان هذا لم أعرفه، وقد وقع موصوفاً بـ «العابد» في رواية البيهقي، والله أعلم.

ووقع في «الآجري»: خالد بن معدان! وهو خطأ مطبعي، فإن خالد بن معدان تابعي! وقال المؤلف في «مختصره»: «وهذا الأثر ثابت عن معدان» اهـ.

(٤) أورد ذلك الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٦٧٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (رقم: ١١). والآجري في «الشرعية» (ص ٢٨٩). وإسناده صحيح.

فقال: الرحمنُ على العرش استوى كما وصفَ نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوعٌ، وأنت صاحبُ بدعة، أخرجوه^(١).

وفي رواية قال: الكيفُ غيرُ معقول، والاستواءُ منه غيرُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج^(٢).

وقال سلامُ بنُ مطيع^(٣): ويلكم ما تُتكرون هذا الأمر، واللَّه ما في الحديث شيءٌ إلا وفي القرآن ما هو أثبتُّ منه، قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥، لقمان: ٢٨، المجادلة: ١].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨ و ٣٠]. ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائد: ١١٦]. ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]. ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿يَمْوَسَّى إِنَّتَ أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]. فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب.

وصح عن ابن الماجشون^(٤) أنه سُئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمتُ ما سألت عنه فيما تتابعته الجهمية في صفة الربِّ العظيم الذي فاتت عظمته الوصفَ والتقدير، وكلَّت الألسُن عن تفسير صفته، وانحسرت العقولُ دون معرفة قدره، فلم تجد العقولُ مساعاً فرجعت خاسئةً حسيرة، وإنما أمروا بالنظر

(١) أخرجه الصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٥) وأبو نعيم في «الحلية» ٣٢٥/٦ - (٣٢٦). واللالكائي رقم (٦٦٤).

وتابع سلمة عليه بكار بن عبد الله القرشي عند ابن عبد البر في «التمهيد» (١٥١/٧).
(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٣٣) والصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٦).

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦) و (٨٦٧) من طريقين، وقد جَوَّد ابن حجر في «الفتح» (٤٠٦/١٣ - ٤٠٧) إسناد الحديث رقم (٨٦٦).
كما صحح الذهبي سنده في «العلو» (ص ١٠٣).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٥) معلقاً.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٤٤): إسناده صحيح.
(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٥ - ١٠٦). وقال: صح عن ابن الماجشون...

والتفكير فيما خلق، وإنما يقال: «كيف» لما لم يكن مرةً ثم كان، أما مَنْ لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو.
وساق فصلاً طويلاً في هذا المعنى، وذكر جملةً مِنْ نصوص الصفات رحمه الله.

وقال حمادُ بنُ زيدٍ: إنما يدُورون على أن يقولوا: ليس في السماء إله، يعني الجهمية، رواه ابنُ أبي حاتم الرازي^(١).

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ إمامُ أهلِ المغازي^(٢): كان الله تعالى كما وصف نفسه إذ ليس إلا الماءُ عليه العرشُ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، الظاهرُ في علوه على خلقه فليس شيءٌ فوقه، الباطنُ لإحاطته بخلقه فليس شيءٌ دونه، الدائمُ الذي لا يبيد، وكان أولُ ما خلق النورُ والظلمةُ، ثم السمواتُ السبعُ من دُخان، ثم دحى الأرض، ثم استوى إلى السماء فحبكهن وأكملَ خلقهن في يومين، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

طبقةٌ أخرى

روى ابنُ أبي حاتم^(٣) عن جرير بن عبد الحميد قال: كلامُ الجهمية أولُهُ عسلٌ وآخرُهُ سُمٌّ، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله.

وصح عن عليّ بن الحسن بن شقيق^(٤) قال: قلتُ لعبد الله بن المبارك:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما قال الذهبي في «العلو» (ص ١٠٦ - ١٠٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»، رقم (٤١) كلاهما من طريق سليمان بن حرب بإسناد صحيح.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٤٧): فهو إسناد صحيح، وصححه ابن تيمية أيضاً في «الحموية».

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٠٨). وقال عن محمد بن إسحاق: كان يبالي في نشر أحاديث الصفات ويأتي بغرائب.

قلت: وذكره الذهبي عن سلمة بن الفضل وهو صدوق كثير الخطأ. [التقريب: (٢٥٥)].

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ١١٠). وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٢٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٣). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٢٧).

وصححه إسناده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٧١).

كيف نعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول: كما تقول الجهمية إنه ها هنا في الأرض». ف قيل هذا لأحمد بن حنبل فقال: هكذا هو عندنا.

وعنه عليه السلام أن رجلاً قال له: يا أبا عبد الرحمن قد خفتُ اللهَ من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء. رواه عبد الله بن أحمد^(١).

وقال نوح الجامع وسأله رجل عن الله عز وجل في السماء هو؟ فحدث بحديث النبي عليه السلام حين سأل الأمة أين الله؟ قالت: في السماء، قال: «أعنيها فإنها مؤمنة». ثم قال: سمّاها النبي عليه السلام مؤمنة أن عرفت أن الله عز وجل في السماء. رواه عبد الله بن أحمد أيضاً^(٢).

وقل عبّاد بن العوام^(٣): «كلمتُ بشراً المُرسيّ وأصحابه فرأيتُ آخرَ كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء، أرى أن لا يُنكحوا ولا يُوارثوا». وثبت عن أبي يوسف^(٤) رحمه الله تعالى قال: «من طلب الدين بالكلام

= وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٥٢): «فهو صحيح كما قال المؤلف رحمه الله تعالى هنا.

وقال في «مختصره»: «هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك وأحمد عليهما السلام. وصححه ابن تيمية في «الحموية».

(١) في «السنة» رقم (٢٤) بسند ضعيف.

وأورده الذهبي في «العلو» وعزاه لعبد الله بن أحمد.

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ١١١).

ونوح الجامع تقدم أنه متهم بالوضع.

وحديث الجارية صحيح تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٦٥) بسند ضعيف.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٢) معلقاً.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٢) وصدّره بقوله: ثبت عن أبي يوسف.

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٥٤): «أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٦/١٠٤/١)

(١) من طريقين عن أبي يوسف، وقد جزم بنسبته إليه ابن تيمية في رسالته «الجواب الفاصل» من مخطوطات المكتب الإسلامي.

ثم أخرجه الهروي (٥/٢٩٤) عن مالك مثله اهـ.

تزدق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غريب الحديث كذب». وقد ضربَ علياً الأحوالَ وطوّفَ به في شأن الكلامِ وضربَ آخرَ كان معه^(١).

وقال محمد بن الحسن^(٢): «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء».

وكتب بشر المريسي^(٣) قبحه الله تعالى إلى منصور بن عمار رحمه الله تعالى يسأله عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟

فكتب إليه: استواؤه غير محدود، والجواب فيه تكلف، ومسألتك عن ذلك بدعة، والإيمانُ بجملة ذلك واجب، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقيل ليزيد بن هارون: من الجهمي؟ قال: من زعم أن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] على خلاف ما يقَرُّ في قلوب العامة فهو جهمي. رواه عبد الله بن أحمد^(٤).

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٢) من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشار الخفاف ضعيف، كثير الغلط، كثير الحديث قاله ابن حجر في «التقريب» (٦٧٤).

* وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٣) بسند حسن عن أبي يوسف القاضي، قال: «جيثوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره ويطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق؟».

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٤٠).

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٣) وعزاه للالكائي وابن قدامة.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٣/٧٥ - ٧٦).

وفي سنده أبو علي الكوكبي قال عنه ابن حجر: إخباري مشهور، رأيت في أخباره مناكير كثيرة بأسانيد جياد.

(٤) في «السنة» رقم (٥٤) بإسناد حسن.

قلت: وأخرجه أبو داود في مسائله (ص ٢٦٨ - ٢٦٩)، وأورده البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٤٨) معلقاً بصيغة الجزم.

وانظر: «مختصر العلو» (ص ١٦٨).

وقال سعيد بن عامر الضبعي^(١) وذكر الجهمية فقال: هم شرُّ قولا من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش.

وقال أحمد بن حنبل^(٢) رحمه الله: حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الربُّ جل جلاله على الكرسي». فاقشعر رجلٌ عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدرَكنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا يُنكرونها.

وقال مرة^(٣): نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول: كيف كذا ولا لِمَ كذا. وقال عبد الرحمن بن مَهْدِي^(٤): إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا ضُربت أعناقهم. وقال وهب بن جرير^(٥): إياكم ورأي جَهَنم فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا وحي إبليس، ما هو إلا الكفر.

وقال الأصمعي^(٦): لما قدمت امرأة جَهَنم فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدودٌ على محدود. قال الأصمعي: هي كافرةٌ بهذه المقالة. وقال الخليل ابن أحمد^(٧) في قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» [البقرة: ٢٧]، يقول: ارتفع.

-
- (١) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٧) من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً.
 - (٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٨٧) بإسناد ضعيف. فيه عبد الله بن خليفة قال عنه الحافظ في «التقريب» (٣٢٩٤): مقبول. وفي سماع عبد الله بن خليفة من عمر بن عمر، ومنهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً. ومنهم من يرويه عنه مرسلاً. تفسير ابن كثير (٤٥٨/١) ن: مطبعة الشعب.
 - (٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٩٥) بسند صحيح.
 - (٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٩) بإسناد حسن.
 - (٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١١٨)، وابن قدامة في «العلو» رقم (٨٥) وأورده ابن التميم في «جيوشه» (ص ٧٢).
 - (٦) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٨) معلقاً.
 - (٧) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١١٨).
- وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٧١) وفيه من لم أعرفهم.

وقال الفراء^(١): صعد. وعن عبد الله بن أبي جعفر الرازي^(٢) أنه ضرب رأس قرابة له كان يرى رأي جهنم، وكان يضرب بالنعل على رأسه ويقول: لا، حتى تقول الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه.

طبقة الشافعي وأحمد

روى الحافظ المقدسي^(٣) عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفیان ومالك وغيرهما إقراراً بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائر الاعتقاد».

وقال عبد الله بن مسلمة القعنبي^(٤): «من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقرب في قلوب العامة فهو جهمي».

وقال عاصم بن علي^(٥) شيخ البخاري رحمه الله تعالى: «ناظرتُ جهماً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء رباً».

-
- (١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤١٢ - ٤١٣) بسند صحيح. وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٨ - ١١٩).
- (٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١١٩) معلقاً. وانظر: مختصر العلو» (ص ١٧٢ - ١٧٣).
- (٣) في «العلو» رقم (٩٢). وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١٢٠) وحكم بأن إسناده واه. والعله في أبي الحسن الهكاري، وقد قال فيه الذهبي - في سير أعلام النبلاء (٦٨/١٩): لم يكن موثقاً في روايته.
- (٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٢١) معلقاً. وانظر «مختصر العلو» (ص ١٧٨).
- وقال الذهبي: «المراد بالعامّة: عامّة أهل العلم... ولقد كان القعنبي من أئمة الهدى، حتى لقد تغالى فيه بعض الحفاظ وفُضّله على مالك الإمام. توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً» اهـ.
- (٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٢٢) معلقاً.

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي^(١): نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، نقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ومن زعم غير هذا فهو مُبْطَلٌ جهميٌّ.

وقال هشام بن عبيد الله الرازي^(٢): «وحُبِسَ رجلٌ في التجهم فجيء به إليه ليمنّجه فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائنٌ من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائنٌ من خلقه، فقال: رُدّوه فإنه لم يثب بعد».

وقال محمد بن مصعب العابد^(٣): «مَن زعم أنك لا تتكلم ولا تُرى في الآخرة فهو كافرٌ بوجهك، أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سمواتٍ، ليس كما تقول أعداءُ الله الزنادقة».

وقال أبو عمران الطّـرطوسي^(٤): قلتُ لسنيد بن داود: هو عز وجل على عرشه بائنٌ من خلقه؟ قال: نعم».

وقال نعيم بن حماد^(٥) في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: معناه أنه لا يخفى عليه خافيةٌ بعلمه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، الآية.

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٢ - ١٢٣).

وانظر: «مختصر العلو» (ص ١٨٠).

وقال الألباني: «فقد رأيت ابن تيمية ثبت هذا النص عن الحميدي في كتابه «مفصل الاعتقاد» (ص ٦).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٣).

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٨١): «علي بن الحسن بن يزيد السلميّ وأبوه لم أعرفهما. لم يذكرهما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل». ومن طريقه أخرجه الهروي في ذم الكلام (ق ١/١٢٠) اهـ.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٢١٠) بإسناد صحيح.

وانظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨٠) و«مختصر العلو» (ص ١٨٣).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٦).

وقال الذهبي: «لسنيد تفسير كبير رأيته كله بالأسانيد، ومذهبه في الصفات مذهب السلف. توفي سنة ست وعشرين ومائتين» اهـ.

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٦) بسند صحيح.

وقال رحمه الله تعالى^(١): «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً».

وقال بشر الحافي^(٢): «والإيمان بأن الله تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل ما كان وأنه يقول ويخلق، فقلوه: كن ليس بمخلوق».

ومن دعائه^(٣): «اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنني لا أؤثر على حبك شيئاً».

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤) - في أحاديث الرؤية، والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا، وحديث أين كان ربنا، فقال: «هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمه وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره». وقال أحمد بن نضر^(٥) - وسئل عن علم الله فقال -: «علم الله معنا وهو على عرشه».

وقال مكِّي بن إبراهيم^(٦) دخلت امرأة جهيم على زوجتي فقالت: يا أم

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٦) بإسناد صحيح.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٢٧).

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٧).

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٨٥): «ساقه المصنف بسنده إلى عباس بن دهقان، ولم أجد له ترجمة».

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٧) بإسناد صحيح.

قلت: وأخرجه ابن منده في «التوحيد» (٣/ ١١٦ رقم ٥٢٢) والدارقطني في «الصفات» (ص ٦٨ - ٦٩ رقم ٥٧).

وقال ابن تيمية في «الحموية»: «رواه البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة».

وانظر: «مختصر العلو» (ص ١٨٦).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٢٨).

(٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٨).

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٨٧): «كذا في المطبوعة والمخطوطة، وأظنه خطأ. والصواب محمد بن عمرو البلخي، فإنهم ذكروه في الرواة عن مكِّي بن إبراهيم، =

إبراهيمَ هذا زوجك الذي يحدث عن العرش مَنْ نَجَرَه؟ قالت: نَجَرَه الذي نَجَر أسنانك. قال: وكانت بادية الأسنان.

وقال قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ^(١): قَوْلُ الْأَثَمَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَالسَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ - نَعْرِفُ رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ - كَمَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُطَيْبِيُّ^(٢): «آخِرُ كَلَامِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ».

وقال يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ^(٣): إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: وَكَيْفَ يَنْزِلُ؟ فَقُلْ: كَيْفَ يَصْعَدُ؟ قُلْتُ: الْكَيْفُ فِي الْحَالِينِ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهِ.

وعن ابنِ المَدِينِيِّ^(٤) أَنَّهُ سُئِلَ: مَا قَوْلُ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ؟ قَالَ: يُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَا وَبِالْكَلَامِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى.

فُسئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. فَقَالَ: اقْرَأْ مَا قَبْلَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [المجادلة: ٧].

وَسُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ^(٥) إِمَامُ أَهْلِ السَّنَةِ: اللَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِتٌ عَلَى خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ؟ وَقَالَ: نَعَمْ هُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ. وَقِيلَ لَهُ: مَا مَعْنَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُوكُ﴾ [الحديد: ٢٨]؟

= وهو أبو عبد الله السواق، وهو ثقة من شيوخ البخاري، ومثله مكِّي بن إبراهيم، والأبَار: ثقة حافظ متقن، كما قال الخطيب (٤/٣٠٦) اهـ.

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٨).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٩).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٩).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٣٠).

وابن قدامة في «العلو» رقم (٨٠).

وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ١٢٣) وعزاه إلى كتاب السنة للخلال...

وقد بسط الإمام أحمد، الكلام على معنى المعية في كتابه «الرد على الجهمية» (ص ٩٧ - ٩٩).

[٤].؟ قال: «علمه محيطٌ بالكل، وربنا على العرش بلا حدٍ ولا صفة».

وقال حزبُ بنِ إسماعيلَ الكرمانيّ^(١): قلت لإسحاق بنِ راهويه قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، كيف تقول فيه؟ قال: «حيث ما كنتَ فهو أقربُ إليك من حبل الوريدِ وهو بائنٌ من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله: هو على عرشه بائنٌ من خلقه، ثم قال: أعلى شيءٍ في ذلك وأبينه قوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

رواه الخلالُ في السُّنة^(٢). وقال إسحاق بنُ راهويه^(٣): دخلتُ على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش، قال: نعم، قلت: فلم تتكلم في هذا؟.

وروى الخلالُ^(٤) عنه قال: قال الله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] إجماعُ أهلِ العلمِ أنه فوق العرشِ استوى ويعلم كلُّ شيءٍ في أسفل الأرضِ السابعة.

وقال رجلٌ لابن الأعرابي^(٥) رحمه الله تعالى: يا أبا عبد الله ما معنى قوله: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] قال: هو على عرشه كما أخبر. فقال الرجل: ليس كذلك، إنما معناه استولى. فقال: اسكت ما يُدريك ما هذا، العربُ لا تقول للرجل

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٣١).

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ١٣١). ولم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من السنة، ولعله في الأجزاء التي لم تطبع.

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣١ - ١٣٢) بإسناد صحيح. وأخرجه البيهقي (ص ٤٥١ - ٤٥٢) من طريق أخرى عن إسحاق مختصراً.

وعزاه ابن تيمية في «شرح النزول» لابن بطة وصححه.

انظر: «مختصر العلو» (ص ١٩٢).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٢).

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤١٥) واللالكائي رقم (٦٦٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣ - ٢٨٤) بسند صحيح.

وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تأويل الاستواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٤ - ١٤٩) وابن القيم في «الصواعق» (٢/ ١٢٦ - ١٥٢) مختصره من اثنين وأربعين وجهاً. فارجع إليهما لزماً.

استولى على الشيء حتى يكون له مُضادُّ، فأيهما غلب قيل: استولى، واللَّهُ تعالى لا مضادُّ له وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة(*):

إلا لمثلِكَ أو ما أنت سابقه سبقَ الجواد إذا استولى على الأمد

وقال ذو النون المصري^(١) رحمه الله: أشرق لنور وجهه السموات، وأنار لوجهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، وناجاه على عرشه السنة الصدور.

طبقة أخرى

وقال المُرزني^(٢) في عقيدته: الحمدُ لله أحقُّ ما بُدِيَ وأولى من شكرٍ وعليه أُنِّي، الواحدُ الصمدُ، ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، جلَّ عن المثل فلا شبيهة له ولا عديل، السميعُ البصيرُ العليمُ الخبيرُ المنيعُ الرفيعُ عالٍ على عرشه فهو دانٍ بعلمه من خلقه، والقرآنُ كلام الله ومن الله، ليس بمخلوق فَيَبِيدُ، وقدرُهُ الله ونعته وصفاته كلماتٌ غيرُ مخلوقات، دائماتٌ أزلياتٌ، ليست مُحَدَّثاتٍ فتبيدُ، ولا كان ربُّنا ناقصاً فيزيده، جلت صفاته عن شبه المخلوقين، عالٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه.

وذكر ذلك المعتقد وقال: لا يصح لأحد توحيدٌ حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاته، قلت: مثل أي شيء؟ قال: سميعٌ بصيرٌ عليمٌ قديرٌ. رواه ابنُ مِثْده^(٣).

وسئل محمد بنُ يحيى الذهلي رحمه الله تعالى عن حديث عبدِ اللَّهِ بنِ معاوية^(٤) عن النبي ﷺ: «ليعلم العبدُ أن الله معه حيث كان». فقال: يريد أن الله علمه محيطٌ بكل ما كان والله على العرش.

(*) هو زياد بن معاوية وهو أحد شعراء الجاهلية، انظر: «خزانة الأدب» (١٣٥/٢ - ١٣٨).

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٣٥) وعزاه إلى أبي الشيخ في «العظمة». وكذلك أورده ابن القيم في «جيوشه» (ص ١٧١) وعزاه إلى أبي الشيخ أيضاً، وقد أورده أبو الشيخ في «العظمة» (١/٣٩٨).

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٩٨): «عمر بن بحر الأسدي لم أعرفه» اهـ.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٥).

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٦).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٩٥ - ٩٦) والطبراني في «الصغير» (١/٣٣٤ -

٣٣٥ رقم ٥٥٥ - الروض الداني) بسند صحيح.

وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح^(١) في كتاب الرد على الجهمية: باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

قال أبو العالية^(٢): استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد^(٣) في استوى: علا على العرش.

وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها: زوجني الله من فوق سبع سموات^(٤). ثم إنه بوب رحمه الله تعالى على أكثر ما تنكره الجهمية من الصفات محتجاً بالآيات والأحاديث.

وقال أبو زرعة الرازي وسئل عن تفسير: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥) [طه] فغضب وقال: «تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله»^(٥).

= وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد. ولا يعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا.

وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/٣٠٣ رقم ٨/٨١٩): «رواه الطبراني وجود إسناد».

وانظر: «الصحيحة» (رقم ١٠٤٦).

قلت: وأصل الحديث عند أبي داود (٢/٢٣٩ - ٢٤٠ رقم ١٥٨٢) بدون جملة المذكورة. بسند منقطع.

وقال الحافظ المنذري في «المختصر» (٢/١٩٨ رقم ١٥٢٠): «أخرجه منقطعاً. وذكره أبو القاسم البخوي في «معجم الصحابة» مسنداً، وذكره أيضاً: أبو القاسم الطبراني وغيره مسنداً وعبد الله بن معاوية هذا، له صحبة، وهو معدود في أهل حمص. وقيل: إنه روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً» اهـ.

وهو حديث ضعيف.

(١) (٤٠٣/١٣).

(٢) أورده البخاري في صحيحه معلقاً.

وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/٤٠٥): أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

(٣) أورده البخاري في صحيحه معلقاً.

وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/٤٠٥): وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيع عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٤٠٣ - ٤٠٤ رقم ٧٤٢٠) من حديث أنس.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٣٧).

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم^(١): سألتُ أبي وأبا زُرعةَ رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في الأمصار حجازاً وعِراقاً ومصرَاً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً.

وقال محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي: ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائنٌ من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. رواه أبو القاسم الطبري^(٢).

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن الله على العرش بائنٌ من خلقه أحاط بكل شيء علماً، لا يشدُّ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه. رواه صاحب الفاروق^(٣).

وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله تعالى قال: قال لي عبد الله بن طاهر: بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء. فقلت: وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء. رواه الحاكم في ترجمته^(٤).

-
- = وعزاه إلى أبي إسماعيل الأنصاري مصنف «ذم الكلام وأهله».
- وانظر: «الفتاوى» (٥٠/٥) و«تفسير محاسن التأويل» للقاسمي (٢٧٩/٧).
- (١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٧ - ١٣٨) بأسانيد ثلاثة عن عبد الرحمن بن أبي حاتم. أحدها من طريق هبة الله بن الحسن اللالكائي، وهذا أخرجه في كتابه «شرح أصول السنة».
- وقال الألباني في مختصر العلو» (ص ٢٠٤): هذا صحيح ثابت عن أبي زُرعة وأبي حاتم رحمهما الله.
- (٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٣٩).
- وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢٠٧): «أبو القاسم الطبري - هو الإمام اللالكائي مؤلف كتاب «شرح السنن» وما نقله المصنف عنه موافق لما فيه (١/٤٨ - ٢) إلا أن فيه اختصاراً، وتقديماً وتأخيراً» اهـ.
- (٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٣٩ - ١٤٠).
- وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢٠٧ - ٢٠٨): «لم أعرفه، ولم أقف على الإسناد إليه» اهـ.
- (٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٤٠) وجود إسناده الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢١٠).

وقال عبد الوهاب الزواق^(١): من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث،
إن الله عز وجل فوق العرش وعلمه محيطٌ بالدنيا والآخرة.

وكتب حرب الكرماني^(٢) إلى عبد الرحمن بن محمد الحنظلي: «أن الجهمية
أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا
يرى في الآخرة، ولا يُعرف الله مكان^(٣)، وليس على العرش، ولا كرسي، وهم
كفار فاحذرهم.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في كتاب النقض^(٤): «قد اتفقت الكلمة
من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته يعلم ويسمع من فوق العرش لا
تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء».

وقال أبو محمد بن قتيبة^(٥) رحمه الله تعالى: كيف يسوغ لأحد أن يقول
إن الله سبحانه بكل مكانٍ على الحلول فيه مع قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه:
٥]، مع قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، كيف
يصعد إليه شيء هو معه، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهو معه، قال: لو أن
هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبث عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله
عز وجل هو العليُّ الأعلى وأن الأيدي تُرفع بالدعاء إليه، والأمم كلها عجميها
وعربيها تقول إن الله في السماء ما تركت على فطرها.

وقال أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني^(٦): جميع ما في كتابنا - كتاب السنة

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٤٢).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٤٣).

(٣) قال الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢١٣): نسبة المكان إلى الله تعالى مما لم يرد في
الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة وسلف الأمة.

واللائق بنهجهم أن لا ننسبه إليه تعالى خشية أن يوهم ما لا يليق به عز وجل، على أنه
مفسر في كلام الكرماني بما بعده اهـ.

(٤) في «الرد على المريسي» (ص ٢٥).

وذكر الذهبي في «العلو» (ص ١٤٤).

(٥) في تأويل مختلف الحديث له (ص ٢٧١).

وذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٤٥).

(٦) في كتاب «السنة» له. ومعه «ظلال الجنة في تخريج السنة» للمحدث الألباني.

الكبير - من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقلها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كیفيتها. فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش.

وقال أبو عيسى محمد بن سَوْرَةَ الترمذي رحمه الله في جامعه^(١) لما روى حديث أبي هريرة وهو خبرٌ منكرٌ عند أهل الحديث: «لو أنكم أدليتم بحبلٍ إلى الأرض السفلى لَهَبَطَ على الله»، فقال: قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنة من سننه^(٢) - باب في الجهمية - وساق في ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقالَ هذا: خَلَقَ الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنْتُ بالله».

وفي رواية^(٣): «فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحدُ الله الصمدُ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم لينقل عن يساره ثلاثاً وليستعذ من الشيطان»، وذكر حديث الأوعال^(٤)

= وذكر ذلك الذهبي في «العلو» (ص ١٤٦).

(١) (٤٠٣/٥ - ٤٠٤ رقم ٣٢٩٨) وهو جزء من حديث أبي هريرة.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

قال: ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.

قلت: وأخرجه أحمد (٣٧٠/٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٩٩ - ٤٠٠) وقال البيهقي: «وفي رواية الحسن عن أبي هريرة انقطاع، ولا يثبت سماعه من أبي هريرة، وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر مرفوعاً اهـ. والخلاصة أن الحديث ضعيف».

(٢) (٩١/٥ - ٩٢ رقم ٤٧٢١) وهو حديث صحيح.

قلت: وأخرجه البخاري (٣٣٦/٦ رقم ٣٢٧٦) ومسلم (١٢٠/١ رقم ١٣٥).

(٣) (٩٢/٥ رقم ٤٧٢٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) أبو داود (٩٣/٥ - ٩٤ رقم ٤٧٢٣) من حديث العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «والمزُن» قالوا: والمزن، قال: «العَنان»، قالوا: =

وحديث جبير بن مطعم^(١) وحديث أذن لي أن أحدث عن ملك الحديث^(٢) - وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتقدات أهل السنة^(٣) وما ورد فيها من الأحاديث

= والعنان، قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً، قال: «هل تدرّون ما بُغِدُ ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك». حتى عدّ سبع سموات: «ثم فوق السابعة بخر بين أسفله وأعلى مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال - من الملائكة على صورة الأوعال - بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلى مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك». قلت: وأخرجه الترمذي (٤٢٤/٥ - ٤٢٥ رقم ٣٣٢٠) وابن ماجه (٦٩/١ رقم ١٩٣). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفع. وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفه ولم يرفعه اه. وقال المنذري: (٩٣/٧): وفي إسناده الوليد بن أبي ثور ولا يحتج بحديثه. والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(١) أبو داود (٩٤/٥ - ٩٦ رقم ٤٧٢٦) عنه، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جُهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: «ويحك!! أتدري ما تقول؟» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك!! إنه لا يُستشفعُ بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك!! أتدري ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا» وقال بأصبعه مثل القبة عليه: «ولأنه ليُطَّ به أطيظ الزحل بالراكب». قال ابن بشار في حديثه: «إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته» وساق الحديث... قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٩٦، والآجري في «الشرعية» ص ٢٩٣ من طرق.

قلت: وفيه «ابن إسحاق» مدلس ولم يصرح بالتحديث. وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أبو داود (٩٦/٥ رقم ٤٧٢٧) من حديث جابر. وهو حديث صحيح.

(٣) مثل الباب (١٥): باب رد الإرجاء (٥٥/٥ - ٥٩).

الباب (١٦): باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥٩/٥ - ٦٦).

الباب (١٧): باب في القدر: (٦٦/٥ - ٨٤).

الباب (١٨): باب في الجهمية: (٩١/٥ - ٩٧).

الباب (٢٠): باب في الرؤية: (٩٧/٥ - ١٠٠).

الباب (٢١): باب في الرد على الجهمية (١٠٠/٥ - ١٠٣).

رحمه الله تعالى كالرؤية والنزول وطَيِّ السموات والأرض وتكَلِّمُ اللّهُ عز وجل والشفاعة والبعث وخلق الجنة والنار وفتنة القبر وعذابه والحوض والميزان وغير ذلك، ورد على طوائف الجهمية والمُرَجئة والخوارج والروافض رحمهم الله تعالى.

وقال ابن ماجّة رحمه الله تعالى في سننه: باب ما أنكرت الجهمية^(١)، فساق حديث الرؤية^(٢) وحديث أبي رزين^(٣) وحديث جابر^(٤): بينا أهل الجنة في نعيمهم

- =
- الباب (٢٣): باب في الشفاعة: (١٠٦/٥ - ١٠٧).
 الباب (٢٤): باب في ذكر البعث والصور (١٠٧/٥ - ١٠٨).
 الباب (٢٥): باب في خلق الجنة والنار: (١٠٨/٥ - ١٠٩).
 الباب (٢٦): باب في الحوض: (١٠٩/٥ - ١١٢).
 الباب (٢٧): باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: (١١٢/٥ - ١١٦).
 الباب (٢٨): باب في ذكر الميزان: (١١٦/٥ - ١١٧).
 الباب (٢٩): باب في الدُّجَال: (١١٧/٥ - ١١٨).
 الباب (٣٠): باب في قتل الخوارج: (١١٨/٥ - ١٢٠).
 الباب (٣١): باب في قتال الخوارج: (١٢٠/٥ - ١٢٧).
 (١) (٦٣/١ - ٧٣).

(٢) * أخرجه ابن ماجه (٦٣/١ رقم ١٧٧) من حديث جرير بن عبد الله.
 قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٢٩) والترمذي رقم (٢٥٥١) وأحمد (٣٦٥/٤ - ٣٦٦).
 وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٤٦) واللالكائي رقم (٨٢٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٨٠) والطبراني في «الكبير» رقم (٢٢٢٦) و (٢٢٢٧) والبخاري في «شرح السنة» (٣٧٩) وابن منده في «الإيمان» رقم (٧٩١) و (٧٩٧) من طرق...
 وهو حديث صحيح.

* وأخرجه ابن ماجه (٦٣/١ رقم ١٧٨) من حديث أبي هريرة.
 قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٤٤). وهو حديث صحيح.
 * وأخرجه ابن ماجه (٦٣/١ رقم ١٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري.
 قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٢) وابن منده في «الإيمان» رقم (٨١٠). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٦٤/١ رقم ١٨٠) من حديث أبي رزين.
 قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٣١) وأحمد (١١/٤ - ١٢) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩) من طرق...
 وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٦٥/١ رقم ١٨٤) عنه. وهو حديث ضعيف.

= انظر: «مختصر العلو» (ص ٢١٩ رقم ٢٥١).

إذ سطر لهم نور - الحديث تقدم - وحديث الأوعال^(١) وغيرها.

وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل السنن ساقوا أحاديث الصفات وأمرؤها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل.

وقال ابن أبي شيبة^(٢) رحمه الله تعالى: «ذكروا أن الجهمية يقولون: ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن يكون الله فوقه وقالوا: إنه في كل مكان، ففسرت العلماء ﴿وهو معكم﴾ يعني علمه، ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصاً من خلقه بائناً منهم».

وقال سهل بن عبد الله التستري^(٣) رحمه الله تعالى: «لا يجوز لمؤمن أن يقول: كيف الاستواء، لمن خلق الاستواء، ولنا عليه الرضا والتسليم لقول النبي ﷺ: «إنه تعالى على العرش»^(٤)، قال: وإنما سُمِّيَ الزنديقُ زنديقاً لأنه وزن دِقُّ الكلام بمخبول عقليه وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه».

طبقة أخرى

قال زكريا بن يحيى الساجي^(٥) رحمه الله: «القول في السنة التي رأيتُ عليها

= وتخريج الطحاوية (ص ١٢٠).

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٤٨).

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٤٨).

قال الألباني في «مختصر العلو» ص ٢٢١: «لعله يعني في الاستواء الثاني استواء المخلوق، فإن استواء الله تعالى على عرشه صفة فعل له، وصفته كذاته أزلية، لا يجوز القول بخلقها كما هو ظاهر لا يخفى» اهـ.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى في السنة» - وهو أربع مجلدات - كما في «العلو» (ص ١٥٠).

* والساجي شيخ البصرة وحافظها، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري الحديث ومقالات أهل السنة. رحل إلى المزني والربيع فتفقه بهما.

وله كتاب «علل الحديث» وكتاب اختلاف الفقهاء، لقي أبا الربيع الزهراني وطبقته، وعاش بضعا وثمانين سنة. توفي سنة سبع وثلاثمائة.

أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء. وساق سائر الاعتقاد.

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين^(١) رحمه الله في عقيدته: «وحسبُ امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخير».

ونقل في تفسير: «ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» [الفرقان: ٥٩]، في المواضع كلها: أي علا وارتفع^(٢)، وتفسيره مشحون بأقوال للسلف على الإثبات.

وقال حماد بن البوشنجي^(٣): «هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح منهاج العلماء وصفة السنة وأهلها، أن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وعلمه وسلطانه وقدرته بكل مكان».

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة^(٤): «من لم يقرب بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لثلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة».

وقال أبو العباس ابن سريج^(٥): قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر

(١) رواه المصنف بإسناده عن أبي سعيد الدينوري، واسمه عمرو بن محمد بن يحيى كما وقع في إسناده جزء «الاعتقاد» لابن جرير المطبوع في بومباي. ولم أعرفه. ولكن تابعه أبو بكر أحمد بن كامل قال: قال أبو جعفر محمد بن جرير: فأول ما نبدا فيه بالقول من ذلك كلام الله عز وجل... فذكر معتقده، وفيه ما روى الدينوري. قاله الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢٢٤).

قلت: وانظر: «صريح السنة» للطبري (ص ٢٧) و «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والاكائي» (١/٢٠٦).

(٢) (جامع البيان) (١١/١٩/٢٨).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٥١).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٥٢). وابن تيمية في «الحموية» (ص ٩١).

وقال: ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٥٢).

وزندقة، مثل قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وذكر الاعتقاد.

وقال ثعلب^(١) إمام العربية: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: علا.

وقال أبو جعفر الترمذي^(٢) وسأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزول كيف هو يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وقال الطحاوي الإمام في عقيدته^(٣): «والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه».

وقال أبو الحسن الأشعري^(٤) في ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: «وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قال: ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش».

وقال أبو محمد البربهاري^(٥) رحمه الله تعالى: الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السر وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمه بكل مكان.

(١) أورده الذهبي في «العلو» واسمه أحمد بن يحيى الشيباني مولا هم - ويعرف بثعلب - وأثره عند اللالكائي (١/٩٢/١) كما في «مختصر العلو» (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٥٦).

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢٣١): «إسناده صحيح، أخرجه المصنف بإسناده إلى أبي بكر الخطيب، وهذا رواه في «التاريخ» (٣٦٥/١) بإسناد رجاله ثقات...».

(٣) في كتابه «العقيدة الطحاوية» (٢/٣٧٢ - مع شرح ابن أبي العز) تحقيق وتخريج وتعليق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط.

(٤) في مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٠).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٦٤).

قلت: ذكر طرفاً كبيراً نحو ثلاث صفحات ابن العماد في «شذرات الذهب» (٢/٣١٩ - ٣٢٢).

طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة

قال أبو أحمد العسأل^(١) في باب تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه]، فساق ما ورد فيه من أقوال السلف وأئمتهم وحديث ابن مسعود وقد مر.

وقال أبو بكر الصبغى^(٢) في قوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧]:
أي من على العرش كما صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ.

وقال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة^(٣): باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائناً من خلقه، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي^(٤) وحديث الأوعال^(٥) وغيرهما من أحاديث العلو.

وقال أبو بكر الأجزري^(٦): «الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين، يرفع إليه أعمال العباد».

وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة^(٧) له: ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه. وساق جملة أحاديث في ذلك.

وقال أبو بكر الإسماعيلي^(٨): استوى على العرش بلا كيف وإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه.

(١) في كتابه «المعرفة» كما في «العلو» للذهبي (ص ١٦٥).
واسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم العنبري، له ترجمة جيدة في «أخبار أصبهان» لأبي نعيم. (٢/٢٨٣).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٦٥).

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص ١٦٥).

(٤) وهو حديث حسن تقدم تخريجه.

(٥) وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٦) في كتابه «الشريعة» (ص ٢٨٥).

(٧) (ص ١٠١). وساق جملة أحاديث في ذلك من رقم (١٩٢ - ٢٦٤).

(٨) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٦٧) ورجاله ثقات غير مسعود بن عبد الواحد الهاشمي فلم يجد له الألباني ترجمة. وبهذا الإسناد ساقه في ترجمة أبي بكر الإسماعيلي من «التذكرة» (٣/١٥٠ - ١٥١).

وقال الأستاذ أبو منصور الأزهرى^(١): «اللَّهُ تعالى على العرش».

وقال أبو الحسن بن مَهْدِي^(٢) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]: اعلم أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستوٍ على العرش بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواء الاعتلاء، وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحو العرش الذي هو مستوٍ عليه.

وقال ابن بطّة^(٣) رحمه الله: «بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه وعلمه محيطٌ بخلقه، أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائنٌ من خلقه».

وقال الدارقطني^(٤) رحمه الله تعالى:

(حديث الشفاعة في أحمدٍ إلى أحمد المصطفى تُسَنِّدُهُ)
(وَأَمَّا حَدِيثُ بِإِقْعَادِهِ عَلَى الْعَرْشِ أَيْضاً فَلَا تُجَحِّدُهُ)
(أَمِرُوا الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَا تُدْخِلُوا فِيهِ مَا يُفْسِدُهُ)
وقال ابن مَنْدَه^(٥) رحمه الله تعالى: «فهو تعالى موصوفٌ غيرٌ مجهولٌ،

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٦٧ - ١٦٨).

(٢) وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٣) في كتاب «الإبانة» كما في «العلو» للذهبي (ص ١٧٠).

(٤) قال الألباني في «الضعيفة» (٢/٢٥٦) ط ٥: «... إن مما ينكر في هذا الباب ما رواه أبو محمد الدشتي في «إثبات الحد» (١/١٤٤ - ٢) من طريق أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش: أنشدنا أبو طالب محمد بن علي الحربي: أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رحمه الله ثم ذكر الآيات وزاد بيتاً:

وَلَا تَنْكُرُوا أَنَّهُ قَاعِدٌ وَلَا تُجَحِّدُوا أَنَّهُ يَقْعُدُهُ

فهذا إسناد لا يصح، من أجل أبي العز هذا، فقد أورده ابن العماد في وفيات سنة (٥٢٦) من الشذرات (٤/٧٨) وقال:

«قال عبد الوهاب الأنماطي: كان مخلطاً».

وأما شيخه أبو طالب وهو العشاري فقد أورده في وفيات سنة (٤٥١) وقال: (٣/٢٨٩): «كان صالحاً خيراً عالماً زاهداً».

فاعلم أن إقعاده ﷺ على العرش ليس فيه إلا هذا الحديث الباطل، وأما قعوده تعالى على العرش فليس فيه حديث يصح. ولا تلازم بينه وبين الاستواء عليه كما لا يخفى....

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٧١).

وموجود غير مُدرَك، ومَرْتَبِي غير مُحَاط به لقربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوب تعرفه والعقول لا تُكَيِّفُه، وهو بكل شيءٍ عليم محيط.

وقال محمد بن أبي زيد المغربي^(١): وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه.

قلت: وقد أطلق هذه العبارة أعني قوله: «بذاته» أبو جعفر بن أبي شيبه، والدارمي، ويحيى بن عمار، وأبو نصر السجزي، وابن عبد البر، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبو الحسن الكرجي، وأحمد بن ثابت الطريقي، وعبد العزيز القحيطي، وعبد القادر الجيلي وطائفة.

وقال ابن فورك^(٢) رحمه الله: استوى بمعنى علا. وقال في قوله: ﴿أَيُّنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. أي مَن فوق السماء.

وقال ابن الباقلائي في إبانته^(٣): فإن قيل: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿أَيُّنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، إلى آخر كلامه.

وقال أبو أحمد القصاب في عقيدته^(٤): «كان ربنا عز وجل وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا حاجة إليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق».

= قلت: وانظر كتاب «التوحيد» لابن منده (٣/ ١٨٧ - ١٩٢).

(١) في الرسالة المشهورة في مذهب مالك (ص ٢٠ ط: المغرب).

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ١٧١ - ١٧٢)، «مختصر العلو» (ص ٢٥٥ - ٢٥٦).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٧٣) وأورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤١١).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٧٣ - ١٧٤).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٧٥).

* والقصاب هو الحافظ الإمام محمد بن علي بن محمد المجاهد. وإنما عرف بالقصاب

لكثرة ما أهرق من دماء الكفار في الغزوات كما في «تذكرة الذهبي» (٣/ ١٤١).

وقال: «ولم أظفر بوفاته، وكأنه بقي إلى قريب الستين وثلاثمائة».

قلت: تفسير الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقص منه.

وقال الحافظ أبو نعيم^(١) رحمه الله تعالى: «طريقنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم بصيراً ببصر سمياً بسمع متكلاماً بكلام.

إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستور على عرشه في سمائه دون أرضه».

وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته^(٢): «وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائون منه». وذكر سائر الاعتقاد.

وقال أبو القاسم اللالكائي^(٣) في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]: «وأن الله على عرشه: قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿أَمْنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الملك: ١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. فدللت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه في كل مكان، روي ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد.

وقال يحيى بن عمار^(٤): هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فهذا الذي قلناه هو كما قال الله تعالى وقاله رسول الله ﷺ، قلت: لفظة «بذاته» مستغنى عنها بصريح النصوص الكافية الوافية.

(١) في كتاب «الاعتقاد» له كما في «العلو» للذهبي (ص ١٧٦).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص ١٧٧).

(٣) في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٢٩ - ٤٣١ رقم ٦٤٦).

(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٧٧ - ١٧٨).

وقال القادر بالله أمير المؤمنين في معتقده المشهور^(١): «وأنه خلق العرش لا حاجة، واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكلُّ صفةٍ وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ فهي صفةٌ حقيقة لا صفةٌ مجاز.

وقال أبو عمرو الطلمنكي^(٢) رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته، مستوٍ على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سمواته.

وقال أبو نصر السجزي^(٣): أثبتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان.

وقال أبو عمرو الداني^(٤) في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامه وقولُه قديمٌ وهو فوق عرشه العظيم

وقال أبو عمر ابن عبد البر في شرح حديث النزول^(٥): «هذا حديث صحيح لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة».

وقال أيضاً^(٦): «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة:

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٧٨).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٧٨).

وانظر: «درء تعارض العقل بالنقل» (٣٥/٢) و (٢٥٠/٦ - ٢٥١) والفتاوى (١٨٩/٥) و

«شرح حديث النزول» (ص ٨٥). الكل لابن تيمية.

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٨٠).

(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (ص ١٨١).

(٥)(٦) في «التمهيد» (١٢٨/٧ - ١٣٩).

وانظر: «الاستذكار» له (١٤٦/٨ - ١٥٣).

[٧]، هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحدٌ يحتج بقوله.

وقال أبو يعلى^(١) رحمه الله بعد أن ذكر حديث الجارية: «الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء.

وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال: ﴿مَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] وهو على العرش.

وقال أبو بكر البيهقي^(٢) رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد له: باب القول في الاستواء، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿مَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. وأراد من فوق السماء كما قال تعالى: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. وقال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السموات، فمعنى الآية أأمنت من على العرش كما صرح به في سائر الآيات.

طبقة أخرى

قال أبو الفتح نصر المقدسي^(٣): «وأن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه».

وقال شيخ الإسلام الأنصاري^(٤) - صاحب منازل السائرين في التصوف - في كتاب له: باب استواء الله على عرشه في السماء السابعة بائناً من خلقه من الكتاب

(١) في كتابه «إبطال التأويل» كما في «العلو» للذهبي (ص ١٨٤).

(٢) في كتابه «الاعتقاد» (ص ٥٥).

(٣) في كتاب «الحجة» له كما قال الذهبي في «العلو» (ص ١٨٧).

(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٧٦) والذهبي في «العلو» (ص ١٨٩) - (١٩٠).

وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (ص ٤٤٠).

والسنة، فساق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال: «وفي أخبار شتى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان».

وقال البغوي^(١) رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، السجدة: ٤، الحديد: ٤]: قال الكلبي ومقاتل: استقر.

وقال أبو عبيدة: صعد.

وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة فإنهم يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف؛ يجب على الرجل الإيمان به، ويكفل العلم فيه إلى الله عز وجل.

ثم ذكر قول مالك المتقدم، وقال: وزوي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وقال أبو الحسن الكرجي^(٢) في بائيته:

عقائدهم أن الإله بذاته على عرشه مغ علمه بالغرائب
وأن استواء الرب يُعقل كونه ويُجهل فيه كيف جَهَل الشهاب

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٣) رحمه الله تعالى في كتاب الغنية: «أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار فهو أن يُعرف ويتيقن أن الله واحد أحد.

إلى أن قال: وهو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط بالأشياء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل.

(١) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٥ - ٢٣٦).

(٢) في عقيدته الشهيرة التي تزيد على مائتي بيت.

كما في «العلو» (ص ١٩١) للذهبي.

(٣) في كتاب «الغنية» له كما في «العلو» (ص ١٩٣).

وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل، على كل نبي أرسل، بلا كيف.

وقال أبو عبد الله القرطبي^(١): «وقد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا يعلم حقيقة كيفيته.

قلت: أراد أبو عبد الله بالجهة إثبات العلو لله تعالى، أما لفظ الجهة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يلزم من إثبات العلو إثباتها، لأن العرش سقف جميع المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلو إثبات الجهة فلازم الحق حق، فما استلزمه صريح الآيات والأحاديث فهو حق بلا خلاف عند أهل السنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية^(٢) بعد سرد الآيات والأحاديث في الصفات: «فصل: وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى قوله: «وهو معكم» أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه

(١) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢١٩/٧ - ٢٢٠).

وفي كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى».

كما في «العلو» للذهبي (ص ١٩٤ - ١٩٥).

(٢) (ص ٤٩ - ٥٠) بتحقيقنا.

اللغة^(١)، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، والله سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيم عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الكلام الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف^(٢)، ولكن يسان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أن السماء ثقله أو ثقله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله تعالى قد: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو الذي: ﴿يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥] اهـ.

ومصنفات هذا الإمام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة قد طبقت المشارق والمغارب، ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم والدين من السلف والخلف لاحتجنا إلى عدة أسفار بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفاية.

ونحن نشهد الله تعالى وحملته عرشه وجميع ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه أنا ثبت لربنا عز وجل ما أثبتته لنفسه في كتابه وأثبتته رسوله ﷺ وأجمع عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من أن ربنا وإلهنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافية، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراد كما يليق بجلال ربنا وعظمته، لا نتكلف لذلك تأويلاً ولا تكييفاً بل نقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، ولا نطلب إماماً غير الكتاب والسنة، ولا نتخطاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطق بما نطقا به ونسكت عما سكتا عنه ونسير سيرهما

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» (٢/٢٦٥) لابن القيم.

(٢) يرد الشيخ هنا على المعتلة الذين حُرفوا الأدلة وسموا تحريفهم تأويلاً.

حيث سارا وتقف معهما حيث وقفا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(ومع ذا مَطْلَعُ إِلَيْهِمْ) بعلمه مهيمُنْ عليهمو
(وذكره للقرب والمعية) لم ينفِ للعلو والفوقية
(فإنه العلي في دنوه) وهو القريب - جل - في علوه

(ومع ذا) الاتصاف بالعلو والاستواء على العرش والمباينة منه لخلقه تبارك وتعالى فهو (مطلع) سبحانه وتعالى (إليهمو) الواو للإشباع (بعلمه) المحيط بجميع المعلومات لا تخفى عليه منهم خافية، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَنَحْنُ أَهْلُهُ (٧) [طه].

فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمه السر وأخفى، وكذلك جمع عز وجل بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) [الحديد]. وهو الأول فليس قبله شيء، والآخِر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسرهُ رسولُ الله ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم^(١).

وكذلك جمع تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُفُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وكذلك جمع النبي ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعال^(٢) إذ يقول: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه». وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين.

(مهيمن) رقيب (عليهمو) بواو الإشباع (وذكره) تبارك وتعالى (للقرب) في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبا: ٥٠].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهو حديث ضعيف وقد تقدم تخريجه.

وقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين^(١): «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

(و) كذلك ذكره (المعنية) العامة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةً إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]. وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. وكذا المعية الخاصة في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقوله: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]. وقوله في قصة نبينا ﷺ مع الصديق ﷺ: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ٤٠].

كل ذلك (لم ينف العلو) المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستور على عرشه بائن من خلقه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْبُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿تَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

(والفوقية) عطف على العلو وهو رديفه في المعنى، أي ولم ينف قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقول النبي ﷺ: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»^(٢)، بل كل ذلك حق على حقيقته، ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوه.

(فإنه) هو (العلوي) المتصف بجميع معاني العلو ذاتاً وقهراً وشأناً (في دنوه)، فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء، ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافياً لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

(١) البخاري (١٨٧/١١ رقم ٦٣٨٤). ومسلم (٢٠٧٦/٤ رقم ٢٧٠٤) من حديث أبي موسى ﷺ.

(٢) تقدم تخريجه. وهو جزء من حديث الأوعال الضعيف.

ومعنيته العامة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، معناها إحاطته بهم علماً وقُدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره، وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل إجماعهم على ذلك.

وأما معنيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفوا عبارة المخلوق عنه، ويقصر تعريفه عنه، وكفاك قول الله عز وجل فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»^(١).

وفي بعض الروايات: «وقلبه الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به»^(٢). وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٠/١١ - ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) وابن حبان في صحيحه (٥٨/٢ رقم ٣٤٧) من حديث أبي هريرة.

قلت: أفاض الحافظ ابن حجر في الدفاع عن الحديث في «الفتح» وذكر له طرقاً جزم بأن مجموعها يدل على أن له أصلاً.

كما أطلال الألباني أيضاً في بيان صحة هذا الحديث بمجموع طرقه في «الصحيح» رقم (١٦٤٠) وقدم لبيانه بقوله: «... فإن حديثاً يخرج الإمام البخاري في المسند الصحيح ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف في إسناده لاحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده وتقويه...».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/١) والبزار رقم (٣٦٢٧، ٣٦٤٧ - كشف) وأحمد (٦/٢٥٦) والبيهقي في «الزهد» رقم (٦٩٣) وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٧٨/٣) والطبراني في «الأوسط» (رقم ٥٥٢ - مجمع البحرين).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٤٧/٢) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس بن عروة وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورواه الطبراني في «الأوسط» وزاد: «فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»، والباقي بنحوه، ورجالهم رجال الصحيح خلا شيخه هارون بن كامل، رواه البزار بنحوه.

قلت: وبقيّة طرقه في كتاب «الزهد» في باب من آذى ولياً - (٢٦٩/١٠) - اهـ.

وخلاصة القول أن حديث عائشة صحيح، والله أعلم.

وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل
قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور
والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبه وعظمته وخوفه ومهابته
وإجلاله والأنس به والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً
له بعين البصيرة.

وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «أحبوا الله من كل قلوبكم»^(١) فمتى امتلأ
القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من
نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه.

فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله،
وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله
عز وجل: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش
بها، ورجله التي يمشي بها»^(٢).

ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله
ورسوله بريثان منه.

(وهو القريب - جل - في علوه) فهو سبحانه وتعالى مستر على عرشه عالٍ
على جميع خلقه، وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه، ويعلم سره ونجواه،
وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته، ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو

(١) وهو جزء من أول خطبة خطبها النبي ﷺ في المدينة، من حديث أبي سلمة بن
عبد الرحمن بن عوف.

أخرجها ابن إسحاق معلقة - كما في سيرة ابن هشام (١٦٧/٢) - وأخرجها البيهقي في
«دلائل النبوة» (٥٢٤/٢ - ٥٢٥) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فزال شبهة
التدليس.

ولكن فيه «المغيرة بن عثمان» سكت عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣١٨/٧ - ٣١٩)
وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٦/٨ - ٢٢٧).

وأخرجها ابن كثير في «السيرة» (٣٠١/٢ - ٣٠٢) من طريق البيهقي وقال عقبها: وهذه
الطريقة أيضاً مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

(٢) وهو جزء من حديث قدسي صحيح تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عائشة.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ؛ فَإِنَّ الَّذِي عِنْدَ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ أَوْ عِنْدَ حَبْلِ وَرِيدِهِ لَا يَعْلَمُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ.

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَيَعْلَمُ مَا يُلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَ خَلْقِهِ بَعْلَمُهُ وَقُدْرَتُهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَرِيبُ فِي عُلُوِّهِ، الْعَلِيُّ فِي ذُنُوبِهِ، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

(حَيٍّ وَقَيُّومٌ فَلَا يَنَامُ وَجَلَّ أَنْ يُشَبِّهَهُ الْأَنَامُ)
(لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِهِ وَلَا يَكْثُرُ الْحِجَابُ صِفَاتِهِ)

(حَيٍّ) لَا يَمُوتُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [غافر: ٦٥]. فَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَمْ تُسَبِّقْ حَيَاتُهُ بِالْعَدَمِ وَلَمْ تُعَقَّبْ بِالْفَنَاءِ، هُوَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَالْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ^(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

(وَقَيُّومٌ) فَهُوَ الْقَيُّومُ بِنَفْسِهِ الْقَيِّمُ لغيره فَجَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا وَلَا قِيَامَ لَهَا إِلَّا بِهِ وَلَا قِيَامَ لَهَا بِدُونِ أَمْرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥]. وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقَائِمُ بِجَمِيعِ أُمُورِ عِبَادِهِ، وَالْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ^(٢) مِنْ دَعَائِهِ ﷺ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» الْحَدِيثُ.

(١) البخاري (٣٦٨/١٣) رقم (٧٣٨٣) ومسلم (٢٠٨٦/٤) رقم (٢٧١٧).

(٢) البخاري (٣٧١/١٣) رقم (٧٣٨٥) ومسلم (٥٣٢/١) رقم (٧٦٩).

وقد جمع تعالى بين هذين الاسمين «الحي القيوم» في ثلاثة مواضع من كتابه:

الأول: آية الكرسي من سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: أول سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

الثالث: في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وروى ابن مردويه^(١) عن أبي أمامة مرفوعاً قال: «اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سور: سورة البقرة وآل عمران وطه».

(فلا ينم) أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، فإن ذلك نقص في حياته وقيوميته، ولهذا أردف هذين الاسمين بنفي السنة والنوم فقال: ﴿اللَّهُ لَا

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٣١٥/١) من حديث أبي أمامة.

وفيه القاسم بن عبد الرحمن الأموي. وثقه ابن معين من وجوه عنه.

وقال الترمذي: ثقة. وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات. (الميزان: ٣/٣٧٣).

وفيه أيضاً إسحاق بن إبراهيم: مستور الحال، لكنه قد توبع كما عند الطحاوي في «مشكل الآثار» (٦٣/١) والطبراني في «الكبير» (٢٨٢/٨) رقم (٧٩٢٥) والحاكم (١/٥٠٥ - ٥٠٦).

وأخرجه ابن ماجه (١٢٦٧/٢) رقم (٣٨٥٦) من طريق أخرى فيه غيلان بن أنس قال عنه الحافظ في «التقريب» (٥٣٦٧) مقبول.

وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد.

أخرجه أحمد (٤٦١/٦) والترمذي (٥١٧/٥) رقم (٣٤٧٨) وابن ماجه (١٢٦٧/٢) رقم (٣٨٥٥) وأبو داود (١٦٨/٢) رقم (١٤٩٦).

وفيه عبيد الله أبي زياد القداح وهو ليس بالقوي.

وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد «الميزان» (٢٨٣/٢) رقم (٣٧٥٦).

والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

إِلَّاهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾، أي لا تغلبه سنة وهو الوسنُ والثعاسُ، ولا نومٌ، ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السنة، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيدٌ على كل شيء ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية.

وفي الصحيحين^(١) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القنسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(وجل) عن (أن يشبهه الأنام) في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله، لأن الصفات تابعة لموصوفها، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، ولو اهتمى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ، ولما عطلوه عن صفات كماله ونعوت جلاله فراراً بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظم من ذلك، ولزيمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وسبب ضلالهم أنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله واتهموا الوحيين فيما نطقا به ووزنوها بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فيء، وإنما هي أوضاع مختلفة، أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهار الفساد، ولغرس شجرة الإلحاد، المثمرة... وتعطيل الباري عز وجل عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد.

جاءوا بها في قالب التنزيه	الله كي يغوون كل سفيه
قالوا صفات كماله منفية	عنه مخافة موجب التشبيه
تعطيلهم سموه «تنزيها» له	ليروجا فاعجب لذا التمويه

(١) بل أخرجه مسلم (١/١٦١ - ١٦٢ رقم ١٧٩).

والوحي قالوا نصُّه لا يوجب الـ
ما الدين إلا ما عن اليونان قد
علمَ اليقينَ فأَيُّ دينٍ فيه
جئنا به طوبى لمن يحويه
وبقُوا حيارى في ضلال التيه

فسمُّوا النورَ الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ تفصيلَ كل شيء وتبيناً
لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء وبيان النبي ﷺ من جوامع كلمه التي اختص الله
بها، فسمُّوا ذلك كله «آحاداً ظنية لا تفيد اليقين»^(١)، وسموا زخارف أذهانهم
ووساوس شيطانهم «قواطع عقلية».

لا والله ما هي إلا خيالات وهمية وساوس شيطانية، هي من الدين بريئة
وعن الحق أجنبية، توجب الحيرة وتُعقب الحسرة، كثرة المباني قليلة المعاني،
كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء، ويا ليتة إذا جاءه لم يجده شيئاً لكن وجده السُّم
النقيع والداء العُضال، فخاخ هلكة نصبها الأعداء لاصطياد الأغبياء، وخدعة ماكر
في صورة ناصح فعلَ عدوِّ الله اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في
دلالتها على الشجرة التي نهاهما ربُّهما عنها: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَ
الْصَّحِيفِ﴾ ﴿١١﴾ فَذَلَّهُمَا بِقُرْورٍ﴾ [الأعراف: ٢١ - ٢٢]، إلى آخر الآيات.

وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني أدخله الأعداء علينا وسمَّوه علمَ
التوحيد تلبساً وتمويهاً وما هو إلا سُلَّم الإلحاد والزندقة، وجحدوا صفات الباري
عز وجل وسمُّوا ذلك تنزيهاً ليُغرَّوا الجهال بذلك، وإنما هو محض التعطيل.

وسمُّوا أولياء الله المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مُشَبَّهةً لينفِّروا الناس
عنهم مكرراً وخديعة، فأصبح المغرور بقولهم المخدوع بمكرهم حائراً مخدولاً،
لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان وحكِّموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات
الديان لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله
إياها ومتى شاء سلبه، ولم ينظروا المتصف بها من هو، فلذلك نفَّوها عن الله عز
وجل لثلا يلزم من إثباتها التشبيه، فشبهوا أولاً وعطلوا ثانياً، فلما نفَّوها عن الله

(١) انظر: «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» للمحدث الألباني.
وانظر: كتابنا «مدخل إرشاد إلى فقه الكتاب والسنة»، لزوم اتباع السنة على كل جيل في
العقائد والأحكام» (ص ٥٩ - ٦٢).

صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص، فمن نفى عن الله كونه سمياً بصيراً فقد شبهه بما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغني شيئاً وكذلك سائر الصفات.

وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبتت لنفسه وأثبتت له رسوله ﷺ كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد، فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته، ونفيها ضد ذلك.

ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات، فإن الله تعالى قد سَمِيَ نفسه سمياً بصيراً، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سمياً بصيراً، وسَمِيَ نفسه الرؤوف الرحيم، وأخبر أن نبيه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، وسمى نفسه الملك فقال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]. وسَمِيَ بعض خلقه ملكاً فقال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ هَؤُلَاءِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤]. وهو العزيز، وسَمِيَ بعض عباده عزيزاً وغير ذلك.

فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر، ولا الرأفة كالرأفة، ولا الرحمة كالرحمة، ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم الغني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه، فصفات الخالق الحي القيوم قائمة به لائقة بجلاله أزلية بأزليته دائمة بديموميته، لم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك، لم تسبق بضرده ولم تُعقب به، بل له تعالى الكمال المطلق أولاً وأبداً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه.

(لا تبلغ الأوهام كنه ذاته) أي نهاية حقيقتها كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولما نعرفه تعالى بما وصف به نفسه في كتبه المنزلة على رسله بأنه أحد صمد: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ❶ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ❷ [الإخلاص].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. إلى آخر الآية.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]. ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، إلى غير ذلك من آيات الأسماء والصفات.

(ولا يكيف الحجا) أي العقل (صفاته) لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو؛ فالواجب علينا أيها العبيد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وإمرارها كما جاءت، واعتقاد أنها حق كما أخبر الله عز وجل وأخبر رسوله ﷺ، وعدم التكيف والتمثيل لأن الله عز وجل أخبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ولم يبين كيفيتها فنصدق الخبر ونؤمن به ونكفل الكيفية إلى الله عز وجل.

فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها، وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها، علمنا اتصافه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتها ولم يحيطوا بها علماً، كما قالت أم سلمة^(١) رضي الله عنها وربيعة الرأي^(٢) ومالك بن

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٤٠ - ٤٤١ رقم ٦٦٣). وعزاه إليه الحافظ في «الفتح» (٤٠٦/١٣).

وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في الاستواء: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة، موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» اهـ.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤١ - ٤٤٢ رقم ٦٦٥).

وذكره الحافظ في «الفتح» (٤٠٦/١٣).

وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة - شيخ مالك - اهـ.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٠٨) بسند آخر عن ربيعة.

أنس^(١) وغيرهم رحمهم الله تعالى: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلىنا التصديق والتسليم».

وكذلك القول في جميع صفاته عز وجل، وإنا والله لكآلون حائرون في كيفية سرية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا، وكيف يدبر الله تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروح التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتخرج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء، وفي كيفية إبعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه، وكيفية قيام الأموات من القبور خفاة عراة غزلاً، وكيفية الملائكة وعظم خلقهم.

فكيف العرش الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام إيماناً بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنی وصفاته العلی: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]. ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصاص: ٧٠]. ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَرْسَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

[انفراده تعالى بالإرادة والمشیئة]

(باقٍ فلا يفنى ولا يبید ولا يكون غير ما يريد)
(منفردة بالخلق والإرادة وحاکم - جل - بما أراده)
(باقٍ) كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء، فكما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته، (فلا يفنى ولا يبید) بل هو المُنْفِي المُبِيد، وهو المُبْدِئ

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦) عنه، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧): «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب، قال: كنا عند مالك، فذكره».

قلت: وهو صحيح عن مالك، وقد تقدم.

المعبد، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّاخِرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصاص: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن].

(ولا يكون) في الكون (غير ما يريد) والمُرَادُ بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ لإرادة أحدٍ إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم كقوله تبارك تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعاً ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمر تكوين، ألا ترى أن الفسق علة: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [القصاص: ٦٣]. و ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ علة لتدميرهم، وهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْفَسَادَ لَا يُبِيدُ بِكُمْ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١]. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ فَلَاحَظْ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقول نوح لقومه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْبَعُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]. ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ

مَنْ أَرَادَ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا [الفتح: ١١]. وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَوْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].
 وقول صاحب يس: ﴿وَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ يَضِرِّي لَّا تَنْفَعُنِي عَيْفُ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَقْرَبُكُمْ مِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي﴾ [الزمر: ٣٨].

وقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١)، «من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه»^(٢)، «إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فآقر عينه بهلاكها»^(٣)، «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه ذنوبه حتى يُوفِّي به يوم القيامة»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢١٧/٦ رقم ٣١١٦) ومسلم (٧١٨/٢ رقم ١٠٣٧)، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣/١٠ رقم ٥٦٤٥). من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٩١/٤ - ١٧٩٢ رقم ٢٢٨٨)، من حديث أبي موسى.

(٤) أخرجه الترمذي (٦٠١/٤ رقم ٢٣٩٦) وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ. وأخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢٤٧/٧ رقم ٤٢٥٤) وابن عدي في «الكامل» (١١٩٣/٣) والبخاري في «شرح السنة» (٢٤٥/٥) والحاكم (٦٠٨/٤) وسكت عليه الحاكم والذهبي. وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٥٤). كلهم من حديث أنس بن مالك. وفيه سعد بن سنان أو سنان بن سعد قال الحافظ في «التقريب» (٢٢٣٨): «صدوق له أفراد». وله شاهد من حديث عبد الله بن مغفل مرفوعاً.

أخرجه ابن حبان (رقم ٢٤٥٥ - موارد) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٧٤/٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٥٣ - ١٥٤) وأحمد في «المسند» (٨٧/٤) والحاكم (١/٣٤٩) و (٣٧٦/٤، ٣٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

ورجاله ثقات: لكن الحسن وهو البصري مدلس، وقد عنعنه.

وله شاهد من حديث ابن عباس بنحوه أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٣/١١) رقم ١١٨٤٢ وقال الهيثمي في «المجمع» (١٩١/١٠ - ١٩٢): «وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف».

وخلاصة القول أن الحديث حسن بمجموع طرقه.

وقد أورده المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٢٠).

«إذا أراد الله قبضَ عبدٍ بأرض جعل له إليها حاجة»^(١)، «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق»^(٢)، «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب من كان فيهم ثم بُعثوا على نياتهم»^(٣).

والآثار النبوية في ذلك كثيرة.

وكذلك لفظ «المشيئة» في الكتاب والسنة وروده معلوم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]. ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْصَرَّ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤]. ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. ﴿إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]. ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِمَكُمْ أَيْمَانُهَا﴾ [النساء: ١٣٣]. ﴿لَتَنْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ النَّاسُ وَبَاتٍ وَتَاخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]. ﴿لَتَنْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. ﴿إِنَّمَا بِأَيْمَانِكُمْ يَدُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ﴾ [هود: ٣٣]. وقوله عن إمام الحنفاء: «وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَبِيعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً» [الأنعام: ٨٠]. وقوله عن الذبيح: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْقَبِيلِينَ» [الصفات: ١٠٢]. وقوله عن شعيب عليه السلام: «وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ

(١) أخرجه الترمذي (٤٥٣/٤) رقم (٢١٤٧) وقال: «هذا حديث صحيح». وأخرجه الحاكم (٤٢/١) وصححه، وأخرجه أحمد (٤٢٩/٣) والطبراني في «الكبير» (٢٢/٧٠٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧٤/٨).

وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٧١/٦) من حديث عائشة. وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٩/٨): «رواه أحمد ورجال الثانية - أي المذكورة هنا - رجال الصحيح».

(٣) البخاري (٦٠/١٣) رقم (٧١٠٨) ومسلم (٢٢٠٦/٤) رقم (٢٨٧٩) من حديث ابن عمر.

تَعُوذُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا [الأعراف: ٨٩]. وقوله عن يوسف: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وقوله عن موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَائِرًا﴾ [الكهف: ٦٩]. وقوله عن قوم موسى: ﴿وَلَئِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧]. وقوله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءُ إِيَّيَ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [١١] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]. ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩]. وقال: ﴿خَلِّدِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]. وعن أهل النار مثل ذلك، وقال: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَافَظًا﴾ [الأنعام: ١٠٦]. وقال: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٤٠]. وقال: ﴿وَلَكِنْ يُزِيلُ يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠]. وقال: ﴿يَمَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبُّنَا﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَلَاحَكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦]. وقال: ﴿تَخَنُّ خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْتَهُمْ بَدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]. وقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]. وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُخْرِجُ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ بِسُوءِ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقال: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وقال: ﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]. وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١]. وقال: ﴿وَاللَّهُ يُضْلِعُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقال: ﴿تُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ٥٦]. وقال: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]. وقال: ﴿فَتُخْرِجُ مَنْ تَشَاءُ وَلَا يَرْدُّ بَاسُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨]. وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]. وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [الشورى: ٣٣]. وقال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٥]. وقال: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠].

وقال: ﴿فَسَوْفَ يُنْفِئُكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨]. وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦]. وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿اللَّهُ بِحَبِيبٍ إِلَيْهِ مِنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٣]. ﴿وَاللَّهُ يُصَلِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصاص: ٦٨].

﴿اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝٥٩ أَوْ يَرْجُوهُمْ ذَكَرًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ عَاقِبًا﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]. ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْراً تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطَ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]. ﴿هُوَ الَّذِي يُمَوِّدُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٨]. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥٢]. ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصاص: ٨٢]. وغير ذلك من الآيات.

قال العلامة ابن القيم^(١) رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحواً من هذه الآيات: وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال: ثفاة المشيئة بالكلية، وثفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عصي وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

(١) انظر: «طريق الهجرتين وباب السعادت» له (ص ٦٤ - ٨٣).

وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مُدبر سواه ولا رب غيره. اهـ.

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيرة جداً، منها قوله ﷺ في شأن الجنين: «فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك»^(١).

وقوله: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء»^(٢)، «إن قبض أرواحكم حين شاء وردّها حين شاء»^(٣)، «إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم»^(٤)، «قولوا ما شاء الله وحده»^(٥).

«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصرّفها كيف يشاء»^(٦)، «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»^(٧).

وكان ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»^(٨).

-
- (١) وهو جزء من حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٠٣٧/٤) رقم (٢٦٤٥).
- (٢) أخرجه البخاري (٤٤٨/١٣) رقم (٧٤٧٦) ومسلم (٢٠٢٦/٤) رقم (٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى.
- (٣) أخرجه البخاري (٤٤٧/١٣) رقم (٧٤٧١) من حديث عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه.
- (٤) وهو جزء من حديث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٥٥/٤) من حديث عبد الله بن مسعود. وأصل الحديث عند البخاري (٥٨٢/٨) رقم (٤٨٣٣) دون الجزء المذكور.
- (٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٤/١، ٢٢٤، ٢٨٣) من حديث ابن عباس بسند صحيح.
- (٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٤٥/٤) رقم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
- (٧) أخرجه أحمد (١٨٢/٤) وابن ماجه (٧٢/١) رقم (١٩٩) من حديث النواس بن سمعان الكلابي.
- قال البوصيري في «الزوائد» (٨٧/١) رقم (٧١): «هذا إسناد صحيح» اهـ.
- (٨) أخرجه الترمذي رقم (٣٥٢٢) وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٥٦) وأحمد (٣٠٢/٦)، (٣١٥).
- قال الترمذي: حديث حسن.
- قلت: فيه شهر بن حوشب سيء الحفظ، ولكن له شواهد تقويه.

وقوله عن الله عز وجل: «فلذلك فضلي أوتيه من أشاء»^(١)، وقوله: «مثل الكافر كممثل الأرزقة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء»^(٢)، وقوله: «تعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله عز وجل سحاب من رحمته يُصيب بها من يشاء من عباده»^(٣)، وقوله في حديث البَيْعة: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»^(٤).

وفي حديث احتجاج الجنة والنار قوله تعالى للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء» وللنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشاء»^(٥)، وقوله ﷺ: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وارزقني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله تعالى لا مُكره له»^(٦)، وقوله: «ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»^(٧) وقوله عن الله عز وجل: «ذلك بأنني جوادٌ أفعل ما أشاء، عطائي كلامٌ،

= منها: حديث عائشة.

أخرجه أحمد (٩١/٦) ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من عائشة.

لكنه تابعه علي بن زيد عن أم محمد عن عائشة به نحوه.

أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٥٧).

قلت: علي بن زيد بن جدعان سيء الحفظ أيضاً.

وأم محمد - وهي زوجة أبيه - لا تعرف.

ومنها: حديث النواس بن سمعان الكلبي المتقدم.

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده.

وأورده المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٠٩١).

(١) أخرجه البخاري (٣٨/٢) رقم (٥٥٧) من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦/١٣) رقم (٧٤٦٦) ومسلم (٢١٦٣/٤) رقم (٢٨٠٩) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢/٢) رقم (١١٢١)، وأورده الحكيم الترمذي في «نادر الأصول» (ص ٢٢٣). من حديث أنس.

وأورده السيوطي في «جمع الجوامع» رقم (٣٣٩٥) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة»، ولأبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي، والحكيم الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري (٢١٩/٧) رقم (٣٨٩٢) من حديث عبادة بن الصامت.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٥/٨) رقم (٤٨٥٠) ومسلم (٢١٨٦/٤) رقم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٨/١٣) رقم (٧٤٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٧) وهو جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٠٥٢/٤) رقم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة.

وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»^(١).
وقوله: «ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله فيرى فيه آية دون الموت»^(٢).

وفي حديث الشفاعة: «فيدعني ما شاء الله أن يدعني»^(٣).

وفي حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «فيسكت ما شاء الله أن يسكت»^(٤)، وفيه قوله تعالى: «لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير»^(٥)، وقال: «فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي»^(٦).

وقال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد»^(٧)، وقال: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله ما بين أيلة إلى كذا»^(٨).

وقال في المدينة: «لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله تعالى»^(٩).

(١) أخرجه أحمد (١٥٤/٥، ١٧٧) والترمذي (٦٥٦/٤) رقم (٢٤٩٥). وابن ماجه (١٤٢٢/٢) رقم (٤٢٥٧) من حديث أبي ذر. وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢١٢/١) و «الأوسط» - كما في «مجمع البحرين» (٧/٣٥٩) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٤٠/١٠): وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف.

قلت: انظر: «اللسان» (٦٣/٤) فقد قال الأزدي: لا يصح حديثه. فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٢/١٣) رقم (٧٤١٠) ومسلم (١٨٠/١) رقم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٢/٢ - ٢٩٣) رقم (٨٠٦) ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٦) رقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٤/١ - ١٧٥) رقم (١٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٦) أخرجه البخاري (٩٦/١١) رقم (٦٣٠٤) ومسلم (١٨٨/١) رقم (١٩٨) من حديث أبي هريرة.

(٧) أخرجه مسلم (١٩٤٢/٤) رقم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر.

(٨) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٥٠) بسند صحيح. من حديث أبي هريرة.

(٩) أخرجه البخاري (٤٤٧/١٣) رقم (٧٤٧٣) من حديث أنس بن مالك.

وفي زيارة القبور: «وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١).
وفي حصار الطائف: «إنّا قافلون غداً إن شاء الله»^(٢)، وفي قدومه مكة:
«منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة»^(٣)، وفي قصة بدر: «هذا مصرع فلان غداً
إن شاء الله، وهذا مصرع فلان إن شاء الله»^(٤).
وفي بعض أسفاره: «إنكم تأتون الماء غداً إن شاء الله»^(٥)، وقال: «من حلف
فقال: إن شاء الله، فإن شاء مضى وإن شاء رجع غير حنث»^(٦).

-
- (١) أخرجه مسلم (٦٦٩/٢) رقم (٩٧٤) من حديث عائشة.
(٢) جزء من حديث عبد الله بن عمر.
أخرجه البخاري (٤٤٨/١٣) رقم (٧٤٨٠) ومسلم (١٤٠٢/٣ - ١٤٠٣) رقم (١٧٧٨).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٨/١٣) رقم (٧٤٧٩) من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٢/٤ - ٢٢٠٣) رقم (٢٨٧٣) من حديث أنس بن مالك.
(٥) أخرجه مسلم (١٧٨٤/٤) رقم (٧٠٦/١٠) من حديث معاذ بن جبل.
(٦) أخرجه أبو داود (٥٧٦/٣) رقم (٣٢٦٢) وابن ماجه (٦٨٠/١) رقم (٢١٠٥).
والترمذي (١٠٨/٤) رقم (١٥٣١) والنسائي (١٢/٧، ٢٥) والدارمي (١٨٥/٢)، وابن
الجارود رقم (٩٢٨) وابن حبان (رقم: ١١٨٣، ١١٨٤ - موارد) والبيهقي في «السنن
الكبرى» (٤٦/١٠) وفي «الأسماء والصفات» (ص ١٦٩) من حديث ابن عمر.
قال الترمذي: «حديث حسن، وقد رواه عبيد الله بن عمر وغيره، عن نافع عن ابن عمر
موقوفاً. وهكذا روي عن سالم عن ابن عمر موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير أيوب
السختياني». وقال إسماعيل بن إبراهيم: «كان أيوب أحياناً يرفعه وأحياناً لا يرفعه» اهـ. وقال البيهقي
عقبه:
«وقد روي عن موسى بن عقبة وعبد الله بن عمر وحسان بن عطية وكثير بن فرقد عن نافع
عن ابن عمر عن النبي ﷺ، ولا يكاد يصح رفعه إلا من جهة أيوب السختياني،
وأيوب شك فيه أيضاً.
ورواية الجماعة من أوجه صحيحة عن نافع عن ابن عمر ﷺ، عن قوله غير مرفوع.، والله
أعلم» اهـ.
وقال الألباني في «الإرواء» (١٩٩/٨):
وفي قوله: «لا يكاد يصح رفعه» نظر، فقد أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٣٥١/٧)
والحاكم (٣٠٣/٤) عن طريقين، عن ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن كثير بن فرقد
حدثه أنّ نافعاً حدثهم به مرفوعاً بلفظ:
«من حلف على يمين ثم قال: إن شاء الله فإن له ثنية».

وقال: «لَأَغْزُونَ قَرِيشاً»، ثم قال في الثانية: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

وقال: «أَلَا مَشْمَرٌ لِلْجَنَّةِ؟» فقال الصحابة: نحن المشمرون لها يا رسول الله، فقال: «قولوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قالوا: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢). وغير ذلك من الأحاديث الثابتة.

[انفراده تعالى بالخلق]

(منفرد) ربنا عز وجل (بالخلق) فما من مخلوق في السموات والأرض إلا اللّهُ خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، فهو خالق كل صانع وصنعه، وخالق الكافر وكفره، والمؤمن وإيمانه، والمتحرك وحركته، والساكن وسكونه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال الحاكم:

«صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.

وأقول: بل هو على شرط البخاري، فإن كثير بن فرقد من رجاله، وهو ثقة.

قال أبو حاتم: «كان من أقران الليث» وبقية الرجال من رجال الشيخين.

وتابعه حسان بن عطية عن نافع به نحوه.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧٣/٣) وقال: «تفرد برفعه عمرو بن هاشم البيروتي».

قلت: «وهو صدوق يخطئ» اهـ.

والخلاصة فالحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود (٥٨٩/٣) رقم ٣٢٨٥ عن عكرمة مرسلًا.

وقال أبو داود: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك عن سماك عن عكرمة عن

ابن عباس. أسنده عن النبي ﷺ، وقال الوليد بن مسلم عن شريك: ثم لم يغزهم.

وقال أبو حاتم في «العلل» (٤٤٠/١) عن هذا الحديث: مرسل. وهو أشبه.

وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه ابن حبان (رقم ٢٦٢٠ - موارد) وابن ماجه (١٤٤٨/٢ - ١٤٤٩ رقم ٤٣٣٢)

والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٣٦/٤) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣٠٤/١)

والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٧٠)، وفي «البعث» رقم (٣٩١) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٢٤).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٣٨٨) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٠١) وأبو نعيم

رقم (٢٤، ٢٥) والبقوي في «شرح السنة» رقم (٤٣٨٦) من طرق... وهو حديث ضعيف.

وقال تعالى: ﴿مَلَأْنَا مِنْ خَلْقِي عَذْرًا اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَتْ تَوَفَّكُونَ﴾ [فاطر: ٣]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كُفْرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْشُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِثْقَالُ حَبِّ خَبْثٍ﴾ [النحل: ٨٠ - ٨١].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٩﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِقُونَ ﴿٦٠﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦١﴾ عَلَيَّ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٤﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٥﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٦﴾ إِنَّا لَمَغْرُوبُونَ ﴿٦٧﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٩﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٧٠﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَلْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧١﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٢﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٣﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتْنًا لِلْمُفْقِرِينَ ﴿٧٤﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة].

وفي الصحيح^(١) من حديث الأشعرين: «ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم». وفيه^(٢) من حديث المصوريين: «ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخُلُقِي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة».

(١) البخاري (٥١٧/١١ رقم ٦٦٢٣) ومسلم (١٢٦٨/٣ رقم ١٦٤٩) من حديث أبي بردة.
(٢) البخاري (٣٨٥/١٠ رقم ٥٩٥٣) ورقم (٧٥٥٩) ومسلم (١٦٧١/٣ رقم ٢١١١) من حديث أبي هريرة.

وفيه^(١): «من صور صورة كُلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ». وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة، فله الخلق والأمر وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(والإرادة) أي ومنفردة بالإرادة فلا مُراد لأحد معه ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته عز وجل ومشيتيه كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۝٥٥ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۝٥٦ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقَوَى وَالْعَفْوَ ۝٥٧﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقِيَ ۝٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ ۝١٢ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ سَبِيلًا ۝١٣ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٤ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٥﴾ [الإنسان].

ف للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة واللَّهُ خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم، ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل لهم إذا شاء وأراد.

[الله هو الحاكم بما أراد فلا معقب لحكمه
ولا راد لقضائه]

(وحاكم جل بما أراده) فلا معقب لحكمه ولا راد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]. بل هو: ﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦، هود: ١٠٧].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. ﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]. ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء، لا ناقض لما أبرم ولا معارض لما حكم، ولا يقال: لم فعل كذا، وهلا كان كذا، لأنه ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَوْنَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

(١) البخاري (٤٢٧/١٢) رقم ٧٠٤٢ ومسلم (١٦٧١/٣) رقم ٢١١٠ من حديث ابن عباس.

وفي حديث أبي ذر عند الترمذي وغيره^(١) وفي آخره قال: «ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعَل ما أريد، عطائي كلامٌ وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون».

(فمن يشأ وفقه بفضله ومن يشأ أضله بعدله)
(فمنهم الشقي والسعيد وذا مقرب وذا طريد)
قال الله عز وجل: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَوْلِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَكَأَيِّ لُؤْمٍ وَيَدْرُغُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءِ وَيَهْدِ مِنْ يَشَاءِ فَلَا نَذِيرَ لَهُمْ نَفْسًا عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ [فاطر: ٨]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ حَصِيصًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ قُلْ لَكُمُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلَمَّهَا تَجْوَرَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٨].

(١) تقدم تخريجه. وهو حديث ضعيف.

وقال النبي ﷺ في خطبته: «من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له»^(١).
وقال ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، زكَّها أنت خيرُ من زكاها، إنك أنت وليُّها ومولاها»^(٢).

(فمنهم) أي من عباده (الشقي) وهو من أضله بعدله (و) منهم (السعيد) وهو من وفقه وهده بفضله؛ فالسعيدُ من سَعِدَ بقضاء الله، والشقيُّ من شَقِيَ بقضاء الله، فله الحمدُ على فضله وعدله.

(وذا مقرب) بتقريب الله إياه إليه وهو السعيدُ، (وذا طريد) بإبعاد الله إياه وهو الشقيُّ البعيد. فبيده تعالى الهداية والإضلال والإسقاء والإسعاد؛ فهدايته العبدَ وإسعاده فضلٌ ورحمةٌ، وإضلاله وإبعاده عدلٌ منه وحكمةٌ، وهو أعلمُ بمواقع فضله وعدله، وهو الحكيمُ العليمُ الذي يضع الأشياءَ مواضعها، وهو أعلمُ بمن هو محلُّ الهداية فيهديه، ومن هو محلُّ الإضلال فيضله وهو أحكم الحاكمين، وهو عليمٌ بالمتقين، وعلیمٌ بالظالمين، وعلیمٌ بالمهتدين، وهو أعلمُ بالشاكرين وأعلمُ بما في صدور العالمين، وهو أعلمُ حيث يجعل رسالته، وهو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلمُ بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغة، ولذا نقول:

(لحكمة بالغة قضاها يستوجب الحمد على اقتضاها)

[جميع أفعاله تعالى وتصرفه في خلقه لحكمة يعلمها]

أي أن جميعَ أفعاله من هدايته مَنْ يشاء وإضلاله مَنْ يشاء، وإسعاده مَنْ يشاء وإسقاء مَنْ يشاء، وجعله أمةً الهدى يهدون إلى الحق بأمره وأمةً الضلالة يهدون إلى النار، وإلهامه كلَّ نفسٍ فجورها وتقواها، وجعله المؤمنَ مؤمناً والكافرَ كافراً عاصياً مع قدرته التامة الشاملة، وأنه لو شاء لجعل الناسَ أمةً واحدةً ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلُّهم جميعاً، ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضالٍّ ومهتدٍ، وشقيٍّ وسعيدٍ، ومقرَّبٍ وطريدٍ، وطائعٍ وعاصٍ ومؤمنٍ وكافرٍ وغير ذلك، هو مقتضى حكمته وموجبُ ربوبيته.

(١) أخرجه مسلم (٥٩٣/٢) رقم ٨٦٨ من حديث جابر.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٨٨/٤) رقم ٢٧٢٢ من حديث زيد بن أرقم.

وحكمته حكمةٌ حقٍ وهي صفته القائمة به كسائر الصفات، وهي متضمنةٌ اسمه «الحكيم»، وهي الغاية المحبوبة له ولأجلها خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السموات والأرض والآخرة والأولى.

فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه، الحكيم في قضائه وقدره، الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه؛ فإن أسماءه وصفاته صفات كمال وجلال، وأفعاله كلها عدلٌ وحكمةٌ، والفعل لغير حكمة عبثٌ، والعبث من صفات النقص، واللّه تعالى منزّه بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله عن جميع النقائص، فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خيرٌ وحكمةٌ من جهة إضافته إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمةٌ وعدلٌ، وما كان من شر في قضائه وقدره فمن جهة إضافته إلى فعل العبد لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة.

وأما من جهة إضافته إلى الرب عز وجل فخيرٌ محضٌ، ولحكمة بالغية وعدل تام وغاية محمودة لا شر فيها البتة، ولهذا قال تعالى فيما قصه عن الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى.

وقال النبي ﷺ في دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «ليتك اللهم وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»^(١).

فنفي أن يُضاف الشر إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقه؛ لأنه ليس شراً من جهة إضافته إليه عز وجل، وإنما كان شراً من جهة إضافته إلى العبد، وذلك لأن الشر ليس إلا السيئات وعقوبتها، وموجب السيئات شر النفس وجهلها، ولهذا قال النبي ﷺ: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»^(٢).

وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي علمه أمته: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر

(١) أخرجه مسلم (١/٥٣٥ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه مسلم (٢/٥٩٣ رقم ٨٦٧) من حديث جابر.

ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(١).

وقال تعالى في حكاية استغفار الملائكة للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩]. ومن وقاه الله السيئات وأعاده منها فقد وقاه عقوباتها من باب الاستلزام، فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل، وذلك من نفس العبد وهي أمور ذاتية لها، وأن السيئات هي موجب العقوبة، والعقوبة من الله عدل محض، وإنما تكون شراً في حق العبد إما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يده جزاءً وفقاً لما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

فأفعال الله عز وجل كلها خيرٌ بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من فضله علماً وعدلاً وحكمةً، فيصدر منه الإحسان والطاعة والبر والخير، وإذا أراد به شراً أمسكه عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبيعته وموجبها، فصدر منه موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح، وليس منعه لذلك ظلماً منه سبحانه، فإنه فضله يؤتيه من يشاء، وليس من منع فضله ظالماً ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به.

وأيضاً، فإن هذا الفضل هو توفيقه وإرادته تعالى أن يلطف بعبده ويوعيته ويوفقه ولا يخلي بينه وبين نفسه، وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَمَا ذَابَ اللَّهُ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ❶ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ❷ [العنكبوت].

(١) أخرجه البخاري (٩٧/١١ - ٩٨ رقم ٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ مَائِدَةٌ فَآلَوْا لَنْ يُؤْمِنَ حَقَّ نُورِكَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تُطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [١٢٥] إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [١٢٦]. وقال تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى مُدْهَبِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرَةٍ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ قَوْلِكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [١٢٧] ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ مَضَىٰ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ [١٢٨] [النجم]. وقال تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الَّذِينَ أَنْشَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ﴾ [١٢٩] أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ مِنَ النَّاسِ﴾ [التين: ١٢٩]، بلى ونحن على ذلك من الشاهدين.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ نِزْلًا مَا أُوْحِيَمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ عَذَابَ رَبِّكَمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَلَيْهِمْ﴾ [١٣٠] يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [١٣١] [آل عمران: ٧٣ - ٧٤]. وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِيَكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَنَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٣٢] لَقَدْ يَمْلِكُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ يَفْقَدُوكَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ١٠].

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك نستغيث. اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

[ما يجب لله على عباده من الحمد على حكيمته في خلقه وأمره]

(يستوجب) يستحق (الحمد على اقتضاها) الضمير للحكمة، فله الحمد على مقتضى حكيمته في جميع خلقه وأمره، فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته، وله الحمد على جميع أفعاله، وله الحمد على خلقه وأمره، وهو المحمود على طاعة العباد ومعاصيهم، وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، وعلى خلقه الملائكة والشياطين، وعلى خلقه الرسل وأعداءهم، وهو المحمود على عدله وحكيمته في أعدائه، كما هو المحمود على فضله ورحمته على أوليائه، وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكيمته وحميده، كما قال تعالى:

﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَكَ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَكْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]. ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [٦٩] وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٧٠] [القصص].

وعلمنا النبي ﷺ في ذكر الاعتدال من الركوع: «ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»^(١)، وفي الذكر عقب الصلوات: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(٢)، وفي التلبية: «لبيك اللهم ليبيك، ليبيك لا شريك لك ليبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»^(٣).

وفي الدعاء المأثور: «اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير

(١) أخرجه مسلم (٥٣٤/١) رقم ٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥/٢) رقم ٨٤٤ من حديث المغيرة بن شعبة.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨/٣) رقم ١٥٤٩ ومسلم (٨٤١/٢) رقم ١١٨٤ من حديث ابن

كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله»^(١).

وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «اللهم لك الحمد، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والساعة حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق»^(٢). الحديث.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، والمقصود أن الرب عز وجل لا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا رباً وإلهاً، فله الحمد كله وله الملك كله، لا شريك له في حمده كما لا شريك له في ملكه، وإن كان بعض خلقه محموداً كالرسل والعلماء فمرجع ذلك الحمد إليه، كما أن مصدره وموجبه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك.

وهذا كما أنه المَلِك لا شريك له في ملكه، ويرزق بعض عباده إذا شاء ملكاً وهو مالِكُه. وكما أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده من علمه ما شاء.

وقال في ذكر عبده يعقوب: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

وكذلك ما من محمود في السموات ولا في الأرض إلا وذلك راجع إلى الله عز وجل في الحقيقة، فحمد كل محمود داخل في حمده، كما أن كل ملك داخل في ملكه، وكل شيء فممنه وله وإليه، فله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٠٢/١٦ رقم ٢٣٢٤٨) من حديث حذيفة بن اليمان بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٦/١٠) وقال: «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم، وبقيّة رجاله ثقات» اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٣/٣ رقم ١١٢٠) ومسلم (٥٣٢/١ - ٥٣٣ رقم ٧٦٩) من حديث ابن عباس.

[التوفيق بين كون الله لا يحب الفساد

وكون ذلك بمشيئته وإرادته]

* (مسألة): فإن قيل: قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يحب الظالمين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك، فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، فما الجواب؟

قلنا: إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كوني وشرعي، ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، التكويد: ٢٩].

ومثال الإرادة الكونية وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ومثال القضاء الكوني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧].

ومثال الأمر الكوني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِمَّنْ هُمْ أَثَرُهُمْ فَلَا رُدَّ لَهُمْ فِيهَا قَوْلٌ عَلَيْهِمْ أَلْقَوْلُ فَنَدْمُنَهَا تَدْمِيمًا﴾ [الإسراء: ١٦].

فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة، وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها، ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحبوب المَرْضِي له والمكروه المُبْغَض، كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقِه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة.

ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [النساء: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُبَيِّنُوا مِثْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ومثال القضاء الشرعي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومثال الأمر الشرعي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وهذه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القَدري هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يُحبه ويرضاه، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه.

ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمنِ المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القَدري، فالله سبحانه وتعالى: يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته، ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِنْ صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يونس: ٢٥].

فعمم الدعوة إلى جنته التي هي دار السلام وأن يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخص الهداية بمن يشاء هدايته، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

* (مسألة) فإن قيل: أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بلى.

وقد قَدَّمنا لك جملةً وافيةً من الآيات والأحاديث في ذلك، ولكن قَدَّمنا لك أيضاً أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته، وموجب ربوبيته وإلهيته، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، فحينئذ قولُ القائل: لَمَ كان من عباده الطائِعُ والعاصي؟ كقول من قال: لَمَ كان من أسمائه الضارُّ النافع والمُعطي المانع والخافضُ الرافع والمنعمُ والمنتقمُ ونحو ذلك، إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثار صفاته، فالاعتراضُ عليه في أفعاله اعتراضٌ على أسمائه وصفاته بل وعلى إلهيته وربوبيته، فسبحان ربِّ العرشِ عما يصفون، لا يُسألُ عما يفعل وهم يسألون.

* (مسألة) واعلم أنه قد يوسوس الشيطانُ لبعض الناس فيقول: ما الحكمةُ

في تقدير السيئات مع كراهة الله تعالى إياها، وهل يأتي المكروه بمحجوب؟
فنقول: الحمد لله إيماناً بالهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، واستسلاماً لأقداره وإرادته، وتسليماً لعدله وحكمته.

اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الواجب على العبد أمرٌ أهم من ذلك البحث، وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والتسليم لأقداره واليقين بعدله وحكمته والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علمناه، ولا يُحيط بكنهه شيء منها ونهايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علمنا الله تبارك وتعالى أن السيئة لذاتها ليست محبوبة لله ولا مرضية كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

ولكن يترتب عليها من محابه ومرضاته ما هو أعلم به إما في حق فاعلها من التوبة والإنابة والإذعان والاعتراف بقُدرة الله عليها والخوف من عقابه، ورجاء مغفرته، ونفي العُجب المُحيط للحسنات عنه، ودوام الذل والانكسار، وتمحُّص الافتقار وملازمة الاستغفار، وغير ذلك من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب عز وجل التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء.

وفي الصحيحين^(١): «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». أخرجاه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه ربه وإلهه وسيده ومولاه من السيئات، وعدم محبتها والنفرة منها، والاجتهاد في كف النفس عنها، وأطرها على محاب الله، وأن لا يصدر عنها شيء يكرهه الله عز وجل، فإن غلبته نفسه بجهلها

(١) أخرجه البخاري (١٠٢/١١) رقم ٦٣٠٩ ومسلم (٤/٢١٠٥) رقم ٢٧٤٧/٨.

واللفظ المذكور رواية لمسلم في صحيحه (٤/٢١٠٤) رقم ٢٧٤٧/٧.

وشرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك وليتداركه بمحabb الله عز وجل ومرضاته من التوبة والإنابة والاستغفار والادكار وعدم الإصرار؛ فإن الله تعالى قد أرشد إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٢١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢٣﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالًا طَيِّبَةً ﴿٢٢٤﴾ [آل عمران]، وغير ذلك من الآيات.

وفي الحديث: «لو لم تُذنبوا لأنى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»^(١)، أو كما قال.

فإن ترتب على فعل السيئة من فاعليها هذه الأمور المحبوبة للرب عز وجل فذلك غاية مصلحة العبد وسعادته وفلاحه، وإن لم يقع منه ذلك فليحَبث نفسه وعدم صلاحيتها للملا الأعلى ومجاورة المولى، والله أعلم بالمهتدين.

وحينئذ يترتب عليها فرائض الله عز وجل على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسل عليهم السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أعظم فرائض الله تعالى، والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة، وكيفيك في فضل ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢٤٠) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤٢﴾ [التوبة: ١١١ - ١١٢].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٠٦/٤) رقم (٢٧٤٩/١١) من حديث أبي هريرة.

ولو سردنا ما في هذا الباب من الآيات والأحاديث لطال الفصل، ونحن نستغفر الله العظيم من الخوض في هذا الباب، ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء الله مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر، وهناك نذكر مراتبه ومذاهب من خالف فيه أهل السنة والجماعة إن شاء الله تعالى، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[إثبات السمع والبصر لله تعالى]

(وهو الذي يرى دبيب الذر في الظلمات فوق صم الصخر)
(وسامع للجهر والإخفات بسمعه الواسع للأصوات)
في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات، وإثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات.

وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى وهما متضمنتان اسميه: «السميع البصير». قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ يُولِغُ الْإِنْسَانَ فِي النَّهَارِ وَيُولِغُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]. وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال ابن جرير^(١): وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء.

ثم روى قتادة^(٢) في قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع.

(١) في تفسيره: «جامع البيان» (٩/١٥ ج ٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٥ ج ٢٣٢).

وقال ابنُ زيد^(١): ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم إنه كان سميعاً بصيراً.

وقال البغوي^(٢) رحمه الله تعالى: «أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء».

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأُذِّنُ﴾ [طه: ٤٦].

قال ابن عباس^(٣) ﷺ: «أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمثله، لست بغافل عنكما فلا تهتما».

وقال تعالى لهما في موضع آخر: ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِإِيقَاتٍ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقُ أَيُّهَا اللَّهُ بِرَأْيٍ﴾ [العلق: ١٤]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ أَخَذْنَا مِنَ النَّارِ لُحْمًا وَأَلْفَكُنَّ إِلَى اللَّهِ تَرْجُومًا﴾ [الشعراء: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه في وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً^(٤)،

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٥٠٢٢٢).

(٢) في تفسيره: «معالم التنزيل» (٥/١٦٥).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٥/٢٧٦) عنه.

(٤) (١٣/٣٧٢). ووصل حديثه المذكور أحمد والنسائي وابن ماجه باللفظ المذكور هنا - وهو: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ =

وأخرجه النسائي^(١) وابن ماجه^(٢) وابن جرير^(٣) وابن أبي حاتم.

وفي رواية له عنها^(٤) عليها السلام أنها قالت: «تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك.

قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١].

قالت: وزوجها أوس بن الصامت.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. وذكر خبر عائشة هذا معلقاً^(٥).

وروي^(٦) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال: «اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً». ثم أتى علي وأن أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة».

= قول التي تجادل في زوجها [المجادلة: ١].

وأخرجه ابن ماجه أيضاً من رواية أبي عبيدة بن معن عن الأعمش بلفظ: «تبارك... وسياقه أتم، وليس لتمييم المذكور عن عروة في الصحيحين سوى هذا الحديث وآخر عند مسلم». قاله الحافظ في «الفتح» (٣٧٣/١٣ - ٣٧٤).

(١) في «السنن» (١٦٨/٦) رقم (٣٤٦٠).

(٢) لم يخرج ابن ماجه بهذا اللفظ بل باللفظ الآتي.

(٣) في «جامع البيان» (١٤/٢٨ج٦).

قلت: وأخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦٩/٨) والحاكم (٤٨١/٢) وأحمد (٤١٠/٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٦٦٦/١) رقم (٢٠٦٣) والحاكم (٤٨١/٢).

وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال.

وابن مردويه وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/٧٠).

(٥) البخاري (٣٧٢/١٣) معلقاً.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٢/١٣) رقم (٧٣٨٦) ومسلم (٢٠٧٦/٤) رقم (٢٧٠٤).

وعن عائشة^(١) قالت: قال النبي ﷺ: «إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك».

وروي^(٢) في باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]:
عن عبد الله ﷺ قال: اجتمع عند البيت ثقيان وقرشي أو قرشيان وثقفي، كثيرة الشحم بطونهم، قليلة الفهم قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢]. الآية.

وروي أبو داود^(٣) عن أبي هريرة ﷺ أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَيِّئًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه.

قال ابن يونس: قال المقرئ يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَكِيمٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، يعني أن الله سمعاً وبصراً.

قال أبو داود^(٤) رحمه الله تعالى: وهذا رد على الجهمية اهـ.

قلت: - يعني أبو داود رحمه الله - أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسماً ولا صفةً مما سُمي ووصف نفسه تعالى به وأثبت له رسول الله ﷺ، فلا يثبتون أن الله هو السميع البصير، ولا أنه يسمع ويرى بسمع وببصر، فراراً بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وشبهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢/١٣) رقم (٧٣٨٩) ومسلم (٣/١٤٢٠ - ١٤٢١) رقم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٤٩٥) رقم (٧٥٢١) ومسلم (٤/٢١٤١) رقم (٢٧٧٥).

(٣) في «السنن» (٥/٩٦ - ٩٧) رقم (٤٧٢٨) بسند صحيح.

(٤) في سننه (٥/٩٧).

عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز وجل: ﴿يَأْتِي لِمَ تَقْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

وقد أثبت الجهمية قبحهم الله حجةً لعباد الأصنام وجواباً لإنكار خليل الله
وجميع رسله عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودكم أيضاً لا يسمع ولا يبصر،
تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

وقالت المعتزلة^(١): سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، وأطردوا جميعَ أسمائه
هكذا فأثبتوا أسماءً ونفّوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن إثبات
الألفاظ دون المعاني، وقولهم في الحقيقة راجعٌ إلى قول الجهمية، مخالفٌ كلِّ
منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة.

وهدى الله تعالى بفضلِه أهلَ السنة لفهم كتابه، وآمنوا بما وصف به نفسه
وأقروا بما أخبر ونفّوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

[العلم الإلهي]

(وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَأَ وَمَا خَفِيَ أَحَاطَ عِلْماً بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ)

أي ومما أثبتَه الله عز وجل لنفسه وأثبتَه له رسوله ﷺ أنه عليمٌ بعلم، وأن
علمه محيطٌ بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات، وهو من صفاته الذاتية، وعلمه
أزليٌّ بأزليته، وكذلك جميعُ صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميعَ ما هو خالقٌ،
وعلمَ جميعَ أحوالِ خلقه وأرزاقهم وأجالتهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن
هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار.

(١) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ضالة منحرفة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري
ما بين سنة (١٠٥ - ١١٠ هـ) بزعامة رجل يسمى: «واصل بن عطاء الغزال».

نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر..

وقد تفرقت المعتزلة فرقا كثيرة، واختلفوا في المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى اثنتين وعشرين
فرقة - [الملل والنحل (١/ ٥٦ - ٩٦) و [الفرق بين الفرق (ص ١١٢ - ١٨٧].

[المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبد الله المعتق،
وفرق معاصرة. إعداد: غالب بن علي عواجي. (٢/ ٨٢١ - ٨٥١)].

وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم: أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية، سواء في علمه الغيب والشهادة والسر والجهر والجليل والحقيق.

لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا في الدنيا ولا في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِئِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَنْقَالَ ذَرُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يُلْتَوْنَ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَعْشُونَ شِبَاهَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَىٰ ذَاتِ الْأُصْدُورِ﴾ [هود: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاءٌ مِنْكَ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتْرُقٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ۝﴾ [الرعد: ١٦].

وقال عن نبيه شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]. وقال تعالى عن خليله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٢٣].

[٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا رَيْبَ لَكَ لَعَلَّ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦]. وقال تعالى: ﴿إِنْ تَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَمَلُّونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسًا وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

يَمِّنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿النجم: ٣٠﴾. وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ أَجْنَثَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿النجم: ٣٢﴾. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿الحديد: ٤﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿المجادلة: ٧﴾.

وقال تعالى: ﴿تُسِرُّونَ لِأَيْمِهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقَعْلَهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿المتحنة: ١﴾. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْفِثُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿التغابن: ٤﴾. وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ لَا يَعْرِزُ عَنْهُ شَيْءٌ شَقَّالٌ ذَرَرٌ ﴿سبا: ٣﴾. وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿التغابن: ١٨﴾. وقال تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿الطلاق: ١٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٧﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴿الملك: ١٧﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ ﴿الफल: ٧﴾. وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٠﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢١﴾ ﴿الجن: ٢١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِ إِلَالٍ وَنَضَعُ وَكُلُّهُمْ وَطَافَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴿المزمل: ٢٠﴾. الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ وَمَا يَخْفَى ﴿الأعلى: ٧﴾. وقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴿النور: ٦٣﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿القصص: ٣٤﴾. وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ﴿النساء: ١٦٦﴾. وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿فصلت: ٤٧﴾. وقال تعالى: ﴿فَإِلَيْكُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴿هود: ١٤﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤، الحجرات: ١٣]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠، الأحزاب: ١]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨، الشورى: ٢٤، الزمر: ٧، الأنفال: ٤٣].

ولو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم الله عز وجل لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية.

وفي الصحيحين^(١) عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.

اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر (ثم يسميه بعينه) خيراً لي في عاجل أمري وآجله - أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدّره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه.

اللهم وإن كنت تعلم أنه شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفني عنه واقدّر لي الخير حيث كان ثم أرضني به». وفيهما^(٢) من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار: «فيسألهم وهو أعلم بهم».

وفيهما^(٣) من دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العليم الحكيم». وفيهما^(٤) من حديث الذي أوصى أن يُحرق ويُذرى ثم قال: «لَمْ فَعَلْتُ؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم».

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٣٣/٢) رقم ٥٥٥ ومسلم (٤٣٩/١) رقم ٦٣٢/٢١٠ من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) البخاري (٥١٤/٦) رقم ٣٤٧٨ ومسلم (٢١١١/٤) رقم ٢٧٥٧ من حديث أبي سعيد الخدري.

وفيهما^(١) من حديث قصة موسى والخضر: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتبَ الله عليه إذ لم يردَّ العلم إلى الله».

وفي رواية: «إليه»، وفيه قول الخضر عليه السلام: «يا موسى إنك على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمني الله لا تعلمه»، إلى أن قال: «فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره».

وفي رواية: «إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر».

وفيها^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله».

وفيها^(٣) من حديث أبي موسى الأشعري: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وكما أخبر الله تعالى عن علمه بما كان وما سيكون، كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون، فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مَكِّةٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَكًّا لَفَقِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَكًّا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيْسُونَ ۝﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِي ۚ﴾ [فصلت: ٤٤]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنِ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسٌ فَهُوَ لَآتِيهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. الآية.

(١) البخاري (٢١٧/١ - ٢١٨ رقم ١٢٢).

ومسلم (١٨٤٧/٤ - ١٨٥٣ رقم ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤/١٧٤ - ٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب.

(٢) البخاري (٥١٣/٨ رقم ٤٧٧٨). ولم يخرج مسلم.

(٣) البخاري (١٩٦/١١ - ١٩٧ رقم ٦٣٩٩) ومسلم (٢٠٨٧/٤ رقم ٢٧١٩).

إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَنَقَلُبُ أَفْسَدَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٣٩﴾ [الأنعام].
وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٣٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشعراء]، إلى غير ذلك.

وقال تعالى في المستحيلات لو قُدِّرَ إمكانها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١١﴾ سُبْحَنُ رَبِّيَ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣]، إلى غير ذلك.

وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علمٌ أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيءٍ علماً، وحاربوا نصوص الكتاب والسنة وجميع سلف الأمة، فليس معبودهم هو العليم الخبير الذي هو بكل شيءٍ عليم، وإنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة له ولا وجود، فليصفوه بما شاءوا فبعداً للقوم الظالمين.

[الله سبحانه غني بذاته، وكل شيء غيره مفتقر إليه]

(وهو الغني بذاته سبحانه) جل ثناؤه تعالى شانه (وكل شيء رزقه عليه) وكلنا مفتقر إليه
(وهو الغني بذاته) فله الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء (سبحانه) وبحمده تنزيهاً له وتحميداً (جل ثناؤه تعالى شانه) تعظيماً له وتمجيذاً (وكل شيء رزقه عليه) لا رزاق له سواه، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله (وكلنا) معشر المخلوقات (مفتقر إليه) لا غنى لنا عنه طرفة عين، فكما أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرة إليه في قيامها فلا قوام لها إلا به، فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه.

فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام
 لشيء إلا به، فللخالق مطلق الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله
 وكماله، قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أُنثَىٰ الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ٥٦﴾ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴿٥٧﴾ وما ذلك على الله بعزيز ﴿٥٨﴾
 [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ٥٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ
 وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٦٠﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً
 إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٦١﴾ لَمْ يَأْتِ السَّمَكُونَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ
 الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَهُ اللَّهُ أَتَجِدُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَكُونَ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
 يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ٦٣﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونِ ٦٤﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زِينٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٦٥﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
 الْمَتِينُ ﴿٦٦﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَكُونَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَكُونَ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وقال تعالى رداً على اليهود: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ
 وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال رداً عليهم أيضاً: ﴿وَقَالَتِ
 الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ عَلَيْنَا أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُعْطِي كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:
 ٦٤]. وقال تعالى رداً على المنافقين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ
 رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَكُونَ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾
 [المنافقون: ٧]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْتِقَامِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

يخبر تعالى بكمال غناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع ولا
 ينقصه معصية من عصى، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم
 يخلقهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم.

ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه، لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد.

وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله محمد ﷺ: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أطعنكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفي فتفنعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ولو أن أولكم وآخركم وحيتكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد في ملكي جناح بعوضة.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». رواه مسلم^(١) عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه.

وفي رواية الترمذي^(٢): «يقول الله عز وجل: يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديت، فسلوني الهدى أهدكم. وكلُّكم فقيرٌ إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم، وكلُّكم مذنبٌ إلا من عافيت، فمن علم منكم أنني ذو قدرة على المغفرة فاستغفروني غفرت له ولا أبالي.

(١) في صحيحه (١٩٩٤/٤ - ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧).

(٢) في «السنن» (٦٥٦/٤ رقم ٢٤٩٥) وقد تقدم في التعليقة السابقة.

وانظر: «شرح حديث: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» لابن تيمية. بتحقيقنا.

ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبدي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيته كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد، عطائي كلامٌ وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون».

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدُ الله ملأى لا تغيضُها نفقةٌ، سحَاءُ الليل والنهار، أفرأيتُم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرضَ، فإنه لم يغيضْ ما في يمينه».

وروى أبو داود^(٢) بإسناد جيد من حديث عائشة رضي الله عنها في الاستسقاء وفيه قولُ رسول الله ﷺ: «الحمدُ لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت علينا قوةً وبلاغاً إلى حين».

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله عز وجل: «أيوَّمِّلُ غيَري للشَّدائدِ، والشَّدائدُ بيدي وأنا الحي القيوم، ويُزجى غيَري ويُطرق بابُه بالبُكراتِ وبيدي مفاتيحُ الخزائنِ وبابي مفتوحٌ لمن دعاني».

من ذا الذي أتملني لنائبةً فقطعتُ به، أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت به، أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له، أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني، أبخيلٌ أنا فيبخلني عبدي، أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي، فما يمنع المؤمنين أن يؤمنوني، لو جمعتُ أهل السموات والأرض ثم أعطيتُ كل واحد منهم ما أعطيتُ الجميعَ وبلغتُ كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة.

(١) البخاري (٣٥٢/٨) رقم ٤٦٨٤) ومسلم (٢/٦٩٠ - ٦٩١ رقم ٩٩٣).

ولفظ مسلم: «يمين الله».

(٢) في سننه (٦٩٢/١) رقم ١١٧٣) وقال: «هذا حديث غريب، إسناده جيد» وحسن الألباني

الحديث في صحيح أبي داود.

كيف ينقّص مُلكَ أنا قَيْمُهُ، فيا بؤساً للقائطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني وتوئّب على محارمي». انتهى.

وجاء في بعض ألفاظ حديث النزول^(١): «من يُقرض غيرَ عديم ولا ظلوم».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً لو أردنا استقصاءها لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية، فسبحان من وسّع خلقه بغناه، وافتقر كل شيء إليه وهو الغني عما سواه: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

[كلام الله تعالى]

(كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمًا وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمًا)

أي ومما أثبتته ربنا عز وجل لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه، بل أسمعته كلامه الذي هو صفته اللاتقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد.

قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. فأكد بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح. وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتْ لِيْلِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ يَمُْوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢٨﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٩﴾﴾.

وقال في سورة مريم: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِذْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذِيرَةً مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِينًا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

(١) أخرجه مسلم (١/٥٢٢) رقم (٧٥٨/١٧١) من حديث أبي هريرة.

وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿٣﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْلُخْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٤﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿٥﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ ﴿٦﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿٧﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿٨﴾ وَمَا تِلْكَ يَسْمِينِكَ بِمُوسَى ﴿٩﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَلَيْهَا يَمُوسَى ﴿١٠﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهُمَا سِيرَتَهُمَا الْأُولَىٰ ﴿١١﴾﴾، إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِ.

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَلَا تَدْعُ رَبُّكَ مُوسَىٰ إِنِ اتَّبَعَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾﴾ الْآيَاتِ.

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَابِيتُ مِّنْهَا صِغِيرَ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ يَمُوسَىٰ لَّا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿٤﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثِيَابٍ قَبَسٍ لَّكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴿٦﴾﴾ الْآيَاتِ.

وقال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا صِغِيرَ أَوْ جَذْوَةً مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤﴾﴾ الْآيَاتِ.

والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيحين^(١) من حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، وفيه قول آدم لموسى: «أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه» الحديث.

وفيهما^(٢) من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام: «ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله».

وفي رواية^(٣): «ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليماً». وفي رواية^(٤): «ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقرّبه نجياً».

فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليماً. وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه، وأخبر عنه رسوله محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأني كلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وأني بيان أوضح من بيان الله ورسوله، وبأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك: ﴿فَأَنى حَديثٍ بَعَدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

[يتكلم سبحانه إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء]

وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يُسمعه من يشاء، أسمعته موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد.

وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَهْمًا أَوْ أَنهَكُمَا عَنْ يَلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وأن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

(١) سيأتي تخريجه بتمامه.

(٢) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

(٣) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

(٤) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير». الحديث.

وفيهما^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض».

وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِنْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُيُوبَ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ بِإِذْكُم مَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠] قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً مَعَكُمْ وَهُمْ يُقِرُّونَ بِكُمْ كُفْرًا وَهُمْ يُكَذِّبُونَ ۚ﴾ [سبا].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ وَيَتَّبِعُنَا فَهُمْ يُوْزَعُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] حَقَّ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكْذَبْتُمْ يَتَّبِعُونِي وَلَمْ يَحْطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤُا الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]. وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وأنه يقول لأهل النار: ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيح^(٣) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان». الحديث.

(١) البخاري (٤٥٣/١٣) رقم (٧٤٨١). ولم يخرج مسلم.

(٢) البخاري (٤٦٠/١٣) رقم (٧٤٨٥) ومسلم (٢٠٣٠/٤) رقم (٢٦٣٧).

(٣) البخاري (٤٧٤/١٣) رقم (٧٥١٢) ومسلم (٧٠٣/٢) رقم (٧٠٤) - (١٠١٦).

وفيه^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

وفيه^(٢) تعليقاً عن جابر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يحشرُ الله العبادَ، فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بُعد كما يسمعه مَنْ قُرب: أنا المَلِكُ أنا الديان».

وفيه^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددتُ لعباي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر».

وفيه^(٤) عنه رضي الله عنه قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاء إذا أنا قبضتُ صَفِيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة».

وفيه^(٥) من حديث الشفاعة: «يقول الله عز وجل: مَنْ كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من إيمانٍ فأخرجوه». الحديث.

وفيه^(٦) من حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها».

وفيه^(٧) من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى: «لِتَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا

(١) البخاري (٤٥٣/١٣) رقم (٧٤٨٣) ومسلم (٢٠١/١) - ٢٠٢ رقم (٢٢٢).

(٢) البخاري تعليقاً (٤٥٣/١٣) بصيغة التمریض. و(١٧٣/١) تعليقاً بصيغة الجزم.

وذكر له الحافظ في «الفتح» (١٧٤/١) طريقين آخرين عن جابر يرتقي بهما إلى مرتبة الحجية.

ووصله البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣٦٥) وفي «الأدب المفرد» رقم (٩٧٠)

والحاكم (٤٣٧/٢ - ٤٣٨) و(٥٧٤، ٥٧٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٧٨ -

٧٩) كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم

(٣٥٩٣): «صدوق في حديثه لين، ويقال: تغير بأخذه».

وجزم الحافظ بأن إسناده صالح في «الفتح» (١٧٤/١) وقال: (وله طريق آخر أخرجها

الطبراني في «مسند الشاميين» - (رقم: ١٥٦) - وتعام في «فوائده»... وإسناده صالح» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) البخاري (٥١٥/٨ - ٥١٦ رقم (٤٧٨٠) ومسلم (٢١٧٤/٤) رقم (٢٨٢٤).

(٤) البخاري (٢٤١/١١ - ٢٤٢ رقم (٦٤٢٤). (٥) تقدم تخريجه وسيأتي بتمامه.

(٦) البخاري (٤١٨/١١ رقم (٦٥٧١) ومسلم (١٧٣/١) رقم (١٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٧) البخاري (٤١٩/١٣ - ٤٢٠ رقم (٧٤٣٧) ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٧ رقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

كانت تعبد». وقوله عز وجل للمؤمنين: «أنا ربكم».

وفيه^(١) في باب كلام الرب عز وجل مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

وفيه^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: «أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

وفيهما^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقول الله عز وجل: «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها» الحديث.

وفيهما^(٤) من حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرجم، فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك». الحديث.

وفيه^(٥) من حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه».

(١) البخاري (٤١٥/١١) رقم ٦٥٤٩ و(٤٨٧/١٣) رقم ٧٥١٨. ومسلم (٢١٧٦/٤) رقم ٢٨٢٩.
(٢) البخاري تعليقا (٤٩٩/١٣) بصيغة الجزم. ووصله البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣٤٤).

وأخرجه أحمد (٥٤٠/٢) وابن ماجه رقم (٣٧٩٢) من طريق محمد بن مصعب وأبي المغيرة، والبخاري في «شرح السنة» رقم (١٢٤٢) من طريق يحيى بن عبد الله، والحاكم (٤٩٦/١) عن طريق بشر بن بكر. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. كلهم عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء، عن أبي هريرة، وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) البخاري (٤٦٥/١٣) رقم ٧٥٠١ ومسلم (١١٧/١) رقم ١٢٨.

(٤) البخاري (٥٧٩/٨ - ٥٨٠) رقم ٤٨٣٠ ومسلم (١٩٨٠/٤ - ١٩٨١) رقم ٢٥٥٤.

(٥) البخاري (٤٦٦/١٣) رقم ٧٥٠٤ ومسلم (٢٠٦٦/٤) رقم ٢٦٨٥.

وفيه^(١) من حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي». وفيه^(٢) من حديثه أيضاً في قصة المذنب المستغفر. الحديث. وفيه: «فقال ربه: أهلك عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرْتُ لعبدي». وذكر الحديث.

وفيه^(٣) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: «مُطر النبي ﷺ فقال: «قال الله عز وجل: أصبح من عبادي كفرٌ بي ومؤمنٌ بي».

وفيه^(٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في ذكر طي الله تعالى السموات والأرض، وفيه: «ثم يهزئ ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك». الحديث.

وفيه^(٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأله كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقول تعالى: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

وفي صحيح مسلم^(٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لأهل النار عذاباً لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنْت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهونَ من هذا وأنت في صلب آدم ألا تُشرك - أحسبه قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك».

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركك ترأس وترجع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٤٦٦/١٣) رقم (٧٥٠٧) ومسلم (٢١١٢/٤) رقم (٢٧٥٨).

(٣) البخاري (٣٣٣/٢) رقم (٨٤٦) ومسلم (٨٣/١) رقم (٧١).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) البخاري (٤٧٥/١٣) رقم (٧٥١٤) ومسلم (٢١٢٠/٤) رقم (٢٧٦٨).

(٦) تقدم تخريجه.

لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني^(١). رواه مسلم^(٢) والتِّرْمِذِيُّ^(٣) وقال: هذا حديث صحيح غريب، ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني». اليوم أتركك في العذاب اهـ.

وفي الصحيحين^(٣) عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قالت: ولكن واللّه ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وخياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١]، العشر الآيات.

ولو ذهبنا ننقل الأحاديث في قال الله ويقول ويتكلم وينادي ونحو ذلك لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية.

وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه، وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر، وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]. وقال: ﴿سَلَّمْتُ قَوْلًا مِنْ رَبِّي تَرْجِيهِ﴾ [يس: ٥٨]. وقال: ﴿إِنَّمَا لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْمَزَلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق].

والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء، وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك.

وسياتي إن شاء الله تعالى بحثه قريباً، وكلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته، والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري تبارك وتعالى قائمة به أزلية بأزليته، باقية ببقائه، لم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك لم تتجدد له صفة لم يكن متصفاً بها ولا تنفد صفة كان متصفاً بها، بل هو الأول والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شيء عليم.

(١) في صحيحه (٢٢٧٩/٤) رقم (٢٩٦٨).

(٢) في «السنن» (٦١٩/٤) رقم (٢٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) البخاري (٢٦٩/٥ - ٢٧٢) رقم (٢٦٦١) ومسلم (٢١٢٩/٤ - ٢١٣٦) رقم (٢٧٧٠).

[الكلام الإلهي يجلّ عن الإحصاء والحصر والفناء]

(كلامه جلّ عن الإحصاء والحصر والنفاذ والفناء)
(لو صار أقلاماً جميعُ الشجرِ والبحرُ تلقى فيه سبعةُ أبخرِ)
(والخلقُ تكتبه بكلّ أنِ فئت وليس القولُ منه فانِ)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا يَمِيلُهُ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن كثير^(١) رحمه الله تعالى: يقول الله تعالى مخبراً عن عظّمته وكبريائه وجلّاله وأسمائه الحُسنَى وصفاته العُلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحدٌ، ولا اطلاعٌ لبشرٍ على كُنْهها وإحصائها، كما قال سيّد البشر وخاتمُ الرسل: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

أي ولو أن جميعَ أشجارِ الأرضِ جعلت أقلاماً وجعل البحرُ مداداً وأمدّه سبعةُ أبحرٍ معه فكتبت بها كلماتُ الله تعالى الدالةُ على عظّمته وصفاته وجلّاله لتكسّرت الأقلامُ ونفد ماء البحرِ ولو جاء أمثالها مداداً، وإنما ذُكرت السبعةُ على وجه المبالغة ولم يُردّ الحصرُ، ولا أن ثمّ سبعةُ أبحرٍ موجودةٌ محيطَةٌ بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تُصدّق ولا تُكذّب، بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا يَمِيلُهُ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فليس المرادُ بقوله (بمثله) آخرُ فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلمّ جرّاء، لأنه لا حصرَ لآياتِ اللّهِ وكلماته.

(١) في تفسير القرآن العظيم (٣/٤٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٥٢ رقم ٤٨٦) من حديث عائشة.

قال الحسن البصري^(١): لو جعل شجرُ الأرض أقلاماً وجُعِلَ البحرُ مداداً وقال الله تعالى: «إِنْ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَمِنْ أَمْرِي كَذَا، لَنَفِدَ ماءُ البحرِ وتَكَسَّرَتِ الأَقْلَامُ».

قال قتادة^(٢): قال المشركون إنما هذا كلامٌ يوشك أن ينفذَ، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. أي لو كان شجرُ الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحرٍ ما كانت لتنفذَ عجائبُ ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

وقال الربيعُ بنُ أنس^(٣) رحمه الله: إن مثلَ علمِ العبادِ كلُّهم في علمِ الله كقطرة من ماء البحورِ كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. الآية.

يقول: لو كان البحرُ مداداً لكلمات الله، والأشجارُ كلها أقلاماً لانكسرت الأَقْلَامُ وفنيَ ماءُ البحرِ وبقيت كلماتُ الله قائمة لا يُفنيها شيء؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدِّره قَدْرَهُ، ولا يُثني عليه كما ينبغي حتى يكونَ هو الذي يُثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول.

قال: وقد روي أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود، قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: حدثني محمد بنُ أبي محمد عن سعيد بن جبير - أو عكرمة - عن ابن عباس^(٣) رضي الله عنه أن أحبارَ يهودَ قالوا لرسولِ الله ﷺ بالمدينة: يا محمدُ أرايتَ قولك: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسولُ الله ﷺ: كلاهما. قالوا: ألسنتُ تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراةَ فيها نبيانٌ لكل شيء؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنها في علمِ الله قليلٌ وعندكم من ذلك ما

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج ٢١/٨١) موقوفاً.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/١١٤).

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج ٢١/٨١) بسند ضعيف.

محمد بن أبي محمد الأنصاري، روى عن سعيد بن جبير وعكرمة، وعنه محمد بن إسحاق.

ذكره ابن حبان في «الثقات».

قلت: وقال الذهبي: لا يعرف.

[تهذيب التهذيب (٣٨٤/٩ رقم ٧١١)].

يكفيكم». وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. الآية.

وهكذا رُوي عن عكرمة^(١) وعطاء بن يسار^(٢)، وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية، والمشهور أنها مكية، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أي عزيزٌ قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف لأمره ولا مُعَقَّب لحكمه، حكيمٌ في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤونه^(٣). انتهى.

وعن جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها أنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحي وهي جالسة، فقال: «ما زِلْتُ على الحال التي فارقْتُك عليها؟» قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «لقد قلتُ بعدك أربع كلماتٍ ثلاث مراتٍ لو وُزِنَتْ بما قلتُ منذ اليوم لوزنْتُنَّ: سبحانَ الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته». رواه مسلم^(٤) والأربعة^(٥).

وعن أبي هريرة^(٥) رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيْتُ من عقربٍ لدغْتَنِي البارحة؟ قال: «أما لو قلتُ حينَ أمسيْتَ أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ التي لا يجاوزُهنَّ جبارٌ ولا متكبرٌ». والأحاديث في الباب كثيرة.

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج ٢١/٨١) مرسلًا.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٦٠ - ٤٦١).

(٣) في صحيحه (٤/٢٠٩٠ رقم ٢٧٢٦).

(٤) أبو داود (٢/١٧١ رقم ١٥٠٣) والترمذي (٥/٥٥٦ رقم ٣٥٥٥) وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي (٣/٧٧ رقم ١٣٥٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (رقم: ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥) وابن ماجه (٢/١٢٥١ رقم ٣٨٠٨).

قلت: وأخرجه البيهقي في «شرح السنة» رقم (١٢٩٧) وأحمد في «المسند» (١/٢٥٨، ٣٥٣) و(٦/٣٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠) وابن حبان رقم (٨٢٨) و(٨٣٢) من طرق... وهو حديث صحيح.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ. بل أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٨١ رقم ٢٧٠٩). عن أبي هريرة؛ أنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لقيْتُ من عقربٍ لدغْتَنِي البارحة. قال: «أما لو قلتُ حينَ أمسيْتَ: أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شرِّ ما خلق، لم تُضْرَك». وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٨٥) وأبو داود (٤/٢٢١ رقم ٣٨٩٨) والطبراني في «الدعاء» (٢/٩٥٧ رقم ٣٤٩ب) وهو حديث صحيح.

والمقصود أن كلمات الله باقية لا تنفد أبداً، تامة لا تنقص أبداً، وذلك لأن كلامه وصفته وليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلاماً، والبحار أضعافها مداً يُكتب بها كلماته لنفدت كلها وكلماته باقية لا تنفد، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة والمخلوقات من لازمها النفاذ والفناء، وكلمات الله صفته وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه وصفاته أزلاً وأبداً: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْكُفْرُ وَالْإِيمَ تَرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

[كلام الله في كتابه عين كلامه ليس بمخلوق]

(والقول في كتابه المفضل بأنه كلامه المنزل)
(على الرسول المصطفى خير الوري ليس بمخلوق ولا بمفتري)
(والقول) الذي نعتقه وندين الله به (في) شأن (كتاب المفضل) بسكون اللام للروى، وهو القرآن وصفه الله تعالى بذلك فقال: ﴿كَتَبْنَا أُتُكَّتْ ءَاتَيْنَهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]. وقال تعالى: ﴿كَتَبْتُ فَصَّلَتْ ءَاتَيْنَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]. وقال تعالى: ﴿أَفَنُفِّرَ اللَّهُ أَتَيْنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. وغير ذلك من الآيات.

(بأنه كلامه) حقيقة، حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَفَازٍ لَتَأَخَذُوا مَرْوَةً تَنْفَعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَنفَعُوهُمْ كَذَلِكَ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه»، يعني القرآن.
رواه أبو داود^(١) والحاكم وصححه^(٢).

(١)(٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» رقم (٥٣٨) والترمذي في سننه رقم (٢٩١٢) وأحمد في «الزهد» (ص ٦٢ رقم ١٩٠) وعبد الله في «السنة» رقم (٩١) من طريق عبد الرحمن بن =

= مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرقط، عن جبير بن نفير. وجبير بن نفير: تابعي فالحديث مرسل.

* وأخرجه الحاكم (٥٥٥/١) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٦)، من طريق سلمة بن شبيب عن أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرقط، عن جبير بن نفير، عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* وأخرجه الحاكم (٤٤١/٢) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٦) من طريق صالح كاتب الليث عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرقط، عن جبير بن نفير، عن عقبة بن عامر الجهني. مرفوعاً.

وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* وللحديث شاهد عند أحمد (٢٦٨/٥) والترمذي رقم (٢٩١١) ومحمد بن نصر في «تعظيم الصلاة» (٢٠٨/١) وفي «قيام الليل» (ص ٤١، ٤٢، ١٢٢) وابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٤١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨٨/٧) و(٢٢٠/١٢) وابن النجار في «ذيله» (٣٧٢/١) كلهم من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، عن بكر بن خنيس، عن ليث بن أبي سليم، عن زيد بن أرقط، عن أبي أمامة مرفوعاً... وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه - يعني القرآن - اهـ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر أمره، وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرقط عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلًا.

قلت: بالإضافة لضعف بكر بن خنيس، ضعف ليث بن أبي سليم - كما في «المجروحين» (٢٣١/٢ - ٢٣٤) و«الجرح والتعديل» (١٧٧/٧ - ١٧٩).

والخلاصة فالحديث ضعيف لإرساله واختلاط العلاء بن الحارث - كما في «الكواكب النيرات» في معرفة من اختلط من الرواة الثقات» لأبي البركات محمد بن أحمد الذهبي (ص ٦٥ - ٦٦ رقم ٤١).

وقد قال البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٥٠) رقم (٤٠٤): «إن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه» اهـ.

وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف كما في «ضعيف الجامع» رقم (٢٠٤١). قلت: والطرق هذه لا تتقوى ببعضها، لأن رواية سلمة بن شبيب تعتبر شاذة. ورواية عبد الله بن صالح كاتب الليث تعتبر منكورة. فلا تصلحان في الشواهد والمتابعات.

ورواية بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد عن أبي أمامة فلا يتقوى بها لضعف بكر وليث. ولأنه روي عن ليث مرسلًا بسند صحيح.

والصواب أنه مرسل، والله أعلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». رواه الترمذي^(١)، وقال حديث حسن غريب.

وروى ابن خزيمة^(٢) عن نيار بن مكرم الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ و ﷺ قال: لما نزلت: ﴿آلَ ۝ غُلَّتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَاقِلُونَ﴾ [الروم]، خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ غُلَّتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَاقِلُونَ﴾ في يضح سين، فقال رؤساء مكة مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة، هذا مما أتى به صاحبك؟ قال: لا، والله، ولكنه كلام الله وقوله. وذكر الحديث.

(١) في «السنن» (١٨٤/٥) رقم ٢٩٢٦ وقال حسن غريب.

قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٨٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٨). وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (١٢٨) والدارمي (٤٤١/٢) ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٢).

والطبراني في «الدعاء» رقم (١٨٥١) وابن حبان في «المجروحين» (٢٧٧/٢) والعقيلي في «الضعفاء» (٤٩/٤) من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن القيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً.

قلت: وفي سنده محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ضعيف. وعطية العوفي يخطئ كثيراً ويرسل، وقد عنعن. وقال ابن أبي حاتم في كتاب «العلل» (٨٢/٢): «سألت أبي عن حديث رواه محمد بن الحسن بن أبي يزيد - فذكر هذا الحديث - فقال أبي: هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي» اهـ. وخلاصة القول أن الحديث منكر.

(٢) في «التوحيد» (ص ١٦٦ - ١٦٧) بسند حسن.

قلت: وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٩)، وفي «الاعتقاد» (ص ٤٩) وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١١٦). وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٧٢).

وأخرجه الترمذي (٣٤٤/٥) رقم ٣١٩٤ وليس فيه موضع الشاهد عنده.

وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد» اهـ.

وكان ابن مسعود^(١) رضي الله عنه يقبل المصحف ويقول: كلامُ ربي كلامُ ربي.
وعن عمر^(٢) رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن كلامُ الله فضعوه على مواضعه.
وقال خباب^(٣) صاحبُ رسولِ الله ﷺ: تقربَ إلى الله بما استطعت فإنك لن تقربَ إلى الله بشيء أحبَّ إليه من كلامه.
وقال عبدُ الله بن مسعود^(٤) رضي الله عنه: القرآنُ كلامُ الله، فمن ردَّ شيئاً فإنما يردُّ على الله. وعنه^(٥) رضي الله عنه قال: إن أحسنَ الكلامِ كلامُ الله.
ويروى ذلك عنه^(٦) مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو صحيح في الصحيح^(٧).

-
- (١) انظر: «السنة» رقم (١١٠) لعبد الله ابن الإمام أحمد.
(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١١٨) والآجري في «الشرعية» (ص ٧٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٣) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) وابن أبي شيبه في «مصنفه» (١٠/ ٥١٠) وعبد الله في «السنة» رقم (٩٦) و(١١١) والآجري في «الشرعية» (ص ٧٧) والحاكم في «المستدرک» (٤٤١/٢) وأحمد في «الزهد» (ص ٦٢ رقم ١٩٢). بسند صحيح.
(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١١٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٩٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١٢١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) وهو أثر صحيح لغيره.
* وأخرج البخاري في صحيحه موقوفاً (٥٠٩/١٠ رقم ٦٠٩٨) عن مخارق قال سمعت طارقاً قال: قال عبد الله: «إن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ».
* وأخرج البخاري في صحيحه موقوفاً (٢٤٩/١٣ رقم ٧٢٧٧). عن مرة الهمداني، قال: قال عبد الله: «إن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين».
(٦) أخرجه أبو داود (٥٩١/٢ رقم ٢١١٨) والترمذي (١٣/٣ رقم ١١٠٥) والنسائي (٨٩/٦) وابن ماجه (٦٠٩/١ رقم ١٨٩٢) وغيرهم، وهو حديث صحيح بطرقة.
وقد تقدم تخريجه في مقدمة المحقق في أول الكتاب.
(٧) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥١١/١٠): «هكذا رأيت هذا الحديث في جميع الطرق موقوفاً».

وقد ورد بعضه مرفوعاً من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود أخرجه أصحاب السنن - كما تقدم في التعليقة السابقة -.

وجاء أكثره مرفوعاً من حديث جابر أخرجه مسلم - (٥٩٢/٢ رقم ٨٦٧) - اهـ.

وقال عثمانُ بنُ عفانَ^(١) ﷺ: ما أحبُّ أن يأتي عليَّ يومٌ وليلةٌ ولا أنظرَ في كلامِ الله. يعني القراءةَ في المصحف.

وقال ابن مسعود^(٢) ﷺ: مَنْ كان يُحِبُّ أن يَعْلَمَ أنه يحب اللهَ فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحبَّ القرآنَ فهو يُحبُّ اللهَ، فإنما القرآنُ كلامُ الله.

فهذه النصوصُ من الكتابِ والسنةِ وإجماعِ الأمةِ على أن القرآنَ كلامُ الله تكلم به حقيقةً وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى: ﴿الْم، الَمص، أَلر، أَلمر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، عسق﴾ وليس كلامُ الله المعانيَ دون الحروفِ ولا الحروفُ دون المعاني، بل حروفُه ومعانيه عينُ كلامِ الله.

[القرآن منزل من عند الله على رسوله الكريم]

(المنزل) من عند الله عز وجل (على الرسول المصطفى خير الورى)

محمد ﷺ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا رِيشَةٌ وَلَا تَمْلِكُ وَلَا تَحَقُّ وَلَا تَقُوبُ وَلَا تَسْبِيحٌ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٣) وعبد الله في «السنة» رقم (١٢٢). بسند ضعيف فيه انقطاع.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١٢٥) بسند ضعيف.

رُسُلِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿[النساء: ١٣٦]﴾. وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ بَيْنِ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ
أَنْ نَطْغَسَ وَجُوهًا فَتَرَدَّهَا عَلَى أَذْبَارِهَا﴾ [النساء: ٤٧]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].
الآية. وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
[المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى
وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُجْتَنَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنْهُمْ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾
[الأنعام: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥].
وقال تعالى: ﴿الْمَصِّ ① كِتَابُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ

وَذَكِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ [الأعراف: ١ - ٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِهَا لِلَّهِ وَجَّهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنِ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ [التوبة: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ [هود: ١٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِي كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ١ - ٢]. وقال تعالى: ﴿الَّذِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾. [الرعد: ١]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلٌ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَفَرَّقْنَا لِنُقَرِّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١ - ٢]. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ - ٢]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. وقال

تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِمَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَفْوَراً رَجِيماً﴾ [الفرقان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَنَزَّلَ رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٤﴾ [الشعراء]. والآيات. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ كُلتُ الْفُرْقَانِ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. وقال تعالى: ﴿طَسَّ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ تَتْلُوا عَلَيْهِ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣﴾ [القصاص].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: ٢١]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ ١ تَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: ١-٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأحزاب: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبا: ٦]. وقال تعالى: ﴿تَزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥].

وقال تعالى: ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢]. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿حَمَّ ١ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر]. وقال تعالى: ﴿حَمَّ ١ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كُتِبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ

لِكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُفَصَّلٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ عَنْهَا الْعَذَابَ الَّذِي لَكَ وَأَلَّا تُبْغِزَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلِتُذَكِّرَ الْآلَتِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿حَمَّ﴾ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾ [الدخان: ١ - ٣]. وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِدُ بَمَوْجِ الثُّجُورِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَفَسَّادُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَنَّا عِبْدَهُ مَا يُبَيِّنُ لَكُمْ رُحْمَتَهُ﴾ [الحديد: ٩]. وقال تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّوْحِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنْ يَمَسُّوا الذِّكْرَ وَيَقُولُوا إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ رُسُلٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الحاقة]. وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ رُسُلٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]. يعني به محمداً ﷺ، وفي سورة التكويد^(١) يعني به جبريل.

ومعنى الإضافة في كلا الآيتين إنما هو التبليغ؛ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسل. لا أن القرآن كلام الرسول الملكي ولا البشري كما بين تعالى ذلك بقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته

(١) الآية: ١٩.

يشهد بأنه كلامُ الله، وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه وإيجازه وإعجازه يرشد إلى أنه كلامُ الخالق عز وجل وصفته، وأنه لا يستطيع البشرُ الإتيانُ بسورةٍ من مثله، وقد أقر بذلك كل عاقلٍ حتى المشركون كما قال أكْفَرُ قريشٍ الوليدُ بنُ المغيرة لما قرأ عليه رسولُ الله ﷺ القرآن، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له.

قال: وماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجلٌ أعرفُ بالأشعار مني، ولا أعلمُ برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن. والله ما يُشبهه الذي يقول شيئاً من هذا. والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلو، وإنه ليخطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فُكِّر قال: إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، يَأْثُرُه عن غيره؛ فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِداً ۝۱۱ وَجَعَلْتُ لَكُمْ مَالاً مَمْدُوداً ۝۱۲ وَبَيْنَ شُهُودَا ۝۱۳﴾ [المدثر]. الآيات. رواه البيهقي^(١) وغيره.

ويُروى عن عُتْبَةَ^(٢) حين قرأ عليه رسولُ الله ﷺ حم السجدة نحو ذلك. وكذا أبو جهل قبحهم الله.

(١) وهو حديث ضعيف.

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٩٨/٢ - ١٩٩) عن الحاكم أبي عبد الله، عن محمد بن علي الصنعاني بمكة، عن إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس، ثم ذكر الخبر.

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٩٩/٢) عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلًا.

وقال الشيخ مقبل في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٢٦٢): «والظاهر ترجيح المرسل لأن حماد بن زيد أثبت الناس في أيوب، وأيضاً معمر قد اختلف عليه كما في «دلائل النبوة» للبيهقي (١٩٩/٢) فالحديث ضعيف، والله أعلم» اهـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (رقم: ١٨١٨/٥١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/٢٣٠ - ٢٣١) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٨٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/٢٩٥ =

فتبين بهذا أن قولهم فيه: سحر، شعر، كهانة، وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عناداً ومكابرة، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طوق أحد من البشر.

ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نُشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونُشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونُشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونُشهد جميع المؤمنين الذين صدّقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدّقون شاهدون بأنه كلام الله عز وجل وتنزيله وأنه تكلم به قولاً وأنزله على رسوله وحياً.

ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله عز وجل أو عبارة، بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتم المرسلين، وكل منهما مبلغ عن الله عز وجل.

والكلام إنما يُضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظْتُ أَنْ عَلَىكَ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً ۖ ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ﴾ [الجن: ٢٢ - ٢٣]. والآيات في هذا كثيرة جداً.

يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤدٍ لما أرسله به، وهذا يعرفه كل أحد

= ٢٩٦) وعبد بن حميد كما في «المنتخب» رقم (١١٢٣) والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٢٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩/٦ - ٢٠) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقي رجاله ثقات اهـ. وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» رقم (٤٢٨٥) ونسبه إلى أبي يعلى وعبد بن حميد. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٥٨/٥) إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن عساكر. قلت: وخلاصة القول أن الحديث قابل للتحسين، والله أعلم.

يعقل لفظة «رسول»، فإن الرسول لا بد له من مرسل برسالته.
فالمرسل الله عز وجل، والرسالة هي القرآن، والمرسل هو محمد ﷺ المبلغ
رسالة ربه.

وقال أنس^(١): بعث النبي ﷺ خاله حراماً إلى قومه وقال: أتؤمنوني أبلغ
رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم.
وقال المغيرة^(٢) ﷺ: أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قُتل منا صار إلى
الجنة.

وعن عائشة^(٣) ﷺ قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا
تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي خطبته في موقف الحج الأكبر^(٤) قال ﷺ: «وانتم تُسألون عني فما أنتم
قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت». وفيها إشارته ﷺ بيده إلى السماء قائلاً: اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد». قالها
مراراً.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغُلُولَ
فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ
رُغَاءٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنَيْ، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبلغْتُكَ.
لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ يَقُولُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَغْنَيْ، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبلغْتُكَ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٥/٧ - ٣٨٦ رقم ٤٠٩١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٨/٦ رقم ٣١٥٩) و(٥٠٣/١٣ رقم ٧٥٣٠) من حديث
جبير بن حية، قال المغيرة...
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٣/١٣ رقم ٧٥٣١) ومسلم (١٥٩/١ رقم ١٧٧).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٨٦/٢ رقم ١٢١٨/١٤٧) وأبو داود (٤٥٥/٢ رقم ١٩٠٥)
وابن ماجه (١٠٢٢/٢ رقم ٣٠٧٤) من حديث جابر.
وهو حديث صحيح طويل.

لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُم يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا تُغَاءَةٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُم يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاخٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُم يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُم يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ^(١). متفق عليه.

وكان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويقول: «إني رسول الله وأتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي»^(٢).

وغير ذلك من الأحاديث، يخبر ﷺ أنه مخبر عن الله ومبلغ رسالته، وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغ لأمر الله ونهيه وخبره، وأنه لم يقل شيئاً من عند نفسه فيقول هو من عند الله، ومن اعتقد ذلك فهو كافر من حزب أبي جهل والوليد بن المغيرة وملاهم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَنَقَطُنَّ مِنْهُ الْوَثِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَهْلِهِ عَنْهُ حَاجِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُمْ لِلذِّكْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَحَسِرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥١﴾ فَسَيَحْمِلُهُمْ رَبُّكَ أَثَرَهُ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة].

[القرآن ليس بمخلوق كما يقوله الزنادقة]

(ليس بمخلوق) كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحادية والجهمية والمعتزلة وغيرهم تعالى الله عز وجل عن أن يكون شيء من صفاته مخلوقاً، قال الله عز وجل:

(١) البخاري (١٨٥/٦) رقم (٣٠٧٣) ومسلم (١٤٦١/٣) رقم (١٨٣١).

(٢) وهو حديث صحيح من حديث جابر بن عبد الله.

أخرجه أحمد (٣٢٢/٣، ٣٣٩) وأبو داود رقم (٤٧٣٤) والترمذي رقم (٢٩٢٥) وقال: حديث غريب. وابن ماجه رقم (٢٠١) والحاكم (١١٣/٢) وصححه على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٦٨٦ - موارد).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٥/٦) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه.

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. فكن من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق، والشيء المراد المقول له «كن» مخلوق. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فعيسى وآدم مخلوقان بكن، و«كن» قول الله صفة من صفاته، وليس الشيء المخلوق هو كن، ولكنه كان بقول الله له كن.

وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا إن يخلو قوله من إحدى ثلاث: إما أن يقول إنه خلقه في ذاته، أو في غيره، أو منفصلاً مستقلاً وكل الثلاث كفر صريح.

لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلاً للمخلوقات، وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلام ذلك الغير فيكون القرآن على هذا كلام كل تالٍ له، وهذا قول الوليد بن المغيرة فيما حكى الله عنه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا فَتَنَّ الْقَوْمَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقِيلَ ۝١٩ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢١ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢٢ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٣ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٤ فَقَالَ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝٢٥ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٦ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝٢٨ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٩ لَوَاسِمَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٣٠﴾ [المدثر]. الآيات.

وإن قال: إنه خلقه منفصلاً مستقلاً فهذا جحود لوجوده مطلقاً، إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم، كما لا يعقل سمع بدون سميع، ولا بصير بدون بصير، ولا علم بدون عالم، ولا إرادة بدون مريد، ولا حياة بدون حي، إلى غير ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

فهذه الثلاث لا خروج لزندق منها ولا جواب له عنها، فبُهِتَ الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين، وقُطِعَ دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

أصل القول بخلق القرآن

وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان^(١) شقيق إبليس لعنهما الله، وكان ملحدًا عنيدًا وزنديقًا زائغًا مبتغيًا غير سبيل المؤمنين، لم يثبت أن في السماء رباً، ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه، وينتهي قوله إلى جحود الخالق عز وجل.

ترك الصلاة أربعين يوماً وهو يزعم أنه يرتاد ديناً، ولما ناظره بعض السمنية^(٢) في معبوده قال قبّحه الله: هو هذا الهواء في كل مكان، وافتتح مرة سورة طه، فلما أتى على هذه الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قال: لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتها، ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال: ما كان أظرف محمداً حين قالها، ثم افتتح سورة القصص، فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحف ثم قال: أي شيء هذا؟ ذكره ههنا فلم يُتَمِّ ذكّره، وذكره ههنا فلم يُتَمِّ ذكّره.

وقد روي عنه غير هذا من الكفريات، وهو أذل وأحقّر من أن نشتغل بترجمته.

وقد يسّر الله تعالى ذبحه على يد سالم بن أحوز بأصبهان، وقيل بمزرو، وهو يومئذ نائبها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً.

(١) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤٢٦/١) رقم (١٥٨٤): «جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً» اهـ.
وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل» (٢/٣٧٩ - ٣٨١). وانظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٦٢٦ - ٦٢٧).

(٢) السمنية: نسبة إلى سمني، وهم من القائلين بقدّم العالم، وزعموا أن لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث، وقال بعضهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وقد علمهم زعيمهم يوداسف بأن قول: «لا» من عمل الشيطان وأن مذهبهم دفع الشيطان.

[«الفرق بين الفرق» (ص ٢٥٣). ط ١، ن: دار الآفاق الجديدة؛ الفهرست لابن النديم (ص ٤٨٤).]

وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم^(١) لكنه لم يشتهر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم؛ فإن الجعد لما ظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة، فلقبه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ولم يكن له كثير أتباع غيره، ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسري الأمير، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالداً خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعدي بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً.

ثم نزل فذبحه في أصل المنبر. روى ذلك البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد)^(٢)، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرهما.

وهو مشهور في كتب التواريخ^(٣)، وذلك سنة أربع وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي

(١) قال الذهبي في «الميزان» (٣٩٩/١ رقم ١٤٨٢): «الجعد بن درهم، عدائه في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى؛ فقتل على ذلك بالعراق يوم التخر، والقصة مشهورة» اهـ.

وزاد ابن حجر في «لسان الميزان» (١٠٥/٢): «وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة. منها: أنه جعل قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهوام، فقال: أنا خلقت هذا لأنني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد، فقال: ليقبل كم هو - وكما الذكران منه والإناث - إن كان خلقه، وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره فبلغه ذلك فرجع» اهـ. (٢) رقم ٣.

قلت: وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٤/١) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٧، ١١٣) وفي «الرد على المريسي» (ص ١١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٥٤)، وفي «السنن الكبرى» (٢٠٥/١٠ - ٢٠٦) والأجري في «الشرعية» (ص ٩٧، ٣٢٨).

وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب.

وقال الألباني في تحقيقه لمختصر العلو: لكنه يتقوى بالذي بعده، فإن إسناده خير منه، ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة.

(٣) مثل: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٣٦٤/٩ - ٣٦٥).

الذي سحر النبي ﷺ، وأنزل الله تعالى في ذلك سورة المعوذتين^(١).
ثم تقلد هذا المذهب المخذول عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة
المريسي^(٢) المتكلم، شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدد القول بخلق
القرآن، ويقال إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة وروي عنه أقوال شنيعة في الدين
من التجهم وغيره. مات سنة ثمانى عشرة ومائتين.
ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون القاضي المحنة أحمد بن أبي داود^(٣)

- (١) سيأتي تخريج حديث سحر النبي ﷺ.
(٢) قال الذهبي في «الميزان» (١/٣٢٢ - ٣٢٣): «بشر بن غياث المريسي. مبتدع ضال، لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة. تفقه على أبي يوسف فيرع وأتقن علم الكلام، ثم جرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ولم يدرك الجهم بن صفوان، إنما أخذ مقالته، واحتج لها، ودعا إليها، وسمع من حماد بن سلمة وغيره.
وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بشر المريسي يهودياً قصاباً صباغاً في سوق نصر بن مالك.
قلت: وقد كان بشر أخذ في دولة الرشيد وأوذى لأجل مقالته.
قال أحمد بن حنبل: سمعت عبد الرحمن بن مهدي أيام صنع ببشر ما صنع يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.
فقال المروزي: سمعت أبا عبد الله ذكر بشرأ فقال: كان أبوه يهودياً، وكان بشر يشغب في مجلس أبي يوسف، فقال له أبو يوسف: لا تنتهي أو تُفسد خشبة - يعني تصلب - .
وقال قتبية بن سعيد: بشر المريسي كافر.
وقال يزيد بن هارون: ألا أحد من فتيانكم يفتك به.
وقال البوطي: سمعت الشافعي يقول: ناظرث المريسي في الفرعة، فذكرت له فيها حديث عمران بن حصين، فقال: هذا قمار، فأتيت أبا البختري القاضي فحكيت له ذلك، فقال: يا أبا عبد الله، شاهد آخر وأصلبه.
مات سنة ثمانى عشرة ومائتين.
قال الخطيب: حكى عنه أقوال شنيعة، أساء أهل العلم قولهم فيه، وكفره أكثرهم لأجلها، وأسند من الحديث شيئاً يسيراً.
قال أبو زرعة الرازي: بشر المريسي زنديق.
وقد سرد أبو الخطيب ترجمة بشر في ست ورقات، فلم أنشط لإيرادها بكمالها؛ وكان من أبناء سبعين سنة اهـ.
قلت: وإذا رغبت في معرفة المزيد من ضلالاته فانظر: «تاريخ بغداد» (٧/٥٦ - ٦٧ رقم ٣٥١٦).

(٣) قال الذهبي في «الميزان» (١/٩٧ رقم ٣٧٤):

وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وعلى أن الله لا يرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك.

وقد ابتلاه الله تعالى بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين.

ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفصيله فليقرأ كتب التواريخ يرى العجب.

ذكر ما قاله أئمة السنة في مسألة القرآن، وحكم الجهمية

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافراً، لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله)^(١).

وقال: (إذا قال الرجل: العلم مخلوق فهو كافراً، لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه)^(٢).

وقال رحمه الله تعالى: (من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافراً، لأن القرآن من علم الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ بَآيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتْبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

= (أحمد بن أبي داود القاضي. جهني بغض، هلك سنة أربعين ومائتين قل ما روى، اه. وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في: «لسان الميزان» (١/١٧١).

وما قاله الحافظ الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١١/١٦٩ - ١٧١ رقم ٧١).

وكذلك ما قاله الخطيب البغدادي في: «تاريخ بغداد» (٤/١٤١ - ١٥٦ رقم ١٨٢٥).

(١) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٢ رقم ١).

(٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٢ رقم ٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [هود: ١٧]. - قال أحمد: قال سعيد بن جبير: والأحزاب الملل كلها - ﴿فَالْتَأَتْ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧] (١).

وقال رحمه الله تعالى: (من قال ذاك القول لا يُصلى خلفه الجمعة ولا غيرها، فإن صلى خلفه أعاد الصلاة). يعني من قال القرآن مخلوق (٢).

وقال رحمه الله تعالى: (إذا كان القاضي جهمياً فلا تشهد عنده) (٣).

وقال إبراهيم بن طهمان (٤): (الجهمية كفار والقدرية كفار) (٥). وقال سليمان التيمي (٦) رحمه الله تعالى: (ليس قوم أشد بغضاً للإسلام من الجهمية والقدرية؛ فأما الجهمية فقد بارزوا الله، وأما القدرية فإنهم قالوا في الله) (٧).

وقال سلام بن أبي مطيع (٨): (الجهمية كفار لا يُصلى خلفهم) (٩).

-
- (١) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٣/١) رقم (٣).
 - (٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٣/١) رقم (٤).
 - (٣) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٣/١) رقم (٦).
 - (٤) إبراهيم بن طهمان: أبو سعيد الهروي النيسابوري عالم خراسان ثقة تكلم فيه بالإرجاء، ويقال رجع عنه. مات سنة (١٦٣ هـ) وقيل غير ذلك [التقريب: ٣٦/١].
 - (٥) وانظر: ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٣٧٨/٧) و«تذكرة الحفاظ» (٢١٣/١) و«الميزان» (٣٨/١).
 - (٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٣/١ - ١٠٤ رقم (٧) ورجاله ثقات إلا حماد بن قيراط فعامة ما يرويه فيه نظر.
 - (٧) هو سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، نزل في التميم، فنسب إليهم، ثقة عابد، مات سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن سبع وتسعين. [التقريب: ٣٢٦/١].
 - (٨) وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٩٥/٦) و«تذكرة الحفاظ» (١٥٠/١).
 - (٩) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٤/١ - ١٠٥ رقم (٨) بسند حسن.
 - (١٠) سلام بن مطيع: أبو سعيد الخزاعي البصري، روى عنه زهير بن نعيم البابي، ثقة صاحب سنة مات سنة (١٦٤ هـ) وقيل غير ذلك. [التقريب: ٣٢٤/١].
 - (١١) وانظر ترجمته في: «طبقات خليفة بن خياط» (ص ٢٢٣) و«تهذيب التهذيب» (٢٥٢/٤ - ٢٥٣ رقم (٥٠٥).
 - (١٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٥/١) رقم (٩) والدارمي في «الرد على =

وقال خارجة^(١): (الجهمية كفار بلغوا نساءهم أنهن طوالق وأنهن لا يحلن لأزواجهن، لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم. ثم تلا: ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشَفَّى﴾ ﴿إِلَّا نَذْكِرْكَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾﴾ ﴿طه﴾^(٢).

وقال مالك رحمه الله: (من قال: القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب)^(٣). وقال سفيان الثوري رحمه الله: (من زعم أن قول الله: ﴿يَمْوَسِّعُ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم)^(٤).

وقال أيضاً: (من قال إن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص]. مخلوق فهو كافر)^(٥).

وقال أبو يوسف القاضي^(٦): صنفان ما على وجه الأرض شرٌّ منهما: الجهمية والمقاتلية^(٧).

= الجهمية (ص ١١١) وأبو داود في «مسائل أحمد» (ص ٢٦٨)، اللالكائي رقم (٥١٧) بسند رجاله ثقات. (١) خارجة: هو ابن مصعب بن خارجة الضبعي الخراساني السرخسي روى عنه سعيد بن صخر الدارمي، متروك. وكان يدلس عن الكذابين وكذبه ابن معين. مات سنة (١٦٨ هـ) [التقريب: ١/٢١٠].

انظر ترجمته في: «التاريخ» لابن معين (١٤٢/٢) و«الميزان» (١/٦٢٥). (٢) أخرج الأثر عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٥ - ١٠٦ رقم ١٠) وهو أثر ضعيف سنداً ومتناً.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٦ - ١٠٧ رقم ١١) بسند رجاله ثقات. (٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٧ رقم ١٢) في سنده مجهول وهو الشيخ البصري.

* وقد ثبت عن سفيان الثوري رحمه الله تكفير من قال بخلق القرآن كما ذكر ذلك اللالكائي في «شرح أصول السنة» (١/١٤٩، ٢٤٣) والذهبي في «العلو». انظر: مختصره (ص ١٣٩). (٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٧ - ١٠٨ رقم ١٣) بسند حسن. (٦) هو يعقوب بن إبراهيم القاضي. قال فيه البخاري: تركوه، وقال عمرو الناقد كان صاحب سنة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.

وعن ابن معين: ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً ولا أثبت من أبي يوسف. وقال ابن عدي: إذا روى عنه ثقة وروى هو عن ثقة فلا بأس به. [الميزان: (٤/٤٤٧)]. أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٠٨ رقم ١٤) بسند حسن. (٧) أي مقاتل بن سليمان البلخي.

قلت: وأظنه يعني بالمقاتلية أتباع مقاتل بن سليمان البلخي، فإنه رماه الإمام أبو حنيفة بالتشبيه، فإنه قال: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه، وتابع أبا حنيفة على ذلك جماعة من أئمة الجرح والتعديل من أقرانه كأبي يوسف وغيره فمن بعدهم، حتى قال ابن حبان: كان^(١) يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبهه الرب بمخلوق، وكذبه وكيع وغيره والله أعلم بحاله، قال وكيع: مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة^(٢) اهـ.

وقال عبد الله بن المبارك: (الجهمية كفار)^(٣). وقال: (ليس تعبّد الجهمية شيئاً). وقال: (من قال القرآن مخلوق فهو زنديق)^(٤)^(٥).

وقال: (إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية)^(٦).

وقال سفيان بن عيينة: (القرآن كلام الله، من قال مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر)^(٧).

وقال: (من قال القرآن مخلوق يحتاج أن يُصلب على ذُباب، يعني جبل)^(٨).

(١) انظر: «المجروحين» (١٤/٣) و«الميزان» (١٧٣/٤) و«التقريب» (٢٧٢/٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٩/١) رقم (١٥).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٩/١) رقم (١٧).

(٤) الزنديق: أصله فارسي معرب، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد أي طاعن في الأديان.

وفي تهذيب اللغة: وزندقة الزنديق: أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق. انظر: «لسان العرب» مادة زندق (١٤٧/١٠) المصباح المنير (٣٠٤/١) مادة الزاي مع النون وما يثلثهما.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١١/١) رقم (٢١).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١١/١) رقم (٢٣) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٠) رقم (١١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٢/١) رقم (٢٥) بسند حسن.

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٢/١) رقم (٢٦).

وقال عبد الله بن إدريس^(١) رحمه الله وقد سئل: (ما تقول في الجهمية يُصلّى خلقهم؟ فقال: أمسلمون هؤلاء، أمسلمون هؤلاء؟ لا ولا كرامة، لا يُصلّى خلقهم)^(٢).

وقال له رجل: (يا أبا محمد إن قبلنا ناساً يقولون القرآن مخلوق، فقال من اليهود؟ قال: لا، قال: فمن النصارى؟ قال: لا، قال: فمن المجوس؟ قال: لا، قال: فمن؟ قال من الموحدين، قال: كذبوا ليس هؤلاء بموحدّين هؤلاء زنادقة، هؤلاء زنادقة)^(٣).

وقرأ ابن إدريس: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾. فقال: الله مخلوق؟ والرحمن مخلوق؟ والرحيم مخلوق؟ هؤلاء زنادقة)^(٤).

(وسئل عن قوم يقولون القرآن مخلوق، فاستشنع ذلك وقال: سبحان الله، شيء منه مخلوق؟)^(٥).

وقال وكيع: (فإني أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلته)^(٦). وقال: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه مُحدث، ومن زعم أنه مُحدث فقد كفر)^(٧).

(١) هو الإمام القدوة أبو محمد الأودي الكوفي أحد الأعلام، حدّث عنه مالك وابن المبارك وخلائق.

قال فيه أحمد بن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده.

وقال أبو حاتم: هو إمام من أئمة المسلمين حجة. وقيل لم يكن بالكوفة أحد أعبد منه.

وقال النسائي: ثقة ثبت.

وقال ابن حبان في «الثقات»: كان صلباً في السنة، ولد سنة (١١٠هـ) وتوفي سنة (١٩٢هـ).

انظر: «الجرح والتعديل» (٨/٥) و«تاريخ بغداد» (٤١٥/٩) و«تذكرة الحفاظ» (٢٨٢/١).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٣/١ رقم ٢٧) بسند رجاله ثقات.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٣/١ - ١١٤ رقم ٢٩ أ) بسند رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٤/١ رقم ٢٩ ب) والآجري في «الشرعية» (ص ٧٨) بسند فيه مجهول.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٤/١ رقم ٣٠) بسند حسن.

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٤/١ - ١١٥ رقم ٣١) بسند حسن.

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٥/١ رقم ٣٢) بسند صحيح.

(وقيل له: إن فلاناً يقول: إن القرآن محدث، فقال سبحانه الله، هذا الكفر. قال السويدي: وسألت وكيعاً عن الصلاة خلف الجهمية، فقال: لا تصل خلفهم)^(١).

وقال: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه)^(٢).

(وقال ابن زهير ابن حرب: اختصمت أنا ومثنى، فقال المثنى: القرآن مخلوق، وقلت أنا: كلام الله؛ فقال وكيع وأنا أسمع: هذا كفر، وقال: من قال: القرآن مخلوق هذا كفر. فقال مثنى: يا أبا سفيان، قال الله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. فأيش هذا؟ فقال وكيع: من قال القرآن مخلوق هذا كفر)^(٣).

وقال: (من قال القرآن مخلوق فهو كافر)^(٤). وقال رحمه الله: (القرآن كلام الله أنزله جبريل على محمد ﷺ، كل صاحب هوى يعرف الله ويعرف من يعبد، إلا الجهمية لا يدرون من يعبدون، بشر المريسي وأصحابه)^(٥).

(وقيل لو كيع في ذبائح الجهمية، قال: لا تؤكل، هم مرتدون)^(٦).

وقال: (من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر. وقال: من قال إن شيئاً مخلوقاً فقد كفر)^(٧).

= وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٩) من طريق آخر واللالكائي في «أصول السنة» رقم (٤٣٤) من طريق آخر.

وورد تكفير وكيع للجهمية في «خلق أفعال العباد» للبخاري (ص ١٥).

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٥ رقم ٣٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٥ رقم ٣٤).

وأخرجه اللالكائي رقم (٥٠٦) من طريق آخر.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٦ رقم ٣٥). وزهير بن حرب أبو

خيثة: ثقة ثبت روى عن وكيع ومات سنة (٢٣٤هـ). [التقريب: ١/٢٦٤].

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٦ رقم ٣٦) في إسناده مجهول.

وأخرجه اللالكائي برقم (٤٣٣) من طريق عبد الله بن محمد البخوي عن وهب بن بقية

الواسطي قال: سمعت وكيعاً.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٦ رقم ٣٧).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٧ رقم ٣٨).

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٧ رقم ٣٩).

وقال فطر بن حماد: (سألت معتمر بن سليمان فقلت: يا أبا محمد، إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال: ينبغي أن تضرب عنقه).

قال فطر: وسألت حماد بن زيد فقلت: يا أبا إسماعيل، إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال: صل خلف مسلم أحب إلي.

وسألت يزيد بن زريع فقلت: يا أبا معاوية، إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ قال: لا ولا كرامة^(١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه)^(٢).

وقال مرة: (لا أرى أن أستتيب الجهمية)^(٣). وقال رحمه الله: (لو كان لي من الأمر شيء لقمْتُ على الجسر فلا يمر بي أحد من الجهمية إلا سألتُه عن القرآن، فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء)^(٤).

وقال أبو بكر بن الأسود: (لو أن رجلاً جهماً مات وأنا وارثه ما استحلتُ أن آخذ من ميراثه)^(٥).

وقال أبو يوسف القاضي: (جيثوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق)^(٦).

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٨/١) رقم (٤٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١١٩/١ - ١٢٠ رقم (٤٤) بسند صحيح. وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٩) واللالكائي رقم (٥٠٥) وأبو داود في «مسائل أحمد» (ص ١٠٤).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (٢١٠/١) رقم (٤٥).

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٠/١) رقم (٤٦) بسند رجاله ثقات.

وأخرجه أبو داود في مسائله (ص ١٠٨)، والآجري في «الشرعة» (ص ٨٠) واللالكائي رقم (٥٠٤).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٥١٣) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢١/١) رقم (٤٧) بسند صحيح.

قلت: والقول لعبد الرحمن بن مهدي وليس لأبي بكر بن الأسود كما في «السنة».

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٢/١ - ١٢٣ رقم (٥٣) بسند حسن.

وقال يزيد بن هارون^(١) وذكر الجهمية فقال: (هم واللّه زنادقة، عليهم لعنة الله)^(٢).

وقال رحمه الله: (واللّه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، من قال القرآن مخلوق فهو زنديق)^(٣). (وسئل عن الصلاة خلفهم قال: لا)^(٤). وقال معاذ بن معاذ: (من قال القرآن مخلوق فهو كافر)^(٥).

وقال شبابة بن سوار^(٦): (اجتمع رأيي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم^(٧) وجماعة من الفقهاء على أن المريسي كافر جاحد نرى أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه)^(٨).

-
- (١) يزيد بن هارون: شيخ الإسلام، الإمام القدوة أبو خالد السلمي الواسطي الحافظ. ولد سنة (١١٨هـ) سمع من عاصم الأحول، وسليمان التيمي، وبهز بن حكيم، وغيرهم. قال ابن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون. وقال أحمد: كان يزيد حافظاً متقناً. وقال أبو حاتم: يزيد ثقة إمام لا يسأل عن مثله. مات سنة (٢٠٦هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٥٨/٩).
- (٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢١/١ - ١٢٢ رقم ٤٩) بسند رجاله ثقات. وأخرجه الآجري في «الشرعية» (ص ٨٠) من طريق عمر بن أيوب عن الحسن بن الصباح.
- (٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٥٠) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٢/١ رقم ٥٠) بسند حسن.
- (٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٣/١ رقم ٥٥) بسند حسن.
- (٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٣/١ رقم ٥٦) بسند حسن.
- (٦) شبابة بن سوار: المدائني. ثقة حافظ. رمي بالإرجاء، قال أبو زرعة: رجع شبابة عن الإرجاء.
- مات سنة (٢٠٦هـ) [التقريب: (٣٤٥/١)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٣٩٢/٤) و«تاريخ بغداد» (٢٩٥/٩) و«سير أعلام النبلاء» (٥١٣/٩).
- (٧) هاشم بن القاسم الليثي، أبو النضر البغدادي. مشهور بكنيته: ثقة ثبت. مات سنة (٢٠٧هـ). [التقريب: (٣١٤/٢)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (١٠٥/٩) و«تاريخ بغداد» (٦٥/١٤).
- (٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٤/١ رقم ٥٧) بسند صحيح.

وكان أبو توبة الحلبي^(١)، ونعيم بن حماد^(٢)، وإبراهيم بن مهدي^(٣): يكفرون الجهمية. وقال بشر بن الحارث: (لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال: يعني الجهمية)^(٤). وقال ابن أبي مريم^(٥): (من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر)^(٦). وقال أبو الأسود النضر بن عبد الجبار^(٧): (القرآن كلام الله، من زعم أنه مخلوق فهو كافر. هذا كلام الزنادقة)^(٨).

وقال عباد بن العوام^(٩): (كلمت بشراً المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء)^(١٠).

-
- (١) أبو توبة الحلبي: هو الربيع بن نافع، نزيل طرسوس. ثقة حجة عابد. مات سنة (٢٤١هـ). [التقريب: (١/٢٤٦)].
- * وأخرج أثر أبي توبة عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٥ رقم ٥٩).
- (٢) نعيم بن حماد بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي، أبو عبد الله المروزي صدوق يخطئ كثيراً. فقيه عارف بالفرائض. مات سنة (٢٢٨هـ). [التقريب: (٢/٣٠٥)].
- * وأخرج أثر أبي نعيم بن حماد. عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٥ رقم ٦٠).
- (٣) إبراهيم بن مهدي المصيصي بغدادي صاحب حديث، مرابط وثقة أبو حاتم. مات سنة (٢٢٥هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٥٥٦).
- * وأخرج أثر إبراهيم، عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٥ رقم ٦٠ ب) بسند حسن.
- (٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٥ - ١٢٦ رقم ٦١).
- (٥) ابن أبي مريم: هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن أبي مريم الجمحي بالولاء المصري، ثقة ثبت. روى عنه محمد بن سهل بن عسكر وغيره. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١/٢٩٣)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤/١٣) و«تهذيب الكمال» (١/٤٨٣).
- (٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٦ رقم ٦٢) بسند رجاله ثقات.
- (٧) النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادي أبو الأسود المصري. مشهور بكنيته. ثقة. مات سنة (٢١٩هـ). [التقريب: (٢/٣٠٢)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٨/٤٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٠/٥٦٧).
- (٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٦ رقم ٦٤) بسند صحيح.
- (٩) عباد بن العوام بن عمر الكلبي، أبو سهل الواسطي. ثقة. مات سنة (١٨٥هـ). [التقريب: (١/٣٩٣)].
- وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/١٠٤) و«سير أعلام النبلاء» (٨/٥١١).
- (١٠) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٢٦ - ١٢٧ رقم ٦٥) بسند ضعيف.

وقال عمرو بن الربيع بن طارق^(١): (القرآن كلام الله من زعم أنه مخلوق فهو كافر)^(٢).

وقال هارون أمير المؤمنين: (بلغني أن بشر المريسي يزعم أن القرآن مخلوق، لله عليّ إن أظفرتني اللّه به إلا قتلته قتلّة ما قتلها أحداً قط)^(٣).

وقال هارون بن معروف^(٤): (من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنماً)^(٥).

وقال يحيى بن معين رحمه الله: (من قال القرآن مخلوق فهو كافر)^(٦).

وقال رجل لهشيم^(٧): (إن فلاناً يقول: القرآن مخلوق. فقال: اذهب إليه

فاقرأ عليه أول الحديد وآخر الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه. وقال أبو هاشم الغساني مثله)^(٨).

وقال أبو عبيد^(٩): (من قال القرآن مخلوق فقد افتري على الله وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى)^(١٠).

(١) عمرو بن الربيع بن طارق الكوفي. نزيل مصر. ثقة. روى عنه محمد بن عسكر. مات سنة (٢١٩هـ). [التقريب: (٧٠/٢)].

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٦/١) رقم ٦٣ بسند صحيح.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٧/١) رقم ٦٦ بسند صحيح.

(٤) هارون بن معروف المروزي أبو علي الخزاز الضري. ثقة. روى عنه هارون الحمالي، وعبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣١هـ) [التقريب: (٣١٣/٢)].

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٧/١) رقم ٦٧ بسند صحيح.

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٨/١) رقم ٦٨ بسند حسن.

(٧) هشيم: بالتصغير ابن بشير السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي.

ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي. مات سنة (١٨٣هـ). [التقريب: (٣٢٠/٢)].

وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٨٧/٨) و«تاريخ بغداد» (٨٥/١٤) و«الجرح والتعديل» (١١٥/٩).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٨/١) رقم ٦٩.

وعزاه الذهبي إلى أبي حاتم الرازي من طريق محمد بن يحيى بن أبي سميئة. وقال الألباني: إسناده جيد. انظر: «مختصر العلو» (١٥٣).

(٩) أبو عبيد: القاسم بن سلام الإمام المشهور. ثقة فاضل. روى عنه الصاغاني. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١١٧/٢)].

(١٠) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٩/١) رقم ٧١ بسند صحيح.

وأخرجه الآجري في «الشرعة» (ص ٨٢).

وقال إسحاق بن البهلول^(١) لأنس بن عياض أبي ضمرة^(٢): (أصلي خلف
الجهمية؟ قال: لا، «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَسِيرِينَ» [آل عمران: ٨٥]^(٣).

وسئل عيسى بن يونس^(٤) رحمه الله عن يقول: القرآن مخلوق، فقال: كافر، أو
كفر. ف قيل له: تكفرهم في هذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسر أو أحسن ما يظهر^(٥).
(وكان يحيى بن معين رحمه الله يعيد صلاة الجمعة مذ أظهر عبد الله بن
هارون المأمون ما أظهر. يعني القول بخلق القرآن)^(٦).

وقال الحسين بن إبراهيم بن إشكاب^(٧)، وعاصم بن علي بن عاصم^(٨)،
وهارون الفروي^(٩)،

- (١) إسحاق بن بهلول بن حسان الأنباري. صدوق. مات سنة (٢٥٢هـ).
- (٢) أنس بن عياض بن ضمرة الليثي أبو حمزة المدني. ثقة. حدث عنه إسحاق بن بهلول.
مات سنة (٢٠٠هـ). [التقريب: ٨٤/١]. و«تذكرة الحفاظ» (٣٢٣/١).
- (٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٩/١) رقم (٧٢) بسند حسن.
- (٤) عيسى بن يونس بن إسحاق السبيعي. ثقة. مأمون. مات سنة (١٨٧هـ).
[التقريب: ١٠٣/٢] و«تهذيب الكمال» (١٠٨٦/٢).
- (٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٠/١) رقم (٧٤).
- (٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٠/١) رقم (٧٦) بسند رجاله ثقات.
- (٧) الحسن بن إبراهيم بن إشكاب. ثقة. روى عنه ابن محمد. مات سنة (٢١٦هـ).
[التقريب: (١٧٣/١)].
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٢/١) رقم (٨١) بسند حسن.
- (٨) عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي أبو الحسن صدوق ربما وهم. مات سنة
(٢٢١هـ). [التقريب: (٣٨٤/١)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٣٤٨/٦) و«تاريخ بغداد» (٢٤٧/١٢) و«سير أعلام
النبلاء» (٢٦٢/٩) و«تذكرة الحفاظ» (٣٩٧/١).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٢/١ - ١٣٣ رقم (٨٢)).
وهو أثر حسن لغيره.
- (٩) هارون الفروي بن موسى المدني، لا بأس به. مات سنة (٢٥٣هـ). [التقريب: (٣١٣/٢)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١١٣/٣٠).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٣/١) رقم (٨٢ب). بسند حسن.

وعبد الوهاب الوراق^(١)، وسفيان بن وكيع^(٢): (القرآن كلام الله وليس بمخلوق).
 وشئل جعفر بن محمد رحمه الله عن القرآن فقال: (ليس بخالق ولا
 مخلوق، ولكنه كلام الله)^(٣).
 وروى عن أبيه علي بن الحسين: (أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا
 مخلوق. ولكنه كلام الله)^(٤). وقال الزهري: (سألت علي بن الحسين عن القرآن
 فقال: كتاب الله وكلامه)^(٥).
 وعن إبراهيم بن سعيد^(٦)، وسعيد بن عبد الرحمن الجُمحي^(٧)، ووهب بن
 جرير^(٨)، وأبي النضر هاشم بن القاسم^(٩)،

-
- (١) عبد الوهاب بن الحكم الوراق: أبو الحسن. ثقة. مات سنة (٢٥١هـ). [التقريب: (١/٥٢٨)]. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٢٥/١١).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٣/١) رقم (٨٣) بسند رجاله ثقات.
- (٢) سفيان بن وكيع بن الجراح، أبو محمد الكوفي، صدوق إلا أنه ابتلي بوراقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. مات سنة (٢٤٧هـ). [التقريب: (١/٣١٢)]. انظر ترجمته في: «الميزان» (١٧٣/٢).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٣٣/١) رقم (١٨٤) بسند ضعيف.
- (٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٥٢/١) رقم (١٣٤) بسند حسن.
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد استفاض هذا القول عن جعفر بن محمد.
- انظر: «منهاج السنة النبوية» (١٨١/٢) تحقيق رشاد سالم. و«مختصر العلو» (ص ١٤٨).
- (٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٥٢/١ - ١٥٣) رقم (١٣٥) واللالكائي رقم (٣٨٨).
- (٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٥٣/١) رقم (١٣٦) واللالكائي رقم (٣٨٩).
- (٦) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري. أبو إسحاق. ثقة. حجة. تكلم فيه بلا قاذح. روى عنه الإمام أحمد.
- مات سنة (١٨٥هـ). [التقريب: (١/٣٥)].
- انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (١٠١/٢) و«الميزان» (٣٣/١).
- (٧) سعيد بن عبد الرحمن الجُمحي، قاضي بغداد. صدوق له أوهام. مات سنة (١٧٦هـ). [التقريب: (١/٣٠٠)].
- وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال»: (٤٩٦/١).
- (٨) وهب بن جرير بن حازم الأزدي البصري. ثقة. روى عنه أحمد بن حنبل وغيره. مات سنة (٢٠٦هـ). [التقريب: (٢/٣٣٩)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل»: (٢٨/٩) و«سير أعلام النبلاء» (٤٤٢/٩).
- (٩) تقدم التعريف به قريباً.

وسليمان بن حرب^(١) قالوا: (القرآن كلام الله ليس بمخلوق)^(٢).

وقال سفيان بن عيينة: (لا تُحسن غير هذا، القرآن كلام الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَمَ اللَّهِ﴾^(٣) [الفتح: ١٥].

وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: (كلام الله وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق)^(٤).

وقال حماد بن زيد رحمه الله: (القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند رب العالمين)^(٥).

وقال أبو بكر بن عياش: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد افترى على الله)^(٦).
وقال وكيع: (القرآن من الله، منه خرج وإليه يعود)^(٧).

وقال يحيى بن سعيد: (كيف يصنعون بقل هو الله أحد)، كيف يصنعون بهذه الآية: ﴿إِنَّا أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، يكون مخلوقاً^(٨).

وقال وهب بن جرير^(٩)، ومحمد بن يزيد الواسطي^(١٠) وابن أبي

(١) سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي. ثقة إمام حافظ. روى عن حماد بن زيد. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١/٣٢٢)].

وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٣٠).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٤ رقم ١٣٨).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٥ رقم ١٤١) بسند رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٦ رقم ١٤٥) بسند رجاله ثقات إلا أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه. قاله الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٤٢).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٦ رقم ١٤٦) بسند فيه مجهول.

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٧ رقم ١٤٨).

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٨ رقم ١٥٣) بسند فيه مجهول.

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٩ رقم ١٥٧) بسند صحيح.

(٩) تقدم التعريف به قريباً.

* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٩ رقم ١٥٨).

(١٠) محمد بن يزيد الواسطي الكلاعي شامي الأصل. ثقة. عابد. مات سنة (١٩٠هـ) أو قبلها [التقريب: (٢/٢١٩)].

* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٩ رقم ١٦٠) بسند فيه مجهول.

إدريس^(١)، وأبو بكر بن أبي شيبة^(٢)، وأخوه عثمان بن أبي شيبة^(٣)، وأبو عمرو الشيباني^(٤) ويحيى بن أيوب^(٥)، وأبو الوليد^(٦)، وحجاج الأنماطي^(٧)، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة^(٨)، وإسحاق ابن أبي إسرائيل^(٩)، وأبو معمر^(١٠): (القرآن كلام الله ليس بمخلوق).

- (١) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٠/١) رقم ١٦١ بسند صحيح.
- (٢) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٠/١) رقم ١٦٢.
- (٣) عثمان بن أبي شيبة: هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي. ثقة. حافظ شهير. روى عن جرير بن عبد الحميد، وعنه عبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٩هـ). [التقريب: (١٣/٢)].
- وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (١٦٦/٦) و«تاريخ بغداد» (٢٨٣/١١) و«سير أعلام النبلاء» (١٥١/١١) و«تذكرة الحفاظ» (٤٤٤/٢) و«شذرات الذهب» (٩٢/٢).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٠/١) رقم ١٦٣.
- (٤) أبو عمرو الشيباني النحوي الكوفي. نزيل بغداد اسمه: إسحاق بن مرار. صدوق. مات سنة (٢٠٦هـ). [التقريب: (٤٥٥/٢)].
- (٥) يحيى بن أيوب أبو زكريا المَقَابري - بفتح الميم والقاف ثم موحدة مكسورة - البغدادي العابد. ثقة. روى عنه الصاغاني، وعبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٤هـ). [التقريب: (٣٤٣/٢)].
- وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٣٨٦/١١) و«تهذيب الكمال» (١٤٩/٣).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦١/١) رقم ١٦٦ بسند رجاله ثقات.
- (٦) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦١/١) رقم ١٧٠.
- (٧) حجاج بن المنهال الأنماطي السلمي. وثقه أحمد وأبو حاتم والعجلي والنسائي وغيرهم. مات سنة (٢١٧هـ). وكان صاحب سنة (تهذيب التهذيب): (١٨٢/٢).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٢/١) رقم ١٧١.
- (٨) أثر يحيى بن معين، وأبي خيثمة أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٢/١) رقم ١٧٣ بسند رجاله ثقات.
- (٩) إسحاق بن أبي إسرائيل: أبو يعقوب المروزي: صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن. مات سنة (٢٤٥هـ). [التقريب: (٥٥/١)].
- وانظر ترجمته في: «الميزان» (١٨٢/١) و«سير أعلام النبلاء» (٤٧٦/١١).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٢/١) رقم ١٧٤ بسند صحيح.
- قلت: وترجمته تخالف ما أورده عبد الله ابن الإمام أحمد، فلعل هذه الرواية كانت في آخر أيام إسحاق بن أبي إسرائيل، والله أعلم.
- (١٠) أبو معمر: اسمه إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهلالي. ثقة مأمون. روى عن أبي سفيان =

(وقال أبو عمرو الشيباني لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة - وقال القرآن مخلوق - فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به؟ قال: فسكت)^(١).

وقال حسن بن موسى الأشيب^(٢): (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فقال حسن: مخلوق هذا؟)^(٣).

وقال محمد بن سليمان لؤين^(٤): (القرآن كلام الله غير مخلوق، ما رأيت أحداً يقول القرآن مخلوق، أعوذ بالله)^(٥) اهـ. من كتاب السنة^(٦).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته: (القرآن كلام الله غير مخلوق)^(٧). وقال عفان بن مسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢].

-
- = المعمري، وعنه عبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٦ هـ). [التقريب: (١/٦٥)].
- انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (١٥٧/٢) و«تاريخ بغداد» (٢٦٦/٦) و«تهذيب الكمال» (٩٥/١) و«سير أعلام النبلاء» (٦٩/١١).
- * والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٣/١) رقم (١٧٥) بسند صحيح.
- (١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦٠/١) رقم (١٦٥) بسند فيه مجهول.
- (٢) حسن بن موسى الأشيب. أبو علي البغدادي. ثقة. روى عنه محمد بن إسحاق الصاغانى. مات سنة (٢٠٩ هـ) وقيل (٢١٠ هـ). [التقريب: (١/١٧١)].
- وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٨٠/١).
- (٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦١/١) رقم (١٦٧) بسند صحيح.
- (٤) محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي الكوفي. لقبه: لؤين بالتصغير. ثقة. روى عن ابن عيينة. وعنه عبد الله بن أحمد.
- مات سنة (٢٤٥ هـ) وقيل غير ذلك. [التقريب: (٢/١٦٦)].
- وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥٠٠/١١) و«تاريخ بغداد» (٢٩٢/٥) و«الجرح والتعديل» (٢٦٨/٧).
- (٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٦١/١) رقم (١٦٨) بسند صحيح.
- (٦) الإمام أبي عبد الرحمن، عبد الله ابن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. ط: دار ابن القيم.
- (٧) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٠) بإسناده واهـ.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. أمخلوقٌ هذا؟، أدركتُ شعبةً وحمادَ بنَ سلمةً وأصحابَ الحسن يقولون: القرآنُ كلامُ الله ليس مخلوقاً^(١).

وقال يحيى بن يحيى^(٢): (من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آيةٌ مخلوقةٌ فهو كافرٌ)^(٣).

وقال هشام بن عبيد الله^(٤): (القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق. فقال له رجل: ليس الله تعالى يقول: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُخَدِّثُ﴾ [الأنبياء: ٢٠]؟ فقال: مُحدثٌ إلينا، وليس عند الله بمُحدث)^(٥).

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي^(٦) رحمه الله: (ليس بين أهل العلم اختلافٌ أن القرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيءٌ خرج من الرب عز وجل مخلوقاً)^(٧).

وقال أبو جعفر النفيلى^(٨): (من قال إن القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، فقل له يا أبا جعفرٍ الكفرُ كفران: كفرٌ نعمةً وكفرٌ بالرب عز وجل؟ قال: بل كفرٌ بالرب عز

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٢). والخطيب في ترجمة عفان من «تاريخه» (١٢/ ٢٧٠ - ٢٧١) من طريق حنبل بن إسحاق عن عفان به. دون قوله: «أدركت شعبة... ليس مخلوقاً...» وسنده قوي. «مختصر العلو» (ص ١٧٩).

(٢) يحيى بن يحيى النيسابوري عالم المشرق. كان إليه المنتهى في الإتيان والورع والجلالة بنيسابور، قل أن ترى العيون مثله، حمل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار. ومات سنة (٢٢٦هـ). «العلو» (ص ١٢٣).

(٣) أخرجه ابن منده كما في «العلو» (ص ١٢٣).

(٤) هشام بن عبيد الله الرازي. عالم الري. كان من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة، تفقه على محمد بن الحسن، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده. توفي سنة (٢٢١هـ). «العلو» (ص ١٢٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو» (ص ١٢٤).

(٦) كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي من كبار أئمة الاجتهاد ومن أعلام الحفاظ. توفي سنة (٢٣٣هـ) عن بضع وسبعين سنة. ولم يخلف بخراسان مثله. «العلو» (ص ١٣٢).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو» (ص ١٣٢). بإسناد صحيح.

(٨) أبو جعفر النفيلى: عالم أهل الجزيرة. كان من أركان الدين، وكان ينظر بأحمد بن حنبل بحيث أن أبا داود السجستاني يقول: ما رأيت أحفظ من النفيلى. مات سنة (٢٣٤هـ) عن سن عالية. «العلو» (ص ١٣٣).

وجل، ما تقول فيمن يقول: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص] مخلوق. أليس كافراً هو؟^(١).

وقال عبد الله بن محمد العيشي: (يستحيل في صفة الحكيم أن يخلق كلاماً يدعي الربوبية، يعني قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: ١٤]، وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]^(٢).

قلت: والمعتزلة يقولون إن كلام الله لموسى خلقه في الشجرة، فعلى هذا تكون الشجرة هي القائلة: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، قبهم الله في الدنيا والآخرة.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: (الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع صفاته وحيث تصرف)^(٣).

وأما كلام البخاري رحمه الله تعالى ومتانته في هذه المسألة فأشهر من أن يحتاج إلى تعريف، وله في ذلك (كتاب خلق أفعال العباد)^(٤)، وقد بوب في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة علمه وجلالة شأنه^(٥).

وقال أبو حاتم وأبو زرعة: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو». (ص ١٣٣). بسند صحيح.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٤).

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٦).

(٤) وهو مطبوع.

(٥) مثل: ١٧ - باب قوله تعالى «ولتصنع على عيني» [طه: ٣٩]. تغذى. وقوله جل ذكره: «تجري بأعيننا» [القمر: ١٤]. «فتح الباري» (٣٨٩/١٣).

١٩ - باب قول الله تعالى: «لما خلقت بيدي» [ص: ٧٥]. «فتح الباري» (٣٩٢/١٣).

٢٤ - باب قول الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة» [القيامة: ٢٢] - [٢٣]. «فتح الباري» (٤١٩/١٣).

٣٣ - باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة. «فتح الباري» (٤٦٠/١٣).

٣٦ - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. «فتح الباري» (٤٧٣/١٣).

٣٧ - باب ما جاء في قوله عز وجل: «وكلم الله موسى تكليماً» [النساء: ١٦٤] «فتح الباري» (٤٧٧/١٣).

٣٨ - باب كلام الرب مع أهل الجنة. «فتح الباري» (٤٨٧/١٣). وغيرها كثير...

مذاهبهم أن الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، والقرآن كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ بجميع جهاته، والقدرُ خيرُهُ وشرُّهُ من الله تعالى، وأن الله تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيءٍ علماً، ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ^(١).

وقال محمدُ بنُ أسلمَ الطوسي: (القرآنُ كلامُ اللّهِ غيرُ مخلوقٍ أينما تُلي وحيشما كُتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل)^(٢) اهـ. من العلو للذهبي^(٣).

وقال إمامُ الأئمةِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنُ خزيمةَ رحمه الله تعالى في كتاب

(١) قال الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢٠٤ - ٢٠٥): «هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمه الله عليهما. فقد ساقه المصنف - الذهبي في «العلو» (ص ١٣٧ - ١٣٨) - بأسانيد ثلاثة عن عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله. أحدها من طريق هبة الله بن الحسن اللالكائي، وهذا أخرجه في كتابه العظيم: «شرح أصول السنة» قال: (١/٤٧/١): أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ قال: حدثنا الحسين محمد بن حبش المقرئ. قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم. قلت: وهذا إسناد جيد، محمد بن مظفر هو ابن علي بن حرب أبو بكر المقرئ الدينوري، قال الخطيب: (٢٦٥/٣): «سكن بغداد، وحدث بها عن أبي إسحاق المزكي النيسابوري و... وأبي علي بن حسن الدينوري، كتبنا عنه، وكان شيخاً صالحاً فاضلاً صدوقاً، مات سنة خمس عشر وأربعمائة».

والحسين بن محمد بن حبش المقرئ. هو أبو علي الدينوري صاحب موسى بن جرير الرقي، أورده ابن العماد في وفيات سنة (٣٧٣هـ) ولم يزد! والظاهر من ترجمة ابن المظفر في «تاريخ بغداد» المتقدمة، أنه ورد بغداد وإن لم يكن من مواليدها لتحديث ابن المظفر عنه بها.

ومع ذلك لم يترجم له الخطيب فيه. والله أعلم. ولكنه لم يتفرد به، فقد تابعه عند المصنف علي بن عبد العزيز وهو البغوي وهو ثقة ثبت، وعلي بن مردك ولم أعرفه.

ورسالة ابن أبي حاتم هذه محفوظة في «المجموع» (١١) في «الظاهرية» في آخر كتاب «زهد الثمانية من التابعين» من الطريقين الأخيرين عنه، وفيه أن ابن مردك بردعي. والله أعلم» اهـ.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٤٠) بإسناد لا بأس به.

(٣) «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمتها» للإمام الحافظ الذهبي. قدم له وصححه وراجع أصوله: عبد الرحمن محمد عثمان. ط ٢. ن: محمد عبد المحسن. صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليه السلام وتكليم الله بالوحي، وصفة نزول الوحي وتكليم الله عباده يوم القيامة وتقرير البحث في ذلك، ثم قال: (باب: ذكر البيان من كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ، ومن سنة نبينا محمد ﷺ على الفرق بين كلام الله عز وجل الذي يكون به خلقه، وبين خلقه الذي يكون بكلامه وقوله، والدليل على نبذ قول الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله تعالى مخلوق، جل ربنا وعز عن ذلك)^(١).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَائِكِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ففرق الله تعالى بين الخلق والأمر الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف، وأعلمنا الله - جل وعلا - في مُحكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مَكُونٍ من خلقه بقوله كن فيكون، وقوله: «كن» هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه - عز وجل - الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مَكُوناً بكلامه، فافهم ولا تغلط ولا تُغالط، ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكون الشيء بقوله: «كن» أن القول الذي هو كن غير المَكُونِ - كن المقول له كن، وعقل عن الله أن قوله «كن» لو كان خلقاً - على ما زعمت الجهمية المفتريّة على الله - أنه إنما يخلق الخلق ويكونه بخلقٍ لو كان قوله: «كن» خلقاً.

فيقال لهم: يا جهلة، فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقاً بَمَ يكونه؟ أليس قولُ مقالِكم التي تزعمون أن قوله: «كن» إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه، وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلقٌ حتى يصير إلى ما لا غاية له ولا عدد ولا أول.

وفي هذا لإبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية وإحداث ما لم يكن قبلاً،

(١) الباب رقم (٤١) من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. دراسة وتحقيق الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (١/٣٩٠).

بحدّث اللّٰهُ الشَّيْءَ وَنَشِئَهُ، وهذا قولٌ لا يتوهمه ذو لب لو تفكّر فيه ووُفّق لإدراك الصواب والرشاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهل يتوهم مسلمٌ أن الله تعالى سخر الشمس والقمر والنجوم مسخراتٍ بخلقه؟ أليس مفهوماً - عند من يعقل عن الله خطابه - أن الأمر الذي سخر به غير المسخر بالأمر، وأن القول غير المقول له؟، فتفهموا - يا ذوي الحجج - عن الله خطابه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانه، لا تصدّوا عن سواء السبيل فتضلّوا كما ضلّت الجهميّة عليهم لعائن الله.

فاسمعوا الآن الدليل الواضح البين غير المشكّل من سنة النبي ﷺ - بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه - على فرق بين خلق الله وبين كلام الله تعالى^(١).

ثم ساق الأحاديث في ذكر كلمات اللّٰهُ تعالى^(٢) إلى حديث: «أعوذ بكلمات اللّٰهِ التامات من شر ما خلق»^(٣)، ثم قال^(٤): «أفليس العلم محيطاً - يا ذوي الحجج - أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق اللّٰهِ من شر خلقه؟

هل سمعت عالماً يُجيز أن يقول: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله، أو يجيز أن يقول: أعوذ بالصفاء والمروة، أو: أعوذ بعرفات ومي من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يُجيز القول به مسلمٌ يعرف دين الله، مُحالٌ أن يستعيز مسلمٌ بخلق اللّٰهِ من شر خلقه». ثم ساق بحثاً طويلاً فليراجع منه.

وقال أبو معاوية بن خازم الضرير^(٥) رحمه الله: (الكلام فيه بدعة وضلالة. ما تكلم فيه النبي ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم الله تعالى. يعني قول: القرآن مخلوق).

(١) من «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (٣٩١/١ - ٣٩٣).

(٢) في «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (٣٩٤/١ - ٤٠١ رقم ٢٣٣/١، ٢٣٤/٢، ٢٣٥/٣، ...).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٨٠/٤) وقد تقدم تخريجه.

(٤) أبو بكر بن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٤٠١/١ - ٤٠٢).

(٥) أبو معاوية: محمد بن خازم الضرير الكوفي، من حفاظ الحديث، ولكنه اتهم بالإرجاء، توفي سنة (١٩٥هـ). «تاريخ بغداد» (٢٤٢/٥ - ٢٤٩).

وذكر عند أبي نعيم - هو الفضل بن دكين^(١) - من يقول القرآن مخلوق، فقال: (والله والله ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهنم).

وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره، ولو أردنا استيعابه لطال الفصل. وقد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت الله عز وجل لنفسه وأثبت رسول الله ﷺ والصحابة فمن بعدهم، ونفي التكيف عنها، لا سيما في مسألة العلو وفي هذه المسألة مسألة القرآن وتكليم الله تعالى موسى، لأنها أول ما جحده الزنادقة قبحهم الله تعالى، وفي ذكر من ستمينا كفاية، ومن لم نسم منهم أضعاف ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، من الله بدأ وإليه يعود.

وتقلدوا كفر من قال بخلق القرآن ومنعوا الصلاة خلفه وأفتوا بضرب عنقه وبتحريم ميراثه على المسلمين وحرّموا ذبيحته وجزموا بأنها ذبيحة مرتد لا تجل للمسلمين.

فانظر أيها المنصف أقوالهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب والسنة: هل تجدهم حادوا عنها قيد شبر، أو قدّموا عليها قول أحد من الناس كائناً من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ الله، بل بها اقتدوا ومنها تضلّعوا، وينورها استضاءوا وإياها اتبعوا، فهداهم الله بذلك لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا مقال المؤمنین جميعهم	وعصابة التوحيد أعلام الهدى
الكاشفين عوار كل مشبه	والقاعمين لكل من قد الحدا
زن قولهم بالوحي وانظر هل ترى	ميلاً لهم عما إليه أرشدا
حاشاهم عن أن يميلوا خطوة	عما إليه الله إياهم هدى
بل أثبتوا لله ما قد أثبتت	أي الكتاب وكل نص أسندا
ومن الشفة تبرأوا وكذاك من	قول الممثل إذ تغالى واعتدى

(١) أبو نعيم: الفضل بن دكين، الكوفي. كان ثقة ثبتاً في الرواية مهابة بين الناس امتحن في خلق القرآن فلم يجب، توفي سنة (٢١٩هـ). «تاريخ بغداد» (١٢/٣٤٦).

جعلوا إمامهم الكتابَ وسنةَ المخ
تارِ يا طوبى لمن بهمُ اهتدى
ولذلك أعلى الله - جل - منازلهم
وأنتم نورهم الإله، وغيرهم
يا ربَّ الحِجْفا بهم واجعل لنا
نوراً تميز به الضلالَ من الهدى

وقضى السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالى على الطائفةِ الواقفةِ وهم القائلون:
لا نقولُ القرآنَ مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، بأن من كان منهم يُحسن الكلامَ فهو
جهميٌّ، ومن لم يُحسن الكلامَ منهم بل عُلِمَ أنه كان جاهلاً جهلاً بسيطاً فهو ثَقام
عليه الحجَّةُ بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلامُ الله تعالى وإلا فهو شرٌّ من
الجهمية.

وسياتي إن شاء الله الكلامُ على اللفظية قريباً، وسنذكر إن شاء الله تعالى في
آخر الفصلِ سائرَ الفرقِ المخالفين للسنة في القرآن وغيره من الصفات، لأننا أحيينا
تجريدَ مذهبِ أهلِ السنة على حدِّه لقصد التيسير، وبالله التوفيق.

[القرآن ليس بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم]

(ولا بمفترى) أي وليس القرآن بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم من
أعداء الله تعالى حيث قالوا فيه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا بَحْرٌ مُؤْتَرٌ﴾ [المدثر: ٢٤]. وقالوا: ﴿إِنْ
هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [الفرقان: ٤]. ﴿وَقَالُوا أَتُطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبْنَاهَا﴾ [الفرقان:
٥]. و ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقالوا شعراً، وقالوا كهانة، وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أُنْشَاءُ﴾ [ص: ٧]. وقالوا:
﴿لَوْ كُنَّا لَقَلْنَا مِنْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]. وغير ذلك من مفترياتهم وإفكهم، وكلُّ
ذلك إنما قالوه عناداً ومكابرة: ﴿وَعَمَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَّا أَنْفُسَهُمْ ظُلْماً وَطُغْوا﴾ [النمل: ١٤].

وقد كشف الله تعالى شُبُهَهُم وأدحض حُجَجَهُم وبهتتهم وقطعهم وفضحهم
على رؤوس الأشهاد وبين عجزهم وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا، فقال
تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا بَحْرٌ مُؤْتَرٌ﴾ ❶ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ❷ [المدثر]،
قال الله تعالى: ﴿سَأُخْبِرُ سَفَرٌ ❸ وَمَا أَتَدْرِكُ مَا سَفَرٌ ❹ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ❺ لَوَاسَةٌ لِلْبَشَرِ
❻ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرِ ❼﴾ [المدثر]، إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّخْرُوتٌ﴾ [الفرقان: ٤]، فرد الله عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَرُؤُوسًا﴾ [الفرقان: ٤].
﴿وَقَالُوا اسْتَطِيعُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].
فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١]، فرد الله ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

قال المفسرون^(١): إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل: اسمه بلعام^(٢)، وقيل يعيش^(٣) وقيل عائش، وقيل جبر^(٤) وقيل يسار وقيل غير ذلك، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى: ﴿لَسَاتِ الْآلِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل.

وقال في رد قولهم شعر وكهانة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهُٓ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا جَاهِنٍ ﴿٧٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِمْ

(١) منهم ابن كثير في تفسيره (٦٠٨/٢) و«معالم التنزيل» للبخاري (٤٤/٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/١٤٧٧) بسند ضعيف. وزاد السيوطي نسبته لابن أبي حاتم

وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/١٦٧) وزاد المسير (٤/٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٨/١٤٧٨) وانظر: «زاد المسير» (٤/٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير (٨/١٤٧٨).

رَبِّ الْمَثُورِ ﴿١٥﴾ قُلْ رَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْصِبِينَ ﴿١٦﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلُسُوا هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ ﴿[الطور] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ فَفَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿١٨﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَقَعْنَا مِنْهُ الْوَيْثَانَ ﴿٢٠﴾ فَمَا يَنكُرُ مِنْ أَهْلِهِ عَنْهُ حُنُوزِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُ الْمُصْتَفِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى لمن قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنبِيَاءُ﴾ ﴿٧﴾ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴿٨﴾ [ص: ٧ - ٨]. فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَدُورُوا عَنَّا ﴿٨﴾ أَمَّ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَعَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٨ - ٩]. إلى آخر الآيات.

ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَقُولُ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]، بقوله عز وجل: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله وبان كذبهم، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور]. وقال تعالى وتقدس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِنَّ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ أَتَىٰ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة].

فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحول اللغة وفرسانُ الفصاحة وأهلُ البلاغة وأعلمُ الناسِ بشرِ الكلامِ ونظمه وهجزه ورجزه، مع شدة معاندتهم لرسول الله ﷺ وما جاء به، وحرصهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم ما لا يُطيقون: كلامُ ذي الملكوت

والجبروت، والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال، رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى، من له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، الذي لا سمي له ولا كفو له، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلية، والأحكام الواقعة، ونبا الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب والتهديد، وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين، وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم كاهن شاعر مجنون وغير ذلك، إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله، وغيرهم. ولو كان تقوله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عرب فصحاء مثله، عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئاً.

ولما عدلوا إلى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقث شيء عند العقلاء، ولكنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين، وتبياناً لكل شيء وتفصيلاً كل شيء وذكرى للمؤمنين: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فلا يأتي مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، وكيفيك في ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَسِيْدٍ﴾ [الفرقان: ٣٣].

[القرآن يحفظ بالقلب، ويتلى باللسان،

ويسمع بالأذان، وينظر إليه بالأبصار ويكتب خطه بالأيدي]

(يحفظ بالقلب، وباللسان)	يُتلى كما يُسمع بالأذان)
(كذا بالأبصار إليه يُنظر)	وبالأيدي خطه يُسَطَّر)
(وكل ذي مخلوقة حقيقة)	دون كلام باري الخليفة)

(جلت صفات ربنا الرحمن عن وصفها بالخلق والحذنان)
 (فالصوت والألحان صوت القاري لكنما المتلو قول الباري)
 (ما قاله لا يقبل التبديلا كلا ولا أصدق منه قила)

(يُحفظ) بالبناء للمفعول أي القرآن (بالقلب) كما قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَفٍ مُبِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [الشعراء].
 وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَتَذَكَّرُ فِي صُورِ الْذِّكْرِ أَوْثَرًا أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ نَذِيرًا ﴿١٧٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وقال: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنسَى ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعلى: ٦].

وعن ابن عباس^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة^(٢) قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأهم، فاستقرأ كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال: «ما معك يا فلان؟»، فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟»، قال: نعم، قال: «أذهب فأنت أميرهم».

فقال رجل من أشرافهم: واللّه ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن واقراءوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقراءه وقام به كمثل جراب محشو يسكاً يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(١) وهو حديث حسن بشواهد.

أخرجه الترمذي (١٧٧/٥ رقم ٢٩١٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم (٥٥٤/١) وصححه، وتعبه الذهبي بأن قابوس فيه لين. وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٤٥٩ رقم ١٩٤٧ - شاكراً) وقال: إسناده صحيح وأخرجه الدارمي (٤٢٩/٢).

(٢) وهو حديث ضعيف.

أخرجه الترمذي (١٥٦/٥ رقم ٢٨٧٦) وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٥/٣ رقم ١٥٠٩) والنسائي في «الكبرى» - كما في تحفة الأشراف (٢٨٠/١٠) - وابن ماجه مختصراً (٧٨/١ رقم ٢١٧). وفيه عطاء مولى أبي أحمد، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التهذيب» قرأت بخط الذهبي: لا يعرف.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه^(١) في قصة الواهبة نفسها وفيه قال: «ما معك من القرآن؟»، قال: «معى سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «تقرأهن عن ظهر قلبك؟». قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملكتُكها بما معك من القرآن».

ولأبي داود^(٢) قال: سورة البقرة والتي تليها، قال: «قم فاعلمها عشرين آية». وفي الصحيحين^(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار، كمثل رجلٍ له إبلٌ فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن».

ولهما^(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا». والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

(وباللسان يتلى)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَوْمًا فَرَقْتَهُ لِنَقَارٍ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَالًاخِرَةً حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ١١ ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠]. إلى آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١١ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٢ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَلْقَعْ قُورْآنَهُ﴾ ١٣ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٤ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿وَرَزَّلْنَا الْقُرْآنَ

(١) البخاري (١٣١/٩) رقم ٥٠٨٧ و(١٩٨/٩) رقم ١٥٤١ ومسلم (١٠٤٠/٢) رقم ١٤٢٥.
(٢) في سننه (٥٨٨/٢) رقم ٢١١٢ من حديث أبي هريرة وفي إسناده: عِشْلُ بْنُ سَفْيَانَ، وهو ضعيف.

والخلاصة إن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) البخاري (٧٩/٩) رقم ٥٠٣١ مسلم (٥٤٣/١) رقم ٧٨٩.

(٤) البخاري (٨٤/٩) رقم ٥٠٣٧ و(٨٧/٩) رقم ٥٠٤٢ ومسلم (٥٤٣/١) رقم ٧٨٨.

تَرْتِيلًا» [المزمل: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُنَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» [الإسراء: ١١٠]. وغير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جاز له»، إلى آخر الحديث. رواه البخاري^(١).

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام^(٢) عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: «لله أشدُّ أذنًا إلى الرجل الحسني الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيته» ورواه ابن ماجه.

وله^(٣) عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن لا تَوَسَّدُوا القرآن، واتلوه حقَّ تلاوته آناء الليل والنهار، وتغنَّوه وتغنَّوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون».

(١) في صحيحه (٧٣/٩ رقم ٥٠٢٦) و(١٣/٢٢٠ رقم ٧٢٣٢) و(١٣/٥٠٢ رقم ٧٥٢٨).

(٢) في كتابه «فضائل القرآن» (ص ١٦١ - ١٦٢).

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥٧١/١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٣٠/١٠) وأحمد (١٩/٦).

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يوافقه الذهبي بل قال هو منقطع.

قلت: والانقطاع هو بين إسماعيل بن عبيد الله وفضالة بن عبيد. بسقوط ميسرة مولى فضالة.

وقد وصله أحمد (٢٠/٦) وابن ماجه (٤٢٥/١) وابن حبان (٣١/٣) رقم ٧٥٤ والطبراني في «الكبير» (٣٠١/١٨) رقم ٧٧٢ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/١٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٣٠/١٠).

وقال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٤٣٦/١) رقم ٤٧٢/١٣٤٠: «هذا إسناد حسن لقصور درجة ميسرة مولى فضالة وراشد بن سعيد عن درجة أهل الحفظ والضبط... اهـ». وقد ضعف الألباني الحديث في «ضعيف الجامع» رقم (٤٦٣٠) و«الضعيفة» رقم (٢٩٥١). وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أي لأبي عبيد في كتابه «فضائل القرآن» (ص ١٢٦ - ١٢٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٥٢/٢) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف» اهـ.

وانظر: «كنز العمال» (١/٦١١ رقم ٢٨٠٣).

والأحاديث في هذا كثيرة جداً، سيأتي ما تيسر منها في ذكر الصوت.

(كما يُسمع بالأذان)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرُّسُولِ فَرَّكَ أَعْيُنُهُمْ فَوَيْضٌ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ١٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١ - ١٣]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، وغير ذلك من الآيات.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن». قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمع من غيري». الحديث متفق عليه^(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة»، فقال: أما والله لو أعلم أنك تسمع قراءتي لحببها لك تحبيراً. رواه مسلم^(٢).

ولأبي عبيد عن عائشة^(٣) رضي الله عنها قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد

(١) البخاري (٩٣/٩ رقم ٥٠٤٩) و(٩٤/٩ رقم ٥٠٥٠) ومسلم (٥٥١/١ رقم ٨٠٠).

(٢) في صحيحه (٥٤٦/١ رقم ٧٩٣/٢٣٦).

(٣) وهو حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه في سننه رقم (١٣٣٨). وقال البوصيري في

«مصباح الزجاجة» (٤٣٥/١ رقم ١٣٣٧/٤٧٠): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

وأخرجه الحاكم (٢٢٥/٣ - ٢٢٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧١/١) وقال الحاكم:

«صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي. وليس كما قال، لأن عبد الرحمن بن سابط =

العشاء ثم جثَّ، فقال: «أين كنت؟»، قلت: كنت أسمع قراءة رجلٍ من أصحابك لم أسمع مثلاً قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام رسولُ الله ﷺ وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «هذا سالمٌ مولى أبي حذيفةَ، الحمدُ لله الذي جعل في أمتي مثلاً هذا». إسناده جيد، والأحاديث في هذا كثيرة.

(كذا بالأبصار إليه) متعلقان بـ (ينظر) أي إلى القرآن في المصحف وهو من أفضل العبادات وأجلها.

وروى أبو عبيد^(١) بإسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «فضلُ قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة».

وقال ابن مسعود^(٢) ﷺ: أديموا النظر في المصحف.

وعن ابن عباس^(٣) ﷺ أنه كان إذا دخل نشر المصحف فقرأ فيه.

وكان ابن مسعود^(٤) ﷺ إذا اجتمع إليه إخوانه نشر المصحف فقرأوا وفسر

= لم يخرج له البخاري شيئاً. ولم يحتج الشيخان ولا أحدهما برواية الوليد عن حنظلة، ولا حنظلة عن عبد الرحمن، ولا عبد الرحمن عن عائشة. فالصحيح أن السند صحيح مطلقاً.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤). بسند ضعيف.

قلت: وأخرجه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٩). وابن شاهين في «الترغيب» (ص ١٩٤).

قال ابن كثير: «وهذا الإسناد فيه ضعف، فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي، وأياً ما كان فهو ضعيف» اهـ.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤) وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢١٠) وعبد الرزاق (٣/٣٦٢ رقم ٥٩٧٩) وابن أبي شيبه (١٠/٥٣١) والطبراني في «الكبير» (٩/١٥٠، ١٥٢، رقم ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) من طرق عن الثوري به، وسنده حسن.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢١٠) بسند جيد.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢١٠ - ٢١١).

وقال ابن كثير إسناده صحيح.

لهم. وقال ابن عمر^(١) : إذا رجع أحدكم من سوقه فليشتر المصحف وليقرأ. وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وكرهوا أن يمضي على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه^(٢).

(وبالأيادي خطه يسطر)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ [الواقعة]. وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿١﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٢﴾ [البينة]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرٌ ﴿١﴾ مِّنْ شَأْنٍ ذَكَرْهُ ﴿٧﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٢﴾ تَرْفُوعُهُ مُطَهَّرَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [عبس]. وقد كتبه الصحابة في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكر وعثمان، وإلى الآن يكتبه المسلمون.

وقال ابن عباس^(٣) : ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين^(٤). وقال علي بن أبي طالب نحو ذلك^(٥). وقال أبو بكر^(٦) : معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحد خلافه.

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢١١).

إسناده ضعيف. ابن أرطاة، وثوير، ضعيفان.

(٢) قال ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢١١).

«فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب؛ لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكروا منه، أو تحريف كلمة أو آية، أو تقديم أو تأخير، فالاستنبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال...» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤/٩ - ٦٥ رقم ٥٠١٩).

(٤) «أي ما في المصحف، وليس المراد أنه ترك القرآن مجموراً بين الدفتين لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان» اهـ. قاله ابن حجر في «الفتح» (٦٥/٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥/٩) عن محمد بن الحنفية.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «وقد تلفت المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب.

فلو كان هناك شيء يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه. وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم علي وأشد الناس له لزوماً واطلاعاً على حاله» اهـ.

(٦) لم أجده.

ولو لم يكن الذي في المصحف كلام الله لم يحرم منه على أحد ولم يكن من شأنه أن: ﴿لَا يَسْئُرُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، بل ولا كان يحرم توسده، ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتاب الله، وهذا من أسفل دركات الكفر قبّحهم الله.

(وكل ذي) المذكورات من القلب وحافظته وذاكرته، واللسان وحركته، والآذان وأسماعها، والأبصار ونظرها، والأيدي وكتابتها، وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد، كلها (مخلوقة حقيقة) ليس في ذلك توقف، (دون) القرآن الذي هو (كلام) الله تعالى (بارئ الخليفة)،

قال الإمام أحمد^(١) رحمه الله تعالى: (يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد؛ فالقلب مخلوق والمحموظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق). انتهى.

فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلي كلام الله تعالى غير مخلوق.

جلت صفات ربنا الرحمن عن وصفها بالخلق والجذثان فليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق، تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكون ذاته محلاً للمخلوقات، بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء، والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء، لم يسبق شيء من صفاته بالعدم، ولم يعقب بالفناء تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(فالصوت) من جهوري وخفي، (والألحان) من حسن وغيره (صوت القاري، لكنما المتلو) والمؤدى بذلك الصوت هو (قول الباري) جل وعلا.

وفي الصحيحين^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن».

(١) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٢٤٤/١).

(٢) البخاري (٦٨/٩ رقم ٥٠٢٣) و(٤٥٣/١٣ رقم ٧٤٨٢) ومسلم (٥٤٥/١ رقم ٧٩٢).

ولابن ماجه^(١) بإسناد جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشدُّ أذنًا إلى الرجل الحسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غنا بالقرآن. ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا».

رواه البغوي^(٢)، ولأبي داود^(٣) نحوه.

وله^(٤) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

وله^(٥) وللنسائي^(٦) وابن ماجه^(٧) بإسناد جيد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زَيَّنُوا القرآنَ بأصواتكم».

وفي الصحيحين^(٨) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً - أو قراءةً - منه الحديث.

(١) في «السنن» (٤٢٥/١ رقم ١٣٤٠) وقد تقدم تخريجه قريباً. وهو حديث ضعيف.

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ١٨٥ - ١٨٦) وسنده واه.

(٣) في «السنن» (١٥٥/٢ - ١٥٦ رقم ١٤٦٩) عن سعيد بن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٥/٢ - ٢٢٦ رقم ١٤٧٦ - شاكراً) بسند صحيح.

والحاكم في «المستدرک» (٥٧٠/١). وهو حديث صحيح.

(٤) أي لأبي داود في «السنن» (١٥٦/٢ - ١٥٧ رقم ١٤٧١) بسند حسن.

(٥) أي لأبي داود في «السنن» (١٥٥/٢ - ١٥٦ رقم ١٤٦٨).

(٦) في «السنن» (١٧٩/٢ - ١٨٠ رقم ١٠١٥ و ١٠١٦).

(٧) في «السنن» (٤٢٦/١ رقم ١٣٤٢).

قلت: وأخرجه الدارمي (٤٧٤/٢) وأحمد (٢٨٣/٤، ٢٨٥، ٣٠٤)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ١٨٩ - ١٩٠).

والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٧٥). وفي

مجلسين من إملائه رقم (٤٦). والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (١٩٥، ١٩٦،

١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١) والحاكم (٥٧١/١، ٥٧٢) والطيالسي رقم (١٨٨٦) وغيرهم

من طرق...

وهو حديث صحيح، والله أعلم.

(٨) البخاري رقم (٧٣١ - البغا) ومسلم رقم (٤٦٣).

ولابن ماجه^(١) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله».

ولأبي عبيد^(٢) عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين. وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم».

وفي الصحيحين^(٣) عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود».

ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى

(١) في «السنن» رقم (٤٢٥/١) رقم (١٣٣٩). وقال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٤٣٦/١): «هذا إسناد ضعيف، لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وعبد الله بن جعفر» اهـ.
* وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٧٤) والبخاري (٣/٩٨ رقم ٢٣٣٦ - كشف).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٧٠/٧) وفيه: «حميد بن حماد بن خوار، وثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح».

قلت: وحميد بن حماد بن خوار لين الحديث فإستاد الحديث ضعيف لأجله.

* وله شاهد آخر مرسل من حديث طاووس. أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ١٦٥). وابن أبي شيبه في «المصنف» (١١٩/١) والدارمي في «السنن» (١/٤٧١، ٤٧٢) وغيرهم.

وخلاصة القول أن حديث جابر حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص ١٦٥). قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٢٢٣). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٩/٧) وقال: «وفيه راو لم يسم وبقية يعني مدلس» اهـ. وأورده الذهبي في «الميزان» (٣١٣/٢) رقم (٢٨٥١/٢٠٩٢) في ترجمة: حُصين بن مالك الفزاري: تفرد عنه بقية، وليس بمعتمد، والخبر منكر.

وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٨/١) رقم (١٦٠) وقال: هذا حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم.

وخلاصة القول أن الحديث منكر، والله أعلم.

(٣) البخاري (٩٢/٩) رقم (٥٠٤٨) ومسلم (٥٤٦/١) رقم (٧٩٣).

العبد لأنه عمله، والقرآن المؤدى بذلك الصوت هو كلام الله حقيقة، وكذلك المهارة بالقرآن، والتتبع فيه هو فعل العبد وسعيه، لما في الصحيح^(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران».

وهذا الفرق واضح والله الحمد، وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما رحمهم الله تعالى، ولو كان الصوت هو نفس المتلو المؤدى به كما يقوله أهل الاتحاد لكان كل من سمع القرآن من أي تالٍ وبأي صوت كليماً الرحمن فلا مزية لموسى عليه السلام على غيره.

اللهم لك الحمد، ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

[اللفظية جهمية، وهم الذين يقولون:

لفظي بالقرآن مخلوق]

(مسألة): اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي^(٢) وجماعة أئمة الحديث أن اللفظية جهمية، واللفظية هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال أئمة السنة رحمهم الله تعالى: ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون غير بدعية الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدهما الملفوظ به، وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له.

والثاني: التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه؛ فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني، وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية.

وهذا ظاهر عند كل عاقل، فإنك إذا سمعت رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) البخاري (٦٩١/٨) رقم (٤٩٣٧) ومسلم (٥٤٩/١) - ٥٥٠ رقم (٧٩٨).

(٢) هارون الفروي ابن موسى المدني، لا بأس به. مات سنة (٢٥٣هـ).

[التقريب: (٣١٣/٢)]. وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١٤٣١/٣).

أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، تقول هذا لفظُ سورةِ الإخلاص، وتقول: هذا لفظُ فلانٍ بسورةِ الإخلاص، إذ اللفظُ معنىً مشترك بين التلفُّظ الذي هو فعلُ العبد، وبين الملفوظ به الذي هو كلامُ الله عز وجل.

وهذا بخلاف ما ذكر السلفُ بقولهم: الصوتُ صوتُ القاري، والكلامُ كلامُ الباري، فإن الصوتَ معنىً خاصً بفعلِ العبد لا يتناول المتلو المؤدَّى بالصوت البتة، ولا يصلح أن تقولَ هذا صوتُ قل هو الله أحد، ولا يقول ذلك عاقل، وإنما تقول هذا صوتُ فلانٍ يقرأ قل هو الله أحد، ونحو ذلك.

نعم إذا سمعَ كلامَ الله عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاة والسلام، وسماع جبريل عليه السلام، وسماع أهل الجنة كلامه منه عز وجل، فحينئذ التلاوةُ والمتلوُ صفةٌ للباري عز وجل ليس منها شيء مخلوق، تعالى الله علواً كبيراً.

(ما قاله لا يقبل التبديلاً)، قال الله تعالى: ﴿مَا يُدَّلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

(كلاماً) أي لا يكون ذلك (ولا أصدق منه) أي من الله تعالى (قيلًا) أي قولاً وهو تمييزٌ محوّل عن اسم لا، والتقدير لا قيل أصدق من قبله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

أي مَنْ أصدق من الله تعالى في حديثه وخبره ووعديه ووعديه؟ الجواب: لا أحد.

وفي خطبة رسول الله ﷺ قال: «إن أصدق الحديث كلامُ الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ»^(١). الحديث.

(١) تقدم تخريجه.

[يجب الإيمان بصفة النزول]

لله تعالى وإمراره كما جاء]

(وقد روى الثقات عن خير الملا بأنه عز وجل وعلا)
(في ثلث الليل الأخير ينزل يقول هل من تائب فيقبل)
(هل من مُسيء طالب للمغفرة يجذ كريماً قابلاً للمعذرة)
(يمن بالخيرات والفضائل ويستُر العيب ويعطي السائل)

أي ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء، صفة النزول للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وعمر بن عبسة، ورفاعة الجهني، وعثمان بن أبي العاص الثقفي، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعُباد بن الصامت، وأبي الخطاب، وعمر بن عامر السلمي، وغيرهم رضي الله عنهم.

فمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١) عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحنا أو شرك». رواه جماعة عن ابن وهب.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأخرتُ العشاء الأخيرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل هبط الله

(١) أخرجه الدارقطني في «النزول» رقم (٧٥، ٧٦) واللالكائي رقم (٧٥٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٩) والدارمي في «الرد» على الجهمية» (ص ٤١)، والبزار (٢/ ٤٣٥ رقم ٢٠٤٥ - كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٥)، وقال: «رواه البزار وفيه عبد الملك بن عبد الملك ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يضعفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ. قلت: ومصعب بن أبي ذئب مجهول.

وقال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٣): «حديث صحيح. وإسناده ضعيف... وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة، بلغ عددهم عندي الثمانية وقد خرجت أحاديثهم في «الصحيحة» رقم (١١٤٤)». اهـ.

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٤٠) واللالكائي رقم (٧٤٩) والدارقطني في «النزول» رقم (١) بسند ضعيف لعدم تصريح «محمد بن إسحاق» بالسماع وهو مدلس.

عز وجل إلى سماء الدنيا لم يزل بها حتى يطلع الفجر فيقول: ألا سائل يعطى، ألا داع فيجاب، ألا مذنب يستغفر فيغفر له، ألا سقيم يستشفى فيشفى. رواه الطبراني في السنة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». أخرجاه في الصحيحين^(١).

وفي رواية^(٢) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يمهل، حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى السماء الدنيا فنأدى: هل من مذنب يتوب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟».

وفي مسند أحمد^(٣) رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات^(٤)، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد من أكثر من ثلاثين طريقاً^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٢٣/١) رقم (٧٥٧).

(٣) في «المسند» (٤١٩/٢) بسند صحيح.

(٤) كالكافي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥). والدارقطني في «النزول» رقم (١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) و(٢٠) و(٢١) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦).

(٥) انظر: في كتاب «التوحيد» لابن خزيمة رقم (١٨٨/١) و(٢/٢) و(١٨٩/٣) و(٤/٤) و(١١/١١) و(١٩٠/٥) و(١٩١/٦) و(٧/٧) و(١٩٢/٨) و(٩/٩) و(١٠/١٠) و(١١/١١) و(١٢/١٢) و(١٣/١٣) و(١٤/١٤) و(١٥/١٥) و(١٦/١٦) و(١٧/١٧) و(١٩٣/١٧) و(١٩٤/٨) و(١٩/١٩) و(٢٠/٢٠) و(٢١/٢١) و(٢٢/٢٢) و(٢٣/٢٣) و(٢٤/٢٤) و(٢٥/٢٥) و(٢٦/٢٦) و(٢٧/٢٧) و(٢٨/٢٨) و(٢٩/٢٩) و(٣٠/٣٠) و(٣١/٣١).

هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل الله السماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ من ذا الذي يتوب فأتوب عليه؟ فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه». رواه ابن منده قال: وله أصل مرسل^(١).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له». حديث صحيح رواه النسائي^(٢) وأبو الوليد الطيالسي.

وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لثلاث الليل فيقول: ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب له؟ أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتر عليه رزقه؟ ألا مظلوم يستنصرني فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفك عنه؟ فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه». رواه الدارقطني^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأعطيه، حتى يطلع

(١) في «الرد على الجهمية» رقم (٥٦/١٢) بسند ضعيف. لضعف محفوظ بن أبي توبة.

[انظر: «لسان الميزان» (١٩/٥) و «الميزان» (٤٤٤/٣)].

وقال ابن منده: وله أصل عند سعيد بن المسيب مرسل.

والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٨٧).

قلت: وأخرجه الدارقطني في «النزول» (رقم ٤)، وأحمد (٨١/٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢١/١) رقم (٥٠٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (٣١٠/١ - ٣١١/٣) رقم (٣٠٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٥١) والدارمي (٣٤٧/١) وأبو يعلى (٤٠٤/١٣) رقم (٧٤٠٨/١٨) والطبراني في «الكبير» (١٣٤/٢) رقم (١٥٦٦) والبخاري (٤٣/٤) رقم (٣١٥٢ - كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٣/١٠) وقال: «رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح. ورواه الطبراني» هـ.

(٣) في «النزول» رقم (٧).

الفجر». حديث حسن رواه أحمد في مسنده^(١)، ورجاله أئمة^(٢)، ورواه^(٣) أبو معاوية بلفظ: «إن الله تعالى يفتح أبواب السماء، ثم يهبط إلى السماء الدنيا، ثم يسطر يده فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر».

وعن رفاعة الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل الله إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ حتى ينفجر الفجر». حديث صحيح رواه أحمد في مسنده^(٤).

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له. وأن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحراً أو عشاراً». رواه الإمام أحمد بنحوه^(٥).

(١) (١/٣٨٨، ٤٠٣) من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص به، وأبو إسحاق مدلساً وقد عنعن. قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٥٧) والآجري في «الشرعية» (ص ٣١٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٤٠) والدارقطني في «النزول» رقم (٨). كلهم من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص به. وإبراهيم الهجري، هو ابن مسلم: قال عنه الحافظ في «التقريب» (١/٤٣): «لين الحديث رفع موقوفات».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.
(٢) قالها ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/٢٣٥) ولكنه لم يصب، فالإسناد ضعيف كما رأيت آنفاً.

(٣) أخرجه الدارقطني في «النزول» رقم (٨) والآجري في «الشرعية» (ص ٣١٢). وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) في «المسند» (٤/١٦). قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (١٣٦٧) والدارقطني في «النزول» رقم (٦٨) والآجري في «الشرعية» (ص ٣١٠ - ٣١١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/٣١٢ رقم ٣٧/...) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «تحفة الأشراف» رقم (٣٦١١). وهو حديث صحيح.

(٥) * أخرج أحمد في «المسند» (٤/٢٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢ رقم ٥٠٨) والدارقطني في «النزول» رقم (٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٥). عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي ﷺ قال: «ينادي كل ليلة مناد هل من داع فأستجيب =

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت. ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصدّيقون، وفيها ما لم ير أحدٌ ولم يخطر على قلب بشر.

ثم يهبط في آخر ساعة من الليل يقول: ألا مستغفر فأغفر له؟، ألا سائل فأعطيه؟، ألا داع فأستجيب له؟. رواه عثمان بن سعيد الدارمي ^(١).

وروى موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت ^(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا

= له، هل من سائل فأعطه، هل من مستغفر فأغفر له.

وسنده ضعيف، لعنعة الحسن البصري، ولسوء حفظ ابن جدعان. لكن يشهد لهذا الحديث الأحاديث الأخرى المتقدمة واللاحقة. والخلاصة أن الحديث صحيح بشواهده.

* وأخرج أحمد في «المسند» (٢١٨/٤) عن عثمان بن أبي العاص، مرفوعاً بلفظ: «إن في الليل ساعة تفتح فيها أبواب السماء ينادي مناد هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟...»

وإن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل الله عز وجل أحد شيئاً إلا أعطاه إلا أن يكون ساحراً أو عشاراً...»، وسنده ضعيف أيضاً.

(١) في «الرد على الجهمية» (ص ٣٩).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٥٦) والدارقطني في «النزول» رقم (٧٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٥ - ١٣٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٣٨/١ رقم ٢١).

قلت: والحديث بهذا السياق منكر، وأفته (زياد بن محمد). فقد قال البخاري والنسائي: «متروك الحديث». وقال ابن حبان: «منكر الحديث جداً، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك».

وقال الذهبي بعد أن ساق حديثه هذا: «فهذه ألفاظ منكرة، لم يأت بها غير زياد، وقد انفرد بحديث الرقية: رينا الله الذي في السماء - بالإسناد» اهـ.

[«الميزان» (٩٨/٢) و «لسان الميزان» (٤٩٦/٢) و «التقريب» (١٧١/١)].

وخلاصة القول أن الحديث منكر بهذا السياق، والله أعلم.

(٢) أخرجه الآجري في «الشریعة» (ص ٣١٢) وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٣٠/٣) إلى الطبراني.

حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبدٌ يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالمٌ لنفسه يدعوني فأقبله؟. فيكون كذلك إلى مطلع الصبح، ويعلمو على كرسيه.

وعن أبي الخطاب عليه السلام أنه قال وقد سئل عن الوتر: أحب أوتر نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من داع؟ حتى إذا طلع الفجر ارتفع. رواه محمد بن سعيد في طبقاته^(١).

وعن عمرو بن عامر السلمي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذهب ثلث الليل - أو قال نصف الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأفكه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟». رواه ابن ماجة^(٢).

وعن عبيد بن السباق أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا: ألا نزل الخالق العليم. فيخرج أهل السماء

= وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٤/١٠) وعزاه إلى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: «يحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة، ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة، وبقي رجال الكبير رجال الصحيح». وفي آخره لفظة منكورة وهي «ويعلمو على كرسيه».

وقال الحافظ: إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت، أرسل عن عبادة: وهو مجهول الحال. [التقريب: رقم (٣٩٢)].

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره ما عدا اللفظة المنكرة.

(١) (٥٧/٦).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٧٠/٢٢) رقم (٩٢٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٤٥/٢) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وثبوته ضعيف».

وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٨٦٢): ثوير، مصغر، ابن أبي فاختة، أبو الجهم: ضعيف رُمي بالرفض اهـ.

(٢) لم أجده في «التوحيد»، ولا في «الرد على الجهمية»، ولا في الإيمان.

وقد عزاه ابن حجر في «الفتح» (٣٠/٣) إلى الدارقطني في كتاب «السنة».

وقال الدارقطني: عبد الحميد وأبوه لا يعرفان كما في «تهذيب التهذيب» (١٠٥/٦).

والخلاصة أن الحديث حسن بشواهد، والله أعلم.

وينادي فيهم منادٍ بذلك، فلا يَمُرُّ بأهل سماءٍ إلا وهم ساجدون. رواه أبو داود^(١).

وروى أبو اليمان ويحيى بن أبي بكير وعبد الصمد بن النعمان ويزيد بن هارون - وهذا سياق حديثه - أخبرنا جرير بن عثمان حدثنا سليمان^(٢) بن عامر عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله جعلني الله فداك، شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرُّك، ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة تبقى فيها؟ يعني الصلاة؛ فقال: «يا عمرو بن عبسة، لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك. إن الرب تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع على قرن الشيطان وهي صلاة الكفار، فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهار فأخر الصلاة فإنها حينئذ تُسجر جهنم، فإذا فاء الفياء فالصلاة مشهودة حتى تدلي للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس»^(٣). وهو في مسلم^(٤) مطولاً.

(١) في «المراسيل» رقم (٧٤).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٦). وقال المحدث الألباني: «إسناده ضعيف لإرساله، فإن ابن عبيد بن السياف اسمه: سعيد وهو تابعي ثقة وسائر رجاله ثقات رجال الشيخين غير حجاج يوسف وهو الثقف البغدادي المعروف بابن الشاعر فهو من رجال مسلم، إلا أن ابن أخي الزهري، واسمه: محمد بن عبد الله بن مسلم - قد تكلموا فيه من قبل حفظه .. وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق له أوهام».

قلت: والحديث بهذا السياق منكر، فيه زيادات منكورة لم ترد في شيء من الطرق المتقدمة والآتية. فإن لم يكن الوهم فيها من ابن أخي الزهري، فالعلة الإرسال» اهـ.

(٢) الصواب: سليم بن عامر. فقد قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص ٨٥) رقم (٣١٠): «سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عبسة، ولا المقداد بن الأسود» اهـ.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٦١) وأحمد (٣٨٥/٤) والدارقطني في «الزوال» رقم (٦٦) بسند منقطع.

فلسليم بن عامر لم يسمع من عمرو بن عبسة.

* وقد أخرج الحديث من طرق أخرى وليس فيها ذكر التدلي. الترمذي رقم (٣٥٧٩) وابن ماجه رقم (١٣٦٤) وأحمد (٣٨٥/٤).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٤) ليس في أصل الحديث عند مسلم حتى يرد عنده مطولاً.

قلت: وهذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَقْرِءْ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨ - ٧٩].

وفي كتاب السنة للخلال^(١) عن ابن عباس ؓ قال: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ويترك أهل الحقد لحقدهم».

وعن أبي الدرداء ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى لم يره أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما شاء، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بين آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك».

ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فتتفضل^(٢) فيقول: قومي بعزتي. ثم يطلع إلى عبادته فيقول هل من مستغفر أغفر له؟ هل من داع أجيبه؟ حتى تكون صلاة الفجر، وكذلك يقول: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. فيشهد الله وملائكة الليل والنهار. رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد^(٣) وقد تقدم قريباً بغير هذا اللفظ.

وله^(٤) عن القاسم بن محمد عن أبيه - أو عمه - عن جده عن رسول الله ﷺ

(١) لم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من «السنة» للخلال. ولعله في الأجزاء التي لم تطبع بعد من الكتاب.

وقد أخرج الحديث الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٤١) واللالكائي رقم (٧٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٣).

قال الألباني: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير الوزان وهو أبو محمد الرقي وهو ثقة كما قال النسائي وغيره. مات سنة (٢٤٩هـ).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في الأصل: «فيتفضل» وهو تصحيف فاحش. والصواب ما أثبتناه.

(٣) (ص ١٣٥ - ١٣٦).

وهو حديث منكر بهذا السياق. وقد تقدم تخريجه قريباً.

(٤) أي لابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٣٦).

أنه قال: «ينزل الله عز وجل ليلة النصف فيغفر للمؤمنين» الحديث رواه ابن زنجويه.

وعن أبي أمامة^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان هبط الله تعالى إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن». رواه محمد بن الفضل البخاري.

وعن أبي موسى الأشعري^(٢) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن.

قلت: ولا منافاة بين أحاديث تخصيص النزول بليلة النصف من شعبان وبين الأحاديث القاضية أنه في كل ليلة، فإن النزول في ليلة النصف من شعبان مطلقاً، والنزول في كل ليلة مقيداً بالنصف في لفظ وبالثلث في آخر، على أنه ليس في تخصيص النزول بنصف شعبان نفي له فيما عداهما، والأحاديث التي فيها النزول كل ليلة أكثر وأشهر وأصح بلا شك ولا مرية.

وقد ثبت النزول أيضاً في عشية عرفة كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: «انظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً غبراً، أشهدكم أنني قد غفرت لهم»^(٣).

= وهو حديث صحيح وإسناده ضعيف وقد تقدم تخريجه قريباً.

(١) قال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/٢٤٧) عقب الحديث: رواه محمد بن الفضل البخاري عن مكّي بن إبراهيم عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً ثم ذكر الحديث. قلت: سنده هالك.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٠) واللالكائي رقم (٧٦٣) والدارقطني في «النزول» رقم (٩٤) بسند ضعيف لجهالة «عبد الرحمن بن عزوب» وضعف «ابن لهيعة». والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) من طريقين آخرين عن ابن لهيعة به، إلا أن أحدهما لم يقل في إسناده: «عن أبيه».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٥١) من طريق ابن أبي حاتم بسند ضعيف. وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/٣٠) إلى الدارقطني في كتاب «السنة».

ورواه الخلال في السنة^(١) من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر». قالوا: يا رسول الله ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: «إلا من عفر وجهه في التراب، إن عشيّة عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي هؤلاء شعناً غبراً، جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي. فلا يرى يوم أكثر عتيقاً ولا عتيقة».

وروى خلاد بن يحيى^(٢) حدثنا عبد الوهاب عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقفني فذكر الحديث وفيه: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعناً غبراً من كل فج عميق، اشهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم». رواه طلحة عن مجاهد به^(٣).

وقد روي النزول في رمضان، وليس هو نافعاً له في غيره. فروى علي بن معبد عن عبيد الله بن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن طارق عن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في شهر رمضان، إذا ذهب الثلث الأول من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يُعطى؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ هل من تائب يتاب عليه؟»^(٤).

وروى عبيد الله بن موسى قال ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمر السنة فيمحو ما

(١) لم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من «السنة» للخلال. ولعله في الأجزاء التي لم تطبع بعد من الكتاب.

وعزاه إلى الخلال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/٢٣٥).

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/٢٤٤ - ٢٤٥).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/٢٤٤ - ٢٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة رقم (٥١٣) واللالكائي رقم (٧٦٦) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٤١).

وقال الألباني: إسناده صحيح... وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

يشاء غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة^(١). وإسناده حسن.

وهذا الموقوف له حكم المرفوع عند المحدثين لأنه لا يُقال من قِبَل الرأي. وقد ثبت النزول لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى.

ونحن نشهد شهادة مُقَرَّر بلسانه مصدِّق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الربِّ جل وعلا من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن القائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربُّنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته عز وجل غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية.

إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، ففسير بسير النصوص حيث سارت، ونقف معها حيث وقفت، لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها.

وقد تكلفت جماعة من مُثبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمه، وفي خلو العرش منه وعدمه نفيًا وإثباتًا وذلك تكلف منهم، ودخول فيما لا يعنيه، وهو ضرب من التكييف لم يأت في لفظ النصوص ولم يسأل الصحابة النبي ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا، فإن قال لنا مُتَعَنِّتٌ أو مُتَنَطِّعٌ: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله، قلنا له: أنت لا تُلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تُلزم قائل ذلك وهو رسولُ الله ﷺ، فإن كان ذلك لازماً لما قاله حقيقةً وجب الإيمان به، إذ لازم الحقُّ حقٌّ، وإن لم يكن ذلك لازماً له فأنت معترض على النبي ﷺ كاذبٌ عليه متقدِّمٌ بين يديه.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/٣٢٢ - ٣٢٣ رقم ٣٦٦٦).

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٦٥٩) وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. والبيهقي في «الشعب».

وأورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/٢٤٥) وحسن إسناده.

وروى البيهقي^(١) عن الحاكم عن محمد بن صالح بن هاني عن سمع أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: (جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم بن صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردها، فقال ابن أبي صالح: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء، فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء).

وقال إسحاق^(٢) رحمه الله تعالى: (دخلت على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم. قلت: فلم تتكلم في هذا؟).

(١) في «الأسماء والصفات» (ص ٤٥٢) بإسناد صحيح. قلت: وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣١). وقال عقبها: «فكان إسحاق الإمام يخطبك بها».

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٩٢): «يعني أن الإسناد في غاية الصحة، حتى لكأنك تسمع ذلك من الإمام إسحاق مباشرة. فإن أحمد بن سلمة هو الحافظ أبو الفضل النيسابوري رفيق مسلم في الرحلة، كان حافظاً ماهراً. مات سنة (٢٨٦هـ). ومحمد بن صالح بن هاني من شيوخ الحاكم الذين أكثر عنهم في كتابه «المستدرك على الصحيحين».

ويبدو من كلام المصنف - أي الذهبي - المذكور أعلاه أنه من الثقات الأثبتاء... وهذا الأثر عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٥٢) من طريق الحاكم، وصححه المؤلف كما سبق اهـ.

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٥١ - ٤٥٢) من طريق أخرى عن إسحاق مختصراً وعزاه ابن تيمية في «شرح حديث النزول» لابن بطة وصححه.

وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣١ - ١٣٢): بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. قال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٩٢ - ١٩٣): «فائدة»: في قول إسحاق رحمه الله تعالى: «يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش» إشارة منه إلى تحقيق أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو منه العرش ويصير العرش فوقه، وهذا مستحيل بالنسبة لنزول المخلوق الذي يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر. وهذا الذي أشار إليه إسحاق هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها، أنه تعالى لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهو الصواب. فراجع بسط ذلك في كتابه «شرح حديث النزول» (ص ٤٢ - ٥٩) اهـ.

وقال إسحاق^(١) أيضاً: (قال لي ابن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الذي تروونه: «ينزل ربنا كل ليلة». كيف ينزل؟ قلت: أعز الله الأمير، لا كيف، إنما ينزل بلا كيف).
وقال أحمد بن سعيد الرباطي: (حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحاق، فسئل عن حديث النزول أصحح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض القواد: كيف ينزل؟ فقال: أثبتته فوق حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: أثبتته فوق، فقال إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟^(٢) اهـ. من كتاب العلو^(٣).

وهذا الذي قاله إسحاق رحمه الله تعالى الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم في جميع نصوص الصفات، وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت والإيمان بها بلا كيف.

[مجيء الله تعالى يوم الفصل كما

يشاء للقضاء بين الخلائق]

(وأنه يجيء يوم الفصل كما يشاء للقضاء العدل)
قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقال تبارك وتعالى:

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٥٢) بإسناد صحيح.

وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٣٢).

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٩٣): «أبو حامد بن الشرقي اسمه أحمد بن محمد، وهو ثقة حافظ توفي سنة (٣٢٥هـ).

لكن شيخه حمدان السلمي لم أعرفه، ومثله قرينه أبو داود الخفاف... اهـ.

(٢) أخرجه الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» رقم (٤٤) بسند صحيح.

وذكره الذهبي في: «العلو» (ص ١٣٢) معلقاً عن إبراهيم بن أبي طالب به.

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٩٣ - ١٩٤): «هذا إسناد صحيح، الرباطي ثقة من شيوخ البخاري مات سنة (٢٤٦هـ). وإبراهيم بن أبي طالب ثقة حافظ مات سنة

(٢٩٥هـ)...

(٣) (ص ١٣١ - ١٣٢).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَشْفُقُ السَّمَاءَ وَنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢٦﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وفي حديث الصور المشهور^(١) الذي ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه: «إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها، أنا لها، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون. قال: وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يُميت الخلائق ولا يموت، سُبُوح قدوس رب الملائكة والروح، سُبُوح قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطان والعظمة، سبحانه سبحانه أبداً أبداً».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاحصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» رواه ابن منده^(٢) وقال الذهبي^(٣): إسناده حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد». رواه مسلم^(٤).

(١) سيأتي تخريجه والكلام عليه في كتابنا هذا، عندما يذكره المؤلف بطوله.

(٢) في كتاب «التوحيد» (١١٩/٣ - ١٢٢ رقم ٥٣١) و (١٢٣/٣ رقم ٥٣٢) بسند حسن.

(٣) في «العلو» (ص ٧٣).

(٤) لم يخرج مسلم بهذا اللفظ. والذي يظهر أن المؤلف رحمه الله أخذ الحديث وتخرجه

من «العلو» للذهبي. (ص ٧٣).

وقد أخرج الترمذي (٥٩٢/٤ رقم ٢٣٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «... إذا كان =

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يهبط الربُّ تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمُه، ثم يخرج عنق من النار فيظِلُّ الخلائقَ كلَّهم فيقول: أمرتُ بكلِّ جبارٍ عنيدٍ، ومن زعم أنه عزيزٌ كريمٌ، ومن دعا مع الله إلهاً آخرَ». رواه أبو أحمد العسَّالُ في كتاب السنة^(١).

وفي الصحيحين^(٢) من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «يجمعُ الله الناسَ يومَ القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبَّعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يتبع الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها - أو منافقوها، شك إبراهيم، يعني ابن سعد الراوي عن ابن شهاب - فيأتيهم الله تعالى فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكائنا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراطُ بين ظهري جهنم». وذكر الحديث بطوله.

ولهما^(٣) نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه: «حتى يبقى من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجرٍ، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوجُّ منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبارُ في صورة غير صورته التي رآوه فيها أولَ مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياءُ، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه؟ فيقولون: الساقُ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كلُّ مؤمنٍ، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً». وذكر الحديث. والأحاديث في هذا كثيرة.

قال الذهبي^(٤) رحمه الله تعالى: (أحاديثُ نزولِ الباري متواترةٌ، قد سُقت طرقها وتكلمتُ عليها بما أسأل عنه يومَ القيامة).

= يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم... وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(١) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢٤٦/٢) بسند ضعيف جداً.

شهر بن حوشب ضعيف، وأبان بن عياش متروك.

(٢) البخاري (٢٩٢/٢ - ٢٩٣ رقم ٨٠٦) ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٦ رقم ١٨٢).

(٣) أي للبخاري (٤٢٠/١٣ - ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩) ومسلم (١٦٧/١ - ١٧١ رقم ١٨٣).

(٤) في «العلو» (ص ٧٣).

[رؤية الله يوم القيامة]

(وأنه يرى بلا إنكار
(كلُّ يراه رؤية العيان
(وفي حديث سيد الأنعام
(رؤية حقّ ليس يمترونها
(وخصّ بالرؤية أولياؤه

في جنة الفردوس بالأبصار)
كما أتى في محكم القرآن)
من غير ما شك ولا إيهام)
كالشمس صحوّاً لا سحابٍ دونها)
فضيلةً، وحُجبوا أعداؤه)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةُ﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةٌ ﴿٢٧﴾ [القيامة]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَقْصُودٍ وَّزِيَادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لَمَّا مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا حُجِبَ أولياؤه فأبى فضيلة لهم على أعدائه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتَاهُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِبُونَ ﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٨﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [يسر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين]. وهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفاً ولا تأويلاً، ولا يردّها إلّا مكابرٌ قد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً، فمن يهديه من بعد الله.

وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات، رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم: كأبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجريـر بن عبد الله، وصهيب، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبريدة بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وعمار بن ربيعة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي الدرداء، وفصالة بن عبيد، وعدي بن أرطاة، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم رضي الله عنهم.

وهذا أوانٌ سردها فأتلقِ سمعَكَ وأخضِرْ قلبَكَ، وتأملها تأمل طالب للحق لا

نافر عنه، وكُنْ من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإياك وسوء الظن بكلام الله وكلام رسوله فذلك الهلكة، وما ضلّ من ضلّ وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به^(١).

فمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلّى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى، والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر رضي الله عنه: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال: «نعم عرض عليّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة، فجمع الأولون والآخرين في صعيد واحد، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك عز وجل، قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح ﷺ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿[آل عمران: ٣٣]».

قال: فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً، فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذته خليلاً، فينطلقون إلى إبراهيم ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ فإنه كان يُبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل، قال: فينطلق، فيأتي جبريلُ ربّه تبارك وتعالى، فيقول الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريلُ ﷺ فيخزّ ساجداً قَدْرَ جُمعة ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل يسمع واشفعُ تشفع، قال: فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربّه عز وجل خَرَّ ساجداً قَدْرَ جُمعةٍ أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع

(١) انظر رسالة الإمام الشوكاني «البغية في مسألة الرؤية»، وتحققنا لها وتعلقنا عليها.

رَأْسَكَ وَقُلْ تُسْمِعْ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَضَعَ سَاجِداً فَيَأْخُذُ جَبْرِيلُ بِضَنْبَعِهِ
فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّعَاءِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ خَلَقْتَنِي
سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، حَتَّى إِنَّهُ
يَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ.

«ثُمَّ يَقَالُ: ادْعُوا الصَّدِّيقِينَ فَيُشْفَعُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ، قَالَ: فَيَجِيءُ
النَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْخُمْسَةُ وَالسِتَّةُ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقَالُ:
ادْعُوا الشُّهَدَاءَ فَيُشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا».

«قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ الشُّهَدَاءَ ذَلِكَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئاً. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. قَالَ: ثُمَّ
يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا فِي أَهْلِ النَّارِ هَلْ تَلْقَوْنَ مَنْ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ:
فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا فَيَقُولُونَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ
أَسَامِحَ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اسْمَحُوا لِعَبْدِي بِسَمَاحَتِهِ إِلَى عَبْدِي».
«ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا فَيَقُولُونَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا،
غَيْرَ أَنِّي أَمَرْتُ وَلَدِي: إِذَا مَثَّ فَأَحْرِقُونِي فِي النَّارِ ثُمَّ اطْحَنُونِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ
الْكُحْلِ فَادْهَبُوا بِي إِلَى الْبَحْرِ فَادْزُونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ
أَبَدًا. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: لَمْ فَعَلْ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ مَخَافَتِكَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: انظُرْ إِلَى مُلْكٍ أَعْظَمَ مُلْكٍ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ. قَالَ: فَيَقُولُ: أَنَسْخَرَ
بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ قَالَ ﷺ: وَذَلِكَ الَّذِي ضَحَّكَتُ مِنْهُ الضُّحَى»، رَوَاهُ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) فِي الْمُسْنَدِ (٤/١ - ٥).

قُلْتُ: وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ رَقْمَ (٢٥٨٩ - مَوَارِدَ)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «الْمُسْنَدِ» رَقْمَ
(٥٦)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السَّنَةِ» رَقْمَ (٧٥١) وَ(٨١٢)، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ»
(ص ٣١٠ - ٣١٢)، وَابْنُ الْبَزَّازِ (٤/١٦٨ - ١٧٠ رَقْمَ ٣٤٦٥ - كَشَفَ)، وَأَبُو عَوَانَةَ (١/١٧٥ -
١٧٨)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ» (٢/٩٢٠ - ٩٢٣ رَقْمَ ١٥٣٩) مِنْ طَرَقَ عَنْ
النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ أَبِي هَنِيدَةَ الْبَرَاءِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ وَالَانَ
الْعَدَوِيِّ، عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ.

قَالَ الْبَزَّازُ: أَبُو هَنِيدَةَ وَوَالَانَ لَا نَعْلَمُ رَوَايَا إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ، وَهُوَ عَلَى مَا فِيهِ رَوَاهُ أَهْلُ
الْعِلْمِ.

وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضَارُونَ في رؤية القمر ليلة البدر؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟»، قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبغه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فإذا جاء ربنا عرفناه».

فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يخيّر، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظيمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموقن بعمله ومنهم المجازي، فإذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا،

= قلت: أبو هنيذة البراء بن نوفل: روى عنه جمع، ووثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٤٠/٢)، وقال ابن سعد في «الطبقات» (٢٦٦/٧): «كان معروفاً قليل الحديث».

وأما والان العدوي: هو والان بن بهيس أو ابن قرفة، وثقه ابن معين، كما في «الجرح والتعديل» (٤٠٠/١).

وأورد الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٧٤/١٠) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار ورجالهم ثقات» اهـ.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٣٤٩/٢): «إسناده حسن ورجاله ثقات».

(١) البخاري (٢/٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٨٠٦)، ومسلم (١/١٦٣ - ١٦٦ رقم ١٨٢)، وقد تقدم.

فِيصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْجِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولاً الْجَنَّةَ، فيقول: أَيُّ رَبِّ أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْدَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فيقول: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَصْرَفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدُمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فيقول الله تَعَالَى: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتُكَ، وَيَلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فيقول: أَيُّ رَبِّ، فَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ فيقول: لَا وَعَزَّتْكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَيَرَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسَّرُورِ، فَسَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ مَا أُعْطِيتُ، وَيَلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فيقول: أَيُّ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَسْأَلُ رَبُّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنْ اللَّهَ لَيُنْذِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِي، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ. قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَزُودُ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لَذَلِكَ الرَّجُلِ وَمِثْلُهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولاً الْجَنَّةَ.

وَلَهُمَا^(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاساً فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا:

(١) أي البخاري (١٣/٤٢٠ - ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩)، ومسلم (١/١٦٧ - ١٧١ رقم ١٨٣)، وقد تقدم.

يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، هل تُضَارُونَ في رؤية الشمس بالظهيرة صحوّاً ليس معها سحب؟ وهل تُضَارُونَ في رؤية القمر ليلة البدر صحوّاً ليس فيها سحب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «ما تُضَارُونَ في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تُضَارُونَ في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبّد، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغُبرَاتٍ من أهل الكتاب فتُدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشْنَا يا ربنا فاسقِنَا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى النار كأنها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عَطِشْنَا يا ربنا فاسقِنَا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك ولا نشك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتجلى الشفاعة. قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دَخَضٌ مَرَلَةٌ وخطاطيف وكلاليب وحسكة، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السغدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين والبرق والريح كالطير وكأجاويد الخيل والركاب،

فناج مسلّم ومخدوش مُرسل ومكدوس في نار جهنّم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدّ مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون؟ فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فيحرم صومهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا. فيقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا. ثم يقال: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقال: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قط.

«وكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث، فاقروا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئاً ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمماً فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الجنة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض؟ فقالوا: يا رسول الله كأنك ترعى بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة. فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

وفيها^(١) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر

(١) أي البخاري (١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٤)، ومسلم (١/٤٣٩ رقم ٦٣٣).

إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا».

وفي صحيح مسلم^(١) عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تبئض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وللطبراني^(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يجمع

(١) (١٦٣/١) رقم (١٨١).

(٢) في الكبير (٤١٦/٩ - ٤٢١) رقم (٩٧٦٣).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٤٣/١٠) وقال: «رواه كله الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة» اهـ.

قلت: وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١٢٠٣)، والحاكم في «المستدرک» (٥٨٩/٤)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٧٥).

قال الحاكم: «... والحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة» اهـ.

وتعقبه الذهبي بقوله: «ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وأبو خالد شيعي منحرف» اهـ. قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير في الموضع نفسه من طريق محمد بن النضر الأزدي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله الحضرمي، ثلاثهم عن إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني، ثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو فذكره بنحوه.

وأخرجه الطبراني في الكبير أيضاً (٤٢١/٩) رقم (٩٧٦٤) من طريق نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، فذكره بنحوه هكذا، ولم يذكر مسروقاً في سنده.

وأخرجه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٣٤) من طريق محمد بن إسحاق، به نحوه. وساقه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٦٥ - ٣٦٧) بطوله إلى قوله: «وكبدها مرآته»، وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال: «هذا إسناد صحيح متصل، رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن الحديث من طريق الحاكم ضعيف، لضعف أبي خالد الدالاني، غير =

اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَصَلَ الْقَضَاءِ، وَيَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ مِنَ الْغَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكَرْسِيِّ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً أَنْ يُؤَلِّيَ كُلَّ أَنْاسٍ مِنْكُمْ مَا كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ وَيَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا، أَلَيْسَ ذَلِكَ عَدَلاً مِنْ رَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى.

«قال: فينطلق كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ويتولَّون في الدنيا. قال: فينطلقون ويمثِّلُ لهم أشباهَ ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشياء ما كانوا يعبدون. قال: ويمثِّلُ لمن كان يعبد عيسى شيطانَ عيسى، ويمثِّلُ لمن كان يعبدَ عزيزاً شيطانَ عزيز، ويبقى محمدٌ ﷺ وأُمَّتُهُ فيأتيهم الربُّ عَزَّ وَجَلَّ فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامةٌ إذا رأيناها عرفناه».

«قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساق، فعند ذلك يكشف عن ساقٍ فيخِرُّون له سَجْداً، ويبقى قومٌ ظهورهم كصنَّاصي البقر، يريدون السجودَ فلا يستطيعون، وقد كانوا يُذْعَنُونَ إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم فيعطيتهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطى نورَه على قَدْرِ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يسعى بين أيديهم، ومنهم من يُعطى نوراً أصغرَ من ذلك، ومنهم من يُعطى نوراً مثْلَ النخلةِ بيمينه، ومنهم من يُعطى نوراً أصغرَ من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلاً يُعطى نورَه على إبهامِ قَدَمِهِ، يُضيءُ مرةً ويطفأُ مرةً، فإذا أضاءَ قَدَمَ قَدَمِهِ ومشى، وإذا طَفِئَ قام، والربُّ تبارك وتعالى أمامهم حتى يُمرَّ في النار فيبقى أثرُه كحَدِّ السيف».

«قال: ويقول: مُرُوا، فيمرُّون على قَدْرِ نورهم، منهم من يمرُّ كطرف العين، ومنهم من يمرُّ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالسحاب، ومنهم من يمرُّ كإنقضاض

= أنه لم ينفرد به بل تابعه زيد بن أبي أنيسة، والحديث من طريقه حسن لذاته.
وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً (١/١٧٣)، ١٧٤، ١٧٤ - ١٧٥ رقم ٣٠٨، ٣٠٩، (٣١٠).

الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشَدِّ الفرس، ومنهم من يمر كشَدِّ الرجل، حتى يمر الذي أعطي نوره على قَدَرِ إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجرَّ يَدَ وتعلَّقُ يَدَ وتجرَّ رجلَ وتعلَّقَ رجلَ، وتُصِيبُ جوانبَه النارُ، فلا يزال كذلك حتى يخلُصَ، فإذا خلُصَ وقف عليها ثم قال: الحمدُ لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتها».

«قال: فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريحُ أهل الجنة والوأنهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب، فيقول: ربِّ أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيستها. قال: فيدخل الجنة».

«قال: ويرى أو يُرفع له منزلٌ أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حُلْمٌ ليدخله فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه. قال: فيعطاه فينزله، قال: ويرى أو يُرفع له أمام ذلك منزلٌ آخرٌ ليدخله فيقول: أي رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله عزَّ وجلَّ: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره؟ قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه. قال: فيعطاه فينزله».

«قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزلٌ آخرُ، كأنما الذي هو فيه إليه حُلْمٌ فيقول: رب أعطني ذلك المنزل؟ فيقول الله جلَّ جلاله: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره. قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت. فيقول الله عزَّ وجلَّ: ما لك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتك حتى استحييتك، وأقسمتُ لك حتى استحييتك. فيقول الله عزَّ وجلَّ: ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أنتهزئ بي وأنت ربُّ العزة؟ فيضحك الربُّ عزَّ وجلَّ من قوله».

قال: فرأيتُ عبدَ الله بنَ مسعودٍ رضي الله عنه إذا بلغ هذا المكانَ من هذا الحديث ضحك. فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكانَ من هذا الحديث ضحكت. فقال: إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً، كلما بلغ هذا المكانَ من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضرأسه.

«قال: فيقول الربُّ عزَّ وجلَّ: لا ولكني على ذلك قادرٌ، سل؟ فيقول: الحقني بالناس. فيقول: الحقُّ بالناس. قال: فينطلق يرمُل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رُفِع له قصرٌ من دُرَّة فيخِر ساجداً، فيقال له: ارفع رأسك ما لك؟ فيقول: رأيتُ ربِّي، أو تراءى لي ربي. فيقال: إنما هو منزلٌ من منازلِكَ. قال: ثم يلقى فيها رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال له: مَهْ. فيقول: رأيتُ أنك بملكٌ من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازِنٌ من خُزَّانِكَ، عبدٌ من عبيدِكَ، تحت يدي ألفُ قَهْرمان على مثل ما أنا عليه. قال: فينطلق أمانه حتى يُفْتَحَ له القصرُ».

«قال: وهو في دُرَّة مجوِّفة سقائفُها وأبوابُها وأغلاقيها ومفاتيحُها منها، تستقبله جوهرة خضراء مَبْطَنَةٌ بحمرَاء، كُلُّ جوهرة تُفْضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سُرُرٌ وأزواجٌ ووصائفٌ أدنانٌ خوراء عيناء عليها سبعون حُلَّة، يرى مَخَّ ساقِها من وراء حُلِّليها، كبِدْها مِرَّاثه وكبِدُه مِرَّاثها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادات في عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً. فيقال له: أشرف، قال: فيُشرف، فيقال له: مُلْكُكَ مسيرة مائة عامٍ ينفذه بصرُه».

قال: فقال عمر رضي الله عنه: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابنُ أمِّ عبدٍ يا كعبُ عن أدنى أهل الجنة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عينٌ رأيت ولا أذنٌ سمعت، إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يَرها من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة. ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما مَن شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابُه في عليين نزل تلك الدار التي لم يَرها أحدٌ، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمةٌ من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه فيقولون: واهاً لهذه الرياح، هذا رجلٌ من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه.

فقال: ويحك يا كعبُ، هذه القلوبُ قد استرسلت فاقبِضْها. فقال كعب:

والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخز لركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسي نفسي، حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو».

قال ابن القيم رحمه تعالى: هذا حديث كبير حسن^(١) رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد^(٢) والطبراني^(٣) والدارقطني^(٤) رحمهم الله تعالى.

وروى يعقوب بن سفيان عن علي بن أبي طالب^(٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة»، وذكر ما يُعطون قال: «ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجاباً، فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكانهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]».

وفي الصحيحين^(٦) عن أبي موسى عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة أنبثهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنبثهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

ولأحمد^(٧) عنه عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله عز وجل الأمم في

(١) وهو حديث حسن كما قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٨٥).

(٢) رقم (١٢٠٣) كما تقدم آنفاً.

(٣) في الكبير (رقم ٩٧٦٣ و ٩٧٦٤) كما تقدم آنفاً.

(٤) في الرؤية رقم (١٧٥) كما تقدم آنفاً.

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٥٢) بسند واه.

فيه راويان ضعيفان:

الأول: عمرو بن خالد: وهو أبو خالد القرشي - كذبه أحمد وابن معين وأبو حفص الأبار ووكيع، وزاد أحمد: يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة يكذب. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢٤/٨ - ٢٥).

الثاني: سويد بن عبد العزيز - السلمي - ضعف حديثه أحمد وابن معين والنسائي والخلال وابن حبان وغيرهم، وأنكر حديثه أحمد والبخاري وابن سعد وغيرهم. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢٤٢/٤ - ٢٤٣).

(٦) البخاري: (٨/٦٢٣ - ٦٢٤ رقم ٤٨٧٨)، ومسلم (١/١٦٣ رقم ١٨٠).

(٧) في المسند (٤/٤٠٧ - ٤٠٨).

صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدا لله عز وجل أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يُقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على ما كان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: نتظر ربنا عز وجل، فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم إنه لا عدل له، فيتجلى لنا ضاحكاً فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه». وفي رواية: «يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكاً يوم القيامة».

وللدارقطني^(١) عنه عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه عز وجل»، رواه الإمام أحمد وابن وهب.

وفي صحيح البخاري^(٢) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبثت عنها؟ قال: فإن طالت بك حياة لترين الظمينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله عز وجل - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَاؤُ طيء الذين سَعَرُوا البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه.

وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له،

= قلت: وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٣) ورجاله ثقات. وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٥٦ - ٥٧)، والآجري في الشريعة (ص ٢٦٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره ما عدا جملة: «فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه»، فهي منكورة. كما قال المحدث الألباني في «الصحيحة» (٣٨٤/٢).
(١) في الرؤية رقم (٥٣).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨٢)، والطبري في «جامع البيان» (٧/ج ١١/١٠٥)، ومدار الحديث على أبان بن أبي عياش وهو متروك.

(٢) (٦/٦١٠ رقم ٣٥٩٥).

فيقولون: ألم أبعث إليك رسولاً فيبْلُغُكَ؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم.

قال عدي بن حاتم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الطعينة ترتحل من الجيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لثرون ما قال النبي ﷺ.

وفي الصحيحين^(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ: فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا عز وجل حتى يُريحنا من مكاننا هذا».

«فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناك، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن اتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل».

«قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً».

«فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة».

«فيأتون موسى فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناك، ولكن اتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

«قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فاستأذن على ربي فيأذن لي، فإذا أنا رأيته فاقع له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد إرفع رأسك وقل تسمع وسل تُعط واشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي، ثم

(١) البخاري (٤٧٣/١٣ - ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١٨٠/١ - ١٨١ رقم ١٩٣).

أشفع، فيحدّ لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تُسمع وسل تُعط واشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأحمدُ ربي بتحميد يُعلمنيهِ ربي ثم أشفع، فيحدّ لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة، قال: فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي: وجب عليه الخلود.

وفي رواية لابن خزيمة^(١): «يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا - فذكر الحديث إلى أن قال - فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخز ساجداً» وذكر الحديث.

وفي رواية^(٢): «فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجداً».

وفي رواية^(٣): «فأتي ربي وهو على سريره - أو كرسيه - فأخز له ساجداً». وساقه ابنُ خزيمةً بسياق طويل^(٤)، وقال فيه: «فأستفتح، فإذا نظرتُ إلى الرحمن وقعت له ساجداً».

وفي حديث أبي هريرة^(٥): «أخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جلّ جلاله فأخز له ساجداً».

وللدارقطني^(٦) عنه رحمته الله عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

(١) في «التوحيد» (٧١٦/٢ - ٧١٩ - رقم ٤٥٨/١٠) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٨٧/٢ - ٣٨٨ رقم ٨١٦) بسند صحيح على شرط الشيخين، وله طرق، انظر: «ظلال الجنة» (٣٨٨/٢).

(٢) هي رواية البخاري ومسلم المتقدمة آنفاً.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٦١٤/٢ - ٦١٦ رقم ٣٥٨/٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧١٩/٢ - ٧٢٣ رقم ٤٥٩/١١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٥٩٣/٢ - ٥٩٦ رقم ٣٤٧/٣) بسند صحيح.

(٦) في «الرؤية» رقم (٦٧) من حديث أنس بن مالك.
قلت: وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٥)، واللالكائي رقم (٧٧٩) بسند ضعيف جداً لضعف «سلم بن سالم البلخي» و«نوح بن أبي مريم» كذاب.

الْحُسْنِ وَزِيَادَةٍ ﴿ [يونس: ٢٦] . قال: «النظرُ إلى وجه الله عز وجل» .

وله ^(١) عنه عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه كالمراة البيضاء يحملها، فيها كالثكة السوداء . فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة . قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير . قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عبداً لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لكم» .

«قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبداً فيها شيئاً هو له قسّم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسّم إلا دُخر له في آخرته ما هو أعظم منه» .
«قلت: ما هذه النكة التي فيها؟ قال: هي الساعة، ونحن ندعوه يوم المزيد» .

«قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال: إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كُثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيئ النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي، ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكُثبان» .

«ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسألوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار مُنصرفكم من الجمعة» .

«ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها، وأزواجها وخدائمهات متدليات فيها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة» . (هذا

(١) أي للدارقطني في «الرؤية» رقم (٦٩) من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف .

حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي
مُسْنَدُهُ^(١) ^(٢). ورواه محمد بن إسحاق^(٣) وعمر بن أبي قيس^(٤).

وفيه: «إذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكراسي بمنابر من
نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها، ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على
الكُئُب. قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول: أنا الذي
صدقْتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، وهذا محلُّ كرامتي، سلوني. فيسألونه
الرَّضا. قال: رضاي أنزلكم داري وأنا لكم كرامتي. سلوني؟ فيسألونه الرضا، قال:
فيشهدهم بالرضا. ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم»، وذكر الحديث.

ورواه علي بن حرب^(٥)، والحسن بن عرفة^(٦)، وفي روايته: «ثم يرتفع على
كرسيه ويرتفع معه النبيون والصدِّيقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم».
ورواه الدارقطني^(٧) أيضاً من طريق آخر عن أنس رضي الله عنه قال: بينا نحن حول
رسول الله ﷺ إذ قال: «أتاني جبريل في يده كالمراة البيضاء في وسطها كالنكتة
السوداء، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون
عيداً ولأمتك من بعدك».

(١) (١٢٦/١ - ١٢٧ رقم ٣٧٤) بسند ضعيف جداً.

وفيه: إبراهيم بن محمد: متروك، وموسى بن عبيدة الربذي: ضعيف.

(٢) هذا كلام ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» (ص ٣٩١).

(٣) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩١) له من طريق ليث بن أبي سليم، عن
عثمان بن عمير، عن أنس.

قلت: إسناده ضعيف.

(٤) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٢) له من طريق أبي ظبية، عن عاصم، عن
عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس.

قلت: إسناده ضعيف.

(٥) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٢) له، من طريق إسحاق بن سليمان، عن
عنبسة بن سعيد، عن عثمان بن عمير به.

قلت: إسناده ضعيف.

(٦) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٢) له، من طريق عمار بن محمد ابن أخت
سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان به.

(٧) في «الرؤية» رقم (٧٥) بسند ضعيف.

«قال: قلت: يا جبريلُ ما هذه النكتةُ السوداء؟ قال: هي الساعةُ، وهي تقوم يومَ الجمعة وهو سيُدَّ أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يومَ المزيد».

«قال: قلت: يا جبريلُ ولم تدعونه يومَ المزيد؟ قال: إن الله اتَّخذ في الجنة وادياً أبيضَ من مسكٍ أبيض، فإذا كان يومُ الجمعة نزل ربُّنا عزَّ وجلَّ على كرسِيه أعلى ذلك الوادي، وقد حفَّ الكرسيُّ بمنابرٍ من ذهب مكلَّلةٍ بالجواهر، وقد حُفَّت تلك المنابرُ بكراسيٍّ من نور».

«ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كُثبانَ المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحري، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عزَّ وجلَّ عليهم ريحاً يقال لها المثيرة، فاثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذ جُرْدٌ مُرْدٌ مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عزَّ وجلَّ، فينادي ربُّ العزة تبارك وتعالى رَضواناً وهو خازنُ الجنة - فيقول: يا رضوانُ ارفع الحجبَ بيني وبين عبادي وزواري».

«فإذا رَفَعَ الحجبَ بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء، سلوني ما شئتم، فأنا ربُّكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محلُّ كرامتي، فسلوني ما شئتم؟ فيقولون: ربِّنا وأيُّ خيرٍ لم تفعله بنا، أَلَسْتَ أَعْتَنَّا على سكرات الموت، وَأَنْسَتَ مِنَّا الوحشةَ في ظلمات القبور، وَأَمَنْتَ وَحْشَتَنَا عند النفخة في الصور؟ أَلَسْتَ أَقَلَّتْ عِشْرَتُنَا، وَسُتِرَتْ عَلَيْنَا الْقُبُوحُ من فعلنا، وَثَبَّتْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ أَقْدَامُنَا؟ أَلَسْتَ الَّذِي أَدْنَيْتَنَا مِنْ جِوَارِكِ، وَأَسْمَعْتَنَا لَلْأَذَّةِ مِنْطِقِكَ، وَتَجَلَّيْتَ لَنَا بنورك؟ فَأَيُّ خَيْرٍ لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عزَّ وجلَّ. فيناديهم بصوته: أنا ربُّكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، فسلوني فيقولون: نسألك رضاك. فيقول تعالى: برضائي عنكم أَقَلَّتْكُمْ عِشْرَتُكُمْ وَسُتِرَتْ عَلَيْكُمْ الْقُبُوحُ من أموركم وأدْنَيْتُ مِنِّي جِوَارِكُمْ، وَأَسْمَعْتُكُمْ لَلْأَذَّةِ مِنْطِقِي وَتَجَلَّيْتُ لَكُمْ بنوري، فهذا محلُّ كرامتي، فسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم».

«ثم يقول عزَّ وجلَّ: سلوني؟ فيقولون: رَضِينَا رَبَّنَا وَسَلَّمْنَا، فيزيدهم من

مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،
ويكون ذلك مقدارَ تفرُّقهم من الجمعة.

«قال أنس رضي الله عنه فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، وما مقدارُ تفرُّقهم؟ قال:
كقَدْرِ الجمعةِ إلى الجمعة. قال: ثم يُحملُ عرشُ ربِّنا تبارك وتعالى معهم الملائكةُ
والنَّبِيُّونَ، ثم يُؤذَنُ لأهلِ الغُرفِ فيعودون إلى غُرفهم وهما غُرفتان من زُمرَتين
خَضراوين وليسوا إلى شيء أشوقَ منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى
وليزيدَهم من مزيد فضله وكرامته».

قال أنس رضي الله عنه: سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد.
ورواه أيضاً من طريق آخر^(١)، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة^(٢)، وأبو بكر بن

-
- (١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٦) بسند ضعيف منقطع.
(٢) في «المصنف» (١٥٠/٢) عن عبد الرحمن المحاربي عن ليث عن عثمان به.
وعبد الرحمن المحاربي مدلس من الثالثة كما في «طبقات المدلسين» (ص ٩٣)، وهو هنا
قد عنعن فلا تقبل روايته.
قلت: إلا أن عبد الرحمن المحاربي لم يتفرد بالرواية عن ليث بل تابعه عليه جماعة منهم:
أ: جرير بن عبد الحميد الضبي - ثقة إمام - عن عثمان به.
أخرجه أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (٩/٢)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في
«العرش» رقم (٨٨).
ب: شعبة بن الحجاج وإسرائيل وورقاء كلهم عن عثمان به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٦٩)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق»
(٢٦٤/٢).

- ج: محمد بن إسحاق المطلبي عنه به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٠)، والخطيب في «الموضح» (٢٦٦/٢).
د: إبراهيم بن طهمان - وهو ثقة - عنه به.
أخرجه ابن طهمان في مشيخته رقم (١١٢).
هـ: عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عنه به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٣).
* وكذلك لم يتفرد ليث بن أبي سليم بل تابعه جماعة عن عثمان بن عمير منهم:
أ: عاصم عن عثمان به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٧١)، والخطيب في «الموضح» (٢٦٨/٢)، وعبد الله ابن =

= الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٠)، والآجري في «الشريعة» (٣١/٢) رقم (٣٠٥/٦٥٤).

(ب): عنبسة بن سعيد الرازي - قاضي الري، ثقة - عنه به.

أخرجه الدارقطني رقم (٧٢).

(ج): زياد بن أبي خيثمة عنه به.

أخرجه الخطيب في «الموضح» (٢٦٨/٢).

* وكذلك أيضاً لم يتفرد عثمان بن عمير بالحديث عن أنس بل تابعه عليه جماعة، منهم:

(أ): قتادة بن دعامة السدوسي عن أنس مرفوعاً.

أخرجه الدارقطني في «الرواية» رقم (٧٥).

قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٩٢/١ - ٢٩٣): «ليس له أصل من حديث قتادة - بن

دعامة - بل هو من حديث أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أنس بأنقص من هذا... اهـ.

وأورد الذهبي الحديث في «الميزان» (٦٠٨/١ - ٦٠٩) في ترجمة حمزة بن واصل، وكلام العقيلي.

(ب): عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أنس مرفوعاً:

أخرجه الشافعي في «المسند» (١٢٦/١ - ١٢٧) بسند ضعيف جداً.

(ج): عمر مولى غفرة عن أنس مرفوعاً:

أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٦) بسند ضعيف منقطع.

أما الضعف فبسبب عمر مولى غفرة، وهو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص.

وأما الانقطاع فهو بين عمر هذا وأنس. انظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم رقم (٢٣٨).

(د): علي بن الحكم البناني عن أنس مرفوعاً:

أخرجه أبو يعلى في «المسند» رقم (٤٢٢٨).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢١/١٠)، رواه البزار رقم (٣٥١٩ - كشف)،

والطبراني في الأوسط رقم (٦٧١٧) بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال

الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن

ثوبان، وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم وإسناد البزار فيه خلاف اهـ.

(هـ): عبد الله بن بريدة عن أنس مرفوعاً:

أخرجه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٢٦٤/٢٥) رقم (٣٥)، وابن عدي في الكامل (٤/

١٣٧٣)، وابن النحاس في «روية الله» (رقم ٨) بسند ضعيف لضعف صالح بن حيان القرشي.

(و): يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً:

أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» (١٥١/٢)، وأبو يعلى في المسند مختصراً رقم

(٤٠٨٩) بسند ضعيف، فيه الأعمش وهو مدلس وقد عنعن، وكذلك يزيد الرقاشي.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

خزيمة^(١)، وابن بطة في الإبانة^(٢) وغيرهم، وقد جمع ابن أبي داود طرقة^(٣).

ولإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة^(٤) عن بُريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان».

وللإمام أحمد^(٥) وأبي داود^(٦) عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: «نعم»، قلت: وما آية ذلك في خلقه؟

(١) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٤) من طريق زهير بن حرب عن جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي أحمد، عن أنس، بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٤) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة بسند ضعيف.

(٣) أوردت طريق الحديث قريباً، فانظرها.

(٤) في «كتاب التوحيد» (١/٣٦٣ رقم ٢١٦/٧) بسند حسن.

* وأصله عند البخاري (١٣/٤٢٣ رقم ٧٤٤٣)، ومسلم (٢/٧٠٣ - ٧٠٤ رقم ١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم.

(٥)(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١١ و ١٢) وابنه عبد الله في «السنة» رقم (٤٥٠)، والآجري في «الشرعية» رقم (٢٩٨ و ٢٩٩)، والترمذي رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه رقم (١٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٢٠٧ رقم ٤٦٨) من طرق عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حذس عن عمه أبي رزين.

وأخرج القسم الأول منه الطيالسي رقم (١٠٩٤)، وأحمد (٤/١١ و ١٢) وابنه عبد الله في «السنة» رقم (٤٤٨ و ٤٥٤ و ٤٥٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٧٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٢٠٦ رقم ٤٦٥)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٥٦٠) من طرق عن حماد بن سلمة به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرج القسم الأول أيضاً أبو داود رقم (٤٧٣١)، وابن خزيمة (ص ١٧٨ - ١٧٩)، وابن أبي عاصم رقم (٤٦٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٢٠٦ رقم ٤٦٦) من طريقين عن يعلى بن عطاء، به.

قال البيهقي في «الأسماء والصفات»: هذا حديث تفرد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن حذس، ولا نعلم لو كيع بن حذس هذا راوياً غير يعلى بن عطاء. وحسن الألباني الحديث في «ظلال الجنة» (١/٢٠٠)، ووكيع بن حذس، ويقال «عُدس» قال الذهبي: لا يعرف. وقال الحافظ: «مقبول»، يعني عند المتابعة، وقد توبع، فهو بها حسن.

وخلاصة القول: أن الحديث حسن كما قال المحدث الألباني، والله أعلم.

قال: «أليس كلُّكم ينظر إلى القمر ليلةَ البدر؟» قلنا: نعم. قال: «الله أكبر وأعظم».

وللإمام أحمد^(١) عن جابر رضي الله عنه وقد سُئل عن الورد فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا - أي فوق الناس - فتُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبُد الأول فالأول، ثم يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقول: ومنَ تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا عز وجل، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتى ننظرَ إليك، فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى بضحك».

قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويُعطي كل إنسانٍ منهم منافقٍ أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كالليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق، ثم ينجو المؤمنون فينجو أولُ زمرة وجوَّههم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تجلُّ الشفاعةُ حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبُتُون نبات الشيء في السيل ويذهب جِراقه، ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» ورواه مسلم في صحيحه^(٢).

وفي رواية: «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق»، ذكرها عبدُ الحق في الجمع بين الصحيحين^(٣).

ولعبد الرزاق^(٤) عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يتجلَّى لهم الربُّ تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سُجداً فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة».

(١) في «المسند» (٣/٣٤٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر به، وتابع ابن لهيعة روح بن عبادة عند أحمد (٣/٣٨٣).

(٢) في صحيحه (١/١٧٧ - ١٧٨ رقم ١٩١).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٦).

(٤) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٦)، ولم أجده في «المصنف» المطبوع.

وللدارقطني^(١) عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً».

ولأبي قُرّة عنه عليه السلام أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم، فذكر الحديث وفيه: «فيقول: أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدل له. قال: فيتجلى تبارك وتعالى فيخرون له سجداً»^(٢).

وفي سنن ابن ماجه^(٣) عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال تعالى: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قوله عز وجل: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركته ونوره».

وللبیهقي^(٤) عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف، فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضا عنا. قال تعالى: رضائي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي، هذا أوائها فسلوني. قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرّد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا

(١) في «الصفات» رقم (٣٣)، وفي سننه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ، ويغني عنه ما ورد في الصحيحين.

(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٩٧) من حديث جابر بسند رجاله ثقات.

(٣) في السنن رقم (١٨٤).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٨٣٦)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢٤١ رقم ٢١٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١)، والجلي (٦/٢٠٨)، والبيهقي في «البعث» (ص ٢٦٢ رقم ٤٤٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٧٤) في ترجمة أبي عاصم العباداني وقال عنه: «لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به»، وعده ابن عدي في مناكير الفضل الرقاشي (٦/٢٠٣٩)، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في الموضوعات (٣/٢٦١).

وخلاصة القول: إن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٤) في «البعث والنشور» (ص ٢٦٢ - ٢٦٣ رقم ٤٤٨) وهو حديث ضعيف جداً، وانظر

تخريج الحديث السابق.

عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فتشير عليهم ريحاً يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم.

«فيقول: مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول: أرجعوههم إلى القصور بالتخف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً». فقال رسول الله ﷺ: فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا مَنَ عَوْرَ رَجِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، رواه في كتاب البعث والنشور^(١)، وفي كتاب الرؤية^(٢).

وللدارقطني^(٣) عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة».

ولابن وهب والدارقطني^(٤) عن أبي أمامة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ

(١) رقم (٤٤٨)، وهو حديث ضعيف جداً، وقد تقدم.

(٢) للدارقطني رقم (٦١) عن جابر، وهو حديث ضعيف جداً.

(٣) في «الرؤية» رقم (٥٨).

قلت: وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٩/١٢) من نفس طريق الدارقطني.

وقال: رواه أبو حامد الحضرمي أيضاً عن علي بن عبدة وذكر الحديث، وقال: هذا باطل والحمل فيه على أبي حامد بن حسنويه، فإنه لم يكن ثقة. وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١١٥/٢) من طريق الدارقطني أيضاً.

وقال ابن حبان: علي بن عبدة بن شريك أبو الحسن التميمي: كان ببغداد يسرق الحديث، ويعمد إلى كل حديث رواه ثقة، يرويه عن شيخ ذلك الشيخ ويروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات، لا يحل الاحتجاج به.

وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٤) في «الرؤية» رقم (٧٩).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٩١) مطولاً، وابن ماجه رقم (٤٠٧٧) مطولاً أيضاً، والآجري في «الشرعية» رقم (٥٣٣/٩٣٧) من طرق، بسند ضعيف.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١٧٣/١): «ولي رسالة في تخريج هذا الحديث، وتحقيق الكلام على فقراته التي وجدت لأكثرها شواهد تقويها» اهـ.

يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحدثنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته، وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة».

«فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالاً: يا عباد الله اثبتوا».

«لأنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي. ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه «كافر» يقرأه كل مؤمن، فمن لقينه منكم فليقتل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف، وإنه يسلم على نفسه من بني آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يسلم على نفس غيرها. وإن من فتته أن معه جنة ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه، وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يوماً: يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام، وآخر أيامه كالسراب، يصيح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر». قالوا: فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال».

وللإمام أحمد^(١) وأبي داود^(٢) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم، قال: «قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وإليك، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير».

(١) في المسند (١٩١/٥) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب بن صهيب عن زيد بن ثابت.

(٢) لم يخرج له أبو داود.

قلت: وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٨٤٦) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن حبيب بن عبيد بن صهيب عن زيد بن ثابت. وسنده ضعيف عند أحمد واللالكائي، لضعف أبي بكر بن أبي مريم. انظر: «تهذيب التهذيب» ٤/٤٩٠ ط: الرسالة.

«اللَّهُمَّ وما صَلَّيْتُ من صلاة فعلى من صَلَّيْتُ، وما لعنْتُ من لعنة فعلى من لعنْتُ، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفي مسلماً وألحقني بالصالحين».

«أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بعد القضاء وبردَ العيش بعد الموت، ولَذَّةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك من غير ضراءٍ مَضِرَّةٍ ولا فتنَةٍ مُضِلَّةٍ. أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ أو أَظْلَمَ أو أَعْتَدِي أو يُعْتَدَى عَلَيَّ أو أَكْسِبَ خَطِيئَةً مُحِبَطَةً أو ذَنْباً لا تَغْفِرُهُ».

«اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَشْهَدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَأَنَّ لِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكَلَّمْتَ إِلَى نَفْسِي تَكَلَّمْتَ إِلَى ضَمِيرِي وَعَوْرَةِ وَذَنْبِي وَخَطِيئَتِي، وَإِنِّي لَا أَتِي إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاعْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

وللإمام أحمد^(١) وابن حبان^(٢) والحاكم^(٣) في صحيحيهما عن أبي منجّل قال: صَلَّى بِنَا عَمَارَ عليه السلام صلاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلَمْ أُنِّمِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام يَدْعُو بِهِ: «اللَّهُمَّ بَعْلَمَكَ الْغَيْبَ وَقَدَرْتَكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَخْبِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْراً لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ

(١) في «المسند» (٤/٢٦٤).

(٢) في صحيحه (٥/٣٠٤ - ٣٠٥ رقم ١٩٧١).

(٣) في «المستدرک» (١/٥٢٤ - ٥٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

قلت: وأخرجه النسائي (٣/٥٤ - ٥٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦٠)، واللالكائي رقم (٨٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٥ - ٢٦٦) من طرق...

الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد^(١).

وفي صحيح الحاكم^(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «يا جابر، ألا أبشرك؟ قال: بلى بشرك الله بخير. قال: شعرت أن الله أحيا أباك. قال: فأقعدته بين يديه، فقال: تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطيكه. قال: يا ربّ ما عبدتك حقّ عبادتك، أتمنى عليك أن ترُدّني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى. قال تعالى: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع»، وهو في المسند^(٣) من حديث جابر.

وللترمذي^(٤) عنه ﷺ قال: لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عزّ وجلّ لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم الله عزّ وجلّ أحداً إلّا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي تمنّ عليّ أعطك؟ قال: يا ربّ تُحييني فأقتل فيك ثانية، قال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا ربّ فأبلغ من ورائي. فأنزل الله تعالى هذه الآية:

(١) في «التوحيد» (ص ١٢).

حديث عمّار صحيح، والله أعلم.

(٢) في «المستدرک» (٢٠٣/٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واعترض عليه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «فيض ابن وثيق» كذاب.

وقال الذهبي في «الميزان» (٤٤٤/٥) رقم ٦٦٧٠/٦٧٩٣: «روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو مقارب الحال إن شاء الله» اهـ.

وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٤٥٦/٤): «وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه، وأخرج له الحاكم في المستدرک محتجاً به، وذكره ابن حبان في الثقات...» اهـ.

وأخرج أحمد (٣٦١/٣) حديث جابر برجال ثقات ما عدا عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو لّين الحديث.

وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) ٣٦١/٣، وقد تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.

(٤) في السنن (٢٣٠/٥ - ٢٣١ رقم ٣٠١٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٠٢)، وابن ماجه رقم (١٩٠ و ٢٨٠٠)، والحاكم في «المستدرک» (٢٠٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن الألباني الحديث.

وخلاصة القول: أن الحديث حسن، والله أعلم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قلت^(١): وإسناده صحيح.

وللترمذي^(٢) والطبراني^(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلةً لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسُرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلةً من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين».

وفي رواية ابن عرفة^(٤): ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ لَا تَنْطَرُهُ﴾ [القيامة].

وفي رواية سعيد بن هشيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم

(١) القائل ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠١).

(٢) في السنن (٦٨٨/٤) رقم (٢٥٥٣) و(٤٣١/٥) رقم (٣٣٣٠) وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) عزاه إليه الهيثمي في «المجمع» (٤٠١/١٠).

قلت: وأخرجه أبو يعلى (٧٦/١٠) رقم (٥٧١٢)، والطبري في جامع البيان (١٩٣/٢٩)، والحاكم (٥٠٩/٢)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل هو - أي ثوير - واهي الحديث»، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢٤٣/٢) رقم ٢١٨، والآجري في «الشرعية» (٣٨/٣) رقم (٣١٤/٦٦٣)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٨٨ و ١٩٠ و ١٩١)، واللالكائي رقم (٨٤٠ و ٨٤١)، وأحمد (١٣/٢)، والخطيب في «الموضح» (٩/٢) من طرق.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٠١/١٠) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه» اهـ.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٢٩٠/٦) وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر والآجري في «الشرعية»، والدارقطني في «الرؤية»، والحاكم وابن مردويه، واللالكائي في «السنة والبيهقي» اهـ.

وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف في «الضعيفة» رقم (١٩٨٥)، وهو كما قال حفظه الله.

(٤) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٢) من طريق شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً.

قلت: ثوير متفق على ضعفه، والزيادة هذه عند الترمذي أيضاً.

القيامة أول يومٍ نظرث فيه عينٌ إلى الله تبارك وتعالى»، رواه الدارقطني^(١).

وله^(٢) عنه عليه السلام قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأسفلِ أهلِ الجنة؟»، قالوا: بلى يا رسولَ الله، فذكر الحديثَ إلى أن قال: «حتى إذا بلغ النعيمُ منهم كلُّ مبلغٍ وظنوا أن لا نعيمَ أفضلُ منه أشرفَ الربُّ تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجهِ الرحمنِ عزَّ وجلَّ فيقول: يا أهلَ الجنة، هلَّلوني وكبَّروني وسبَّحوني بما كنتم تهلَّلوني وتكبَّروني وتسبَّحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بهلِيلِ الرحمنِ، فيقول تبارك وتعالى لداودَ: يا داودُ قم فمجدِّدني فيقوم فيمجدِّد ربُّه عزَّ وجلَّ».

وروى عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ - في ردهِ على المُريسي^(٣) - عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: «إن أهلَ الجنة إذا بلغ النعيمُ منهم كلُّ مبلغٍ وظنوا أن لا نعيمَ أفضلُ منه تجلَّى لهم الربُّ تبارك وتعالى فنظروا إلى وجهِ الرحمنِ عزَّ وجلَّ فنسوا كلَّ نعيمٍ عاينوه حينَ نظروا إلى وجهِ الرحمنِ عزَّ وجلَّ».

وقال الترمذي^(٤) رحمه الله: حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ أخبرنا هشامُ بنُ عمارٍ

(١) في «الرؤية» رقم (١٩٢).

قلت: وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٥٢/١٠) وسنده ضعيف جداً.
كوثر بن حكيم: منكر الحديث كما قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٤٥/٧)،
وهيثم بن حكيم: متروك الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف.

(٢) في «الرؤية» للدارقطني رقم (١٩٣) بإسناد ضعيف منقطع، فهو من رواية حماد بن جعفر
عن ابنِ عمرَ وبينهما مفاوز، وحماد بن جعفر منكر الحديث.
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٣) (ص ١٦١)، بإسناد ضعيف منقطع، انظر التعليقة السابقة.

(٤) في السنن (٦٨٥/٤) رقم (٢٥٤٩)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من
هذا الوجه.

وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئاً من هذا الحديث.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١٤٥٠/٢ - ١٤٥١ رقم ٤٣٣٦)، وتمام في فوائده رقم (١٥٨٦)
وقد ضعف الألباني الحديث في ضعيف الترمذي وابن ماجه، وضعيف الجامع الصغير رقم
(١٨٣١)، وفي مشكاة المصابيح رقم (٥٦٤٧).

أخبرنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: أتسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أديانهم - وما فيهم من دنيء - على كُثبان المسك والكافور. وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا. فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط.

ويقول ربنا عز وجل: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشتري.

وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال: فيقبل الرجل ذو المنزل المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيء، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها.

ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إن جالسنا اليوم ربنا الجبار،

وَيَحَقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا». هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
قلت: ابنُ أبي العشرين كاتبُ الأوزاعي . قال أحمدُ^(١) وأبو حاتم^(٢): ثقةٌ .
وقال النسائي^(٣): ليس بذاك القوي، وقال البخاري^(٤): ربما يخالف في حديثه،
وفي التقريب^(٥): صدوقٌ ربما أخطأ، وأما بقية رجاله فلا يُسأل عنهم . ورواه ابنُ
ماجه^(٦) وابن أبي الدنيا^(٧) وابنُ أبي عاصم^(٨) .

ولابنِ بطة^(٩) عن عمار بنِ رُوَيْبَةَ رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلةَ
البدر، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ
اسْتَطَعْتُمْ عَلَى أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا
فافْعَلُوا» .

وفي رواية له^(١٠) عنه قال: نظر رسولُ الله ﷺ إلى القمر ليلةَ البدر، فقال:
«إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِهَا
فافْعَلُوا» .

(١) العلل رواية عبد الله (٢٦١٠)، وعنه في الجرح (١١/١/٣) .

(٢) في «الجرح والتعديل» (١١/١/٣) .

(٣) في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤١٩) .

(٤) في «التاريخ الكبير» (٤٥/٦) .

(٥) ٤٦٧/١ .

(٦) رقم (٤٣٣٦) كما تقدم .

(٧) عزاه إليه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٥١/٤) عن هقل بن زياد كاتب الأوزاعي
أيضاً - وهو ثقة احتج به مسلم وغيره .

(٨) في «السنة» رقم (٥٨٥) إسناده ضعيف لضعف هشام بن عمار وعبد الحميد .

والحديث ضعيف كما تقدم، وانظر: «الضعيفة» للألباني رقم (١٧٢٢) .

(٩) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٣)، وفي إسناده أبو بكر بن عمارة بن
روية، قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٧٩٨٣): مقبول .

وأخرجه البخاري رقم ٥٥٤، ومسلم رقم (٦٣٣) من حديث جابر بن عبد الله .

(١٠) عزاه إلى ابن بطة ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٤)، وفي إسناده المسعودي
صدوق وقد اختلط . وأبو بكر بن عمارة بن روية تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة .

والحديث في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله كما تقدم في التعليقة السابقة .

ولأبي معاوية عن سلمان الفارسي^(١) قال: «يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله، إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقولون: نعم أنا صاحبكم، فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع، فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد ﷺ. قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيستأذن في السجود فيؤذن له»، الحديث.

ولابن بطة^(٢) والبخاري^(٣) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فإذا في كفّه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها، وإذا في وسطها نُكْتة سوداء. قال: قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها. قال: قلت: وما هذه اللعنة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة. قال: قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم، وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة.

أما شرفه وفضله في الدنيا، فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يُرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه.

وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة، فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز - أو يخرج - فيه أهل الجنة إلى جُمُعَتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد لا يعلم سَعَتَه وعَرَضَه وطولُه إلا الله تعالى في كُتُبٍ من المسك.

(١) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٤).

وحديث الشفاعة معروف أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها رقم (١٤٧٥) من حديث ابن عمر.

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٤).

وسنده ضعيف، فإن القاسم بن مطيب قال عنه ابن حبان: يستحق الترك، انظر: «الميزان» (٣/٣٨٠).

(٣) في «المسند» (٤/١٩٣ - ١٩٤ رقم ٣٥١٨ - كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٢٢) وقال: رواه البخاري وفيه القاسم بن مطيب، وهو متروك.

قال: فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من باقوت. قال: فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى ريحاً تدعى المثيرة، تُثير عليهم آثار المسك الأبيض تُدخله من تحت ثيابهم وتُخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحديكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى.

قال: ثم يوحى الله سبحانه وتعالى إلى حَمَلَة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يزوني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يوم المزيد. قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا.

قال: فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لما أسكتكم جنتي، فهذا يوم المزيد فسلوني، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك، رب وجهك، أرنا ننظر إليه. قال: فيكشف الله تبارك وتعالى الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشاهم من نوره. قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشاهم من نوره.

فإذا صاروا إلى منازلهم يزداد النور وأمكن، ويزاد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها. قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال: فيقولون: ذلك بأن الله تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكن. قال: فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه. قال: وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَكَلَّمْ نَفْسٌ مَّا أَخْفَىٰ لَهُمْ مِّن قُرْءَانٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

ولابن مهدي عنه ^(١) في قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذِكْرُكَ أَزِيدُهُ﴾

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٧٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٨٣)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢٤ و ٢٢٦)، والآجري في «الشرعية» (ص ٢٥٧)، والطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٤ - ١٠٥).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٦): «حديث موقوف صحيح... ولكن يشهد له =

[يونس: ٢٦]، قال: النظرُ إلى وجه الله عز وجل. قال الحاكم^(١) رحمه الله تعالى: وتفسيرُ الصحابيِّ عندنا في حكم المرفوع.

ولابن خزيمة^(٢) عن أبي نضرة قال: خطبنا ابنُ عباس رضي الله عنه فقال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من نبيٍّ إلَّا وله دعوةٌ تعجلُها في الدنيا، وإنِّي اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يومَ القيامة، فأتني بابُ الجنة فأخذُ بحلقة الباب فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمدٌ. فأتني ربي وهو على كرسيه - أو على سريره - فيتجلى لي ربي فأخبرَ له ساجداً».

ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس^(٣) رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهلَ الجنة يَرَوْنَ ربَّهُم تبارك وتعالى في كلِّ جمعةٍ في رمالِ الكافور، وأقربُهم منه مجلساً أسرعُهم إليه يومَ الجمعة وأبكرُهم عُدوًّا».

= الحديث المرفوع قبله - وهو حديث صحيح الذي أخرجه مسلم رقم (١٨١) وغيره، وهو حديث صحيح -.

(١) في «معركة علوم الحديث» (ص ٢٠):

«هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسند» اهـ.

(٢) لم أعثر عليه عند ابن خزيمة، وقد عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢٨١/١ - ٢٨٢) مطوَّلاً بالفاظ متقاربة. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. وقد اضطرب فيه فمرة رواه عن ابن عباس، ومرة عن أبي موسى. والحديث قد ورد في الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة. وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره.

(٣) * أخرجه الآجري في «الشرعية» (٣١/٣) رقم ٣٠٤/٦٥٣ من حديث ابن عباس بسند ضعيف، الحسن البصري: مدلس وقد عنعن.

* وأخرجه ابن ماجه رقم (١٠٩٤) مرفوعاً من حديث ابن مسعود: «إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات...» بسند ضعيف. والأعمش: مدلس وقد عنعن.

* وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧٣/٩) رقم ٩١٦٩ بنحو حديث ابن عباس موقوفاً من قول ابن مسعود.

وفيه أبو عبيدة بن عبد الله: لم يسمع من أبيه، قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ١٧٨، أي فالسند منقطع. وما ورد موقوفاً في حكم المرفوع عن ابن مسعود، ولكن لهذا الحديث ما يشهد له.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

وللصغاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص^(١) رضي الله عنه قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً، فإن منهم لَملائكة قياماً صائمين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلّى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: «سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك».

وللدارمي^(٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن فضالة - يعني ابن عبيد رضي الله عنه - كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبزّد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنّة مضلّة.

وللإمام أحمد^(٣) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيته أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج، جعد أعور، مطموس العين ليست بناتنة ولا خجراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا».

وقال الصغاني: حدثنا روح بن عبادة حدثنا عبّاد بن منصور قال: سمعتُ عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعالى يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعتُ فلاناً - نسي عبّاد اسمه - ما بيني

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/٢/١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٩/١٨) رقم (٨٢٥)، وفي الأوسط رقم (٦٠٩١)، وفي الدعاء رقم (١٤٢٣).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٧/١٠) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما ثقات.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٢٧)، والدارقطني في «الرواية» رقم (٢٢٩)، بسند صحيح.

(٣) في «المسند» (٣٢٤/٥) فيه بقية مدلس، ولكنه صرح بالتحديث عند أحمد، وشيخه شامي. قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٢٨)، وأبو داود في «السنن» مختصراً (٤٣٢٠)، والآجري في «الشرعة» (١٩٨/٣) رقم (٥٣٢/٩٣٦) وللحديث شواهد.

وخلاصة القول: أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وبين رسول الله ﷺ غيره، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ملائكة ترعد فرائضهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكاً يستح الله تعالى. قال: وملائكة سجود منذ خلق السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، و صفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلّى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك»^(١).

فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة أن الله عز وجل يرى في الآخرة كما يشاء، وأن الشهداء بعد موتهم يرؤونه، وأن الملائكة يرونها، وأن النبي ﷺ يراه عند استنذانه في الشفاعة، وأن أمة محمد ﷺ برّهم وفاجرهم يرؤونه في عَرَصات القيامة، وهي للفاجر والمنافق ابتلاء وامتحان ونوع من العقوبة، وأما رؤية الفرخ والسرور والتلذذ بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فهي خاصة لأوليائه المؤمنين يؤذن لهم في السجود ويعطون النور التام على الصراط فيتبعونه. ثم يتجلّى لهم في الجنة فيرؤونه كما يشاء، وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها، وقد جاءت أحاديث صحيحة في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل، منها حديث أبي موسى وحديث أنس وحديث حذيفة وحديث ضهيب، وقد تقدّم ذكرها قريباً.

وللدارقطني^(٢) عن أبي بن كعب ؓ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى وجه الله عز وجل.

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٠٦/١٢ - ٣٠٧) من طريق الصباغاني عنه به. وأشار إلى خطبة عدي بن أرطاة ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨٥/٣)، وكذلك الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥٣/٥).

(٢) في «الرؤية» رقم (٢٠٠).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٨٤٩) بسند الدارقطني، وفيه مجاهيل.

وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨٠) من طريق آخر عن أبي العالية... به، بسند ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية.

ولابن جرير^(١) عنه عليه السلام قال: سألت رسول الله ﷺ عن «الزيادة» في كتاب الله عز وجل، قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُحْسَنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ﷺ: «الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى الله عز وجل».

ولابن جرير^(٢) عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُحْسَنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: «الزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل جلالة».

ورواه ابن حميد^(٣) عنه بلفظ: «الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى».

وللحسن بن عرفة^(٤) عن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُحْسَنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: «للذين أحسنوا العمل في الدنيا، والحسنى وهي الجنة، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله عز وجل».

وقد روي تفسير «الزيادة» بالنظر إلى وجه الله عز وجل عن أبي بكر رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وأبي موسى، وعن عبادة بن الصامت، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم^(٥)، وعن التابعين عن سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن السابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، ومقاتل وغيرهم^(٦)، رحمهم الله من السلف والخلف، ولولا خشية الإطالة لنقلنا أقوالهم بأسانيدهم، وفيما ذكرنا من المرفوع كفاية، وبالله التوفيق.

(١) في «جامع البيان» (٦٩/١٥) رقم ١٧٦٣٣ - شاكراً بسند ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية.

(٢) في «جامع البيان» (٦٨/١٥) رقم ١٧٦٣١ - شاكراً بسند ضعيف لضعف إبراهيم بن المختار؛ ولأنه من مرسل عطاء عن كعب بن عجرة قاله الشيخ أحمد شاكراً.

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨١).

(٣) لم أجده عند ابن حميد، وانظر الذي قبله.

(٤) في جزئه رقم (٢٣).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٧٩) بسند ضعيف، سلم بن سالم البلخي ضعيف،

ونوح بن أبي مريم: منكر الحديث، قاله البخاري.

قلت: إن الأحاديث المتقدمة يقوي بعضها بعضاً، فتكون صحيحة لغيرها إن شاء الله.

(٥) سيأتي تخريج هذه الآثار قريباً، عند ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب.

(٦) سيأتي تخريج هذه الآثار قريباً، عند ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى في ذلك.

ذِكْرُ الْمَنْقُولِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ

قال أبو بكر^(١) ﷺ وقرأ: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعٍ وَلِزِيَادَةٍ» [يونس: ٢٦]، فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.
وقال علي^(٢) ﷺ: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته.
وقال حذيفة^(٣) ﷺ: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم رقم (٤٧٣)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٧٠) و(٤٧١)، واللالكائي رقم (٧٨٣، ٧٨٤)، والطبري في «جامع البيان» (١١/١٠٤)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٤٥٠) رقم (٢٦٤)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢١ و ٢٢٢)، والآجري في «الشرعية» (٣/٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، [٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩]) - والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦٠ - ٦١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٦) وفي «الاعتقاد» (ص ٦٢).
وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٣٠٦) نسبته لابن أبي شيبه، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وعلمته تدليس أبي إسحاق السبيعي وقد عنعنه.

ومسلم بن نذير: لا بأس به، تابعي روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال عنه أبو حاتم: «لا بأس به».

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/١٠٥) بإسناده إلى شعبة، عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد موقوفاً عليه، وهو على شرط مسلم.

وقال أبو الأشبال في «جامع البيان» (١٥/٦٣): رواه الآجري في «الشرعية» مرسلًا، وقال عن الأثر: في إسناده نظر.

وقال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/٢٠٦): حديث موقوف صحيح... ويشهد له الحديث المرفوع قبله - وهو حديث صهيب الذي أخرجه مسلم رقم (١٨١) وغيره وهو حديث صحيح.

وخلاصة القول: أن أثر أبي بكر رجاله ثقات وفي إسناده انقطاع، وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٥٩)، وابن أبي حاتم - كما في «حادي الأرواح» (ص ٤٠٩) - وسنده ضعيف: عمارة بن عبد قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٤٨٥٣): مقبول. وصالح بن أبي خالد ذكره في «الجرح والتعديل» وسكت عنه.
والأثر صحيح لغيره.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٧٣)، والآجري في «الشرعية» (٢/١٤) رقم (٣٤٩/٦٣٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٧٣)، والطبري في «جامع»

وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ^(١) : والله ما منكم من إنسان إلا أن ربَّه سيخلو به يومَ القيامة كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلةَ البدر، قال: فيقول: ما غرَّكَ بي يا ابنَ آدمَ (ثلاث مرات)، ماذا أجبتَ المرسلين (ثلاث مرات)، ماذا عَمِلْتَ فيما عَمِلْتَ؟

وقال^(٢) : الزيادةُ النظرُ إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ.

وقيل لابن عباسٍ^(٣) : كلُّ من دخل الجنةَ يرى ربَّه عزَّ وجلَّ؟ قال:

نعم.

وقال معاذُ بنُ جبلٍ^(٤) : يُحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ في صعيدٍ واحدٍ، فينادى: أينَ المتَّقون؟ فيقومون في كنفٍ واحدٍ من الرحمنِ تعالى، لا يحتجبُ اللهُ منهم ولا يَستتر. قال أبو عفيفٍ - وهو الراوي عنه -: مَنْ المتَّقون؟ قال: قومٌ اتَّقوا الشُّركَ وعبادةَ الأوثانِ وأخلصوا لله في العبادة، فيمرون إلى الجنةِ.

وكان أبو هريرة^(٥) يقول: لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَذُقُوا الْمَوْتَ.

= البيان (١٠٥/١١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦١)، واللالكائي رقم (٧٨٣)، وابن خزيمة (٤٥٢/٢) رقم ٢٦٥/٩، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٦) بسند ضعيف، فيه عن عنة أبي إسحاق. وانظر الكلام على أثر أبي بكر الصديق المتقدم آنفاً وهو أثر صحيح لغيره.

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٠).

وأبو عوانة - كما في «حادي الأرواح» (ص ٤١٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٧).

وأخرجه أبو بكر بن أبي داود - كما في «حادي الأرواح» (ص ٤١٠) بسند ضعيف وهو أثر صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الآجري في «الشرعة» (١٣/٢) رقم ٣٤٦/٦٢٩ بسند ضعيف.

إبراهيم بن الحكم بن أبان العَدَنِيُّ: ضعفه الحافظ في «التقريب» (١٦٦)، وأثر ابن عباس حسن لغيره.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٤).

وابن أبي حاتم - كما في «حادي الأرواح» (ص ٤١٠)، بسند ضعيف.

ميمون (أبو حمزة): ضعيف، قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٠٥٧).

وأبو عفيف: لا يعرف.

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٥) بسند ضعيف.

وهو حديث صحيح لغيره.

وقال ابنُ عمر^(١) رضي الله عنهما: إن أدنى أهل الجنة منزلةً من ينظرُ إلى ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلةً لمن ينظرُ إلى وجه الله جلّ جلاله في كل يوم مرتين. وكان فضالة بن عبيد^(٢) رضي الله عنه يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرّد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك. وقد تقدم هذا الدعاء عنه، وتقدم مرفوعاً من حديث زيد بن ثابت وعبد الله بن الصامت رضي الله عنهما.

وقال أبو موسى^(٣) رضي الله عنه: **«لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةٍ»** [يونس: ٢٦]، قال: الجنة، و«الزيادة» هي النظرُ إلى وجه الله عز وجل. وكان رضي الله عنه^(٤) يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال. قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة؟

وقال أنس بن مالك^(٥) رضي الله عنه في قوله عز وجل: **«وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»** [ق: ٣٥]،

-
- (١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٦) بسند ضعيف.
 ثوير بن أبي فاختة: ضعيف.
 وقد أخرجه اللالكائي مرفوعاً وموقوفاً رقم (٨٤٠، ٨٤١).
 كما تقدم تخريج الحديث المرفوع في كتابنا هذا.
- (٢) تقدم تخريجه قريباً.
- (٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦١)، والطبري في «جامع البيان» (١١/١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٤٥٦ رقم ١٠/٢٦٧)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٥٦).
 ومدار الأثر عند الجميع على أبي بكر الهذلي، وهو ضعيف. ولكن الأثر ثبت من طرق صحيحة فهو بها حسن، والله أعلم.
- (٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٢)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنن» رقم (٤٦٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦١)، وابن خزيمة (٢/٤٤٢ رقم ٥/٢٥٧) كلهم موقوفاً على أبي موسى.
- وأخرجه الآجري في «الشرعة» (٢/٢٦ رقم ٦٥١/٣٠٢)، وابن خزيمة (٢/٤٤١ رقم ٤/٢٥٦) مرفوعاً.
- ورجح ابن خزيمة الوقف بقوله: «ذكر النبي ﷺ في هذا الخبر بهذا الإسناد علمي وهم، هذا من قبل أبي موسى الأشعري، في هذا الإسناد لا من قول النبي ﷺ».
- قلت: على كل الأحوال إن هذا الموقوف له حكم الرفع.
 وهو صحيح لغيره، والله أعلم.
- (٥) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦٢) بسند ضعيف جداً، وانظر الكلام على الأثر الآتي.

يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة^(١).

وعن جابر^(٢) رضي الله عنه قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تثروث، لها أجنحة، فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار جل وعلا، فإذا تجلّى لهم خزوا له سجداً فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم، فقد رضى عنكم رضاء لا سخط بعده.

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى في ذلك

قال سعيد بن المسيب^(٢) والحسن^(٣) وعبد الرحمن بن أبي ليلى^(٤) وعبد الرحمن بن سابط^(٥) وعكرمة^(٦) ومجاهد^(٧) وقتادة^(٨) والسدي^(٩) وكعب^(١٠) رحمهم الله تعالى: (الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل).

وكتب عمر بن عبد العزيز^(١١) رحمه الله إلى بعض عماله: (أما بعد، فإنني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته

(١) أخرجه الآجري في «الشریعة» (٢/٣٥، ٣٦ رقم ٦٥٨، ٦٥٩ [٣٠٩، ٣١٠]) بإسناد ضعيف جداً.

الحكم بن أبي خالد هو ابن ظهير: «متروك الحديث» كما قال النسائي وابن حجر وغيرهما، وقال البخاري عنه: منكر الحديث. [الميزان (١/٥٧١)، والكمال (٢/٦٢٦)]، والحسن مدلس وقد عنعن.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٩).

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٠) وفي سنده: أبو بشر الحلبي. قال ابن حجر في «التقريب» (٢/٣٩٥): مجهول.

(٤) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٣٥ و ٢٣٦).

(٥) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٥)، واللائكائي رقم (٧٩٥).

(٦) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٦).

(٧) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٧).

(٨) أخرجه اللالكائي (٧٩٨)، وأخرجه ابن خزيمة بسند آخر، ولفظ مقارب في «التوحيد» (ص ١٢١)، وكذلك الطبري في «جامع البيان» (١١/١٠٦).

(٩) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٠)، بسند ضعيف.

(١٠) لم أعثر على مخرجه.

(١١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦٢).

نجا أولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نُصِّرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كُرب يوم القيامة.

وقال الحسن^(١) رحمه الله تعالى: (لو علم العابدون في الدين أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا).

وقال الأعمش وسعيد بن جبيرة^(٢) رحمهما الله: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية.

وقال كعب^(٣) رحمه الله تعالى: ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال طيبي لأهلك، فزادت ضعفاً على ما كانت، حتى يأتيها أهلها. وما من يوم كان لهم عيداً في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتُسفي عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازدذن مثل ذلك.

وقال هشام بن حسان^(٤): إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

وقال طاووس^(٥): (أصحاب الجراء والمقاييس لا يزال بهم الجراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة).

وقال شريك عن أبي إسحاق الشيبعي^(٦): الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى.

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٩).

(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٣).

(٣) أخرجه الآجري في «الشرعية» رقم (٣٣١/٦١٤) بسند ضعيف، ولعله من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه الآجري في «الشرعية» رقم (٣٣٠/٦١٣).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٨).

(٦) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٤)، والطبري في «جامع البيان» (١٠٥/١١)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٧).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ^(١) أنه تلا هذه الآية: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَاسٍ وَزِيَادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا، فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تُعطوه، فيتجلى لهم تبارك وتعالى فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَهُى وَجُوهُهُمْ قَهْرٌ وَلَا ذُلٌّ﴾ [يونس: ٢٦]، بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى).

وقال علي بن المديني: سألت عبد الله بن المبارك ^(٢) عن قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال عبد الله: (من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُخبر به أحداً).

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك ^(٣) يقول: (ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه)، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ ٥ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ٦ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِينَ كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ ٧ [المطففين]، قال: (بالرؤية).

وقال عباد بن العوام ^(٤): قديم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة يُنكرون هذه الأحاديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»، و«إن أهل الجنة يرون ربهم»، فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: (أما نحن، فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟).

وقال عتبة بن قبيصة ^(٥): أتينا أبا نعيم ^(٦) يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مُغَضَّبٌ فقال: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدٍ وَمَنْذَرُ الثَّوْرِيِّ وَزُهَيْرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ، وَحَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ بْنِ حَيٍّ، وَحَدَّثَنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ، هَؤُلَاءِ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَحْدِّثُونَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٣٢).

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩٥).

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩٤).

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٩)، والآجري في «الشرعة» رقم (٣٦٩/٧٣٩) بسند صحيح.

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٧).

(٦) وهو الفضل بن دكين.

يُرى في الآخرة، حتى جاء ابنُ يهوديٍّ صباغٍ يزعمُ أن الله تعالى لا يُرى (يعني بشر المريسي^(١) قبحه الله).

ذكرُ أقوالِ الأئمةِ الأربعةِ وطبقاتهم ومشايخهم رحمهم الله تعالى

قال مالكُ بنُ أنسٍ^(٢) الإمامُ رحمه الله تعالى: (الناسُ ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم).

وسئل رحمه الله^(٣) عن قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ [الأنعام: ٦٠] قال: نعم. قال أشهب: فقلت إن أقواماً يقولون تنظر ما عنده. قال: بل تنظر إليه نظراً، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ [البقرة: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

(١) هو بشر بن غياث المريسي، مبتدع ضال، لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة. تفقه على أبي يوسف، فبرع وأتقن علم الكلام ثم جرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ولم يدرك الجهم بن صفوان، إنما أخذ مقالته واحتج لها ودعا إليها... وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بشر المريسي يهودياً قصاراً صباغاً في سويقة النضر بن مالك.

وقال قتبية بن سعد: بشر المريسي كافر، مات سنة ثمان عشرة ومائتين. وقال الخطيب حكى عنه أقوال شنيعة أساء أهل العلم قولهم فيه وكفره أكثرهم لأجلها، وأسند من الحديث شيئاً يسيراً. وأسند عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» عن هارون الرشيد أنه قال: بلغني أن بشراً يقول: القرآن مخلوق، عليّ إن أظفرنني الله به أن أقتله. ونقل عنه أنه كان ينكر عذاب القبر وسؤال الملكين والصراط والميزان. [لسان الميزان (٢٩/٢ - ٣١)].

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٦/٦)، والآنسوري في «الشريعة» (ص ٢٥٤) بسند صحيح. وذكره الذهبي في «السير» (٩٩/٨). (٣) أي الإمام مالك رحمه الله.

ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٤٢/٢)، والذهبي في «السير» (١٠٢/٨)، وابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (ص ٥١).

وذكر الطبري وغيره^(١) أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: (السيف السيف).

وقال أبو صالح كاتب الليث: أملى عليّ عبد العزيز بن أبي سلمة المجشون^(٢)، وسأله عما جحدت الجهمية؟ فقال: (لم يزل يُملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَوْمِذُ نَضْرَةٌ﴾ [٣٣] إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٣٤﴾ [القيامة]، فقالوا: لا يراه أحدٌ يوم القيامة، فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرتيه إياهم: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً يُنضّر بها وجوههم دون المجرمين وتُفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَذٍ لَمَّحُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، لا يرونه، كما يزعمون أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم).

وقال الأوزاعي^(٣) رحمه الله تعالى: (إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه حين يقول: ﴿يَوْمَ يَوْمِذُ نَضْرَةٌ﴾ [٣٣] إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٣٤﴾ [القيامة]، فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله تعالى أوليائه).

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية، فقالوا: تُمرّ بلا كيف. وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل إن القرآن كلام الله، وأن الله يرى في الجنة فهو جهمي، ذكره الطبري^(٤).

وذكر عنه ابن أبي حاتم^(٥) أنه قال: لا يُصلّى خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة.

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٢).

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٣). أبو صالح كاتب الليث: ضعيف.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «حادي الأرواح» (ص ٤١٥).

(٥) كما في «حادي الأرواح» (ص ٤١٦).

وذكر ابنُ أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد^(١) أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظرُ إلى وجه الله عز وجل، فأنكره رجلٌ، فصاح به وأخرجه من مجلسه.

وذكر أيضاً عن ابن المبارك^(٢) أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن: «خُدا را بآن جهان جون بیند»^(٣)، ومعناه: كيف يُرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين.

وقال وكيعُ بن الجراح^(٤) رحمه الله: (يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون).

وقال قتيبةُ بن سعيد^(٥) رحمه الله تعالى: قولُ الأئمة المأخوذُ به في الإسلام والسنّة: الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية.

وقال أبو عبيد القاسمُ بن سلام^(٦)، وقد ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية: (هي عندنا حقٌّ، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا. إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا، قلنا: لا نفسر منها شيئاً ولكن نُمضيها كما جاءت).

وقال عبد الوهاب الوراق^(٧): سألت أسودَ بنَ سالم^(٨) عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها أنها حقٌّ.

وقال محمد بنُ إدريسَ الشافعي^(٩) رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعةٌ من

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٠).

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨١).

(٣) هذه لغة فارسية.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٢).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٦).

(٦) ذكره ابن بطة وغيره كما في «حادي الأرواح» (ص ٤١٦)، وأخرجه الآجري في «الشرعة» رقم (٣٣٩/٦٢٢) بسند صحيح.

(٧) أخرجه الآجري في «الشرعة» رقم (٣٣٣/٦١٦) بسند صحيح.

(٨) شيخ الإمام أحمد.

(٩) أخرجه ابن كثير في «مناقب الشافعي» (ص ١٩٠ - ١٩١ رقم ٢١٥)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٤٢٠/١)، وأحكام القرآن (٤٠/١)، واللالكائي رقم (٨٨٣).

الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَذَّابَةٌ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَكْحُومُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟ فقال الشافعي رحمه الله تعالى: لما أن حُجب هؤلاء في السُّخْط كان في هذا دليل على أن أولياءه يَرَوْنَه في الرِّضا. قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدينُ الله عز وجل، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل، رواه الحاكم عن الربيع عنه.

وروى الطبراني وغيره^(١) عن المُزَنِي قال: سمعتُ الشافعي رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل: ﴿كَذَّابَةٌ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَكْحُومُونَ﴾ [المطففين: ١٥]: فيها دليل على أن أولياء الله يَرَوْن رَبَّهُمْ تبارك وتعالى يوم القيامة.

وقال محمد بن عبد الله بن الحَكَم^(٢): سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَذَّابَةٌ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَكْحُومُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يُحجبون عن الله عز وجل. رواه أبو زُرعة الرازي.

ولابن بطّة عنه^(٣) رحمه الله تعالى قال: ﴿كَذَّابَةٌ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَكْحُومُونَ﴾ [المطففين: ١٥] دلالة على أن أولياء الله يَرَوْنَه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم.

وقال إسحاق بن منصور^(٤) قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح.

وقال الفضل بن زياد^(٥): سمعتُ أبا عبد الله - وقيل له: تقول بالرؤية - فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي.

وقال: سمعتُ أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى في الآخرة، فغضب غضباً شديداً ثم قال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل: ﴿وَجُودُ

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٠٩).

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨١٠).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٧).

(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٧).

(٥) أخرجه الآجري في «الشرعة» رقم (٣٣٥/٦١٨) بسند صحيح.

يَوْمَئِذٍ نَّأْتِرُهُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال أبو داود^(١): سمعتُ أحمدَ رحمه الله تعالى وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب، وقال: (من قال إن الله لا يرى فهو كافر).

وقال أيضاً^(٢): سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل رحمه الله تعالى، وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطف أن الله لا يرى في الآخرة، فقال: (لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا).

وقال أبو بكر المَزَوَزي^(٣): قيل لأبي عبد الله: تعرفُ عن يزيد بن هارون عن أبي العطف عن أبي الزبير عن جابر: إن استقرَّ الجبلُ فسوف تراني وإن لم يستقرَّ فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟ فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين في وجهه، وكان قاعداً والناسُ حوله فأخذ نعلَه وانتعل وقال: أخزى الله هذا، هذا لا ينبغي أن يُكْتَبَ. ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهميٌّ كافرٌ خالف ما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّأْتِرُهُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، أخزى الله هذا الخبيث.

قال أبو عبد الله^(٤): ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر.

وقال أبو طالب^(٥): قال أبو عبد الله: قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْسَّمَاءِ وَالْمَلَكُوتُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَيْكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ^(٦): سمعتُ أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهميٌّ، والجهميٌّ كافرٌ.

(١) أخرجه الآجري في «الشرعة» رقم (٣٣٨/٦٢١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الآجري في «الشرعة» رقم (٣٥١/٦٧١) بسند صحيح.

(٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٧ - ٤١٨).

(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

(٥) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

(٦) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان^(١): قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا.

وقال حنبل بن إسماعيل^(٢): سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم، يُنكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقاليتهم.

قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول. ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله.

قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونبرها كما جاءت.

وقال الأثرم^(٣): سمعت أبا عبد الله رحمه الله يقول: فأما من يقول: إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي.

قال أبو عبد الله: وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا.

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ^(٤): سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية: من كذب بها فهو زنديق.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما يُنكرون من هذه الأحاديث شيئاً، أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يُبرونها على حالها غير مُكرين لذلك ولا مُرتابين.

وقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١]، وكلم الله موسى من وراء حجاب، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ

(١) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

(٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٨).

أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوَّافَ رَزَقِي ﴿[الأعراف: ١٤٣]، فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ولا يكون حجاب إلا لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالى أن مَنْ شاء الله ومن أراد يراه، والكفار لا يرونه.

قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ [٣٢] إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[٣٣]﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله (١)

(١) الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧/١ - ١٧٨ - رقم ١٩١/٣١٦) عن جابر أنه سئل عن ورود، فقال: «نحيء يوم القيامة على كوم، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبداً، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك... الحديث. * أما الأحاديث الآتية عن جابر فهي موضوعة:

(١) أخرج ابن ماجه رقم (١٨٤)، واللالكائي رقم (٨٣٦)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/٢٧٤ - ٢٧٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢٠٣٩/٦ - ٢٠٤٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢٦٠ - ٢٦١)، والآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٤٨)، وفي «الشرعية» رقم (٣٠٨/٦٥٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢٤١ رقم ٢١٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١)، وفي «الحلية» (٦/٢٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٤٨)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٦١) كلهم من طريق أبي عاصم عبيد الله بن عبد الله العباداني، عن الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال النبي ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذا طلع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله عز وجل: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨]، قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من التعميم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم تبارك وتعالى، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم، بسند ضعيف جداً. فيه أبو عاصم العباداني: قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢/٤٤٣): «لين الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث.

وفيه الفضل الرقاشي، وهو ابن عيسى بن أبان قال عنه الحافظ في «التقريب»: «منكر الحديث. وعد ابن عدي الحديث من مناكير الفضل الرقاشي هذا. وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

(٢) أخرج الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٤٩)، وفي «الشرعية» رقم (٣٠٩/٦٥٨):

وغيره^(١): «تَنظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ» أحاديث صحاح.
وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعًا وَلِزِيَادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦]، النظرُ إلى وجه الله عز وجل.

قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حقُّ أحاديث الرؤية، ونؤمن بأن الله يُرى، نرى ربَّنَا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن، ورد على الله أمره، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل.

قال حنبل: قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاحُ نؤمن بها ويُقرَّ بها، وكلُّ ما روي عن النبي ﷺ أقرَّزنا به.

= من طريق سويد بن سعيد، عن مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر لها أجنحة، لا تروث ولا تبول، فيقعدون عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلَّى لهم الجبار عز وجل، فإذا رآوه خزوا سُجداً فيقول لهم الجبار عز وجل: ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رؤوسهم، فيمطر الله عز وجل عليهم طيباً، فيرجعون إلى أهليهم، فيمرون بكثبان المسك، فيبعث الله عز وجل على تلك الكثبان ريحاً فتهبجها حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم، وأنهم شعَّتْ غُبرٌ من المسك»، بسند ضعيف جداً.

فيه الحكم بن أبي خالد وهو ابن ظهير: متروك الحديث، قاله النسائي وابن حجر وغيرهما.
وقال عنه البخاري: «منكر الحديث»، انظر: الميزان (١/٥٧١)، والكامل (٢/٦٢٦).
وفيه عننة الحسن.

وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

(٣) أخرج الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٥٠)، وفي «الشرعة» رقم (٣١٠/٦٥٩).

من طريق الحسين بن الحسن المروزي، عن مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر...»، الحديث بسند ضعيف جداً.
والكلام على سند هذا الحديث كسابقه، إلا أن «سويد بن سعيد»، قد تابعه هنا «الحسين بن الحسن المروزي» وهو ثقة.

وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

(١) كحديث صهيب رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (١/١٦٣) رقم (١٨١/٢٩٧) وغيره.

قال أبو عبد الله: إذا لم تُقَرَّ بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه ردُّدنا على الله أمره، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) [الحشر: ٧].

وقال عبد الله بن طاهر أمير خراسان لإسحاق بن راهوية: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام - وذكر أشياء - فإن يكونوا في هذه عُدولاً وإلاً فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: شفاك الله كما شفيتني، أو كما قال. ذكره الحاكم^(٢).

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه^(٣): «إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يزون خالقهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين».

وقال نعيم بن حماد للمزني^(٤): (ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله. فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق. قال: وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم. فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس. فقال: إن الناس قد أكثروا فيك، فأردت أن أبرئك).

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب^(٥) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [التوحيد: ٥٤٨/٢]، أجمع أهل اللغة على أن

(١) انظر هذه الأقوال في «حادي الأرواح» (ص ٤١٩).

(٢) قال ذلك ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤١٩).

(٣) في «التوحيد» (٥٤٨/٢).

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩١).

(٥) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولا هم الإمام البغدادي، أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة (٢٠٠هـ)، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست وعشرة، وحفظ كتب الفراء فلم يشذ منها حرف، وعني بالنحو أكثر من غيره، فلما أتقنه أكتب على الشعر والمعاني والغريب. صنف: المصون في النحو، واختلاف النحويين، ومعاني القرآن... وغيرها. وثقل سمعه بأخذه، ثم صم. وتوفي يوم السبت لعشر خلون من جمادى الأولى سنة (٢٩١هـ). [بغية الوعاة: للسيوطي (٣٩٦/١) رقم (٧٨٧)].

اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار^(١). قلت: واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها، وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكلُّ أحاديث اللقاء صحيحة: كحديث أنس^(٢) في قصة بئر معونة: «إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا». وحديث عبادة^(٣) وعائشة^(٤) وأبي هريرة^(٥) وابن مسعود^(٦) رضي الله عنهم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه». وحديث أنس^(٧): «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله ﷺ».

وحديث أبي ذر^(٨) ﷺ: «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة». وحديث أبي موسى^(٩): «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»، وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد. فهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، وهذه

-
- (١) ذكر ذلك ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٤٢٠).
 - (٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥١١/٣) رقم ٦٧٧/١٤٧ من حديث أنس.
 - (٣) أخرجه البخاري (٣٥٧/١١) رقم ٦٥٠٧، ومسلم (٢٠٦٥/٤) رقم ٢٦٨٣ من حديث عبادة بن الصامت.
 - (٤) أخرجه البخاري (٣٥٧/١١) رقم ٦٥٠٩، ومسلم (٢٠٦٥/٤) رقم ٢٠٦٦ - ٢٦٨٤ من حديث عائشة.
 - (٥) أخرجه البخاري (٤٦٦/١٣) رقم ٧٥٠٤، ومسلم (٢٠٦٦/٤) رقم ٢٦٨٥ من حديث أبي هريرة.
 - (٦) لم أجده بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود.
 - (٧) أخرجه البخاري (١١٧/٧) رقم ٣٧٩٣، ومسلم (١٤٧٤/٣) رقم ١٨٤٥/٤٨ من حديث أنس.
 - (٨) أخرجه مسلم (٢٠٦٨/٤) رقم ٢٦٨٧/٢٢.
 - (٩) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٣٦٩/١٠) من حديث أبي موسى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.
- * وأخرج مسلم في صحيحه (٩٤/١) رقم ٩٣/١٥١ عن جابر، قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن لقينى يشرك به دخل النار».

أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى، كلُّها مجتمعة على أن المؤمنين يرَوْن ربَّهم تبارك وتعالى في الجنة، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غاية النعيم وأعلى الكراماتِ وأفضل فضيلة، ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كلِّ ما هم فيه من النعيم.

فنحن نؤمن بذلك كلُّه ونشهد الله تعالى وملائكته وأنبياءه ورسله والمؤمنين على ذلك، ونضرع إلى الله تعالى وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تعالى في جنة عدن، وأن لا يحجبنا عنه، فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون، نعوذ بالله من ذلك.

ومن جحد الرؤية فهو كاذب على الله تعالى مكذب بالصدق إذ جاءه، راداً لكتاب الله وستة رسوله ﷺ مخالف لجماعة المؤمنين، كافر بقاء الله عز وجل متبع غير سبيل المؤمنين، وسيوليه الله ما تولى ويصليه جهنم إن مات مُصِراً على جحوده، أليس في جهنم مثوى للكافرين؟ وقد وعد الله عز وجل أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ ثُمَّ لَأَنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ هَآؤَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين]، وتقدم تفسير ابن المبارك قوله: «تكذبون» بالرؤية.

وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو تناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية.

روى مسلم في صحيحه^(١) من حديث أبي هريرة ؓ: «إن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، فيلقى العبد فيقول: أي قل ألم أكرمك وأسودك وأزواجك وأسخر لك الخيل والإبل، وأذكرك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى، فيقول: أفظنت أنك مُلاقٍ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني

(١) (٤/٢٢٧٩ رقم ٢٩٦٨).

فيقول: أي قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجه وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك
 ترأس وترفع؟ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا،
 فيقول: إني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب
 آمنت بك وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت وبثني بخير ما استطاع.
 فيقول: ها هنا إذا، ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك. فيتفكر في نفسه من الذي
 يشهد علي، فيختم على فيه ويقال لفلذه انطقي فينطق فخذ له ولحمه وعظامه بعمله،
 وذلك لينذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه.

ومن تراجم أئمة السنة على هذا الحديث: باب وعيد منكري الرؤية^(١)،
 والدلالة منه واضحة منطوقاً ومفهوماً والله الحمد. ولا خلاف في ثبوت رؤية
 المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في دار الآخرة، وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه
 أحد قبل الموت، وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت
 رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج، كما سيأتي إن شاء الله بحث ذلك في موضعه،
 وبالله التوفيق.

[الإيمان بالصفات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة وإقرارها كما جاءت]

(وكل ما له من الصفات أثبتها في محكم الآيات)
 (أو صَحَّ فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول)
 (وكل ما ثبت (له) أي لله عز وجل (من الصفات) الثابتة التي (أثبتها) هو
 سبحانه وتعالى لنفسه وأخبرنا باتصافه بها (في محكم الآيات) من كتابه العزيز مما
 ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكر؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:
 ١١٥]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ
 عَلَيْهَا فَإِنَّ ۖ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۖ﴾ [الرحمن: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا
 ءَاتَيْتَهُمْ مِنْ زَيْدٍ لَّيَزِيدُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا ءَاتَيْتَهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ
 اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ﴾ [الروم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ﴾

(١) كالعلامة ابن قيم الجوزية في كتابه «حادي الأرواح» (ص ٤٢١) ..

إِلَّا آيَةً وَجِو رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿١٦﴾ [الليل]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطَعَّمُونَ لِرَبِّهِ اللَّهِ لَا تُزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُوزِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِمُكْرِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَحَلَلْتَهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُمِرَ ﴿١٧﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣ - ١٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَتٌ بِسَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وكقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، [المائدة: ١٣]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُتُنَ مَرْصُومٍ﴾ [الصف: ٤].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وقوله: ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وكقوله تعالى: ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وكقوله: ﴿كَرِهَ اللَّهُ أَلْيَعَانَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله في اليهود: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ١٣]، وفي قاتل النفس المحرمة: ﴿فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوِيَ﴾ [طه: ٨١]، وكقوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ

كُلِّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وكقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧، الأحقاف: ٨].
وقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكقوله: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُعَذِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

وقوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات]، وكقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية. وكقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا سَأَلُنَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ﴾ [الناس: ٢]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلَائِكَةِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْغَنِيُّ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿قُلِجِ الْبَلَدِ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ أَتَى أَكْبَرُ شَهَدَةٍ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [مود: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَكُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿يَتَجَنَّبُ عِبَادِيَ الَّذِينَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٢]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَبَيِّضُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله: ﴿وَنَقْلُبُ أَمْرَهُمْ وَنَبْصُرُهُمْ كَمَا نَزَّلْنَا بِأَمْرِ مَرْقُ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات، صفات ذاته تعالى وأفعاله عز وجل.

(أو صَحَّ فيما قاله الرسول) من الأحاديث النبوية الصحيحة؛ كقوله ﷺ عن

ربه عز وجل: «يقول الله تعالى: (أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم)»، متفق عليه^(١) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ: «سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه»، رواه مسلم^(٢) والأربعة^(٣) من حديث ابن عباس ﷺ.

وقوله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوعٌ عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»، متفق عليه^(٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وعن جابر ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجَائِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ شَيْعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر»، رواه البخاري^(٥) وغيره^(٦).

وقوله ﷺ: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يجعل بي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول لا قوة إلا بك»، رواه محمد بن إسحاق في سيرته^(٧).

(١) البخاري (٣٨٤/١٣) رقم ٧٤٠٥، ومسلم (٢٠٦١/٤) رقم ٢٦٧٥.

(٢) في صحيحه (٢٠٩٠/٤) رقم ٢٧٢٦.

(٣) أبو داود (١٧١/٢) رقم ١٥٠٣، والترمذي (٥٥٦/٥) رقم ٣٥٥٥، والنسائي (٧٧/٢)، وابن ماجه (١٢٥١/٢) رقم ٣٨٠٨، وهو حديث صحيح.

(٤) البخاري (٢٨٧/٦) رقم ٣١٩٤، ومسلم (٢١٠٧/٤) رقم ٢٧٥١.

(٥) في صحيحه (٢٩١/٨) رقم ٤٦٢٨.

(٦) كالترمذي في السنن (٢٦١/٥ - ٢٦٢) رقم ٢٠٦٧.

(٧) حديث ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف وفيها الدعاء المذكور.

أخرجه ابن إسحاق (٢٦٠/١ - ٢٦٢) بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، لكن قوله: «إن أبيتم فاكنتموا علي ذلك»، وقوله: «اللهم إليك أشكو...» الخ الدعاء، ذكرهما بدون سند، وكذلك رواه ابن جرير (٨٠/٢ - ٨١) من طريق ابن إسحاق، قاله الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص ١٢٦).

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢١١/١ - ٢١٢) باختصار، وفي سننه الواقدي وهو ضعيف.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣٤٤/٢ - ٣٤٦) ط. دار المعارف، من طريق ابن إسحاق. =

وقوله ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»^(١) الحديث تقدم في الرؤية.

وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ مَثَلُ الْقَائِمِ الْمُصَلِّي حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ»، متفق عليه^(٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

وقوله ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعْيَذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكَمُ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ»، رواه أحمد^(٣) وأبو داود^(٤) وابن خزيمة^(٥) من حديث ابن عباس ؓ.

وقوله ﷺ: «لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: «إِنَّكَ لَنْ تَخْلَفَ بَعْدِي فَتَعْمَلْ عَمَلًا تُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَزِدَّتْ بِهِ رَفْعَةً وَدَرَجَةً»، رواه البخاري^(٦) وغيره^(٧) من حديثه.

وقوله ﷺ: «وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ بَوَاجِهُهُ إِلَى وَجْهِ

= وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٣٥/٦) باختصار، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، قاله الهيثمي في «المجمع».

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤١٥/٢ - ٤١٧) من غير طريق ابن إسحاق بالسمع مرسلًا عن الزهري.

وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

- (١) تقدم تخريجه.
- (٢) البخاري (٦/٦ رقم ٢٧٨٧)، ومسلم (٣/١٤٩٨ رقم ١٨٧٨).
- (٣) في المسند (١/٢٤٩ - ٢٥٠).
- (٤) في «السنن» (٥/٣٣٤ رقم ٥١٠٨).
- (٥) في «التوحيد» (١/٣١ رقم ١٤).
- قلت: وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤/٢٥٨)، كلهم من حديث ابن عباس بسند حسن. ولحديث ابن عباس شاهد من حديث ابن عمر.
- أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢١٦)، وأبو داود (٥/٣٣٤ - ٣٣٥ رقم ٥١٠٩)، والنسائي (٥/٨٢ رقم ٢٥٦٧)، وابن حبان (رقم ٢٠٧١ - موارد)، والحاكم (١/٤١٢)، والبيهقي (٤/١٩٩)، وأحمد (٢/٦٨، ٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٥٦) من طرق...
- قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٥٤).
- وخلاصة القول: أن حديث ابن عباس صحيح لغيره، والله أعلم.
- (٦) في صحيحه (٣/١٦٤ رقم ١٢٩٥).
- (٧) كمسلم (٣/١٢٥٠ رقم ١٦٢٨).

عبدہ»، رواہ ابنُ خزیمۃ^(۱) والبیہقی^(۲) من حدیث الحارث الأشعري.

وقولہ ﷺ فی صفۃ الدجال: «ألا إلهَ أعورُ، وإن ربکم لیس بأعور»، الحدیث متفقٌ علیہ من حدیث أنس^(۳) وابنِ عمر^(۴) وغيرہما.

وقولہ ﷺ فی حدیث الشفاعة: «يقول الناسُ لآدم: أنت آدمُ أبو الناس، خلقتُ اللهَ بيده»، الحدیث متفقٌ علیہ^(۵) عن أنس ﷺ.

وقولہ ﷺ: «يُدُ اللهَ ملأى لا تغيضها نفقةٌ، سبحانه الليل والنهار، وقال: رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه. قال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزانُ يخفِضُ ويرفع»، متفقٌ علیہ^(۶) من حدیث أبي هريرة ﷺ.

وقولہ ﷺ: «إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك»، متفقٌ علیہ^(۷) من حدیث ابنِ عمر ﷺ واللفظُ للبخاري. وتصديقه ﷺ اليهودي الذي قال له: يا محمدُ إن الله تعالى يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسولُ الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له، متفقٌ علیہ^(۸) من حدیث ابنِ مسعود ﷺ.

(۱) في «التوحيد» (۱/ ۳۶ - ۳۷ رقم ۱۰)، وفي صحيحه (۲/ ۶۴).

(۲) في «الأسماء والصفات» رقم (۶۵۴)، وفي «السنن الكبرى» (۸/ ۱۵۷).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (۱/ ۲۳۶)، والطبراني في «الكبير» (۳/ ۲۸۷ رقم ۳۴۳۰) وغيرهم.

وانظر كلام الأخ عبد الله الحاشدي عليه في تخريج الأسماء والصفات للبيهقي. والخلاصة: أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(۳) البخاري (۱۳/ ۹۱ رقم ۷۱۳۱)، ومسلم (۴/ ۲۲۴۸ رقم ۲۹۳۳).

(۴) البخاري (۱۳/ ۹۰ رقم ۷۱۲۷)، ومسلم (۴/ ۲۲۴۷ رقم ۱۶۹).

(۵) تقدم تخريجه.

(۶) تقدم تخريجه.

(۷) تقدم تخريجه.

(۸) البخاري (۱۳/ ۳۹۳ رقم ۷۴۱۴)، ومسلم (۴/ ۲۱۷۴ رقم ۲۷۸۶).

وقوله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي»، متفق عليه^(١) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ: «إن الله تعالى يفتح أبواب السماء في ثلث الليل الباقي فيسُط بيده فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيته»، الحديث تقدمت ألفاظه في إثبات النزول^(٢).

وقوله ﷺ: «من تصدق بعذل تمرّة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلؤّه حتى تكون مثل الجبل»، متفق عليه^(٣) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى: «فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»، الحديث متفق عليه^(٤) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ: «إن يد الله هي العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل أسفل من ذلك»، رواه ابن خزيمة^(٥) من حديث حكيم بن حزام وأصله في الصحيح^(٦).

وقوله ﷺ في قصة خلق آدم: «فقال الله تبارك وتعالى ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته»، الحديث أخرجه ابن خزيمة^(٧) والبيهقي^(٨) من حديث أبي هريرة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه وبيان ألفاظه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سيأتي بطوله.

(٥) في «التوحيد» (١/١٥٤ - ١٥٥ رقم ٨٥/١) بسند صحيح.

(٦) البخاري (٣/٣٣٥ رقم ١٤٧٢)، ومسلم (٢/٧١٧ رقم ١٠٣٥/٩٦).

(٧) في «التوحيد» (١/١٦٠ - ١٦١ رقم ٨٩/١).

(٨) في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

قلت: وأخرجه ابن حبان (رقم ٢٠٨٢ - موارد)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٦)، والترمذي رقم (٣٣٦٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم (١/٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ثم قال الحاكم: وله شاهد صحيح، ثم ساقه من طريق أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/٩١) عقبه: وهذا إسناد حسن، وهو الثالث عن أبي هريرة. وله رابع من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عنه به. أخرجه ابن =

وقوله ﷺ في قصة سؤال موسى عليه السلام ربّه عزّ وجلّ عن منازل أهل الجنة: «قال: يا ربّ فأخبرني بأعلامهم منزلة»، قال: هذا أردت فسوف أخبرك، قال: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها»، الحديث رواه البيهقي^(١) وابن خزيمة^(٢) من حديث المغيرة بن شعبه.

وقوله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده»، الحديث متفق عليه^(٣) من حديث أبي سعيد ﷺ.

وقوله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، رواه مسلم^(٤) من حديث أبي موسى ﷺ.

وقوله ﷺ: «ولا يزال عبيدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»، الحديث أخرجه البخاري^(٥) عن أبي هريرة ﷺ. وقوله ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيجبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه»، الحديث في البخاري^(٦) عن أبي هريرة ﷺ.

وقوله ﷺ: «وما أحد أصبر على أدّى يسمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم»، رواه البخاري^(٧) عن أبي موسى ﷺ.

= سعد في «الطبقات» (٢٧/١ - ٢٨)، والترمذي رقم (٣٠٧٦)، والحاكم (٣٢٥/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩٠).

(٢) في «التوحيد» (١٦٤/١ - ١٦٥ رقم ٩١).

قلت: وأخرجه مسلم رقم (١٨٩)، والترمذي رقم (٣١٩٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وروى بعضهم هذا الحديث عن الشعبي عن المغيرة، ولم يرفعه والمرفوع أصح.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) البخاري (٣٧٢/١١) رقم (٦٥٢٠)، ومسلم (٢١٥١/٤) رقم (٢٧٩٢).

(٤) في صحيحه (٢١١٣/٤) رقم (٢٧٦٩).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) في صحيحه (٣٦٠/١٣) رقم (٨٣٧٨).

وقوله ﷺ: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره»^(١)، الحديث.

وقوله ﷺ: «عجب ربنا من قوم يُقادون إلى الجنة بالسلاسل»، رواه أحمد^(٢) والبخاري^(٣) من حديث ابن مسعود.

وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»، متفق عليه^(٤) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله»^(٥).

وقوله ﷺ: «من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله»، رواه أبو داود^(٦) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي رواية^(٧): «من خاصم في باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع».

- = قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢١٦٠ رقم ٢٨٠٤).
- (١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١١)، والدارقطني في «النزول» رقم (٣٠)، وابن ماجه رقم (١٨١)، بسند ضعيف لأن وكيع بن عدي مقبول، ولم يتابع.
- وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٥٤) بسند ضعيف، قاله الألباني.
- وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.
- (٢) في «المسند» (٢/٣٠٢، ٤٠٦، ٤٤٨، ٤٥٧).
- (٣) في صحيحه (٦/١٤٥ رقم ٣٠١٠).
- قلت: وأخرجه أبو داود (٣/١٢٧ رقم ٢٦٧٧)، وابن حبان في الإحسان (١/٣٤٣ رقم ١٣٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/٩١) كلهم من حديث أبي هريرة.
- ولم أجده من حديث ابن مسعود، والله أعلم.
- (٤) البخاري (٦/٣٩ رقم ٢٨٢٦)، ومسلم (٣/١٥٠٤ رقم ١٨٩٠).
- (٥) تقدم تخريجه.
- (٦) في «السنن» (٤/٢٣ رقم ٣٥٩٨) من طريق المثني بن يزيد، عن مطر الوراق عنه.
- وفيه مطر الوراق: ضعيف. والمثنى بن يزيد: مجهول، لكن تابع المثني بن يزيد، حسين المعلم عن مطر الوراق به عند ابن ماجه (٢/٧٧٨ رقم ٢٣٢٠). وحسين المعلم ثقة، فاعلة في ضعف مطر الوراق.
- وانظر: «الإرواء» (٧/٣٥٠).
- والخلاصة أن الحديث ضعيف.
- (٧) لأبي داود في السنن (٤/٢٣ رقم ٣٥٩٧)، ولأحمد (٢/٧٠) من حديث ابن عمر، وانظر: الإرواء (٧/٣٤٩).
- =

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها»^(١).

وقوله ﷺ: «وإذا أبغض عبداً دعا جبرائيل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل. ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض»، رواه مسلم^(٢).

وقوله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»، رواه مسلم^(٣) عن أنس رضي الله عنه.

وقوله ﷺ في قصة أصحاب بئر معونة: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»، وهو في الصحيح^(٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وهو من التنزيل المنسوخ تلاوة.

وقوله ﷺ في قصة سني هوازن: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»، أخرجاه^(٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ونزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»، أخرجاه^(٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولمسلم^(٧) معناه من حديث سلمان رضي الله عنه، وفيه: «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة».

وقوله ﷺ: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس

= وهو حديث صحيح.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) البخاري (٤٢٦/١٠ - ٤٢٧ - ٥٩٩٩)، ومسلم (٤/٢١٠٩ رقم ٢٧٥٤).

(٦) البخاري (٤٣١/١٠ رقم ٦٠٠٠)، ومسلم (٤/٢١٠٨ رقم ٢٧٥٢).

(٧) في صحيحه (٤/٢١٠٩ رقم ٢٧٥٣).

يموتون»، أخرجه البخاري^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
 وقوله ﷺ عن أيوب عليه السلام: «وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»، أخرجه البخاري^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»، أخرجاه^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
 وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعْفَاةِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَبِكَ مِنْكَ»، لمسلم^(٤) والأربعة^(٥) عن عائشة.
 وقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، أخرجاه^(٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
 وقوله ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ لِيَنْسَى شَيْئًا، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا»، رواه البزار^(٧) وابن أبي حاتم^(٨) والطبراني^(٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
 وقوله ﷺ في حلقه: «لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ»، أخرجاه^(١٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

-
- (١) البخاري (٣٦٨/١٣ - ٣٦٩ رقم ٧٣٨٣)، ومسلم (٢٠٨٦/٤ رقم ٢٧١٧).
 (٢) في صحيحه (٤٦٤/١٣ رقم ٧٤٩٣).
 (٣) البخاري (٤٦٥/١٣ رقم ٧٤٩٩)، ومسلم (٥٣٢/١ - ٥٣٣ رقم ٧٦٩).
 (٤) في صحيحه (٣٥٢/١ رقم ٤٨٦).
 (٥) أبو داود (٥٤٧/١ رقم ٨٧٩)، والترمذي (٥٢٤/٥ رقم ٣٤٩٣)، والنسائي (٢٢٣/٢)، (٢٢٥)، وابن ماجه (١٢٦٢/٢ - ١٢٦٣ رقم ٣٨٤١).
 وهو حديث صحيح.
 (٦) البخاري (٣٥٤/٨ رقم ٤٦٨٦)، ومسلم (١٩٩٧/٤ - ١٩٩٨ رقم ٢٥٨٣).
 (٧) في مسنده (٥٨/٣ رقم ٢٢٣١ - كشف).
 وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٥/٧) وقال: «رواه البزار رجاله ثقات» اهـ.
 (٨) و(٩) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) ط. دار الفكر، إليهما.
 وزاد نسبه إلى ابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي في «سننه» (١٢/١٠) - والحاكم - (٢/٣٧٥) - وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
 (١٠) تقدم تخريجه.

وقوله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، فإذا شاء أن يُقيمه أقامه، وإذا شاء أن يُزيغَه أزاغَه». رواه أحمدُ والشيخان وغيرُهما^(١) من حديث عائشة ؓ، وفي صدره: «يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلبي على دينك».

وقوله ﷺ في صفة الجنة والنار: «لا يزال يُلقى فيها - يعني النار - وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضعَ فيها ربُّ العالمين قدمَه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قدِ قدِ بعزتك وكرمك».

وفي رواية: «قطِ قطِ» بالطاء، أخرجاه^(٢) من حديث أنس.

وقوله ﷺ: «لا شَخْصَ أغيرُ من الله»، علقها البخاري^(٣) بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده.

وقوله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعدٍ، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ من الله، ومن أجل ذلك وعدَ الجنة»، رواه البخاري^(٤) من حديث المغيرة بن شعبه في الترجمة السابقة. والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جداً، يحتاج استقصاؤها إلى بسطٍ طويلٍ وفيما ذكرنا كفايةً، وما أشبهه فسبيله سبيله.

(فحقه التسليم) له (والقبول) الفاء واقعة في جواب «كلُّ ما»، فنقول في ذلك: ما ذكره الله تعالى عن الراسخين في العلم؛ حيث قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٥٤٥/١١) رقم ٦٦٦١، ومسلم (٢١٨٧/٤) رقم ٢٨٤٨.

(٣) (٣٩٩/١٣) رقم الباب (٢٠).

وأخرجه البخاري موصولاً (٣١٩/٩) رقم ٥٢٢٠، ومسلم (٢١١٣/٤) رقم ٢٧٦٠ من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) في صحيحه (٣٩٩/١٣) رقم ٧٤١٦.

قلت: وأخرجه مسلم (١١٣٦/٢) رقم ١٤٩٩.

يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُفِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران]، ولا نضرب كتاب الله بعضه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما يفعله الذين في قلوبهم زيغ، أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله، إنه سميع مجيب.

[اجتناب التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل في آيات الأسماء والصفات وأحاديثها]

(نُمرُّها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت)
(من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكليف ولا تمثيل)
(بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن بهديهم قد اهتدى)

أي جميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها (نُمرُّها صريحة) أي على ظواهرها (كما أتت) عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، بنقل العدل عن العدل متصلاً إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحواً ليس دونها سحب، (مع اعتقادنا) إيماناً وتسليماً (لما له اقتضت) من أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفات كماله ونعوت جلاله كما يليق بعظمته، وعلى الوجه الذي ذكره وأراد، (من غير تحريف) لألفاظها؛ كمن قال في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، أن التكليم من موسى، وأن لفظ الجلالة منصوب على المفعولية فراراً من إثبات الكلام كما فعله بعض الجهمية والمعتزلة، وقد عُرِضَ ذلك على أبي بكر بن عيَّاش، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب، وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، يعني برفع لفظ الجلالة على الفاعلية، وهو مُجمَع عليه بين القراء، روى ذلك ابن مردويه^(١) عن عبد الجبار بن عبد الله عن ابن عيَّاش رحمه الله تعالى.

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٦٠١/١).

وروى ابن كثير^(١) أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، فقال له: يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ جَاءَ مُوسَى لِيُثَبِّتَنَّا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني أن هذا لا يقبل التحريف ولا التأويل.

وكما قال جهنم بن صفوان^(٢) لعنه الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، حيث قال: لو وجدت سبيلاً إلى حَكُّهَا لحَكَّكْتُهَا ولأبدلتُهَا استولى. وله في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه، حيث قال الله تعالى لهم: ﴿وَادْخُلُوا آلَ بَابِ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فدخلوا يزحفون على

(١) في تفسيره (٦٠١/١).

* اللخن: التن.

* قال أبو حيان في «البحر المحيط في التفسير» (١٣٩/٤): ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه، وأكد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازته، هذا هو الغالب. وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز، إلا أنه قليل، فمن ذلك قول (هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري):

بكى الخز من عوف وأنكر جلده وعجت عجباً من جدام المطارف

وقال ثعلب: لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلاناً بمعنى كتبت إليه رقعة وبعثت إليه رسولاً، فلما قال «تكليماً» لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله اهـ.

* وقال النحاس في إعراب القرآن (٥٠٧/١): ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ مصدر مؤكد، وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، وأنه لا يجوز في قول الشاعر:

امتلاً الحوض وقال قطيبي

أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال: تكليماً وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل اهـ.

وانظر أيضاً: «معاني القرآن الكريم» للنحاس (٢٤٠/٢).

(٢) جهنم بن صفوان الضال المبتدع، تلميذ الجعد بن درهم أول من صدر عنه القول بخلق القرآن.

قال عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢١١)، عن جهنم هذا: «الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفتيان، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فِعْل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز... اهـ».

أستاهم، وقالوا «حنطة»^(١)، فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجداً وبذلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فكان جزاؤهم ما ذكره الله تعالى حيث يقول: ﴿فَقَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، وجعلهم الله عبرة لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسيئله سبيلهم كما مضت سنة الله بذلك: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

و(من غير تحريف) لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضاً كتأويلهم «نفسه» تعالى بالغير، وأن إضافتها إليه كإضافة بيت الله وناقة الله، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي غيره، وقوله: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤]، أي على غيره، ويكون قوله تعالى عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قوله تعالى لموسى: ﴿وَأَسْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، أراد واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقوله عاقل، بل ولا يتوهمه ولا يقوله إلا كافر، وتأويلهم «وجهه» تعالى بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البين، وهذا يكفي حكايته عن رده.

أما من أثبت النفس وأول الوجه بذلك، فيقال له: إن الله تعالى قال: ﴿وَيَقِيَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فذكر الوجه مرفوعاً على الفاعلية، ولفظ (رب) مجروراً بالإضافة، وذكر ذو مرفوعاً بالتبعية نعتاً لوجه، فلو كان الوجه هو الذات لكانت القراءة: ﴿وَيَقِيَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فخفضه بالياء لا بالواو؛ كما قال تعالى: ﴿بَرَكْنَا أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، فخفضه لما كان صفة للرب، فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعاً تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير (١٠٣/١) بسند ضعيف؛ لأنه من طريق صالح مولى التوأمة، وهو صالح بن نهبان مختلط، والطريقة الثانية فيها مبهم. لكن الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٤/٨ رقم ٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قيل لبي إسرائيل «وَادْخُلُوا الباب سجداً وقولوا حطة» [البقرة: ٥٨]، فدخلوا يزحفون على أستاهم، فبذلوا، وقالوا: حطة حبة في شجرة».

الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز، فعدلوا إلى أن تأويله به أولى، وأنه كما يقال «وجه الكلام» و«وجه الدار» و«وجه الثوب» ونحو ذلك، فتكلفوا الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ كل التكلف ثم نكسوا على رؤوسهم فوقعوا فيما فرؤوا منه، فيقال لهم: أليس الثوب والدار والكلام مخلوقات كلها وقد شبهتم وجه الله تعالى بذلك؟ فأين الفكاك والخلاص ولات حين مناص: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ الْقَحْطِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وكما أولوا اليد بالنعمة واستشهدوا بقول العرب: «لك يد عندي» أي نعمة، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يعني: نعمته فلم يشبوا الله إلا نعمتين والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [القمان: ٢٠]، ويكون قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أراد بنعمتي، فأني فضيلة لآدم على غيره على هذا التأويل، وهل من أحد لم يخلقه الله بنعمته؟ ويكون قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، أراد مطويات بنعمته فهل يقول هذا عاقل؟

وقال آخرون منهم «بقوته» استشهاداً بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أي بقوة، فيقال لهم: أليس كل مخلوق خلقه الله بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قوله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدَّتِي﴾ [ص: ٧٥]، وأي فضل لآدم على إبليس إذ كل منهما خلقه الله بقوته؟ وما معنى قوله تعالى للملائكة: لا تجعلوا صالِحَ ذريةٍ من خلقتُ بيدي كمن قلتُ له: كن فكان، أفلم يخلق الملائكة بقوته؟ وأي فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفته، نبثوني بعلم إن كنتم صادقين. وكما تأولوا الاستواء بالاستيلاء واستشهدوا ببيت مجهول مروى على خلاف وجهه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصراني:

قد استوى بشر على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقٍ

[عدول أهل التأويل عن ألف دليل وتمسكهم بما ينسب

إلى الأخطل النصراني في الاستواء]

فعدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج

ليس على دين الإسلام ولا على لغة العرب، فطفيق أهل الأهواء يفسرون به كلام الله عز وجل ويحملونه عليه، مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك، وأن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه البتة.

وقد سئل ابن الأعرابي وهو إمام أهل اللغة في زمانه، فقال: «العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مُضادة، فأيهما غلب قيل استولى، والله سبحانه وتعالى لا مغالب له»^(١) اهـ.

وقد فسر السلف الاستواء بعدة معانٍ بحسب أداتِهِ المقتَرنة به، وبحسب تجريده عن الأداة، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء حتى انتحل ذلك أهل الأهواء والبدع، لا باشتقاقٍ صغيرٍ ولا كبير، بل باستنباطٍ مختلقٍ وافق الهوى المتبع.

وقد بسط القول في رد ذلك ابنُ قسيم الجوزية رحمه الله في كتابه الصواعق^(٢)، ويبيّن بطلانه من ثبوت أربعين وجهاً، فليراجع. وكما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمره، فيقال لهم: أليس أمرُ الله تعالى نازلاً في كل وقتٍ وحين؟ فماذا يخصّ السحرَ بذلك؟ وقال آخرون: ينزل ملكٌ بأمره، فتُسبب النزولُ إليه تعالى مجازاً. فيقال لهم: فهل يجوز على الله تعالى أن يُرسلَ من يدعي

(١) أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ٦٦٦)، والذهبي في «العلو» (ص ١٣٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٨٤/٥) عن أبي عبد الله نفعويه قال: حدّثني أبو سليمان داود بن علي قال: كنّا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: هو على عرشه كما أخبر عز وجل.

فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى. قال: اسكت ما أنت، وهذا لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل: استولى. أما سمعت النابغة:

إلا لِمِثْلِكَ أو مَنْ أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤٠٦/١٣)، وعزاه إلى الهروي في كتابه «الفاروق»، وإسناده صحيح.

وانظر ما قاله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣١٣/٣).
(٢) في «مختصر الصواعق» (١٢٦/٢ - ١٥٢) فقد أجاد وأفاد.

ربوبيته؟ وهل يمكن للملك أن يقول: «لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيته، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له»^(١)، وهل قصرت عبارة النبي ﷺ عن أن يقول ينزل ملك بأمر الله فيقول: إن الله تعالى يقول لكم كذا، أو أمرني أن أقول لكم كذا حتى جاء بلفظ مُجمل يوهم بزعمكم ربوبية الملك، لقد ظننتم بالله تعالى ورسوله ﷺ ظنَّ السوء وكنتم قوماً بوراً.

وكما أولوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز، فقالوا: يجيء أمره واستدلوا بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]، فقالوا في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فقالوا: هو من مجاز الحذف، والتقدير يأتي أمر الله. فيقال لهم: أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا عز وجل غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصل تعالى ذلك وقسمه ونوعه تنوعاً يمتنع معه الحمل على المجاز، فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه ومجيء الملائكة، وكذا في آية الفجر، وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره، وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره، ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟ أليس أمره آتياً في كل وقت، متنزلاً بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل نفس ولحظة: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وتأولوا النظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة بالانتظار، قالوا: إنه كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ قُرْآنِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعذى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله: ﴿انظُرُونَا﴾، ألم يضيف الله تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار، ويُعَدُّ بالي التي تُفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة، ﴿قُلْ مَا أَتَمُّ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، أو لم يفسره النبي ﷺ بالرؤية الجليلة عياناً بالأبصار في أكثر من خمسين حديثاً صحيحاً، حتى شبه تلك الرؤية برؤيتنا الشمس صحواً ليس دونها سحب، تشبيهاً للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، ولم

(١) تقدم تخريجه وبيان رواياته.

يزل الصحابة مؤمنين بذلك، ويحدثون به مَنْ بعدهم من التابعين، وينقله التابعون إلى مَنْ بعدهم وهَلُمَّ جَزَا، فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة، عن الصحابة، عن النبي ﷺ، فأنتم عمن أخذتم؟

ومن شُبُهاتهم في نفي الرؤية استدلالهم بقوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران:

(أولهما): لا يُرى في الدنيا، وهو مروى عن عائشة^(١)، وبذلك نفت أن يكون رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج.

(١) أخرج البخاري (٦٠٦/٨) رقم (٤٨٥٥).

عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: ٥١].

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن حدثك أنه كنتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧].

ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين.

* وأخرج مسلم (١٥٩/١) رقم (١٧٧/٢٨٧): من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي عن مسروق، قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل، لم أزه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كنتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ =

(ثانيهما): تفسير ابن عباس^(١) **﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾** أي لا تُحيط به، فالنفي

[المائدة: ٦٧]. قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾** [النمل: ٦٥].

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦٠٧/٨ - ٦٠٨): «... قال النووي - في شرح مسلم (٥/٣) - تبعاً لغيره: «لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً. والمراد بالإدراك في الآية الإحاطة، وذلك لا ينافي الرؤية» اهـ.

وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال في كتاب «التوحيد» (٥٥٧/٥٥٦/٢): «النفي لا يوجب علماً، ولم تحك عائشة أن النبي ﷺ أخبرها أنه لم ير ربه، وإنما تأولت الآية» اهـ.

وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ - أي النووي - فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق - وقد تقدم آنفاً - ... وقال عياض: «رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلاً، وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة»، وأما في الدنيا فقال مالك: «إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي بالباقي». قال عياض: «وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع».

قلت: ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»، وأخرجه ابن خزيمة أيضاً من حديث أبي أمامة، ومن حديث عبادة بن الصامت، فإن جازت الرؤية في الدنيا عقلاً فقد امتنعت سمعاً انتهى.

(١) * أخرج الترمذي (٣٩٥/٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٩٠) رقم (٤٣٧) عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه قلت: «أليس الله يقول: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾** [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحك ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره وقال أريته مرتين».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقال ابن أبي عاصم: وفيه كلام.

قلت: الحكم بن أبان فيه ضعف من قبل حفظه.

وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

* وأخرج ابن حبان رقم (٣٨ - موارد) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٠٠)، والترمذي (٣٩٥/٥) رقم (٣٢٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٤٢ - ٤٤٣)، والطبري في «جامع البيان» (١٣/٢٧ - ٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٣٩) عن ابن عباس في قول الله: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾** عند سدره المنتهى [النجم: ١٣ - ١٤]، **﴿فأوحى﴾**

للإحاطة لا للرؤية، وهذا عامٌ في الدنيا والآخرة. ولم يُنقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيح ولا ضعيف أنه أراد بذلك نفْيَ الرؤية في الآخرة، فهذا تفسيرُ الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلَ الكتاب هل بينهم من أحد فسر الآية بما افترتموه؟

ومن إفكهم ادّعاؤهم معنى التأييد في نفْيِ ﴿لَنْ تَرَكُنِي﴾ حتى كذبوا على رسول الله ﷺ حديثاً مختلفاً لفظه: (لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة)^(١)، وهو موضوعٌ مكذوبٌ على النبي ﷺ باتفاق أئمة الحديث والسنة، ولم يقل أحدٌ من أئمة اللغة العربية أن نفْيَ «لن» للتأييد مطلقاً إلا الزمخشري من المتأخرين^(٢)، قال ذلك ترويحاً لمذهبه في الاعتزال، وجحود صفات الخالق جلّ وعلا، وقد ردّه عليه أئمة التفسير كابن كثير^(٣) وغيره، وردّه ابن مالك في الكافية حيث قال:

ومن يرى النفْيَ بـلن مؤيداً فقولُه اردُّ وسواه فاعضداً

= إلى عبده ما أوحى [النجم: ١٠]، «فكان قاب قوسين أو أدنى» [النجم: ٩]، قال ابن عباس: «قد رآه»، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/١٩١): «إسناده حسن موقوف، رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا أنهما لم يحتجا بمحمد بن عمرو، وإنما أخرجا له متابعة» اهـ. وخلاصة القول أن الحديث حسن كما قال الترمذي، والله أعلم. قال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/١٩١): «وبالجملة فتفسير الآية من ابن عباس برؤية الله تبارك وتعالى ثابت عنه، لكن الأخذ بالتفسير الذي ذكرناه عنه ﷺ - من حديث عائشة المتقدم - مرفوعاً أولى منه. والأخذ واجب دون الموقوف، لا سيما وقد اضطرب الرواية عنه في هذه الرؤية، فمنهم من أطلقها كما في حديث الترجمة وغيره. ومنهم من قيدها بالفؤاد، كما في رواية مسلم (١/١٥٨ رقم ١٧٦/٢٨٤) عن ابن عباس؛ قال: «رآه بقلبه» و(١/١٥٨ رقم ١٧٦/٢٨٥) عن ابن عباس قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى» [النجم: ١١]، «ولقد رآه نزلة أخرى» [النجم: ١٣]، قال: «رآه بفؤاده مرتين»، وهي أصح الروايات عنه، والله أعلم» اهـ.

- (١) وهو حديث موضوع.
- (٢) قال ابن هشام في «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١/٢٨٤): «... ولا تفيد لن تأكيد النفْيِ خلافاً للزمخشري في كشافه «ولا تأييده خلافاً له في «أنموذجه» وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم في «فلن أكلّم اليوم إنسياً»، ولكان ذكر الأبد في «ولن يتمنوه أبداً» تكراراً، والأصل عنده...» اهـ.
- (٣) في تفسيره (٢/٢٥٤) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٢٧٥)...

والقائل لموسى ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هو المتجمل للجبل حتى اندك، وهو الذي وعد المؤمنين ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ﴾ [يونس: ٢٦]، وهو الذي قال: ﴿وَبُيُوتُهُمْ بِمِيزَانٍ يُنْزَلُ فِيهَا نَاظِرَةٌ﴾ [١٣] ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [١٣] [القيامة]، فاتضح بذلك أن قوله لموسى ﷺ ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] إنما أراد عدم استطاعته رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوى البشرية فيها عن ذلك؛ كما قرر تعالى ذلك بقوله جلّ جلاله: ﴿وَلَكِنْ أَقْضَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية، فإذا لم يثبت الجبل لتجلي الله تعالى، فكيف يثبت موسى لذلك وهو بشرٌ خلق من ضعف؟ وأما في الآخرة فيخلق الله تعالى في أوليائه قوةً مستعدةً للنظر إلى وجهه عز وجل، وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأنف كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وأما من اتبع هواه بغير هدى من الله، ونصب الخصام أو الجدال والمعارضة بين نصوص الكتاب والسنة، واتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، وضرب كتاب الله بعضه ببعض، وآمن ببعض وكفر ببعض، وشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتباع غير سبيل المؤمنين، وأضلّ الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله؟ أعاذنا الله وجميع المؤمنين من ذلك.

ولا يأتي لأحد من أهل التأويل مراده ولا يستقيم له تأويله إلا بدفع النصوص بعضها ببعض لا محالة ولا بدّ، فإنّ كتاب الله تعالى يصدق بعضه بعضاً لا يكذب كما هو مصدّق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه. وكذلك سنة النبي ﷺ، تبين الكتاب وتوضحه وتفسره وتدلّ عليه وترشد إليه، ولا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه إلا من اتخذ إلهه هواه، وأدلى بشبهاته لغرض شهواته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِكُمْ﴾ [١٥] ﴿وَاللَّهُ يَنْزِلُ فِي آيَاتِهِمْ خُيُوتًا﴾ [البروج]، وهذا دأبهم في جميع نصوص الأسماء والصفات. وإنما ذكرنا هذه الجملة مثلاً وتنبهاً على ما وراء ذلك، فمن عوفي فليحمد الله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(ولا تعطيل) أي للنصوص بتفي ما اقتضته من صفات كمال الله تعالى ونعوت جلاله، فإن نفى ذلك من لازمه نفى الذات ووصفه بالعدم المخض، إذ ما

لا يوصف بصفة هو العدم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. ولهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يُعبد، وذلك لجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وذلك يتضمن التكذيب بالكتاب والسنة، والافتراء على الله كذباً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٢٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ يُكْفَرُ اللَّهُ عَنْهُمْ آسَوْا الَّذِي عَمِلُوا وَتَجَزَّيْهُمْ أَجْرُهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ [الزمر].

(وغير تكييف) تفسير لكنه شيء من صفات ربنا تعالى، كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا، ونحو ذلك من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان لك مطلوباً من العباد في الشريعة لبيته الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بيّنه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، ولينسك عما جهله، وليكل معناه إلى عالمه ككيفيتها: ﴿وَمَا إِلَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

(ولا تمثيل) أي ومن غير تشبيه لشيء من صفات الله بصفات خلقه، فكما أننا ثبت له ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك ثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ونعتقد تنزهه وتقديسه عن مماثلة المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا كان القول على الله بلا علم في أحكام الشريعة هو أقبح المحرمات؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته من تشبيه

خلقه به أو تشبيهه بخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم، وإن اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفر بالله عز وجل أقبح الكفر، وقد نزه الله تعالى نفسه عن ذلك كله في كتابه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [سورة الإخلاص]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وغير ذلك من الآيات، بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يرسل الله تعالى رسلاً ولم ينزل كتبه إلا بذلك: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

[القول الصحيح قول أئمة الهدى

من الصحابة والتابعين]

(بل قولنا) الذي نقول ونعتقد وندين الله به هو (قول أئمة الهدى) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة، كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي والثوري وابن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب الأمهات الست وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشتبهين منفي عن الله عز وجل، فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة: تفسيرها قراءتها.

وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى^(١): (من شبه

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٩٦/٥)، و«العلو» للذهبي (ص ١٢٦)، =

الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه مما وردت به الآيات الصريحة ووصفه به رسوله ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته، ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى).

وقال الإمام الشافعي^(١) رحمه الله تعالى: (آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ).

وقال أيضاً رحمه الله^(٢): (الله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله^(٣): (ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة: ليس يشبهه شيء، وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه. قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله مُحْكَمٍ ومُتَشَابِهٍ، ولا نُزِيلُ عنه صفة من صفاته بشاعة شعث، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضع كنفه عليه، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل

= و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢٢١).

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٦٥).

(٢) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ١٧٥ - ١٨٥)، وطبقات

الحنابلة (١/ ٢٤١ - ٢٤٦).

متكلماً، عالماً، غفوراً، عالمُ الغيب والشهادة، علامُ الغيوب. فهذه صفات وصف بها نفسه لا تُدفع ولا تُرد، وهو على العرش بلا حد؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] كيف شاء، المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميعٌ بصير بلا حد ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة. قلت له: والمشبهة ما يقول؟ قال: من قال بصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقدمٌ كقدمي فقد شبه الله تعالى بخلقه) انتهى.

وكلامُ أئمةِ السنة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثيرٌ منه في الاستواء والكلام والنزول والرؤية وغير ذلك.

(طوبى لمن بهديهم قد اهتدى)، إذ هم خيرُ القرون وأعلمُ الأمة بشريعة الإسلام وأولاهم باتباع الكتاب والسنة واقتفاء آثار رسول الله ﷺ، وبهم حفظ الله الدين على من بعدهم، فرحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم وألحقنا بهم سالمين غير مفتونين إنه سميع الدعاء.

[توحيد الإثبات]

(وسمُ ذا النوع من التوحيد توحيد إثبات بلا ترديد)
(قد أفصح الوحي المبينُ عنه فالتمس الهدى المنيرَ منه)
(وسمُ ذا النوع) والإشارةُ بذا إلى يوم ما تقدم من قوله «إثبات ذات الرب» إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبية والأسماء والصفات (من) نوعي (التوحيد) المشار إليهما بقول: وهو نوعان (توحيد إثبات) لاشتماله على إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبتته له رسوله ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته ونفي ما يناقض ذلك، كما نفاه عن نفسه تبارك وتعالى، فيؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على السنة رُسُله من صفات كماله ونعوت جلاله بلا تكييف ولا تمثيل، ونفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته، فإنه أعلمُ بنفسه وبغيره وأصدقُ قِيلاً وأبينُ دليلاً من غيره، وقد عكس الزنادقة الأمر فنقوا عنه ما أثبتته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وأثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضى أسماؤه وصفاته،

وكذبوه بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، ويدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم فبعداً
لقوم لا يؤمنون.

(فائدة)

[زيادة المتأخرين على الصفات «أن ظاهرها غير مراد»]

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: (المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة
مولدة ما علمتُ أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات ثمرٌ كما جاءت ولا تؤوّل
مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرّع من هذا أن الظاهر يُعنى به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب، كما قال السلف الصالح:
الاستواء معلوم^(١)، وكما قال سفيان^(٢) وغيره: قراءتها تفسيرها، يعني أنها بينة واضحة
في اللغة لا يُتغنى بها مضائق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف، مع اتفاقهم
أيضاً أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ الباري لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته.

الثاني: أن ظاهرها هو الذي يتشكّل في الخيال من الصفة كما يتشكّل في
الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله تعالى فردّ صمدٌ ليس له نظير،
وإن تعدّدت صفاته فإنها حقٌّ، ولكن ما لها مثلٌ ولا نظير، فمن ذا الذي عاينه
ونعته لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع موسى كلامه؟ والله إنا
لعاجزون كاللون حائرون باهتون في حدّ الروح التي فينا وكيف تعرّج كلّ ليلة إلى
بارئها، وكيف يُرسلها، وكيف تستقل بعد الموت، وكيف حياة الشهيد المرزوق
عند ربه بعد قتله، وكيف حياة النبيين الآن، وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى
يصلّي في قبره قائماً^(٣)، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة ربِّ

(١) كما صح عن الإمام مالك وربيعة الرأي وغيره. أخرج هذه الآثار البيهقي في «الأسماء
والصفات» رقم (٨٦٦ و ٨٦٧) عن مالك، ورقم (٨٦٨) عن ربيعة الرأي، وقد تقدم ذلك.

(٢) أخرج أثر سفيان بن عيينة البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٩)، وهو أثر
صحيح.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥ رقم ٢٣٧٥) من حديث أنس.

العالمين وطلب التخفيف منه على أمته^(١)، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجّه آدم بالقدر السابق، وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه^(٢)، وكذلك نعجز عن وصف هيئتنا في الجنة ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتهم وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة، مع رونقهم وحُسنهم وصفاء جوهرهم النوراني، فالله أعلى وأعظم، وله المثل الأعلى والكمال المطلق ولا مثل له أصلاً ﴿مَآئِنَا لِلَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، انتهى كلامه بحروفه.

قلت: قوله من ذا الذي عاينه فنعته؟ هذا لا معنى له، فإن المؤمنين يَرَوْنَهُ تعالى في الجنة عياناً بأبصارهم ولا يستطيع أحد منهم نعتَه تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وكان حقّه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علماً فنعته، وقوله الثاني أن ظاهرها الذي يتشكّل في الخيال... الخ، قد قدّمنا أن هذا التصوّر الفاسد هو الذي يعمل جهالة الثفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بال مخلوق ولم يتدبروا مَنْ هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي، ثم قاسوا وشبهوا بعد أن فكروا وقَدَّروا ثم نفوا وعطلوا، فسحقاً لأصحاب السعير.

(قد أفصح الوحي المبين) من الكتاب والسنة وكذلك الصحف الأولى (عنه) غاية الإفصاح، وشرحه الله تبارك وتعالى أكثر من شرح بقية الأحكام لعظم شأن متعلّقه، (فالتمس) اطلب (الهدى المنير منه) أي من الوحي المبين؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرة ضلّ وغوى ولا بد، فإننا لا نعلم من علم الله سبحانه إلا ما علمنا هو، فنصدق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسله عنه كما ننقاد ونسلم ونمثّل لما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، بل إن تأويل الأمر والنهي أخفّ جرماً من تأويل معاني الربوبية والأسماء والصفات، والتكذيب بالبعث والنشور والوعيد والوعيد دون التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء الحسنی والصفات العلی وأخبرث عنه به رسله من ذلك

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤٥٨ - ٤٥٩

رقم ٣٤٩)، ومسلم (١/١٤٨ - ١٤٩ رقم ١٦٣) من حديث أنس.

(٢) سيأتي بتمامه في هذا الكتاب، وهو متفق عليه.

مع أن جُرمَ كلِّ منهما عظيم . أعاذنا الله وجميع المسلمين من الزيغ والضلال ،
آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون .

[وجوب مخالفة أقوال كل مارد مضل زنديق]

(لا تتبع أقوال كل مارد غاي مضل مارق معاند)
(فليس بعد ردُّ ذا التبيان مثقال ذرة من الإيمان)

(لا تتبع) أيها العبدُ (أقوال كل مارد) على بدعته وزندقته وأتباع هواه، (غاي) زائغ في دينه مفتون في عقيدته (مضل) لغيره (مارق) من الإسلام (معاند) لنصوص الكتاب والسنة وما دلَّت عليه، مكذب بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله، (فليس) يبقى (بعد ردُّ ذا التبيان) الذي جاء في الكتاب والسنة من الآيات المحكمة الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة (مثقال ذرة من الإيمان) في قلب من ردَّ ذلك؛ لأن الله تعالى هو الحقُّ وقوله الحقُّ ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْيَلْدِ﴾ [غافر: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿٤١﴾ حَقَّ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَصَلُّونَ ﴿٤٢﴾ وَفَعَّ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴿٤٣﴾ [النمل].

وهذه الآيات يدخل فيها كلُّ مكذبٍ بأي شيءٍ من الكتاب، فكيف إذا كذب بصفات مُنزل الكتاب، بل جحد أن يكون الله تعالى تكلم بالكتاب، ألا لعنة الله على الظالمين .

فصل

والملاحدة في توحيد المعرفة والإثبات فرق كثيرة وأشياء متفرقة، ولكن رؤوسهم خمس طوائف:

(الأولى): سلبية محضاً يُثبتون إثباتاً هو عين النفي، ويصفون الباري تعالى

بصفات العدم المحض الذي ليس هو بشيء البتة، وليس له عندهم حقيقة غير أنهم يقولون هو موجود لا داخل العالم ولا خارجاً عنه ولا مُبائناً له ولا محايثاً، وليس على العرش ولا غيره، ولا يُثبتون له ذاتاً ولا اسماً ولا صفةً ولا فعلاً، بل ذلك عندهم هو عينُ الشُّرك، وهذا هو الذي صرَّح به غلاةُ الجهمية^(١)، وقد كان قداماؤهم يتحاشون عنه ويتسترون منه، وكان السلفُ من أئمة الحديث يتفرسون فيهم ذلك، وأنهم يُظنونهم ولا يبوحدون به، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولهم في الجهمية: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يُعبد، ويقول بعضهم: إنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء، ولكنه لم يصرح بذلك ويُظهره إلا ابنُ سينا^(٢) صاحبُ «الإشارات» تلميذُ الفارابي^(٣)، وهو منسوبٌ إلى أرسطو اليوناني^(٤)، وهو يرجع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في المعنى، وهو الذي نصره الملحدُ الكبيرُ نصيرُ الشُّركِ الطوسي^(٥) وأشباهه، قبحهم الله تعالى.

(الطائفة الثانية): الحُلُولِيَّة^(٦) الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته

(١) تقدم في هذا الجزء ترجمة مستفيضة للجهمية، فانظره فإنه مفيد.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، ولد سنة (٣٧٠هـ)، اشتغل بالعلوم وحصل الفنون، وبدأ حياة الإنتاج في سن مبكرة، فترك التصانيف في «الطب» و«المنطق» و«الطبيعيات» و«الإلهيات»، وأشهر كتبه «القانون» في الطب، ومن مصنفاته: «الشفاء» في الحكمة، و«النجاة» و«الإشارات»... توفي سنة (٤٢٨هـ).

قلت: عامله الله بما يستحق.

[وفيات الأعيان (١٥٧/٢ - ١٦٢)].

(٣) هو أبو نصر الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، ولد في فاراب، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، رحل إلى مصر والشام واتصل بسيف الدولة، وكان يحسن اللغات الشرقية المعروفة في عصره، ومن كتبه: «الفصوص» و«إحصاء العلوم»... توفي سنة (٣٣٩هـ).

قلت: عامله الله بما يستحق.

[وفيات الأعيان (١٥٣/٥ - ١٥٧)].

(٤) أرسطوطاليس: هو أوَّل واضع لعلم المنطق كله تقريباً، ويعتبر أكبر فيلسوف يوناني دهري طبائعي.

(٥) إمام أهل الرافض والتار، مدمر بغداد وقاتل المسلمين، عامله الله بما يستحق.

(٦) الحُلُولِيَّة في الجملة عَشْرُ فرقٍ كُلُّها كانت في دولة الإسلام، وغرضُ جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الله، وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاةِ الروافض...، انظر: «الفرق بين الفرق» تأليف: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ص ٢٢٨ - ٢٣٩).

وينزهونه عن استوائه على عرش وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وهؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث كأحمد بن حنبل وغيره، ولهذا قال جهم بن صفوان^(١) لما ناظره السمنية^(٢) في ربه، وحار في ذلك ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر، فقال: هو هذا الهواء الذي هو في كل مكان، وكذلك كان يقول كثير من أتباعه، ولم يكن هو ولا هم يريدون ذلك، وإنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض والتعطيل الصّرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماء الباري وصفاته وكلامه ورؤيته في الدنيا والآخرة، وأفعاله وحكمته وغير ذلك كما تقدم حكايته عنهم قريباً وردّ شبهاتهم الداحضة.

(الطائفة الثالثة): الاتحادية^(٣)، وهم القائلون: إن الوجود بأسره هو الحق، وأن الكثرة وهم، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم، وهم طائفة ابن عربي الطائفي^(٤) صاحب الفتوحات المكية

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشيع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل، لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية.

[انظر: «فرق معاصرة» للدكتور: غالب بن علي عواجي (٢/٦٨٢ - وما بعدها)].

(٤) هو أبو بكر محيي الدين: محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائفي الأندلسي، ولد في (مرسية) سنة (٥٦٠هـ)، ونشأ فيها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد، وكان يكتب الإنشاء لبعض الملوك في المغرب، اختلف الناس في شأنه فذهبت طائفة إلى أنه زنديق، وقال آخرون: إنه ولي، ولكن يحرم النظر في كتبه. والصحيح أنه اتحادي خبيث، ولم يشتهر أمره وكتبه إلا بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولهذا تمادى في أمره ثم فضح وهتك. توفي سنة (٦٣٨هـ).

[انظر: «شذرات الذهب» (٥/١٩٠ - ٢٠٢)، و«الميزان» (٣/٦٥٩ - ٦٦٠)، و«طبقات المفسرين» للداوودي (٢/٢٠٤ - ٢١٠)، و«نفح الطيب» (٢/١٦١ - ١٨٤)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص ٩٨ - ٩٩)].

وفصوص الحِكْم وغيرهما مما حرّف فيه الكلّم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآيات وأتى بكفر لا يُشبه كفر اليهود الذين قالوا عزيزُ ابنُ الله، ولا النصراني الذين قالوا المسيحُ ابنُ الله، وقالوا هو الله وقالوا ثالثُ ثلاثية، فإن النصراني وأشباههم خصّوا الحلول والاتحاد بشخص معين، وهؤلاء جعلوا الوجودَ بأسره على اختلاف أنواعه وتقابلِ أضدادِهِ مما لا يسوّغ التلفّظ بحكايته هو المعبود، فلم يكفر هذا الكفر أحدٌ من الناس، وكان هذا المذهب الذي انتحله ابنُ عربيٍّ ونظمه ابنُ الفارض^(١) في تائيته^(٢) (نظم السلوك)، وأصلُ هذا المذهب الملعون انتحله ابنُ سبعين^(٣) عبدُ الحقِّ بنُ إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي نسبةً إلى رقوطة بلدة قريبة من مُرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتولد له الإلحاد من ذلك وصنّف فيه، وكان يعرف السيمياء ويلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعم أنه حالٌ من أحوال القوم. وله من المصنفات كتابُ البدو، وكتابُ اللهور.

وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها أبي نُعمي، وجاور في بعض الأوقات بغار جِراء يرتجي فيه الوُخْي أن ينزل عليه كما أتى النبي ﷺ، بناءً على ما يعتقد من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبةٌ وأنها فيضٌ يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وكان

(١) هو عمر بن علي المعروف بابن الفارض، حدّث عن القاسم بن عساكر، ينعت بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبّر نظمه ولا تستعجل. ولد سنة (٥٧٦هـ)، وتوفي سنة (٦٣٢هـ).

وله ديوان شعر، وأشهر قصائده (التائية) التي تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها.

[الميزان (٣/٢١٤ رقم ٦١٧٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/٣٠١ - ٣٠٢)، و«شذرات الذهب» (٥/١٤٩ - ١٥٤)، و«لسان الميزان» (٤/٣١٧ - ٣١٩).

(٢) هذه التائية تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها ابن الفارض، وانظر الكلام عليها في «كتب ليست من الإسلام» لمحمود مهدي الإستانبولي (ص ٦٧ - ٧١).

(٣) انظر ترجمته في: «لسان الميزان» (٣/٣٩٢)، و«معجم المؤلفين» (٥/٩٠ - ٩١)، و«شذرات الذهب» (٥/٣٢٩ - ٣٣٠).

إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحميزُ حول المدارِ، وأنهم لو طافوا به كان أفضلَ من طوافهم بالبيت، فالله يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظامُ من الأقوال والأفعال. توفي يوم ثمانية وعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة.

(الطائفة الرابعة): ثفاة القدر، وهم فرقتان^(١): فرقة نفت تقديرَ الخيرِ والشر بالكلية، وجعلت العبادَ هم الخالقين لأفعالهم خيرها وشرها، ولازمَ هذا القول أنهم هم الخالقون لأنفسهم؛ لأن في قولهم نفى تصرف الله في عبادِه، وإخراج أفعالهم عن خلقه وتقديره، فيكون تكونُهم من التراب ثم من نقطة ثم من علقه ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليق هم بأنفسهم تطوَّروا، وبطبيعتهم تخلَّقوا، وهذا راجعُ إلى مذهب الطباعية الدهرية الذين لم يُثبتوا خالقاً أصلاً كما قدمنا مناظرة أبي حنيفة لبعضهم فأسلموا على يديه.

وفرقة نفت تقديرَ الشرِّ دون الخير، فجعلوا الخيرَ من الله وجعلوا الشرَّ من العبد.

ثم منهم من ينفي تقديرَ الشرِّ من أعمال العبادِ دون تقديره في المصائب، ومنهم من غلا فنفي تقديرَ الشرِّ من المصائب والمعائب. وعلى كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقاً، بل جعلوا العبادَ معه خالقين كلُّهم، ونفوا أن يكون الله هو المتفرِّد بالتصرف في ملكوته، وهذا راجعُ إلى مذهب المجوسِ الثنوية الذين أثبتوا خالقين: خالقاً للخير وخالقاً للشر، قبحهم الله تعالى.

(الطائفة الخامسة): الجبرية^(٢)، الذين يعتقدون أن العبدَ مجبورٌ على أفعاله قسراً ولا فعلَ له أصلاً بل إثباتُ الفعلِ للعبد هو عينُ الشرك عندهم، بل هو كالهواي من أعلى إلى أسفل، وكالسَّغفة تحركها الريح، لم يعمل باختياره طاعةً ولا معصية، ولم يكلفه الله وسعَه، بل حمَّله ما لا طاقةَ له به، ولم يخلق فيه

(١) وهم من المعتزلة، انظر: «فرق معاصرة» (٢/٨٢٤)، و«المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (ص ١١١ - ١١٧)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/٢٥٦ - ٢٦٢).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/٩٧) وقد تقدم الكلام عليهم أيضاً في تعريف الجهمية في أول هذا الجزء.

اختياراً لأفعاله ولا قدرة له عليها، بل الطاعة والعصيان من الأقوال والأعمال هي عندهم عين فعل الله عز وجل، فرفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص، وأنه يعذبهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصي التي نهى الله عنها في كتبه وعلى السنة رسله إذا عملوها صارت طاعات لأنهم يقولون أطعنا مشيئة الله الكونية فينا، بل لم يثبتوا الإرادة الشرعية البتة، ومن يثبتها منهم يقول في الطاعات أطعنا الإرادة الشرعية، وفي المعاصي التي سماها الله معاصي أطعنا الإرادة الكونية، وأما هم فلم يثبتوا معصية أصلاً بل أفعالهم جميعها حسنها وقبيحها كلها عندهم طاعات على أصلهم هذا الفاسد، وفي ذلك رد منهم على الله تعالى أمره ونهيّه ووعدّه ووعدّه وفرضه على عباده جهاد الكفار وإقامة الحدود، بل في إرساله الرسل وإنزاله الكتب، فيجب عندهم تعطيل الشرائع بالكلية والاحتجاج على نفيها بالقدر الكوني، ومحاربتها به وإثبات الحجة على الله لكل كافر وفاسق وعاص، وهذا كفر لم يسبقهم إليه غير إمامهم إبليس اللعين؛ إذ يحتج على الله تعالى بحجتهم هذه فقال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦].

والعجب أن هذا المذهب المخدول موروث عن جهنم بن صفوان^(١) مع تناقضه في إثبات أفعال الله عز وجل، فإنه لا يثبت لله تعالى فعلاً يقوم بذاته أصلاً، بل أفعاله خارجة عنه، قائمة بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعال العباد أفعال الله، وهذا تناقض بين لكل عاقل، فإن الفعل إنما يضاف إلى من قام به، والقول إلى من قاله، وكذا السمع والبصر والقدرة وغيرها محال أن تضاف إلى غير من قامت به، ومحال أن يسمى فاعلاً بدون فعل يقوم به، ولو ذهبنا نعدّ تشعب الفرق من هذه الطوائف ولوازم كل قول مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرّد ذلك بالتصنيف غير واحد من الأئمة، وقد قدمنا البعض من ذلك وذكرنا أمثلة من تحريفهم النصوص، وسيأتي الكلام على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نفاة القدر والغلاة فيه في باب القدر، والكلام على الخوارج والمزجئة والمعتزلة وأشباههم في باب الإيمان والدين، والكلام على الروافض والنواصب في باب ذكر الصحابة.

(١) تقدم التعريف بهذا الضال مراراً.

وهذه الطوائف التي خالفت في توحيد المعرفة والإثبات مرجعها إلى ثلاث:
فالحلولية والاتحادية والسلبية ومن في معانهم مرجعهم إلى الطباعية الدهرية،
والقدرية النفاة بجميع فرقهم مرجعهم إلى المجوس الشنوية، والجبرية الغلاة
مرجعهم إلى النزعة الجهمية الإبليسية، وقد قدمنا قول المؤمنين أتباع الرسل
مبسوطاً بما فيه كفاية.

(فصل) والمخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف ذكرهم شيخ الإسلام
ابن تيمية في المنهاج^(١)، وابن القيم في الصواعق^(٢)، وهذا نصه، قال رحمه الله
تعالى:

(فصل) اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى، فذهب (الاتحادية) القائلون
بوحدة الوجود، أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمته ونثره وحقه وباطله سحره
وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش وأصداده، كله عين كلام الله تعالى القائم
به؛ كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نشره ونظامه
وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين
هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب
إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مبين لهذا العالم
المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة.

(أحدهما): أنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجوداً لكان إما داخل العالم
وإما خارجاً عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائماً بنفسه فإما أن يكون
مبايناً للعالم أو محايثاً له، إما داخلياً فيه وإما خارجاً عنه.

(الأمر الثاني): أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ
أنه لا داخل العالم ولا خارج له ولا مبايناً له ولا حالاً فيه، إذ هو عينه، والشيء لا
يباين نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده والحكم عليه بأنه

(١) في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية».

(٢) في «مختصر الصواعق» (٢/٢٨٦ - ٢٩٣).

معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايد ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه، فراراً إلى ما لا يُسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يُقرَّ برَبِّ هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما.

(أحدهما): أن يكون سارياً فيه حالاً فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

(الوجه الثاني): أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج فيكون وجوده سبحانه وجوداً عقلياً إذ لو كان موجوداً في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائناً عنه أو حالاً فيه وكلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب الثاني مذهب (الفلاسفة) المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي^(١) قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه. ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير. فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صوراً نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية. قالوا: وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج. فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته ورسله وأنبيائه، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه وهو القائم بنفسه

(١) تقدم التعريف بهم قريباً.

المباينُ لخلقه العالي فوق سمواته فوق عرشه، الفعل لما يريد بقدرته ومشيتته،
العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

المذهب الثالث: مذهب (الجهمية) الثقة لصفات الرب تعالى القائلين: إن
كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته فلم يقيم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل
واختلفوا في فروعه.

قال الأشعري في كتاب المقالات^(١): اختلفت المعتزلة في كلام الله تعالى
هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه، على ستة أقاويل:
فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن كلام الله جسم وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا
جسم.

والفرقة الثانية زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم
إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسم وأن ذلك الجسم صوت منقطع مؤلف
مسموع، وهو فعل الله وخلقُه وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه. وأحال النظام أن
يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان
الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد
في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تالٍ فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وُجد
مع كتابته، وإذا حفظه وُجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ
والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

والفرقة الرابعة يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق، وأحالوا أن
يوجد في مكانين في وقت واحد، وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه مُحالٌ
انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.
والفرقة الخامسة أصحاب مَعمر^(٢)، يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين؛ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري
(ص ١٩١ - ١٩٣) وما بعدها.

(٢) هو معمر بن عباد السلمي أبو عمرو، وعنه أحمد بن يحيى بن المرتضى في كتابه
«طبقات المعتزلة» (ص ٥٤) من الطبقة السادسة.

عندهم قسمان: قسم منهما يفعلهُ الأحياءُ، وقسم منهما يفعلهُ الأموات، ومُحال أن يكون ما يفعلهُ الأمواتُ فعلاً للأحياء. والقرآنُ مفعولٌ وهو عَرَضٌ، ومُحال أن يكون الله فعلهُ في الحقيقة؛ لأنهم يُحيلون أن تكون الأعراضُ فعلاً لله، وزعموا أن القرآنَ فعلٌ للمحلّ الذي يُسمع منه، إذا سُمع من الشجرة فهو فعلٌ لها، وحيث سُمع فهو فعلٌ للمحلّ الذي حلّ فيه.

الفرقة السادسةُ يزعمون أن كلامَ الله عَرَضٌ مخلوقٌ وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قولُ الإسكافي^(١).

واختلفت المعتزلةُ في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقةٌ منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقةٌ أخرى: لا يبقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يُعدم بعد ذلك. وهذا المذهبُ هو من فروع ذلك الأصلِ الباطلِ المخالفِ لجميع كتبِ الله ورسوله ولصريحِ المعقولِ والفطر من جحدِ صفاتِ الربِّ وتعطيلِ حقائق أسمائه وصفاته ونفي قيامِ الأفعالِ به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصفٌ ولا فعلٌ كان من فروع هذا الأصلِ أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآنَ مخلوقٌ، وطَرَدَ ذلك إنكارُ ربوبيّته، وإلهيته، فإن ربوبيّته سبحانه إنما تتحقّق بكونه فعلاً مدبراً متصرفاً في خلقه، يعلم ويقرّر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت عنه صفةُ الكلام انتفى الأمرُ والنهي ولوآزمهما، وذلك ينفي حقيقةَ الإلهية، فطرَدَ ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برَبِّ العالمين ولا إله، فضلاً عن أن يكون لا ربَّ غيره ولا إله سواه.

المذهب الرابع: مذهبُ (الكَلابية): أتباعُ عبدِ الله بنِ سعيدِ بنِ كُلاب^(٢)، أن القرآنَ معنًى قائمٌ بالنفس لا يتعلق بالقُدرة والمشيئة، وأنه لازمٌ لذاتِ الربِّ كلزوم

(١) هو محمد بن عبد الله الإسكافي أبو جعفر، أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، له تصانيف معروفة... ومات سنة أربعين ومائتين، «الأنساب للسمعاني» (١/١٥٠).

(٢) عبد الله بن سعيد بن كُلاب، الفقيه أبو محمد البصري، كان يرد على المعتزلة وربما وافقهم.

روى أبو طاهر الذهلي أن داود بن علي الأصبهاني أخذ الجدل والكلام عنه، وهو أصحابه كَلابيةٌ لأنه يَجْزُ الخصوم إلى نفسه بفضل بيانه كالكلاب.

توفي في حدود الأربعين ومائتين.

[«الوافي بالوفيات» (١٧/١٩٨)، و«لسان الميزان» (٣/٢٩٠ - ٢٩١)].

الحياة والعلم، وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه، وهي مخلوقة، وهو أربعة معاني في نفسه: الأمر، والنهي، والخبر، والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يُسمع، وذلك المعنى هو المتلو والمقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يُعرف أنه قال به ابن كلاب وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى؛ لأنه ليس محلاً للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق.

المذهب الخامس: مذهب (الأشعري) ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب تعالى، لأنه ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم، ولا له أبعاد، ولا له أجزاء، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل واحد، وهو عين التوراة وعين الإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآناً وتوراة وإنجيلاً تقسيمٌ للعبارة عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وإذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يستعملها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سُمع من الله، وعنده ذلك المعنى سُمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويُشم ويُذاق ويُلمَس ويُذَكَّ بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة الرائي، وأنه يرى حقيقة، وليس مقابلاً للرائي، هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام.

والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ، وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل. وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كافٍ في الجزم ببطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تُتصور المستحيلات الممتنعات. وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى، ويستونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيتيه.

[التنبيه على أن الأشعري غير الأشعرية]

وأقول - والحق يقال - لا نشك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى من أعلم من صنف في المقالات والمِلل والتَّحَل، وأدراهم بمواردها ومصادرها، وأبصرهم بردُّ الباطل منها وإدحاضه، وأوفاهم تقريراً لمذهب السلف أهل السنة والجماعة، وأشدَّهم تمسكاً به ونُصرةً له، وأكملهم تحريراً لبراهينه عقلاً ونقلاً، وأكثرهم اشتغالاً بهذا الباب، وتنقيباً عن عامل البدع فيه، واجتثاثاً لأصولها، ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالى عن الأشعري في مسألة القرآن، هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري، ويسمون أنفسهم أهل الحق، ويُقرِّون ذلك ويكزرونه في كتبهم وينظرون عليه.

وأما أبو الحسن الأشعري نفسه رحمه الله تعالى، فالذي قرَّره في كتابه (الإبانة)^(١) الذي هو من آخر ما صنف، هو قول أهل الحديث، ساقه بحروفه، وجاء به برُمته، واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقلية، ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، والحمَّاديين والسفيانيين، وعبد العزيز بن الماجشون، والليث بن سعد، وهشام، وعيسى بن يونس وحفص بن غياث، وسعد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبي بكر بن عياش، ووكيع وأبي عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، ويشر بن المفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبي نعيم، وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم، ولولا خوف الإطالة لسقنا فصول كلامه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات، وأجمل في بعض المواضع، فكلامه يدل على أنه مخالفٌ للمتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن كما هو مخالفٌ لهم في إثباته الاستواء والنزول والرؤية، والوجه واليد، والغضب والرضا وغير ذلك، وقد صرح في مقالاته بأنه قائلٌ بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث معتقداً ما هم عليه، مثبتاً لما أثبتوه، مُحَرِّماً ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن

(١) الإبانة عن أصول الديانة، حققه وخرَّج أحاديثه: العلامة عبد القادر الأرئوط.

مواضعه، وصَرَفَ اللفظ عن ظاهره وإخراجه عن حقيقته، وبالجمله فيبين وبين
المنتسبين إليه بونٌ بعيد. بل هو بريء منهم، وهم منه براء، والموعِدُ الله وكفى
بالله حسيباً، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

المذهب السادس: مذهب (الكرامية): وهو أنه متعلقٌ بالمشيئة والقدرة، قائمٌ
بذات الرب تعالى، وهو حروفٌ وأصواتٌ مسموعةٌ، وهو حادثٌ بعد أن لم يكن،
فهو عندهم متكلمٌ بقدرته ومشيتِهِ بعد أن لم يكن متكلماً، كما يقول سائرُ فِرَقِ
المتكلمين أنه فعلٌ بقدرته ومشيتِهِ بعد أن لم يكن فاعلاً، كما ألزموا به الكرامية في
مسألة الكلام، فهو لازمٌ لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقربُ إلى الصواب منهم،
فإنهم أثبتوا كلاماً وفعلاً حقيقةً قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لها أولاً فِراً
من القول بحوادث لا أوّل لها، ومُنازَعوهم أبطلوا حقيقة الكلام والفعل، وقالوا لم
يقم به فعلٌ ولا كلامٌ البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائماً بنفسه سبحانه، فلو كان
ما أثبتته مفعولاً لكان من جنس الإرادة، والعلم لم يكن شيئاً خارجاً عنهما، فهم لم
يُثبتوا لله كلاماً ولا فعلاً، وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلماً بعد أن لم يكن
متكلماً، كما فعله خصومُهم فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً.

(١) المعروف من حياة أبي الحسن الأشعري أنه مرّت به ثلاثة أدوار:

(الأول) أنه كان مع المعتزلة في البصرة.

(الثاني): يقظته لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم، وقد
استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه. ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن
هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم
إلى إدحاضه والتنبية على ما يخالف منه مذهب السلف.

(أما الدور الثالث) من حياة الأشعري فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من
البصرة إلى بغداد واتصاله بأهل الحديث وأتباع الإمام أحمد. وفي هذه الحقبة ألف
(مقالات الإسلاميين) و(الإبانة)، ولا شك أن (الإبانة) من آخر مصنفاته إن لم تكن آخرها
كما نصّ عليه مترجموه. ففي هذين الكتابين مذهب الذي أراد أن يلقي الله عليه. والذي
كان عليه في البصرة هو الذي اشتهر عنه وبقي منسوباً إليه وهو بريء منه كبرائه من
الاعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته. (محب الدين الخطيب).

قلت: وانظر مزيداً من ذلك البيان في ترجمته المتقدمة في هذا الجزء.

المذهب السابع: مذهب (السالمية) ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى، لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيتته، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات، سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويُسمعه سبحانه من يشاء.

وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولا تُعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا إن تصور هذا المذهب كان في الجزم بطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة بطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل.

والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم، لا يكادون يعرفون غيرها. ثم ذكر رحمه الله تعالى قول أتباع الرسل وأطال على ذلك. ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن، وساق فيه كثيراً من كلام البخاري رحمه الله تعالى في (صحيحه)، وفي كتاب (خلق أفعال العباد) لأنه من أحسن الأئمة توضيحاً وتفصيلاً في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة في شأنها. ثم ذكر الكلام على حروف المعجم، وساق فيه أقوال الأئمة، ثم ذكر اللفظية في أثناء ذلك والواقفة. ثم ذكر فصلاً في الكتابة له في الرق وغيره، ثم فصلاً في السماع، ثم فصلاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أول من أظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابن كلاب وأنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد والبخاري وغيرهما. وفي غضون هذه الفصول أبحاث نفيسة لا يُستغنى عنها، فلتراجع منه^(١).

ثم قال رحمه الله تعالى: «فصل. منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته؟ على قولين، فقالت طائفة كلامه بغير مشيئته واختياره. ثم انقسم هؤلاء أربع فرق:

قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعّال على نفس شريفة، فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو.

(١) «مختصر الصواعق» (٢/٢٩٣ - ٣٢٩).

وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم وهو قول
الكلابية ومن تبعهم. وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقة قالت هو معانٍ متعددة في أنفسها
أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذه الأربعة، وفرقة قالت بل هو معنى
واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعص.

وفرقة قالت كلامه هو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار
بها متكلماً، وهذا قول المعتزلة، وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل
الاعتزال، فنسب إليهم.

وفرقة قالت يتكلم بقدرته ومشيتته كلاماً قائماً بذاته سبحانه كما يقوم به سائر
أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً كما قاله
من لم نصّفهم من المتكلمين أنه صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً. فقول هؤلاء في
الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية.

وفرقة قالت: يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله
حقه وباطله وصدقه وكذبه؛ كما يقوله طوائف الاتحادية.

وقال أهل الحديث والسنة أنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء يتكلم بمشيئته،
ولم تتحد له هذه الصفة، بل كونه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة،
وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته، وكلامه ليس متحداً بهم ولا حالاً فيهم.

واختلفت الفرق هل يُسمع كلام الله على الحقيقة؟ فقالت فرقة: لا يُسمع
كلامه على الحقيقة إنما تسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن
تبعهم، وقالت بقية الطوائف بل يُسمع كلامه حقيقة.

ثم اختلفوا، فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من الله تعالى، وهذا قول
الاتحادية. وقالت فرقة: بل لا يُسمع إلا من غيره، وعندهم أن موسى لم يسمع
كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة.

وقال أهل السنة والحديث: يُسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما
سَمِعَهُ موسى وجبريل وغيرهما وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة،
ويكلم الأنبياء في الموقف، ويُسمع من المبلّغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من
جبريل تبليغاً عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله فسمعوا

كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل: إن أردت المسموع عن الله تعالى فهو كلامه غير مخلوق، وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل إن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق. وإن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق.

والذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق: فرقة قالت يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه وهم المعتزلة. وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالمية والاقترانية. وفرقة قالت يتكلم بصوت حادث في ذاته بعد أن لم يكن وهم الكرامية.

وقال أهل السنة والحديث لم يزل الله تعالى متكلماً بصوت إذا شاء. والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان: أصحاب الفيض، والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس^(١). انتهى ما أردنا إيراده من كلامه رحمه الله تعالى، وقد أودع هذه الأقوال وغيرها في مسألة القرآن وغيرها في نونيته الشافية الكافية.

وأما مذهب أتباع الرسل، فقد قدمنا فيه الشفاء الكافي من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة بما لا يحتاج معه إلى غيره، وبالله التوفيق.

تم الجزء الأول والله الحمد
من كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
ويليه الجزء الثاني وأوله
[الفصل الثاني في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله]

(١) «مختصر الصواعق» (٢/٣٢٩ - ٣٣١).

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرّف بهم.

ثالثاً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم في الجزء الأول من كتاب «معارج القبول»

أبو محمد الأودي الكوفي: ٣٤٦	زبان بن العلاء بن عمار المازني التميمي: ١١٠
يزيد بن هارون أبو خالد السلمي الواسطي: ٣٤٩	أبو علي «الحسن بن هاني» بن عبد الأول بن الصباح الحكمي: ١٣٥
شبابة بن سوار: ٣٤٩	عبد الله بن المعتز: ١٣٦
هاشم بن القاسم الليثي، أبو النضر البغدادي: ٣٤٩	اسماعيل بن القاسم العنزي: ١٣٦
أبو توبة الحلبي: ٣٥٠	قس بن ساعدة الإيادي: ١٣٦
نعيم بن حماد بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي: ٣٥٠	محمد بن شجاع بن الثلجي الفقيه البغدادي الحنفي: ١٥٠
إبراهيم بن مهدي المصيبي: ٣٥٠	الناطقة الذبياني: ٢٤٧
عباد بن العوام بن عمر الكلبي: ٣٥٠	الساجي شيخ البصرة: ٢٥٤
ابن أبي مريم: ٣٥٠	القصاب محمد بن علي المجاهد: ٢٥٩
النضر بن عبد الجبار: ٣٥٠	الجعد بن درهم: ٣٤٠
هارون بن معروف المروزي أبو علي الخزاز الضرير: ٣٥١	بشر بن غياث المريسي: ٣٤١
هشيم بن بشير السلمي: ٣٥١	أحمد بن أبي داود القاضي: ٣٤٢
القاسم بن سلام: ٣٥١	إبراهيم بن طهمان أبو سعيد الهروي النيسابوري: ٣٤٣
إسحاق بن بهلول بن حسان الأنباري: ٣٥٢	سليمان بن طرخان التميمي: ٣٤٣
أنس بن عياض بن ضمرة الليثي أبو حمزة المدني: ٣٥٢	سلام بن مطيع: ٣٤٣
	يعقوب بن إبراهيم القاضي: ٣٤٤

- عيسى بن يونس بن إسحاق السبيعي: ٣٥٢
الحسن بن إبراهيم بن إشكاب: ٣٥٢
عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب
الواسطي: ٣٥٢
عبد الوهاب بن الحكم الوراق: ٣٥٣
سفيان بن وكيع بن الجراح: ٣٥٣
إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن
عبد الرحمن بن عوف الزهري: ٣٥٣
سعيد بن عبد الرحمن الجمحي: ٣٥٣
وهب بن جرير بن حازم الأزدي البصري:
٣٥٣
سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي: ٣٥٤
محمد بن يزيد الواسطي: ٣٥٤
عثمان بن أبي شيبة: ٣٥٥
أبو عمرو الشيباني النحوي الكوفي: ٣٥٥
يحيى بن أيوب أبو زكريا المقابري: ٣٥٥
حجاج بن المنهال الأنماطي السلمي: ٣٥٥
إسحاق بن أبي إسرائيل: ٣٥٥
إسماعيل بن إبراهيم الهلالي: ٣٥٥
حسن بن موسى الأشيب: ٣٥٦
محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي
الكوفي: ٣٥٦
يحيى بن يحيى النيسابوري: ٣٥٧
هشام بن عبيد الله الرازي: ٣٥٧
- إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: ٣٥٧
أبو جعفر النخيلي: ٣٥٧
أبو معاوية: ٣٦١
أبو نعيم: ٣٦٢
هارون الفروي بن موسى المدني: ٣٧٦
أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم
الإمام البغدادي: ٤٤٤
جهم بن صفوان، الضال المبتدع: ٤٦٠
أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا
الحكيم المشهور: ٤٧٦
أبو نصر الفارابي، محمد بن محمد بن
طرخان بن أوزلغ: ٤٧٦
أرسطو طاليس: ٤٧٦
الطوسي: ٤٧٦
أبو بكر محيي الدين، محمد بن علي بن
محمد الحاتمي الطائي الأندلسي: ٤٧٧
عمر بن علي المعروف بابن الفارض:
٤٧٨
معمّر بن عباد السلمي أبو عمرو: ٤٨٣
محمد بن عبد الله الإسكافي أبو جعفر:
٤٨٤
عبد الله بن سعيد بن كلاب الفقيه أبو
محمد البصري: ٤٨٤

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرّف بهم
في الجزء الأول
من كتاب «معارج القبول»

الصفحة	اسم الفرق أو الطائفة
١٥٥	الجهمية :
٣٠٤	المعتزلة :
٣٣٩	السمنية :
٣٤٥	الزندقة :
٤٧٦	الحلولية :
٤٧٧	الاتحادية :
٤٧٩	الجبرية :



ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الأول من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
مقدمة بقلم الدكتور عبد الوهاب الديلمي		٥
مقدمة المحقق		٧
نبذة عن مؤلف الكتاب بقلم ولده: الدكتور/ أحمد بن حافظ الحكمي		١٣
مولده ونشأته		١٣
طلبه للعلم		١٤
علمه		١٦
أدبه		١٧
أعماله		٢٠
صفاته		٢١
وفاته		٢٢
مؤلفاته		٢٣
صورة للصفحة الأولى من أصل منظومة (سُلم الوصول) بخط الناظم		٢٩
صورة للصفحة الأخيرة من أصل منظومة (سُلم الوصول) بخط الناظم		٣٠
صورة الصفحة الأولى من مسودة الكتاب (معارج القبول) بخط المؤلف		٣١
صورة الصفحة الأخيرة من مسودة الكتاب (معارج القبول) بخط المؤلف		٣٢
خطتي في تحقيق «معارج القبول» وتخريجه		٣٣
فاتحة الكتاب وفيها تحميداً لله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا		٣٥
لا نجاح للعباد إلا بمعرفة الله وتوحيده		٤٥

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
اختلاف الفرق الإسلامية		٥١
الفرق الناجية		٥٤
سبب نظم المتن وتأليف الشرح		٥٥
نص منظومة: سلّم الوصول، إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ		٥٧
مقدمة: تُعرّف العبد بما خلق له وبأول ما فرض الله تعالى عليه		٥٨
الفصل الأول: في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين، وبيان النوع الأول		٥٩
الفصل الثاني: في بيان النوع الثاني من التوحيد		٦١
الفصل الثالث: في تعريف العبادة، وذكر بعض أنواعها		٦٢
الفصل الرابع: في بيان ضدّ التوحيد		٦٣
الفصل الخامس: في بيان أمور يفعلها العامة		٦٣
الفصل السادس: من الشرك فعلٌ من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر		٦٤
الفصل السابع: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلون عند القبور		٦٥
الفصل الثامن: في بيان حقيقة السحر وحدّ الساحر		٦٦
الفصل التاسع: يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين		٦٧
الفصل العاشر: في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية		٧٠
الفصل الحادي عشر: في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة		٧١
الفصل الثاني عشر: فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ		٧٢
خاتمة: في وجوب التمسك بالكتاب والسنة		٧٣
شرح مقدمة المنظومة		٧٥
خلاصة القول في تفسير البسملة		٧٦
القول في حمد الله وشكره والاستعانة به		٨٠
القول في كلمة الشهادة		٨٦
القول في الصلاة والتعريف بالآل والأصحاب		٨٨
الأقوال في حقيقة أهل البيت (حاشية)		٩٠
التعريف بموضوع الكتاب		٩١

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
مقدمة: تُعرّف العبد بما خلق له، ويأول ما فرض الله عليه وبما أخذ الله عليه به		
الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه.....		٩٣
تعريف العبادة.....		١٠١
الفصل الأول:		
في انقسام التوحيد إلى نوعين وبيان النوع الأول وهو: (توحيد المعرفة والإثبات)		١١٩
الكلام عن التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي.....		١٢٢
ذكرُ مناظرة أخرى بين رُسل الله وأعدائه.....		١٣١
ذكرُ مناظرة أخرى من ذلك أيضاً.....		١٣٢
ذكرُ ما نقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب.....		١٣٥
أسماء الله الحسنى.....		١٣٨
أسماء الله ليست منحصرة في حديث أبي هريرة.....		١٤٥
من أسماء الله ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله.....		١٤٧
في القرآن أفعال أطلقها الله على نفسه على سبيل الجزاء والعدالة لا يجوز أن يشتق له تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقّت له الآيات ..		١٤٧
دلالة أسماء الله حق على حقيقتها مطابقة وتضمناً والتزاماً.....		١٤٩
أسماء الله غير مخلوقة.....		١٥٠
تفصيل المراد بقوله ﷻ: (من أحصاها).....		١٥٦
تفسير الآية: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه».....		١٦٠
إثبات ربوبية الله.....		١٦٢
الجليل.....		١٦٣
الأكبر. الخالق.....		١٦٣
البارئ. المصور.....		١٦٤
منشئ الخلق ومبدعهم.....		١٦٥
الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء.....		١٦٥
الأحد الفرد في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.....		١٦٨
القدير الذي له مطلق القدرة وكمالها وعامها.....		١٧١

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
الأزلي بذاته وأسمائه وصفاته	١٧٣	
الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم	١٧٤	
البر وصفاً وفعلًا	١٧٧	
المهيمن على عباده بأعمالهم	١٧٧	
العلي علوّ قهر وعلو شأن	١٧٧	
الذي له العلوّ والفوقية بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والمرسلين وأتباعهم ...	١٨١	
استواؤه على العرش	١٨٢	
تصريح القرآن بفوقية الله عز وجل	١٨٧	
تصريح القرآن والسنة بأن الله عز وجل في السماء	١٩٣	
التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده	٢٠٠	
الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع	٢٠١	
معراج نبينا محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل	٢٠٥	
التصريح بنزوله تعالى كما ورد في الأحاديث	٢٠٨	
تنزل الملائكة ونزول الأمر من عنده، وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى	٢١٠	
رفع الأيدي إليه تعالى والأبصار إليه في أحاديث القنوت والاستسقاء والدعاء ...	٢١٢	
إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبة حجة الوداع بإصبعه وبرأسه الشريف	٢١٦	
النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته، وإضافته إلى خالقه وأنه تعالى فوقه ..	٢١٦	
تكذيب فرعون لموسى في أن إلهه في السماء	٢١٧	
قصة تكليم موسى حين تجلّى للجبل فاندكّ الجبل	٢١٨	
ذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم في صفة العلو	٢٢١	
ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة	٢٢٨	
طبقة أخرى: أبي حنيفة وابن جريج والأوزاعي	٢٣٤	
طبقة أخرى: جرير بن عبد الحميد، وابن شقيق، وأحمد بن حنبل	٢٣٨	
طبقة الشافعي وأحمد رضي الله عنهما	٢٤٢	
طبقة أخرى: المزني، ومحمد بن يحيى الذهلي، والبخاري	٢٤٧	
طبقة أخرى: زكريا بن يحيى الساجي، وحماد البوشنجي، وابن خزيمة	٢٥٤	

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة	٢٥٧	
طبقة أخرى: نصر المقدسي، وعبد القادر الجيلاني في كتابه «الغنية»، والقرطبي	٢٦٢	
القرب والمعية لا ينافي العلو والفوقية	٢٦٧	
القيوم قيوم بنفسه قيم لغيره وجميع الموجودات مفتقرة إليه	٢٧٠	
انفراده تعالى بالإرادة والمشئنة	٢٧٦	
انفراده تعالى بالخلق	٢٨٦	
الله هو الحاكم بما أَرادَه فلا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه	٢٨٨	
معنى قول تعالى: «من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم» ..	٢٨٩	
جميع أفعاله تعالى وتصرفه في خلقه لحكمة يعلمها	٢٩٠	
ما يجب لله على عباده من الحمد على حكمته في خلقه وأمره	٢٩٤	
مسألة: التوفيق بين كون الله لا يحب الفساد وكون ذلك بمشيئته وإرادته	٢٩٦	
مسألة: لماذا لم يجعلهم كلهم طائعين مهتدين؟	٢٩٧	
مسألة: الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة الله إياها	٢٩٧	
إثبات السمع والبصر لله تعالى	٣٠٠	
الكلام على العلم الإلهي	٣٠٤	
الله سبحانه غنيّ بذاته، كل شيء غيره مفتقر إليه	٣١٠	
كلام الله	٣١٤	
يتكلم سبحانه إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء	٣١٦	
الكلام الإلهي يجلّ عن الإحصاء والحصر والفناء	٣٢٢	
كلام الله الذي في كتابه عين كلامه، ليس بمخلوق	٣٢٥	
القرآن منزل من عند الله على رسوله الكريم	٣٢٩	
القرآن ليس بمخلوق كما يقول الزنادقة	٣٣٧	
أصل القول بخلق القرآن	٣٣٩	
ذكر ما قاله أئمة السنة في مسألة خلق القرآن، وحكم الجهمية	٣٤٢	
القرآن ليس بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم من أعداء الله	٣٦٣	
القرآن يحفظ بالقلب، ويُتلى باللسان ويسمع بالأذان	٣٦٦	

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
اللفظية جهمية، وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق	٣٧٦	
ما قاله تعالى لا يقبل التبديل، ولا قيل أصدق من قيله	٣٧٧	
يجب الإيمان بصفة النزول لله تعالى وإمراره كما جاء	٣٧٨	
مجيء الله تعالى يوم الفصل كما يشاء للقضاء بين الخلائق	٣٩٠	
- رؤية المؤمنين الله يوم القيامة الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة	٣٩٣	
- «الزيادة» في قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إلى وجه		
الله الكريم	٣٩٩	
- ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب	٤٣٠	
- ذكر أقوال التابعين رحمهم الله في ذلك	٤٣٣	
- ذكر أقوال الأئمة الأربعة وطبقاتهم ومشايعهم	٤٣٦	
- الإيمان بالصفات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة وإقرارها كما جاءت	٤٤٧	
- اجتناب التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل في آيات الأسماء والصفات		
وأحاديثها	٤٥٩	
- عدول أهل التأويل عن ألف دليل وتمسكهم بما ينسب إلى الأخطل النصراني		
في الاستواء	٤٦٢	
- القول الصحيح قول أئمة الهدى من الصحابة والتابعين	٤٧٠	
- توحيد الإثبات	٤٧٢	
- زيادة المتأخرين على الصفات «أن ظاهرها غير مراد»	٤٧٣	
- وجوب مخالفة أقوال كل مارد مضلّ زنديق	٤٧٥	
- الملاحظة خمس طوائف في توحيد المعرفة والإثبات	٤٧٥	
- المخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف:	٤٨١	
- الأولى: (الاتحادية)	٤٨١	
- الثانية: (الفلاسفة) أتباع أرسطو القائلون: كلام الله فيض فاض من العقل الفعال	٤٨٢	
- الثالثة: (الجهمية) نفاة الصفات القائلون: كلام الله مخلوق	٤٨٣	
- الرابعة: (الكلائية) القائلون: القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشية	٤٨٤	
- الخامسة: (الأشعرية) الذين يقولون: إنه معنى واحد قائم بذات الرب	٤٨٥	

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة
- التنبيه إلى أن الأشعري غير الأشعرية، وأن الأشعري رجع إلى مذهب السلف	٤٨٦	
- السادسة: (الكرامية) الذين يقولون: إنه متعلق بالمشيئة وحادث بعد أن لم يكن	٤٨٧	
- السابعة: (السالمية) الذين يقولون: إنه صفة قديمة لا يتعلق بالقدرة والمشيئة		
الخ	٤٨٨	
- منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب هل يتكلم بمشيئة أم بغير مشيئة	٤٨٨	
الفهارس	١ -	
فهرس الأعلام المترجم لهم في هذا الجزء	٣ -	
فهرس الفرق والطوائف المعرف بهم في هذا الجزء	٥ -	
فهرس الموضوعات	٧ -	



